الدُّرَرُ البَهِيَّةُ

فِي شَرْحِ الصَّوَاعِقِ الإِلَهِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الوَهَّابِيَّةِ

لِلْعَالِمِ العَلَّامَة وَالنِّحْرِيْر الفَهَّامَة الشَّيخ سُلَيْمَان بِنْ عَبْدِ الوَهَّاب فِي الرَّدِّ عَلَى أَخِيْهِ مُحَمَّد بِنْ عَبْدِ الوَهَّاب النَّجْدِي وَأَتْبَاعِه

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلِيْ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

الدُّرَرُ البَهِيَّةُ فِي شَرْحِ الصَّوَاعِقِ الإِلَهِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الوَهَّابِيَّة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُور عَلِيٌ عَايِدْ مِقْدَادِيْ الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

الطَّبعة : الأولىٰ/ ٢٠٢١م/ حقوق الطبع محفوظة للمؤلِّف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدىٰ دائرة المكتبة الوطنية () إبراهيم، علي عايد

الدُّرَرُ البَهِيَّةُ فِي شَرْحِ الصَّوَاعِقِ الإِلَهِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الوَهَّابِيَّة، علي عايد إبراهيم / إربد ، المؤلِّف () ر .

ر.إ.٢٠٢١/٩/٥٢١٩ الواصفات : الحركة الوهابية / الدعوىٰ الوهابية / الفرق الكلامية العقائدية .

الرَّقم المعياري الدَّولي للكتاب:

ISBN (٩٧٨-٩٩٢٣-٧٤٩-٣٥-٧) ردمك

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله ، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، وقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١] ، وقال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] ، أمَّا بعد :

فالوهَّابيَّة فتنة دهماء أَلَمَّتْ بالمسلمين ...عملت على تعزيز الأنانيَّة والعصبيَّة والتَّفرقة الدِّينيَّة لدرجة أنَّهم غدوا لا يعترفون ببقيَّة المذاهب الإسلاميَّة من حنفيَّة ومالكيَّة وشافعيَّة وحنبليَّة ... وقد عمل المُستعمر البغيض على إذكائها وزاد من أُوارها...

وقد لَبِسَت الوهَّابيَّة لَبُوسَ السَّلف الصَّالح ، وادَّعت الحرص على التَّوحيد الذي لا تعرفُ منه إلَّا اسمه ، والعياذ بالله تعالى ...

وقد رفض بعض المنتفعين المتزلِّفين المُتاجرين بالدِّين التَّسمية بـ الوهَّابيَّة ... مع العلم أنَّنا رأينا جمهورهم يُصرِّحون بالتَّسمية باسم الوهَّابيَّة ، ويُحبُّوها ، ويُدافعُوا عنها في كُتبهم ومجالس عِلمهم ... فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة" : " ... وصار بعض النَّاس يسمع بنا معاشر الوهَّابيَّة ، ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه ". انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٦٦) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " الرَّدُّ على من أنكر على أهل الدَّعوة الوهَّابيَّة إنكارهم الشِّرك ". انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٥١١) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " ... فأبيتم هذا كلَّه ، وقلتم هذا دين الوهَّـــابيَّة ، ونعم هو ديننا بحمد الله ". انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/ ٢٦٧) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " ... فلذلك الوهَّابيَّة ، يسمُّون مذهبهم : عقيدة السَّلف ". انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٢٨) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " ومن محاسن الوهَّابيَّة : أنَّهم أماتوا البدع ومحوها " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٥٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي (١٤٢٣هـ) ، وهو يتكلَّم عن أحد أُمراء الهند واسمه السيِّد أحمد : " فلمَّا التقىٰ بالوهَّابيِّين في مكَّة اقتنع بصحَّة ما يدعون إليه ، وأصبح من دعاة المذهب ، الذين تملَّكهم الإيمان ، وسيطرت عليهم العقيدة ...وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون الوهَّابيُّون أن يقيموا الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ أساس من المبادئ الوهَّابيَّة ، بجهة البنجاب ، تحت حكم الدَّاعية السيِّد أحمد ، ولم تلبث هذه الدَّولة طويلاً ، حتىٰ قضىٰ عليها الاستعمار الإنكليزي في العقد الرَّابع من القرن التَّاسع عشر. ولكنَّ الدَّعوة الوهَّابيَّة ظلَّت قائمة هناك علىٰ يد خلفاء السيِّد أحمد من بعده ، ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها.

ولا يزال الكثيرون من سكَّان هذه المناطق يدينون بالإسلام علىٰ المذهب الوهَّابي!!!

وفي سومطرة ابتدأت الدَّعوة الوهَّابيَّة سنة (١٨٠٣م) علىٰ يد أحد الحجَّاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحجِّ في نفس السَّنة ، بعد أن التقىٰ بالوهَّابيِّين ، واطَّلع علىٰ صحَّة ما يدعون إليه.

فلمَّا عاد إلىٰ وطنه ابتدأ دعوته ، ثمَّ تطوَّرت الحركة إلىٰ حروب طاحنة بين المسلمين والوهَّابيِّين !!! الذين أصبحوا قوَّة كبيرة في سومطرة ، وبين غير المسلمين من سكانها الأصليِّين ، حتىٰ رأت حكومة الاستعمار الهولنديَّة سنة (١٨٢١م) أن تناهض هذه الحركة القويَّة ، محافظة علىٰ كيانها ونفوذها هناك ". انظر : محمَّد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (ص٧٨-٧٩) .

فانظر يا رعاك الله إلىٰ أنَّ انتشار الوهَّابيَّة في بلاد أندونيسيا المُسلمة أدَّىٰ إلىٰ نشوب حروب طاحنة بين الوهَّابيَّة وغيرهم من المسلمين !!! لأنَّهم جاءوا بما لا تعهده الأجيال ، ولم يُعرف في أوساط المسلمين من قبل ، وهكذا هم علىٰ الدَّوام يعتقدون أنَّهم وحدهم فقط من يعرف الدِّين والتَّوحيد ،

بل يجزمون أنَّهم وحدهم على الحقِّ بل على الإيمان ومن سواهم كافرٌ مُشرك ... كما وضَّحته وبرهنت عليه من كتبهم في كتابي : " تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّة المُحَمَّدِيَّة " ...

وهذا هو صنيعهم في كلِّ بلد دخلوه ، وفي كلِّ مكانٍ حلُّوا فيه ... أنَّهم سبب فُرقةٍ واختلاف وفوضى في أغلب الأوطان التي دخلوها ... مع العلم أنَّ الأمن في الأوطان مطلوب من الجميع ... وقد أمر الله تعالى بالاجتماع ونهى عن الفُرقة والاختلاف المبنيّ على العصبيَّة والهوى ، قال تعالى : **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾** [الأنفال: ٤٦] ، وقال : **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾** [آل عمران: ١٠٣] ، فالواجب على المسلم أن يسعى حثيثاً لجمع الكلمة ورصِّ الصُّفوف وتوحيدها ، لأنَّ الشَّارع الحكيم أمر بذلك ...

وكتب الدُّكتور الوهَّابي محمَّد بن خليل حسن هرّاس (١٣٩٥هـ) كتاباً بعنوان : " الحركة الوهَّابيَّة " ردَّ فيه على الدُّكتور محمَّد البهي في نقده للوهَّابيَّة.

وكتب المدعو محمَّد حامد الفقي كتاباً بعنوان : " أثر الدَّعوة الوهَّابيَّة في الإصلاح الدِّيني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها " ...

وكتب الدُّكتور محمَّد الشّويعر كتاباً بعنوان : " تصحيح خطأ تاريخي حول الوهَّابيَّة " ...

وقال الشَّيخ عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن محمَّد بن عبد الوهَّاب آل الشَّيخ (١٢٩٣هـ) : " ... فأبيتم علينا هذا كلّه ، وقلتم : هذا دين الوهَّابيَّة ، ونعم ، هو ديننا بحمد الله ". انظر : عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/٩٦٣) ، وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثالث) (١/ ٤٤١) .

وجاء في " فتاوى نور على الدَّرب " للشَّيخ ابن باز : " س: يوجد طائفة من النَّاس إذا دعوناهم إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى ترك الشِّرك بالله، اتَّهمونا بالوهَّابيَّة، كيف نواجههم لو تكرَّمتم؟

ج: لا يوجد مذهب وهَّابي، إنَّما هو طاعة الله ورسوله، الوهَّابيَّة تدعو إلى ما قاله الله ورسوله، الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله الذي تنسب إليه الوهَّابيَّة ، هو رجل قام في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر ، يدعو النَّاس إلى ما قاله الله ورسوله ، يدعو النَّاس إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ،

من أتباع رسول الله ﷺ والسَّير علىٰ منهج أصحابه في الأقوال والأعمال ، وهو حنبلي المذهب ولكنَّه وفَّقه الله لدعوة النَّاس إلىٰ إصلاح العقيدة !! وترك الشِّرك بالله عزَّ وجلَّ !!! وترك البدع والخرافات التي قام بها وتخلَّق بها المتصوِّفة !!! أو أصحاب الكلام !!! فهو يدعو إلىٰ عقيدة السَّلف الصَّالح ، في العمل وفي العقيدة ، وينهىٰ عمَّا عليه أهل الكلام من بدع ، وما عليه بعض الصُّوفيَّة الذين خرجوا عن طريق الصَّواب إلىٰ البدع !! فليس له مذهب يخالف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، بل هو يدعو إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة فقط ، فإذا دعوت أحداً إلىٰ التَّوحيد ونهيته عن الشِّرك فقالوا الوهَّابيَّة ، قل : نعم أنا وهَّابي وأنا محمَّدي ، أدعوكم إلىٰ طاعة الله وشرعه ، أدعوكم إلىٰ توحيد الله ، فإذا كان من دعا إلىٰ توحيد الله وهَّابيَّاً فأنا وهَّابي ... " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ١٥٣) .

والحقّ أنَّ الوهَّابيَّة جعلت السَّلف الصَّالح شمَّاعة علَّقوا عليها ما يريدون من عقائد وأفكار ، تماماً كما صنع من قبل ابن تيمية الذي لم يجِد الوهَّابيَّة عم أقواله قيْد أُنملة ... مع العلم بأنَّ العديد العديد من الأفكار التي يعتقدها هؤلاء لا تمتُّ بأدنىٰ صلة للسَّلف الصَّالح ، وقد ذكرنا العديد منها في غير هذا الكتاب من كُتبنا ...

ومن المعلوم لدىٰ الدَّارسين لحال ابن تيمية أنَّ الكثير من العلماء المعاصرين له ردُّوا عليه في الأصول والفروع ، وناظروه ، وألجموه الحجَّة ، وكان في كلِّ مرَّة يعلن توبته ورجوعه للحقِّ بعدما تبيَّن ، لكنَّه سرعان ما يعود ويأتي بجديد ، وقد تمَّ إيداعه السِّجن غير مرَّة ، مات في آخرها في السِّجن ... وكان سجنه بإجماع العلماء ، قال الإمام تقي الدِّين السُّبكي في " فتاوىٰ السُّبكي (٢/ ٢١٠) : " وَحُبِسَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ الْأُمُورِ عَلَىٰ ذَلِكَ ثمَّ مَاتَ" .

ومن العلماء الذين ردُّوا عليه:

الإمام صالح بن عبد الله البطائحي شيخ المنيبيع الرِّفاعي (٧٠٧هـ) .

الإمام أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السَّروجي، أبو العبَّاس، شمس الدِّين الحنفي (٧١٠هـ) .

الإمام عَليّ بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن خطاب الشَّيْخ الإِمَام عَلَاء الدِّين الْبَاجِيّ (٧١٤هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم بن مُحَمَّد الشَّيْخ صفي الدِّين الْهِنْدِيّ الأرموي (٧١٥هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عمر بن مكّي بن عبد الصَّمد الشَّيْخ الإِمَام صدر الدِّين بن المرحل (٧١٦هـ) .

الإمام قاضي القضاة زين الدِّين علي بن مخلوف المالكي (٧١٨هـ) .

الإمام نور الدِّين علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن أبو الحسن البكري المصري الشَّافعي (٧٢٤هـ) .

الإمام محمَّدُ بنُ محَّمدِ بنِ عثمانَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الخالقِ بنِ حسنٍ القرشيُّ المِصريُّ فخرُ الدِّين بنُ مُحيي الدِّين المعروفُ بابنِ المعلِّم القرشي (٧٢٥هـ) .

الإمام محمَّد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزّي الصَّالحي الحنبلي قاضي الحنابلة بدمشق شمس الدِّين أبو عبد الله المعروف بابن مسلم (٧٢٦هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد بن عبد الْكَرِيم قَاضِي الْقُضَاة كَمَال الدِّين بن الزّملكاني (٧٢٧هـ) .

الإمام محمَّد بن صفي الدِّين عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهَّاب الأنصاري (٧٢٨هـ) .

الإمام أَحْمد بن يحيىٰ بن إِسْمَاعِيل الشَّيْخ شهَاب الدِّين ابْن جهبل الْكلابِي الْحَلَبِي الأَصْل (٧٣٣هـ) ، وهو صاحب الرِّسالة مناط البحث والدِّراسة.

الإمام بدر الدِّين بن جماعة أبو عبد الله الكناني الحموي، شيخ الإسلام وقاضي القضاة في الشَّام ومصر وخطيب المسجد الأقصىٰ والجامع الأزهر والجامع الأموي (٧٣٣ هـ) .

الإمام أبو القاسم أحمد بن محمَّد بن محمَّد الشِّيرازي (٧٣٣هـ) .

الإمام مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن عمر قَاضِي الْقُضَاة جلال الدِّين الْقزْوِينِي (٧٣٩هـ) .

الإمام تاج الدِّين أحمد بن عثمان ابن التُّركماني الجوزجاني الحنفي (٧٤٤هـ) .

الإمام أبو حيَّان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان أثير الدِّين الأندلسي (٧٤٥هـ) .

الإمام كمال الدِّين محمَّد بن أبي الحسن علي السّراج الرِّفاعي القرشي الشَّافعي (٧٤٧هـ) .

الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) .

الإمام أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي، الخزرجي، الأنصاري (٧٥٦هـ) .

الإمام صلاح الدِّين خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائـــي الدِّمشقي الشَّافعي الأشعري (٧٦١هـ) ...

وقال الشَّيخ ابن باز أيضاً : " فالوهَّابيَّة هم هذا ، الوهَّابيَّة دعاة إلى توحيد الله " . انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٥٤) .

وقال أيضاً : " أمَّا الوهَّابيَّة فهم أتباع الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التَّميمي رحمه الله ، فهو إمام مشهور ... " . انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٤) .

وجاء في " فتاوى نور على الدَّرب " للشَّيخ ابن باز : " دعوة الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله إلى التَّوحيد

س ٦ :يقول السَّائل: فضيلة الشَّيخ، يسمِّي بعض النَّاس عندنا العلماء في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة بالوهَّابيَّة ، فهل ترضون بهذه التَّسمية؟ وما هو الرَّد على من يسمِّيكم بهذا الاسم؟

الجواب: هذا لقب مشهور لعلماء التَّوحيد ، علماء نجْد ، ينسبونهم إلى الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمة الله عليه؛ لأنَّه دعا إلى الله عزَّ وجلَّ في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر، واجتهد في إيضاح التَّوحيد وبيان الشِّرك للنَّاس، حتَّى هدى به الله جمَّاً غفيراً، ودخل النَّاس في توحيد الله، وتركوا ما هم عليه من أنواع الشِّرك الأكبر، من عبادة أهل القبور، ومن البدع المتعلِّقة بالقبور، وعبادة الأشجار والأحجار، والغلوّ في الصَّالحين.

فصارت دعوته تجديديَّة إسلاميَّة عظيمة، نفع الله بها المسلمين في الجزيرة العربيَّة وفي غيرها رحمه الله رحمة واسعة، وصار أتباعه ومن دعا بدعوته ونشأ على هذه الدَّعوة في نجد يُسمَّى بالوهَّابي، وكان هذا اللقب عَلَماً لكلِّ من دعا إلى توحيد الله، ونهى عن الشِّرك وعن التَّعلُّق بأهل القبور، أو التَّعلُّق بالأشجار والأحجار، وأمر بالإخلاص لله وحده وسُمِّي وهَّابيَّاً، فهو لقب شريف عظيم !! يدلُّ على أنَّ من لُقِّب به فهو من أهل التَّوحيد، ومن أهل الإخلاص لله، وممَّن ينهى عن الشِّرك بالله، وعن عبادة القبور والأشجار والأحجار والأصنام والأوثان " .انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ١٩)،

وجاء في " فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب " للشَّيخ ابن باز : " ومن يدعون إلىٰ توحيد الله من علماء التَّوحيد من علماء نجْد وغيرهم يُلقَّبون بالوَهَّابيَّة، فهو لقب معروف شريف !!! وليس بمستنكر!!! فهو لقب أهل التَّوحيد والإيمان !!! من أهل الدَّعوة إلىٰ الله عزَّ وجلَّ " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (١/ ٢٢) .

وجاء في مجموع فتاوىٰ العلامة عبد العزيز بن باز : " من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلىٰ حضرة الأخ المكرَّم وفَّقه الله للعلم النَّافع والعمل به آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أمَّا بعد : فقد وصلني كتابكم المؤرَّخ (٢/ ٣/ ١٣٩٤) وصلكم الله بحبل الهدىٰ والتَّوفيق، وما تضمَّنه من الأسئلة الثَّلاثة عن الوهَّابيَّة فهمته، وإليكم جوابها:

س١ : قولكم ما هي الوهَّابيَّة ، وهل هي مذهب خامس أم تتبع بعض المذاهب الأربعة ؟

والجواب: هذه الكلمة يُطلقها الكثير من النَّاس علىٰ دعوة الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي الحنبلي رحمه الله، ويسمُّونه وأتباعه الوهَّابيين، وقد علم كلُّ من له أدنىٰ بصيرة بحركة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله ودعوته أنَّه قام بنشر دعوة التَّوحيد الخالص، والتَّحذير من الشِّرك بسائر أنواعه كالتَّعلُّق بالأموات وغيرهم كالأشجار والأحجار ونحو ذلك، وهو رحمه الله في العقيدة علىٰ مذهب السَّلف الصَّالح، وفي الفروع علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشَّيباني رحمه الله كما تدلُّ علىٰ ذلك كتبه وفتاواه وكتب أتباعه من أبنائه وأحفاده وغيرهم، وقد طُبعت كلّها وانتشرت بين النَّاس، وقد قام الإمام محمَّد رحمه الله في وقت استحكمت فيه غربة الإسلام، وخيَّم علىٰ الجزيرة العربيَّة وغيرها إلَّا ما شاء الله سُحُب الجهالة، وانتشرت بها عبادة الأنداد والأوثان ، فما كان من أمر الشَّيخ رحمه الله إلَّا أن شمَّر عن ساعد الجد، وناضل وكافح، وكرَّس جهوده في القضاء علىٰ طُرق الغواية ، مستعملاً في ذلك شتَّىٰ الوسائل الموصلة إلىٰ نشر التَّوحيد النَّقي من الخرافات بين النَّاس، وكان من نعم الله سبحانه أن وفَّق الله الإمام محمَّد بن سعود أمير الدِّرعيَّة في ذلك الوقت لقبول هذه الدَّعوة ، فقام معه في هذا السَّبيل هو وأولاده ومن تحت إمرته ومن تابعه في هذا الخير جزاهم الله كلَّ خير ، وغفر لهم ، ووفق ذريَّتهم جميعاً لكلِّ ما فيه

رضاه وصلاح عباده، وما زالت أصقاع الجزيرة العربيَّة تعيش في ظلِّ هذه الدَّعوة الخيِّرة إلىٰ يومنا هذا، وكانت دعوته رحمه الله وفق كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، وليست الوهَّابيَّة مذهباً خامساً كما يزعمه الجاهلون والمغرضون، وإنَّما هي دعوة إلىٰ العقيدة السَّلفيَّة وتجديد لما درس من معالم الإسلام والتَّوحيد في الجزيرة العربيَّة كما سلف " . انظر : مجموع فتاوىٰ العلامة عبد العزيز بن باز (١/ ٣٧٤-٣٧٥) .

وجاء في مجموع فتاوىٰ العلَّامة عبد العزيز بن باز : " الوهَّابيَّة لا تُناصب آل البيت العداء ، بل هي علىٰ طريقة السَّلف الصَّالح.

س: هل صحيح أن الوهَّابيَّة تناصب آل البيت العداء، وأنَّها تنتقص من سيِّد الخلق، وما حقيقة الدَّعوة الوهَّابيَّة؟ ولماذا تحارب بهذا الشَّكل؟

ج: الوهَّابيَّة منسوبة إلىٰ الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله المتوفَّىٰ سنة (١٢٠٦هـ) ، وهو الذي قام بالدَّعوة إلىٰ الله سبحانه في نجْد !! وأوضح للنَّاس حقيقة التَّوحيد والشِّرك، ودعا النَّاس إلىٰ توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه، وترك التَّعلُّق علىٰ أصحاب القبور، ممَّن يسمّون بالأولياء، ودعاؤهم من دون الله ، والاستغاثة بهم ، والاستعاذة بهم ، والنَّذر لهم، وهكذا من يتعلَّق بالجنِّ أو بعض الأشجار والأحجار، وأوضح للنَّاس هو وأتباعه من العلماء: أنَّ هذا هو الشِّرك الأكبر، وكان ذلك في منتصف القرن الثَّاني عشر الهجري، إلىٰ أن توفِّي رحمه الله في التَّاريخ المذكور، وساعده في ذلك ونصر دعوته الإمام محمَّد بن سعود رحمه الله، جدّ الأسرة المالكة اليوم من آل سعود، وناصر دعوته وقام بها كلُّ من لديه علم بما بعث الله به نبيَّه محمَّداً ﷺ من الهدىٰ ودين الحقّ، فانتشرت دعوته رحمه الله في نجْد وملحقاتها، وأيَّدها علماء السُّنَّة في نجْد والحجاز واليمن، وفي مصر والشَّام والعراق، والهند وغيرها. وحقيقتها هي الدَّعوة إلىٰ ما بعث الله به نبيَّه محمَّداً ﷺ من توحيد الله، والإخلاص له، وتحقيق شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله، وذلك بالإخلاص لله ومتابعة رسوله ﷺ ، وترك ما عليه عباد القبور والأولياء من دعوة غير الله والاستغاثة بغير الله والذَّبح والنَّذر لغير الله، وعاداها وأنكرها الجهَّال الذين لم يعرفوا ما بعث الله به

رسوله ﷺ من الهدىٰ ودين الحقّ، أو من نقلت لهم علىٰ غير حقيقتها ممَّن جهلها أو تعمَّد الكذب عليها. والشَّيخ محمَّد رحمه الله وأتباعه الذين ناصروا دعوته، كلّهم يحبُّون أهل بيت رسول الله ﷺ الذين ساروا علىٰ نهجه عليه الصَّلاة والسَّلام، ويعرفون فضلهم، ويتقرَّبون إلىٰ الله سبحانه بمحبَّتهم ، والدُّعاء لهم بالمغفرة والرَّحمة والرِّضا، كالعبَّاس بن عبد المطَّلب عمّ رسول الله ﷺ وأبنائه، وكالخليفة الرَّابع الرَّاشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبنائه الحسن والحسين ومحمَّد رضي الله عنهم، ومن سار علىٰ نهجهم من أهل البيت في توحيد الله وطاعته، وتعظيم شريعته، كما أنَّ الوهَّابيَّة يسيرون علىٰ منهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في العقيدة والقول والعمل، ويبغضون من خالف سيرتهم، وخرج عن نهجهم من سائر الطَّوائف، وهذا هو الحقّ الذي يجب علىٰ كلِّ مسلم أن يسير عليه، ويعتقده ويدعو إليه، كما قال الله سبحانه: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** [الأحزاب:٢١] ، **﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾** [الممتحنة:٤] ، وقال سبحانه: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة:١٠٠] .

وقال النَّبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... » الحديث متَّفق عليه ، وكان ﷺ يقول في خُطبته: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» . أخرجه مسلم في صحيحه. وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور فإنَّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة » والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة.

وممَّا ذكرنا يعلم السَّائل وغيره أنَّ الوهَّابيِّين وهم أتباع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله الذين ناصروا دعوته وساروا عليها، وأوضحوها للنَّاس، ليسوا مبتدعة، وليسوا ينصبون العداوة لأهل البيت والنَّاس أجمعين ... ". انظر : مجموع فتاوىٰ العلامة عبد العزيز بن باز (٩/ ٢٣٠-٢٣٣. (

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز أيضاً : " وليست الوهَّابيَّة حسب تعبير الكاتب بدعاً في إنكار مثل هذه الأمور البدعيَّة ، بل عقيدة الوهَّابيَّة : هي التَّمسُّك بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ، والسَّير علىٰ هديه ، وهدي خلفائه الرَّاشدين ، والتَّابعين لهم بإحسان ، وما كان عليه السَّلف الصَّالح ، وأئمَّة الدِّين والهدىٰ ، أهل الفقه والفتوىٰ في باب معرفة الله ، وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحَّت بها الأخبار النَّبويَّة ، وتلقَّتها صحابة رسول الله ﷺ بالقبول والتَّسليم . يثبتونها ويؤمنون بها ويمرُّونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ويتمسَّكون بما درج عليه التَّابعون ، وتابعوهم من أهل العلم والإيمان والتَّقوىٰ ، وسلف الأمَّة وأئمَّتها ". انظر : مجموع فتاوىٰ العلامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٢٨) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين : " ... وأمَّا ما ذكره من مجادلة الطَّالب له ، وقول بعضهم : إنَّه رجل وهَّابي ، وإنَّ الوهَّابيَّة لا يقرُّون المدائح النَّبويَّة ، وما إلىٰ ذلك ، فإنَّنا نخبره وغيره بأنَّ الوهَّابيَّة – ولله الحمد – كانوا من أشدِّ النَّاس تمسُّكاً بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ومن أشدِّ النَّاس تعظيماً لرسول الله ﷺ واتِّباعاً لسنَّته ، ويدلُّك علىٰ هذا أنَّهم كانوا حريصين دائماً علىٰ اتِّباع سُنَّة الرَّسول ﷺ والتَّقيُّد بها ، وإنكار ما خالفها من عقيدة ، أو عمل قولي أو فعلي " . انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٣/ ٦٠)

وجاء في مجموع فتاوىٰ ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين أيضاً : " وأمَّا قول السَّائل : بأنَّ من فعل هذا كان وهَّابيّاً ، فإنِّي أبلغ السَّامعين جميعاً بأنَّ الوهَّابيَّة ليست مذهباً مستقلاً خارجاً عن المذاهب الإسلاميَّة ، بل إنَّها حركة لتجديد ما اندثر من الحقّ !!! وخفي علىٰ كثير من النَّاس ، فهم في عقيدتهم متَّبعون للسَّلف ، وفي مذهبهم في الفروع مقلِّدون للإمام أحمد – رحمه الله – ولا يعني ذلك أنَّه إذا تبيَّن الصَّواب لا يدعون من قلَّدوه ، بل هم إذا تبيَّن لهم الصَّواب ، ذهبوا إليه وإن كان

مخالفاً لمن قلَّدوه ؛ لأنَّهم يؤمنون بأنَّ المقلَّد عرضة للخطأ ، ولكنَّ النَّصوص الشَّرعيَّة ليس فيها خطأ.

وبهذا تبيَّن أنَّ هذه الدَّعوىٰ التي يقصد بها التَّشويه لا حقيقة لها ، وأنَّ الوهَّابيَّة ما هي إلَّا حركة لتجديد ما اندثر من علم السَّلف في شريعة الله سبحانه وتعالىٰ ، وهي لا تخلو أن تكون دعوة سلفيَّة محضة ، كما يعرف ذلك من تتبَّعها بعلم وإنصاف " . انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١٣/ ١٤٣) .

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " ما هي الوهَّابيَّة ؟ السُّؤال الثَّاني من الفتوىٰ رقم (٩٤٥٠) : :

س٢: ما هي الوهَّابيَّة ؟

ج٢: الوهَّابيَّة : لفظة يُطلقها خصوم الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله علىٰ دعوته إلىٰ تجريد التَّوحيد من الشِّركيَّات ، ونبذ جميع الطُّرق إلَّا طريق محمَّد بن عبد الله ﷺ ، ومرادهم من ذلك : تنفير النَّاس من دعوته وصدِّهم عمَّا دعا إليه ، ولكن لم يضرها ذلك ، بل زادها انتشاراً في الآفاق وشوقاً إليها ممَّن وفَّقهم الله إلىٰ زيادة البحث عن ماهيَّة الدَّعوة وما ترمي إليه وما تستند عليه من أدلَّة الكتاب والسنَّة الصَّحيحة فاشتدَّ تمسُّكهم بها ، وعضُّوا عليها ، وأخذوا يدعون النَّاس إليها ولله الحمد . وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وَسَلَّم . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة – المجموعة الأولىٰ ، المؤلف : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٥٥) .

وألَّف إمامهم سليمان بن سحمان كتاباً بعنوان : " الهديَّة السَّنيَّة والتُّحفة الوهَّابيَّة النَّجديَّة" ، جاء فيه : " جواب أهل السنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة والزَّيديَّة ، وهو ردٌّ علىٰ بعض علماء الزَّيديَّة فيما اعترض به علىٰ دعوة التَّوحيد الوهَّابيَّة " .

وجاء فيه أيضاً : فصل الاحتجاج بالمُرْسَل وردّ دعوىٰ تكفير الوهَّابيَّة لمن خالفهم مطلقاً . انظر : جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع ، القسم الأول) (ص٤٧ ، ص١٠٣ بالترتيب) .

وجاء في كتاب : " المورد العذب الزُّلال في كشف شُبه أهل الضَّلال " فصلٌ بعنوان : " من يقاتل الوهَّابيَّة ومن يُكَفِّرون ، وفصل آخر بعنوان " الوهَّابيَّة لا يكفِّرون إلَّا بما أجمع العلماء علىٰ أنَّه

كفر ". انظر : المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الرابع، القسم الأول) (ص٣٠٠ ، ٣٠٦ بالترتيب) .

وجاء في مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجْديَّة : " ملخَّص عقيدة الوهَّابيَّة السَّلفيَّة الحنبليَّة ". انظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٥٣٢)

وجاء في مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجْديَّة : " الرَّد علىٰ فِرية أنَّ الوهَّابيَّة يُلزمون النَّاس تكفير آباءهم وأجدادهم . وأمَّا قوله: إنَّا نلزم النَّاس أن يكفروا آبائهم وأجدادهم فنقول: وهذا أيضاً من نمط ما قبله من الكذب والبهتان. والذي نقوله في ذلك: إنَّ من مات من أهل الشِّرك قبل بلوغ هذه الدَّعوة إليه فالذي يحكم عليه إذا كان معروفاً بفعل الشِّرك: ويدين به ومات علىٰ ذلك فهذا ظاهره أنَّه مات علىٰ الكفر فلا يدعىٰ له، ولا يضحىٰ له، ولا يتصدَّق عنه.

وأمَّا حقيقة أمره فإلىٰ الله تعالىٰ فإن كان قد قامت عليه الحجَّة في حياته وعاند فهذا كافر في الظَّاهر والباطن، وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلىٰ الله.

وأمَّا من لا نعلم حاله في حال حياته ولا ندري ما مات عليه، فإنَّا لا نحكم بكفره وأمره إلىٰ الله" . انظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٨٣٥) .

وقال الشَّيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، العسيري ، النَّجدي (١٣٤٩هـ) : " وأعقبتُ ذلك بذكر خاتمة في الفرق بين توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الألوهيَّة وأقوال بعض العلماء في معنىٰ لا إله إلَّا الله، وسمَّيت هذا الجواب: الصَّواعق المُرسلة الوهَّابيَّة علىٰ الشُّبهات الدَّاحضة الشَّاميَّة"، وأسأل الله تعالىٰ أن يُلهمنا الصَّواب، وأن يجزل لنا الأجر والثَّواب، بمنِّه وكرمه " . انظر : الصواعق المرسلة الشهابية علىٰ الشبه الداحضة الشامية (ص٨) .

وقال أيضاً : " ... وأمَّا قوله: "فإن قال وهَّابيٌّ: هذا في حياته ﷺ " ، فالجواب أن نقول: نعم؛ قول الوهَّابيَّة وبه قال أهل العلم قديماً وحديثاً؛ ولم يخالفهم إلَّا كلُّ مبتدع ضالّ مخالف لكتاب الله ، وسُنَّة رسوله ، وإجماع سلف الأمَّة وأئمَّتها كما تقدَّم بيانه ". انظر : الصواعق المرسلة الشهابية علىٰ الشبه الداحضة الشامية (ص٨١) .

وقال أيضاً : " ولهذا اجترأ الوهَّابيَّة علىٰ تكفير من دعا غير الله، واستغاث به، ولجأ إليه، وصرف له شيئاً من خالص حقِّ الله، لأنَّه قد اتَّخذه ربَّاً ومعبوداً، واستدلُّوا علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] " . انظر : الصواعق المرسلة الشهابية علىٰ الشبه الداحضة الشامية (ص١٣٣) .

وقال أيضاً : " فالجواب أن نقول: نعم هذه كانت حال "الوهَّابيَّة" فإنَّهم كانوا يتمسَّكون بكتاب الله، وبما صحَّ الخبر به عن رسول الله ﷺ ، ويعملون به، ويتركون ما خالف الكتاب والسُّنَّة " . انظر : الصواعق المرسلة الشهابية علىٰ الشبه الداحضة الشامية (ص١٩٦) .

وقال أيضاً : " ولو جهد أعداء الله ممَّن خالف الوهَّابيَّة أن يستدركوا علىٰ الوهَّابيَّة في أصول الدِّين وفروعه أنَّهم استدلُّوا علىٰ ما يذهبون إليه بحديث موضوع أو ضعيف لا يصحُّ الاحتجاج به لما وجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً، فضلاً من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم " . انظر : الصواعق المرسلة الشهابية علىٰ الشبه الداحضة الشامية (ص١٩٧) .

وجاء في فتاوىٰ إسلاميَّة : " ... الدَّعوة الوهَّابيَّة دعوة سلفيَّة ولا صحَّة لهذه الافتراءات ... " . انظر : فتاوىٰ إسلامية (١/ ١٥٢) .

وجاء في فتاوىٰ إسلاميَّة : " الوهَّابيَّة لا ينكرون شفاعة النَّبي محمَّد ﷺ ". انظر : فتاوىٰ إسلامية (١/ ١٥٤) .

وجاء في كتاب " صيانة الإنسان عن وسوسة الشَّيخ دحلان " : " عُلم ممَّا أجملناه أنَّ قواعد الجهل التي بنىٰ عليها الشَّيخ أحمد دحلان ردَّه علىٰ الوهَّابيَّة " .

وجاء فيه أيضاً : " ... ذكره السيِّد العلَّامة مولانا السيِّد صدِّيق حسن سلَّمه الله تعالىٰ في كتابه " إتحاف النُّبلاء " ما كان عليه الوهَّابيَّة من الاتباع والاجتهاد في الأصول والفروع ". انظر : صيانة الإنسان عن و سوسة الشَّيخ دحلان (ص١١ ، ص٤٧٣ بالترتيب) .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي : " ولو جهد أعداء الله ممَّن خالف الوهَّابيَّة أن يستدركوا علىٰ الوهَّابيَّة في أصول الدِّين وفروعه أنَّهم استدلُّوا علىٰ ما يذهبون إليه بحديث

موضوع أو ضعيف لا يصحّ الاحتجاج به لما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم ". انظر : الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية (ص١٩٧) .

قلتُ: بل استدرك العلماء على الوهَّابيَّة بمئات المصنَّفات ، لا بالحديث الموضوع بل بالقرآن العظيم المسطَّر بلغة العرب التي سلخوا منها المجاز ... فأنكروا المجاز في القرآن ، وبنوا على ما توهَّموا عقائد كفَّروا من خالفها ... وهنا لا يسعنا إلَّا أن نقول لابن سحمان : " مَادِحُ نَفْسهُ يُقْرِئُكَ السَّلام " .

وقال إمامهم سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي – أيضاً – : " فمذهب الوهَّابيَّة هو مذهب أهل السُّنَّة المحضة ، كالإمام أحمد وذويه ... " .

وقال أيضاً : " نعم قد اشتملت عقيدة الوهَّابيَّة على إثبات الوجه واليد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنَّة وأقوال أئمَّة السَّلف ، كما هو معروف مشهور في عقائدهم ، وفيما صنَّفوه من الرَّدّ على الجهميَّة وغيرهم من أهل البدع.

وأمَّا لفظ الجهة ، وجعله سبحانه وتعالى جسماً فهذا من الكذب على الوهَّابيَّة ... " .

وقال أيضاً : " وهذا أيضاً من الكذب على الوهَّابيَّة ، فإنَّهم كانوا على مذهب أحمد بن حنبل ... وهذا أيضاً كذب على الوهَّابيَّة ، فإنَّهم لا يكفِّرون المسلمين " .

وقال أيضاً : " فأمَّا كون الوهَّابيَّة أبت إلَّا جعل استوائه سبحانه ثبوتاً على عرشه ، واستقراراً وعلواً فوقه : فنعم ، وبذلك أنزل الله كتبه وأرسل رسله ".

وقال أيضاً : " فالحمد لله الذي أخذ بنواصي الوهَّابيَّة ، فلم يسلكوا طريقة هؤلاء المغضوب عليهم والضَّالين !!! " .

وقال أيضاً : " ... بل الوهَّابيَّة يضعون الآيات القرآنيَّة في معانيها الصَّحيحة ، ويسيرون على منهاج أئمَّة التَّفسير ، ولا يؤوِّلونها على ما يوافق أهواءهم " .

وقال أيضاً : " هذا كذبٌ عليهم ، وما علمنا أحداً قال بهذا من الوهَّابيَّة " . انظر : الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٢٠٥ ، ص٢٠٩ ، ص٢١١ ، ص٢١٥ ، ص٣٠١ ، ص٣٥٧ ، ص٣٥٩ ، بالترتيب) .

وقال أيضاً : " فأمَّا الأبعاض: فمرادهم بتنزيهه عنها: أنَّه ليس له وجه ولا يدان، ولا يمسك السَّموات علىٰ أصبع، والأرض علىٰ أصبع، والشَّجر علىٰ أصبع، والماء علىٰ أصبع، فإنَّ ذلك كلّه أبعاض، والله منزَّه عن الأبعاض، كما ذكره ابن القيِّم رحمه الله عنهم في "الصَّواعق المرسلة" فإذا عرفت هذا من قيلهم وعقائد قولبهم، وأنَّهم إنَّما نزَّهوه عمَّا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه، وإحاطته بجميع مخلوقاته، وأنَّهم ما عرفوا الله حقَّ معرفته، ولا قدَّروه حق قدره، ولا عظَّموه حقَّ عظمته، فخرجوا عن المعقول ونبذوا المنقول وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون، فجاء هؤلاء الضَّلال الغُلاة والملاحدة الجهَّال، فتوهَّموا أنَّ هذا من قول الوهَّابيَّة، وأنَّهم خرجوا بهذا القول عن جماعة أهل السُّنَّة المحضة، وما علم هؤلاء الجهلة أنَّ هذا صريح الكتاب والسُّنَّة، قال الله تعالىٰ: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الزمر:٦٧] ". انظر : الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٢٣٠) .

وقال أيضاً : " فإذا علمت ذلك فالوهَّابيَّة لا يقولون بشيء من هذه الأقوال ولا يعتقدونها، ولا يدينون الله بها، فإنَّ جمهور أهل السُّنَّة يقولون: إنَّه ينزل ولا يخلو منه العرش، كما نقل ذلك عن إسحاق بن راهويه وحمَّاد بن زيد، وغيرهما، ونقلوه عن أحمد بن حنبل في رسالته وهم متَّفقون علىٰ أنَّ الله ليس كمثله شيء، وأنَّه لا يعلم كيف ينزل، ولا تمثل صفته بصفات خلقه، فلا يلزم الوهَّابيَّة شيء من هذه اللوازم الباطلة، وقولهم واعتقادهم في ذلك قول أهل السُّنَّة والجماعة " .

وقال أيضاً : " قد كان من المعلوم أنَّ طريقة الوهَّابيَّة التَّمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله، وأقواله سلف الأمَّة وأئمَّتها، فيثبتون ما أثبته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله، ولا يعتقدون صواب ما ذهب إليه المتكلِّمون من تأويل آيات الصِّفات وأحاديثه " .

وقال أيضاً : "ثمَّ من العجب أنَّه يدَّعي تعظيم رسول الله ﷺ ، ويرمي الوهَّابيَّة المعظِّمين له في الحقيقة بالتَّنقص للنَّبي ﷺ " .

وقال أيضاً : " لَمَّا كان صريح العقل من هؤلاء الملاحدة وصحيح النَّظر منهم علىٰ ما زعموه مصادماً كلّ المصادمة لما اعتقدته الوهَّابيَّة من التَّمسُّك بصريح الكتاب، وصحيح السُّنَّة وصريحها، والسُّلوك علىٰ طريقة سلف الأمَّة وأئمَّتها، نبذوا ما جاءت به عقول هؤلاء الملاحدة من نحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان، وريح المقاعد، وراء ظهورهم، ولم يلتفتوا إلىٰ ما موهوا به من هذه الشُّبهات التي زعموا أنَّها عقليَّات ويقينيَّات، فاعتقدوا متمسكين بنصوص الكتاب والسُّنَّة: أنَّ الله تعالىٰ علىٰ عرشه، وعلا عليه علوّاً حقيقيّاً، وأنَّ الله تعالىٰ له وجه ويدان، وأنَّه ينزل إلىٰ السَّماء الدُّنيا، ويصعد نزولاً وصعوداً حقيقيين !!! علىٰ ما يليق بعظمته وجلاله وعظيم سلطانه، كما يشاء أن ينزل وكما يشاء أن يصعد، وأنَّه يُشار إليه في السَّماء إشارة حسيَّة بالأصبع !!! كما أشار إليه أعرف الخلق به، بأصبعه رافعاً إلىٰ السَّماء، بمشهد الجمع الأعظم" .

وقال أيضاً : " ما جعلت الوهَّابيَّة زائري القبور مطلقاً عباد الأوثان -ومعاذ الله من ذلك- وإنَّما جعلت الوهَّابيَّة من أشرك بالله في عبادته غيره عابداً للوثن سواء زار القبور أو قعد في بيت أمِّه. وذلك بأن يدعوه مع الله، أو يرجوه، أو يخافه، أو يحبه كمحبَّة الله، أو يستغيث به، أو يلتجئ إليه في رفع كربة أو كشف ملمَّة، أو يطلب منه جلب منفعة، أو يذبح له، أو ينذر له، إلىٰ غير ذلك من أنواع العبادة التي هي مختصة بالله، فمن أشرك بالله فيها أحداً من خلقه نبياً أو ملكاً أو وليّاً أو صالحاً أو شجراً أو حجراً فهو مشرك بالله في عبادته غيره" .

وقال أيضاً : " نسبة نفي الإجماع إلىٰ الوهَّابيَّة كذب وبهتان، بل هو توصل منه إلىٰ القدح فيهم بغير حجَّة ولا برهان، وإلَّا فالوهَّابيَّة يعلمون أنَّ الإجماع حجَّة، ويعتقدون أنَّ الأمَّة لا تجتمع علىٰ ضلالة، وهو الأصل الثَّالث عندهم" .

وقال أيضاً : " وعقيدة الوهَّابيَّة لا تخالف ما أجمع عليه الصَّحابة الكرام، والأئمَّة المجتهدون العظام، وكافَّة علماء الإسلام، ومن تدبَّر أقوالهم، ومصنَّفاتهم، علم علماً يقيناً أنَّهم كانوا علىٰ ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في المعتقد، وسائر أحكام الإسلام" .

وقال أيضاً : " وقوله: (فهم قد كفروا كلَّ مسلم عداهم، ممَّن قال: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، بسبب زيارتهم لقبور الأنبياء والأولياء والتَّوسُّل بهم إلىٰ الله، مع أنَّ الأمَّة قد أجمعت علىٰ أنَّ من نطق بالشَّهادتين أجريت عليه أحكام الإسلام ...) إلىٰ آخره.

فأقول: هذا كذب علىٰ الوهَّابيَّة، فإنَّهم ما كفَّروا كلَّ مسلم عداهم، ولا كفَّروا بمجرَّد الزِّيارة لقبور الأنبياء والأولياء، وإنَّما كفروا من أشرك بالله في عبادته غيره، حيث نطق القرآن بتكفيره" .

وقال أيضاً : " فأقول: إن كان أراد بالاستشفاع بالنَّبي ﷺ كأن يقول القائل: اللهمَّ إنِّي أسألك بجاه محمَّد، أو بحقِّه، أو حرمته. فهذا القول بدعة محدثة محرَّمة، ولا يكفر الوهَّابيَّة أحداً بهذا" .

وقال أيضاً : " أمَّا تكفير المسلم فقد قدَّمنا أنَّ الوهَّابيَّة لا يكفِّرون المسلمين. والشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله من أعظم النَّاس توقُّفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتىٰ أنَّه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه، ويبلغه الحجَّة التي يكفر تاركها" .

وقال أيضاً : " قد بينَّا فيما تقدَّم أنَّ الوهَّابيَّة لا يكفِّرون المسلمين، ولا يكفِّرون -أيضاً- أهل الأهواء مطلقاً، إلَّا بعد بلوغ الحجَّة علىٰ من قام به مكفّر من المكفّرات" .

وقال أيضاً : " فزعم ابن عبد الوهَّاب أنَّ كلَّ من استغاث بالنَّبي ﷺ ، وتوسَّل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصَّالحين، أو ناداهم أو سأله الشَّفاعة، أو زار قبره: يكون في عداد هؤلاء المشركين، داخلاً في عموم هذه الآيات. وشبهته في ذلك: أنَّ هذه الآيات -وإن كانت نازلة في المشركين- إلَّا أنَّ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السَّبب) انتهىٰ.

فكلُّ ما ذكره عن الوهَّابيَّة حقٌّ، وبه نقول، إلَّا ما كان من لفظ التَّوسُّل، أو زيارة القبور، فقد تقدَّم في الفصل الأوَّل الجواب عن ذلك، وأنَّا لا نكفِّر بهما " .

وقال أيضاً : " وأمَّا الوهَّابيَّة: فيعتقدون أنَّ الدِّين الذين رضيه الله للمسلمين هو دين الإسلام، ومنه أنَّ الله تعالىٰ علىٰ عرشه بائن من خلقه، ويعتقدون أنَّ الله تعالىٰ له وجه ويدان، وأنَّ الله تعالىٰ يرىٰ في الآخرة، كما يرىٰ القمر ليلة البدر، وكما ترىٰ الشَّمس صحواً ليس من دونها سحاب، وأنَّ

الله ينزل إلىٰ السماء الدُّنيا كلّ آخر ليلة، فينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فأجيبه؟ حتىٰ ينفجر الفجر، وأنَّ الله يشار إليه بالإصبع إشارة حسيَّة" .

وقال أيضاً : " ... وقد عرف أنَّ شيخ الإسلام لا ينكر الزِّيارة علىٰ الوجه المشروع ولا يكرهها، بل يحضها ويندب إلىٰ فعلها.

أقول: وكذلك الوهَّابيَّة لا ينكرون الزِّيارة علىٰ الوجه المشروع، بل هي عندهم من أفضل الأعمال، والله المستعان " .

وقال أيضاً : " وأمَّا قوله – يقصد جميل أفندي صدقي الزَّهاوي العراقي –: (من غير مَّرة إنَّ ديدن الوهَّابيَّة تكفير كافة المسلمين بكلِّ أمر، فهي تكفّرهم لتوسُّلهم بجاه الأنبياء والأولياء وندائهم) فأقول: أمَّا تكفير عامَّة المسلمين فمن الكذب الواضح، وقد بينَّاه غير مرَّة، وأمَّا التَّوسُّل بجاه الأنبياء والأولياء فالوهَّابيَّة لا يكفِّرون بمجرَّد التَّوسُّل بجاههم" .

وقال أيضاً : " وجميع ما ذكره من الكذب الفاضح، والإفك الواضح علىٰ الوهَّابيَّة، بل هؤلاء الذي يزعم أنَّهم المسلمون قد ظهر مكنون ما لديهم ومحصول ما انطوت عليه ضمائرهم، من الميل إلىٰ أعداء الله، وأعداء رسوله ودينه، وهذا الملحد المفتري من جملتهم، ومن أنصارهم وأعوانهم، فإنَّه قد كذب علىٰ الوهَّابيَّة" . انظر : الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٢٩٠) ،(ص٢٩٧) ، (ص٣٠٩) ، (ص٣١١) ، (ص٣١٣) ، (ص٣٤٦) ، (ص٣٤٧) ، (ص٣٤٧-٣٤٨) ، (ص٣٥٣) ، (ص٣٧٢) ، (ص٣٩٣) ، (ص٣٩٩-٤٠٠) ، (ص٥٩٣) ، (ص٦٢٢-٦٢٣) ، (ص٦٥١-٦٥٢) ، (ص٦٨٠) بالترتيب .

قلتُ : وفي الكتاب السَّابق أقرَّ صاحب الكتاب الوهَّابي بتسميتهم بالوهَّابيَّة ...أمَّا المسائل التي نفاها عن الوهَّابيَّة ... فإنِّي أظنُّه كان نعساً أو نائماً يحلم أحلام اليقظة عند كتابته ما كتب ...والعكسُ بعكسِ ما قال ... فهم يكفِّرون الأمَّة بالجُملة ، ويقولون بالجِسميَّة والجهة لله تعالىٰ ، وليسوا أبداً علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ويقولون باستقرار الله تعالىٰ علىٰ عرشه ، ولا يضعون الآيات القرآنيَّة في معانيها الصَّحيحة ، وهم يؤوِّلونها علىٰ ما يوافق أهواءهم ، عصبيَّة للمنهج واتِّباعاً للهوىٰ...

أمَّا عن زعمه بأنَّ الوهَّابيَّة لا يكفِّرون بمجرَّد التَّوسُّل بجاه الأنبياء والأولياء ... فهذا كذاب صُراح ...قال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز : " ... ثمَّ تغيَّرت الأحوال ، وغلب الجهل على أكثر الخلق ، حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهليَّة !!! بالغلوِّ في الأنبياء والأولياء ، ودعائهم ، والاستغاثة بهم ، وغير ذلك من أنواع الشِّرك ، ولم يعرفوا معنى لَا إلَه إلَّا الله كما عرف معناها كفَّار العرب !!! فالله المُستعان . ولم يزل هذا الشِّرك يفشو في النَّاس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبُعد العهد بعصر النُّبوَّة " . انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (١/ ٢٤) .

وقال أيضاً : " أمَّا المشركون المتأخِّرون فزادوا على الأوَّلين من جهتين ، إحداهما : شركُ بعضهم في الرُّبوبيَّة ، والثانية : شركُهم في الرَّخاء والشِّدَّة ، كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم ". انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (١/ ٢٦) .

وفي كتابنا : " تكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّة المُحُمَّدِيَّة" أفضنا كثيراً في سرد النُّقول من كُتبهم ، تلك النُّقول التي تُثبت وبلا مِرية أنَّهم يُكفِّرون عموم الأُمَّة المحمَّديَّة ، ولم يستثنوا من الكُفر إلَّا أنفسهم ... فقد كفَّروا الأشاعرة بالجُملة ، وكفَّروا الصُّوفيَّة ، وكفَّروا العثمانيِّين ، وكفَّروا المعتزلة ، وكفَّروا الإباضيَّة ، وكفَّروا المُتَوَسِّلِيْن بالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن ، العياذ بالله تعالى ...

وقال الشَّيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النَّجدي في كتابه : " كشف غياهب الظَّلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب عن مفتريات هذا الملحد الكذَّاب " : " حقيقة ما عليه الوهَّابيَّة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وسلف الأمَّة وأئمَّتها في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، التي نطق بها الكتاب العزيز وصحَّت بها الأخبار النَّبويَّة، وتلقَّتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتَّسليم " .

وقال أيضاً : " فهذه عقيدة الوهَّابيَّة التي لها ينتحلون ، وديانتهم التي بها يدينون ، وطريقتهم التي هم بها متمسِّكون ، فمن أصفى الله سريرته ، ونوَّر بصيرته ، ونظر فيها بعين الإنصاف ، وترك طريقة أهل الظلم والاعتساف، وجدها على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم

من التَّابعين والأئمَّة المهتدين، ومن أعمىٰ الله بصيرة قلبه ، وجعل علىٰ بصره غشاوة ، فإنَّه لا يزده ذلك إلَّا عتواً ونفوراً ، وتكبُّراً وفجوراً ، لأنَّه قد أُشرب قلبه بعداوة هذا الدِّين وأهله ، ومن يُرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئاً ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠] ، ومن نظر بعين البصيرة ما ذكرناه من حقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به نبيَّه محمَّداً ﷺ وما كان عليه أئمَّة الإسلام وهداة الأنام ، عرف أنَّ أحقّ النَّاس بسلوك طريقتهم واتباع آثارهم هم الوهَّابيَّة ، وأنَّهم هم الذين أخلصوا دينهم لربِّ البريَّة" .

وقال أيضاً : " وأمَّا الوهَّابيَّة ، فهم يعلمون ويعتقدون أنَّ الإله هو الذي تألهه القلوب محبَّة وإجلالاً ، وتعظيماً وخوفاً ورجاءً وتوكُّلاً ، واستغاثة واستعانة واستعاذة ورغبة ورهبة ، وإنابة وذلاً وخضوعاً وخشوعاً وذبحاً ونذراً إلىٰ غير ذلك" .

وقال أيضاً : " هذه الطَّائفة الوهَّابيَّة ممَّا حفظ الله به الإسلام، يجدِّدون ما اندرس من أعلامه العظام ، ويظهرون دين الله ورسوله بين الأنام، لكيلا تبطل حجج الله وبيِّناته، وتقوم بهم حجَّة الله علىٰ خلقه" .

وقال أيضاً : " فالجواب أن يقال: قدَّمنا حقيقة مذهب الوهَّابيَّة ، وبينَّا أصوله بالأدلَّة الشَّرعيَّة والبراهين العقليَّة " .

وقال أيضاً : " هذا حقيقة مذهب الوهَّابيَّة وأصوله بما أغنىٰ عن إعادته ها هنا" .

وقال أيضاً : " وأمَّا انتساب الوهَّابيَّة إلىٰ مذهب أحمد فنعم، وقد كان ذلك وهو حقّ علىٰ حقيقة ، وليس بأيديهم إلَّا كتب الحنابلة ، ولا يفتي علماؤهم ويحكم قضاتهم إلَّا بما اشتملت عليه من الفروع والأصول" .

وقال أيضاً : " الوهَّابيَّة لا يكفِّرون أحداً خالفهم في رأيهم وهواهم وجميع ما يقولونه، وإنَّما يكفرون بالشِّرك بالله وعبادة غيره واتِّخاذ الوسائط والأنداد في المَسْأَلَة والتَّوكُّل والإنابة" .

وقال أيضاً : " وإذا كان هذا هو معتقد الوهَّابيَّة ، فأي عيب يوجَّه إليهم ؟! وأي بيان أوضح من هذا البيان" .

وقال أيضاً : " وأمَّا قوله: رابعاً : أقوالهم البذيئة في حقِّه عليه الصَّلاة والسَّلام، منها قولهم : إنَّ العصا خير من محمَّد لأنَّها ينتفع بها ومحمَّد قد مات، فأيّ نفع منه؟

فالجواب أن نقول: سبحانك هذا بهتان عظيم ما قال هذا أحد من الوهَّابيَّة قديماً ولا حديثاً هذا من الأوضاع المكذوبة عليهم" .

وقال أيضاً : "من المعلوم أنَّ الوهَّابيَّة لا يقولون أنَّ التَّوسُّل بذات النَّبي ﷺ وجاهه وحقِّه وزيارة قبره الشَّريف شرك بالله ، بل هذا من الكذب الموضوع على الوهَّابيَّة ، وهم ولله الحمد، فيما يقولونه وينتحلون على صراط مستقيم ، ولا يقولون بجهل الجاهلين وانتحال المبطلين الزَّائغين عن الدِّين القويم ، بل يقولون إنَّ التَّوسُّل بجاه النَّبي ﷺ من البدع المحرَّمة المحدثة في الإسلام ،لأنَّه لم يرد نصٌّ عن رسول الله ﷺ ولا عن الصَّحابة ولا عن التَّابعين ولا من بعدهم من سلف الأمَّة وأئمَّتها المهتدين" . انظر : كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام وبراءة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب (ص١٠) ، (ص٢٣) ، (ص٩١) ، (ص٩٢) ، (ص٩٣) ، (ص١١٠) ، (ص١١١) ، (١١٢) ، (ص١١٨) (ص١٢٤) ، (ص١٨٠) .

وقال الشَّيخ فوزان بن سابق بن فوزان (١٣٧٣هـ) : "ومذهب الوهَّابيِّين عند هذا المعترض الملحد: هو المذهب الذي يقول فيه "إسلام ووهَّابيَّة لا يجتمعان، وأنَّى يجتمع الكفر والإيمان ". انظر : البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار (ص٣٥) ، فوزان بن سابق بن فوزان ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

وقال أيضاً : " يزعم هذا الملحد أن النَّاس كانوا في اختباط وتردُّد في حقيقة مذهب الوهَّابيَّة بسبب ما يستترون به من مظاهر التَّوحيد وادِّعاء التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة. فهذا الملحد جاهل أعمى أو متجاهل متَّبع لهواه، لذلك لم يعلم أنَّ أهل البصائر من جميع النَّاس الذين أعطاهم الله هدى ونوراً يفرِّقون به بين الحقّ والباطل ، لم يتردَّدوا في معرفة حقيقة مذهب الوهَّابيَّة " . انظر : البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار (ص٣٦) .

وقال أيضاً : " يقول عبد الرَّحمن بن سليمان الرُّويشد:" لم يكن إطلاق كلمة "الوهَّابيَّة" التي يُراد بها التَّعريف بأصحاب الفكرة السَّلفيَّة شائع الاستعمال في وسط السَّلفيِّين أنفسهم، بل كان أكثرهم يتهيَّب إطلاقه على الفكرة السَّلفيَّة. وقد يتورَّع الكثيرون من نعت القائمين بها بذلك الوصف، باعتباره وصفاً عدوانيَّاً كان يقصد به بلبلة الأفكار والتَّشويه، وإطلاق المزيد من الضَّباب لعرقلة مسيرة الدَّعوة، وحجب الرُّؤية عن حقائق أهدافها وبمرور الزَّمن، وإصابة محاولات التَّضليل بالعجز عن أداء دورها الهدام، تحول هذا اللقب بصورة تدريجيَّة إلى مجرَّد لقب لا يحمل أي طابع للإحساس باستقرار المشاعر، أو أي معنى من معاني الإساءة، وصار مجرَّد تعريف مميز لأصحاب الفكرة السَّلفيَّة، ماهية الدَّعوة التي بشر بها الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب، وأصبح هذا اللقب شائعاً ورائجاً بين الكتاب والمؤرِّخين الشَّرقيِّين والغربيِّين على حدٍّ سواء.

وبالتَّالي فليس هناك ما يبرِّر هجر استعمال تلك الكلمة كتعريف شائع أو تعبير يستخدم في إطاره الصَّحيح للرَّمز إلى المضمون الفكري المقصود: وهو التَّمسُّك بالكتاب والسُّنَّة ومحاربة مظاهر الشِّرك والبدع، وما زجَّ به في العقيدة السَّلفيَّة وأدخل عليها من انحراف، مع ضرورة العيش في قيادة إسلاميَّة عادلة تحكم الشَّريعة، وتلتزم تطبيق منهجه عملاً وتحمل الرَّعيَّة على امتثال ذلك بأسلوبي التَّرغيب والتَّرهيب، وإن أصروا على هذه التَّسمية نقول لهم قد أجاب العلَّامة الشَّيخ "ملا عمران بن رضوان" رحمه الله صاحب مدينة لنجة بهذه الأبيات وهي فخر وشرف ووسام يفتخر بها كلّ نجدي وغير نجدي من الموحِّدين، وهو يرد على الخصوم قائلاً:

إن كان تابـــــع أحمد متوهِّباً	فأنا المقرُّ بأنَّني وهَّابي
أنفي الشَّريك عن الإله فليس لي	ربّ سوى المتفرِّد الوهَّـاب
لا قبَّة تُرجى ولا وثن ولا	قبر له سبب من الأسبـاب
أيضاً ولست معلَّقاً لتميمة	أو حلقـــــــــة أو دعة أو ناب
لرجــــــاء نفع أو لدفع بليَّــــة	الله ينفعني وينفع مــــــــا بي

ويقول الشَّيخ العلَّامة سليمان بن سحمان رحمه الله في الرَّد على بعض الخصوم الحاقدين على هذه الدَّعوة والذين لقَّبوها بهذا اللقب:

نعـــــــم نحن وهَّابيَّة حنفيَّة حنيفيَّة نسقي لمن غاضنـــا السرا

بمحكم آيات وسُنَّة أحمد نصول على الأعداء فنأطرهم أطرا

حنابلة كنَّا على نهج أحمد إمام الهدى من كان من كفركم يبرا

على السُّنَّة الغرَّاء قد كان قدوة لنا في الهدى لم يغد ما قالـــــه شبر

يقول أبو الهدى الصَّعيدي المصري رحمه الله: "إذا كانت الوهَّابيَّة كما سمعنا وطالعنا، فنحن أيضاً وهَّابيُّون".

يقول الشَّيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي: "من معاملة الله لهم -أي خصوم الدَّعوة بنقيض قصدهم هو أنَّهم قصدوا بلقب الوهَّابيَّة ذمهم، وأنَّهم مبتدعة، ولا يحبون الرَّسول ﷺ كما زعموا، صار الآن لقباً لكلِّ من يدعو إلى الكتاب والسُّنَّة، وإلى الأخذ بالدَّليل، وإلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ومحاربة البدع والخرافات، والتَّمسُّك بمذهب السَّلف.

ويقول مسعود النَّووي رحمه الله: "... وعلى كلِّ حال، فنظراً إلى تلك المحاولات التي بذلت لإظهار الوهَّابيَّة في صورة مذهب مستقل وطائفة ضالَّة، هذا الاسم منتقد أشد الانتقاد، ولكن بغضِّ النَّظر عن هذه الأكذوبة والافتراء، فلا أرى حرجاً في هذه التَّسمية". انظر : دعوة الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب سلفية لا وهابية (ص٣٧٩-٣٨٢) .

وجاء في مقدِّمة الكبائر للشّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب : " تسمية الدَّعوة بالوهَّابيَّة : " أمَّا بالنِّسبة إلى كلمة الوهَّابيَّة ؛ فإنَّ الكثير من الخصوم أطلقوا هذا اللقب على أتباع الدَّعوة السَّلفيَّة ويريدون بذلك توهيم النَّاس أنَّ الوهَّابيَّة مذهب جديد أو مستقلّ عن سائر المذاهب الإسلاميَّة ، لذا ؛ فإنَّ الأصل التَّحاشي من هذا اللقب ، واجتناب ذكره.

ومن معاملة الله لهم – أي : خصوم الدَّعوة – بنقيض قصدهم : أنَّهم قصدوا بلقب الوهَّابيَّة ذمّهم ، وأنّهم مبتدعة ، ولا يحبُّون الرَّسول ﷺ كما زعموا ! فلقد صار هذا اللقب الآن – بحمد الله

– علماً على كلِّ من يدعو إلى الكتاب والسُّنَّة ، وإلى الأخذ بالدَّليل وإلى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ومحاربة البدع والخرافات والتَّمسُّك بمنهج السَّلف الصَّالح رضي الله عنهم.

مفتريات أُلصقت بدعوة الشَّيخ مع الدَّحض لها:

ولقد ألصقت بدعوة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمة الله عليه مفتريات كثيرة ، وصدقها كثير من النَّاس ، حتى شوّهت هذه الدَّعوة المباركة فأصبح معنى الوهَّابي عند النَّاس الجهلة أنَّه يكره رسول الله ﷺ !! وأنَّه مذهب خامس !! وأنَّه ينكر كرامات الأولياء !! وأنَّه يكفِّر المسلمين ويستبيحُ دماءهم ، وغير ذلك من المفتريات " . انظر : الكبائر (ص١٨-١٩) ، الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، الطبعة : الثانية ، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٠هـ.

وجاء في " موسوعة مواقف السَّلف في العقيدة والمنهج والتَّربية " في ترجمة محمَّد البشير الإبراهيمي (١٣٨٥هـ) : " موقفه من المبتدعة: قال رحمه الله: إنَّهم موتورون لهذه الوهَّابيَّة التي هدمت أنصابهم ، ومحت بدعهم فيما وقع تحت سلطانهم من أرض الله، وقد ضجَّ مبتدعة الحجاز فضجَّ هؤلاء لضجيجهم، والبدعة رحم ماسَّة، فليس ما نسمعه هنا من ترديد كلمة (وهَّابي) تُقذف في وجه كلّ داعٍ إلى الحقّ إلَّا نواحاً مُردَّداً على البدع التي ذهبت صرعى لهذه الوهَّابيَّة " . انظر : موسوعة مواقف السَّلف في العقيدة والمنهج والتَّربية (٩/ ٤٦٢-٤٦٣) .

وقال الدُّكتور ناصر بن عبد الكريم العقل : " ينبغي أن أؤكِّد أنَّ وصف هذه الدَّعوة بالوهَّابيَّة يعدُّ تزكية لا تقدَّر بثمن؛ لأنَّ الوهَّابيَّة التي يعيِّرونها بها يقصدون بها دعوة الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب، والتي هي في الحقيقة: الإسلام والسُّنَّة وسبيل السَّلف الصَّالح، والتزام كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ . أمَّا الوهَّابيَّة على الوصف الذي افتراه الخصوم، والتي تعني (بزعمهم) مذهبًا خامسًا، أو فئة خارجة عن السُّنَّة والجماعة، أو التي تعني عند أهل الأهواء والبدع والافتراق وأتباعهم من الغوغاء: (بُغض النَّبي ﷺ والأولياء ...) أو نحو ذلك من المفتريات التي سيأتي ذكرها والرَّد عليها، فهذه المفتريات لا تعدو أن تكون أكاذيب وأوهامًا في خيالات القوم وعقولهم، أو شائعات صدَّقوها دون تثبُّت " . انظر : إسلامية لا وهابية (ص١٣) .

وقال أيضاً : " الفصل الأوَّل في حقيقة الحركة الإصلاحيَّة أو ما يسمَّىٰ الوهَّابيَّة وبواعثها ما ينفي المزاعم:

المبحث الأوَّل : حقيقة الحركة الإصلاحيَّة والدَّولة السُّعوديَّة الأولىٰ : هي الإسلام علىٰ منهج السَّلف الصَّالح.

الفصل الأوَّل : في حقيقة الحركة الإصلاحيَّة أو ما يسمَّىٰ (الوهَّابيَّة) وبواعثها ما ينفي المزاعم.

المبحث الأوَّل: حقيقة الحركة الإصلاحيَّة والدَّولة السُّعودية الأولىٰ: هي الإسلام علىٰ منهج السَّلف الصَّالح: من الحقائق الثَّابتة الجليلة أنَّ الدَّعوة الإصلاحيَّة التي قام بها المجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب التَّميمي – رحمه الله – (١١١٥ – ١٢٠٦هـ) (١٧٠٣ – ١٧٩٢م) ونصرها الإمام المجاهد محمَّد بن سعود – رحمه الله – (ت١١٧٩هـ) (١٧٦٥م) إنَّما هي امتداد للمنهج الذي كان عليه السَّلف الصالح أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ امتداد التَّاريخ الإسلامي، وهو منهج الإسلام الحقّ الذي كان عليه النَّبي ﷺ وصحابته الكرام والتَّابعون وأئمَّة الدِّين من الأئمَّة الأربعة ، ونحوهم من أهل الحديث والفقه وغيرهم.

إذن فهذه الحركة المباركة لم تكن في حقيقتها ومضامينها ومنهجها العقدي والعلمي والعملي، إلَّا معبِّرة عن الإسلام نفسه، مستهدفة إحياء ما اعترىٰ تطبيقه من قِبَل كثير من المسلمين من غشاوة وجهل وإعراض، بتصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة، وإحياء السُّنَّة، ومحاربة الشِّركيَّات والبدع والمحدثات في الدِّين.

يقول الأستاذ عبد الرَّحمن الرُّويشد في كتابه «الوهَّابيَّة حركة الفكر والدَّولة» مؤكِّدًا أصالة الفكرة الوهَّابيَّة وأنَّها ليست مذهبًا جديدًا، إنَّما هي إحياء للدِّين الحقّ: «ليست الفكرة الوهَّابيَّة السَّلفيَّة ديانة جديدة أو مذهبًا محدثًا كما أشاع ذلك خصومها، وإنَّما هي ثمار جهود مخلصة تنادي بالعودة إلىٰ نموذج بساطة الإسلام والاستمداد في التَّشريع من نبعه الصَّافي " . انظر : إسلامية لا وهابية (ص٣٣) .

وقال أيضاً : " تسميتها بالوهَّابيَّة وبيان الحقِّ في ذلك.

تسميتها بالوهَّابيَّة وبيان الحقّ في ذلك: إطلاق (الوهَّابيَّة) على هذه الدَّعوة الإصلاحيَّة انطلق أولًا من الخصوم، وكانوا يطلقونه على سبيل التَّنفير واللمز والتَّعيير، ويزعمون أنَّه مذهب مبتدع في الإسلام أو مذهب خامس.

ولم يكن استعمال (الوهَّابيَّة) مرضيًا ولا شائعًا عند أصحاب هذه الحركة وأتباعهم، ولا عند سائر السَّلفيِّين أهل السُّنَّة والجماعة، وكان كثير من المنصفين من غيرهم والمحايدين يتفادى إطلاق هذه التَّسمية عليهم؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ وصفهم بالوهَّابيَّة كان في ابتدائه وصفًا عدوانيًا إنَّما يقصد به التَّشويه والتَّنفير وحجب الحقيقة عن الآخرين، والحيلولة بين هذه الدَّعوة المباركة وبين بقيَّة المسلمين من العوام والجهلة وأتباع الفرق والطُّرق، بل وتضليل العلماء والمفكِّرين الذين لم يعرفوا حقيقة هذه الدَّعوة وواقعها.

ولقد صار لقب (الوهَّابيَّة) وتسمية الحركة الإصلاحيَّة السَّلفيَّة الحديثة به هو السَّائد لدى الآخرين من الخصوم وبعض الأتباع والمؤيِّدين المحايدين تنزُّلًا.

وهو الوصف الرَّائج عند الكثيرين من الكتَّاب والمفكِّرين والمؤرِّخين والسَّاسة، والمؤسَّسات العلميَّة، ووسائل الإعلام إلى يومنا هذا، بل تعدَّى الأمر إلى التَّوسُّع في إطلاق الوهَّابيَّة على أشخاص وحركات منحرفة عن المنهج السَّليم، وتخالف ما عليه السَّلف الصَّالح وما قامت عليه هذه الدَّعوة المباركة، وهذا بسبب تراكمات الأكاذيب والأساطير التي نسجت حول الدَّعوة وأهلها بالباطل والبهتان.

أمَّا أتباع هذه الحركة فهم لا يرون صواب هذه التَّسمية (الوهَّابيَّة) ولا ما انطوت عليه من مغالطات وأوهام، لاعتبارات مقنعة كثيرة؛ شرعيَّة وعلميَّة ومنهجية وموضوعيَّة وواقعيَّة ". انظر : إسلامية لا وهابية (ص٣٣-٣٤) .

وقال أيضاً : " ومن فضل الله على أتباع هذه الدَّعوة المباركة أن لقب (الوهَّابيَّة) من الخصوم في كثير من الأحيان يحمل معانٍ إيجابيَّة ويعتز بها أتباعها وعموم أهل السُّنَّة، وإن قصد به خصومهم اللمز والسَّبَّ.

وذاك – على سبيل المثال: حين يطلقونها على من يقيم شعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وهو أصل من أصول الإسلام وشعائره العظيمة، ومن أكبر خصائص الأمَّة المسلمة، ومن خصال الخيريَّة لهذه الأمَّة كما قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وحين يطلقون (الوهَّابيَّة) كذلك على الأخذ بالكتاب والسُّنَّة والتَّمسُّك بالدِّين وتوحيد الله تعالى، ونبذ الشِّركيَّات والبدع، وهذه صفة مدح وتزكية يفرح بها المؤمنون.

وحين يطلقون (الوهَّابيَّة) على اقتفاء منهج السَّلف الصَّالح الذي هو سبيل المؤمنين، وسُنَّة سيِّد المرسلين ﷺ وهذه تزكية لا تقدَّر بثمن.

والنَّاظر في مفاهيم النَّاس حول ما يسمُّونه (الوهَّابيَّة) يجد الكثير من الغبش والخلط والتَّناقض والاضطراب. فالوصف السَّائد للوهَّابيَّة عند أغلب الخصوم ومن سار في ركابهم يقصد به: كلّ من لا يعمل بالبدع ولا يرضاها، وينكرها ولا يقرّها.

وقد يقصد بـ (الوهَّابيَّة) كلّ مذهب غريب وشاذ.

وآخرون يطلقون (الوهَّابيَّة) على كلِّ من كان على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، مقابل الشِّيعة أو مقابل الفرق الأخرى. وقد يخصِّصه بعضهم بالاتجاهات السَّلفيَّة، وأهل الحديث، وأنصار السُّنَّة ونحوهم.

وقد توسَّعت بعض وسائل الإعلام والاتجاهات الغربيَّة ومن دار في فلكها بإطلاق (الوهَّابيَّة) على كلِّ مسلم ينزع إلى التَّمسُّك بشعائر الدِّين وأحكامه وربَّما ترادف عندهم عبارة (أصولي) أو متزمِّت أو متشدِّد، والمتمسِّك بالدِّين عندهم: متشدِّد.

وبعض المؤسَّسات والدَّوائر الغربيّة ومن تأثَّر بها صارت عندهم (الوهَّابيَّة) ترادف: التَّطرُّف، والإرهاب والعنف، والعدوانيَّة. ونحو ذلك، وهذا تصوُّر خاطئ وحكم جائر " . انظر : إسلامية لا وهابية (ص٣٥-٣٦) .

فعلىٰ كلِّ حال ، فإنَّ الوهَّابيَّة اسم خلعه أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب علىٰ أنفسهم مُرتضين ومُقرِّين به ، وهي في حقيقتها فتنة دهماء ألَمَّت بالمسلمين ، أذكاها وزاد من أُوارها المستعمر البغيض ، حتىٰ فعلت من الأفاعيل ما يشيب لهوله الوليد ، وانتسابها للسَّلف الصَّالح مجرَّد انتساب اسم لا انتساب منهج وعقيدة ، لأنَّ أفاعيلهم التي فعلوها منذ نشأتهم تدلُّ دلالة قطعيَّة علىٰ أنَّهم لم يسيروا قط علىٰ منهج السَّلف الصَّالح ، بل إنَّ الكثير من أفاعيلهم وممارساتهم لا تدلَّ البتَّة علىٰ منهج الإسلام وروحه وشريعته...

يقول عنهم الإمام أحمد زيني دحلان (١٣٠٤هـ) ، مفتي مكَّة المكرَّمة : " ... ولَمَّا دخلوا الطَّائف قتلوا النَّاس قتلاً عامَّاً !!! واستوعبوا الكبير والصَّغير !!! والمأمور والأمير !!! والشَّريف والوضيع !!! وصاروا يذبحون علىٰ صدر الأم الطِّفل الرَّضيع !!! وصاروا يصعدون البيوت يُخرجون من توارىٰ فيها ، فيقتلونهم ، فوجدوا جماعة يتدارسون القرآن !!! فقتلوهم عن آخرهم حتىٰ أبادوا من في البيوت جميعاً ، ثمَّ خرجوا إلىٰ الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ، ويقتلون الرَّجل في المسجد وهو راكع أو ساجد ، حتىٰ أفنوا هؤلاء المخلوقات ، فويلٌ لهم من جبَّار السَّموات ، ولم يبق من أهل الطَّائف شرذمة قدر نيِّف وعشرين انحازوا إلىٰ البيت الفتني ، وترَّسوه ومنعوه بالرَّصاص أن يصلوه ، وجماعة في بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم بها طال ، وشاغلوهم بكثرة النِّضال ، ثمَّ قاتلوهم في اليوم الثَّاني والثَّالث فعلم ابن شكبان أن لا سبيل إلىٰ هؤلاء إلَّا بالمكر والخديعة ، فراسلهم بالأمان ، وقال لهم : إنَّكم في وجه ابن شكبان وعثمان ، وأعطوهم علىٰ ذلك العهود ، فكفُّوا عن القتال ، فأدخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السِّلاح ، وقالوا لهم : حَمْلُهُ للمشركين !! غير مُباح ، ثمَّ أمروهم بالخروج لمقابلة الأمير ، فلمَّا مثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعاً ، ففازوا بالشَّهادة ، وكان قتلهم بقوز يسمَّىٰ دقاق اللوز ، وكان جماعة مفرَّقون في بيوت ذوي عيسىٰ نحو الخمسين كانوا مترسين يرمونهم برصاص ، فأخرجوهم أيضاً بالأمان والعهود علىٰ سلامة الأرواح والرِّقاب دون بقيَّة الأسباب ، ثمَّ أخرجوهم إلىٰ وادي وج ، وتركوهم في البرد والثَّلج ، وما زالوا مكشوفي السوأتين حتىٰ رموا عليهم أطماراً بالية من الكساء ، وجمعوا بين الرِّجال والنِّساء

وصارت المخدَّرات في أسوأ الحالات ، ثمَّ عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوماً علىٰ الدُّخول في الطِّين ، فصاروا يتكفَّفون المسلمين ، فيعطون السَّائل الحفنة من الذُّرة ملء الكفِّ يقضمها.

وصار العُربان كلّ يوم يدخلون الطَّائف ، وينقلون الأموال إلىٰ الخارج ، فنهبوا النُّقود ، والعُروض ، والأساس ، والفِراش ، ويتهافتون علىٰ ذلك تهافت الفَراش ، فصارت الأموال في مخيَّمهم كأمثال الجبال ، إلَّا الكتب ، فإنَّهم نشروها في تلك البطاح ، وفي الأزقَّة والأسواق ، تعصف بها الرِّياح ، وكان فيها من المصاحف والرّباع ألوف مؤلَّفة ، ومن نسخ البخاري ومسلم وبقيَّة كتب الحديث والفقه والنَّحو ، وغير ذلك من بقيَّة العلوم شيء كثير ، ومكثت أيَّاماً يطؤنها بأرجلهم ، لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة . وأخبرهم بعض شياطينهم أنَّ عزيز الأموال مدفونة في المخابئ ، فحفروا حفيرة في بعض المحال ، فوجدوا فيها عزيز المال مخبَّأ ، فظنُّوا أنَّ جميع الدُّور كذلك ، فحفروا جميع بيوت أهل البلد قاصيها ودانيها ، وأخربوها من أسفلها وأعاليها حتىٰ حفروا بيوت الخلاء والبالوعات ، فأخربوا تلك الرُّبوع التي كانت عامرة بالأنس والمسامرة ، فسبحان من بيده ملكوت كلّ شيء ، يخرج الحيَّ من الميِّت ، ويخرج الميِّت من الحيّ ، وما هذه الدُّنيا إلَّا موعظة واستبصار لأولي الفكر والاعتبار ، ليعلم أهل الدُّنيا أنَّ نعيمها زوال ، وزخرفها مُحال أيُّ محال ، وأنَّ القاطن فيها علىٰ جناح سفر ، فليتخذها جسر ممرّ .

ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصَّة ، فقصَّة الطَّائف كانت علىٰ المسلمين أعظم غصَّة ، وكان حصول هذا الشرِّ في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة ". انظر : أمراء البلد الحرام (ص٢٩٧-٢٩٨) .

وإذا ساور أحداً شكٌّ في كلام الإمام أحمد زيني دحلان... فأنا أُحيله إلىٰ كتاب تاريخ الوهَّابيَّة المسمَّىٰ : " عنوان المجد في تاريخ نجد " لإمامهم ومؤرِّخهم عثمان بن عبد الله بن بشر بن عبد الرَّحمن بن عبد اللطيف آل الشَّيخ ... والكتاب أرَّخ لجرائمهم وبطشهم بالموحِّدين في أغلب الدُّول التي دخلوها ، وتعدَّىٰ ذلك إلىٰ وصف المخالفين للدَّعوة الوهَّابيَّة بالمرتدِّين والضُّلَّال ... ولذلك استباحوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم...

نقل الإمام محمَّد صدِّيق خان عن الإمام محمَّد بن ناصر الحازمي أنَّه قال عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وأشهر ما يُنكر عليه خصلتان كبيرتان :

الأُوْلَىٰ : تكفير أهل الأرض بمجرَّد تلفيقات لا دليل عليها ، وقد أنصف السيِّد الفاضل العلَّامة : داود بن سليمان في الردِّ عليه في ذلك.

الثَّانِيَةُ : التَّجاري علىٰ سفك الدَّم المعصوم بلا حجَّة ولا إقامة برهان ، وتتبع هذه جزئيَّات ذكر السيِّد المذكور بعضها وترك كثيراً منها ، وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الأصل وصحَّته ... " . انظر : أبجد العلوم (ص٦٧٩-٦٨٠) .

ومع كلِّ ما سبق بيانه ، فإنَّ الوهَّابيَّة يزعمون بأنَّهم الفرقة النَّاجية ، وادَّعوا الحرص علىٰ التَّوحيد الذي أصبح تعديداً ، والعياذ بالله تعالىٰ ...وادعزا أنَّهم هم الموحِّدون دون سواهم ، وأنَّ ابن عبد الوهَّاب هو من أرسىٰ قواعد التَّوحيد ، وأنَّه شيخ الإسلام والمجدِّد لدين الله تعالىٰ...

ولزيادة التَّعمية وتغييب الحق وستره عن الآخرين ، عمدوا إلىٰ شطب وحذف كلّ ما استطاعوا الوصول إليه من كُتب أهل العلم المُخالفين لمعتقدهم ، كما وضَّحته في كتابي : " كَشْفُ الخَفَا عَنْ عَبَثِ الوَهَّابِيَّة بِكُتُبِ العُلَمَا" ... واستغلوا الوسائل الإعلاميَّة المختلفة ، لدعم منهجهم وأفكارهم ، التي لولا الأموال وصنوف ووسائل الإعلام المختلفة لم يعلم بها أحد... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي االعظيم ...

والكتاب الذي نعلِّق عليه هو من أوَّل الرُّدود علىٰ الوهَّابيَّة ... وهو للإمام لِلْعَالِمِ العَلَّامَة وَالنِّحْرِيْر الفَهَّامَة الشَّيخ سُلَيْمَان بِنْ عَبْدِ الوَهَّاب فِي الرَّدِّ عَلَىٰ أَخِيْهِ مُحَمَّد بِنْ عَبْدِ الوَهَّاب النَّجْدِي وَأَتْبَاعِه ... وهو ردٌّ جيِّد ... وخاصَّة أنَّه من شقيق صاحب الدَّعوة الوهَّابيَّة ... وأهل مكَّة أدرىٰ بِشِعابها ...

وَالآن إِلَى نَصِّ كِتَاب : " الصَّوَاعِقُ الإِلَهِيَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الوَهَّابِيَّة" ...

قال الإمام سُليمان بن عبد الوهَّاب في الرَّدِّ على أخيه محمَّد بن عبد الوهَّاب النَّجدي وأتباعه :

الحمد لله ربّ العالمين ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليُظهره علىٰ الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِه وَسَلَّمَ إلىٰ يوم الدِّين .

أمَّا بعد : من سليمان بن عبد الوهَّاب إلىٰ حسن بن عيدان (١) ، سلام علىٰ من اتَّبع الهُدىٰ ، وبعد : قال الله تعالىٰ : **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** [آل عمران:١٠٤] الآية ، وقال النَّبي ﷺ : « الدِّين النَّصيحَة » (٢) .

وأنت كتبت إليَّ أكثر من مرَّة تستدعي ما عندي ، حيث نصحتك علىٰ لسان ابن أخيك ، فها أنا أذكر لك بعض ما علمت من كلام أهل العلم ، فإن قبلت فهو المطلوب والحمد لله ، وإن أبيت فالحمد لله ، فإنَّه سبحانه لا يُعصىٰ قهرًا ، وله في كلِّ حركة وسكون حكمة ، فنقول:

اعلم أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ بعث محمَّداً ﷺ بالهدىٰ ودين الحقِّ ليُظهره علىٰ الدِّين كلِّه ، وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكلِّ شيء ، فأنجز الله له ما وعده ، وأظهر دينه علىٰ جميع الأديان ، وجعل ذلك ثابتاً إلىٰ آخر الدَّهر حين انخرام أنفس جميع المؤمنين ، وجعل أمَّته خير الأمم ، كما أخبر بذلك بقوله : **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** [آل عمران:١٠١] ، وجعلهم شهداء علىٰ النَّاس ، قال تعالىٰ : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾** [البقرة:١٤٣] ، اجتباهم ، كما قال تعالىٰ :

---

(١) هو الشَّيخ حسن بن عبدالله بن عيدان المشرفي الوهيبي التَّميمي، قدم الدرعيَّة لطلب العلم وقرأ علىٰ علمائها، وكان من أشهر مشايخه: الشَّيخ مُحَمَّد بن عبدالوهَّاب، والشَّيخ حمد بن ناصر بن معمر، فلمَّا تفقَّه وبلغ درجة العلماء، عيَّنه الإمام مُحَمَّد بن سعود قاضياً في بلدة – حريملاء – وذلك سنة (١١٧١هـ) ، واستمرَّ في القضاء في حريملاء مع القيام بالتَّدريس فيها والإفتاء إلىٰ أن توفِّي سنة (١٢٠٢هـ) .

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٧٤ برقم ٥٥) .

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] الآية ، وقال النَّبي ﷺ : " أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً. أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ الله " (٣) .

ودلائل ما ذكرنا لا تُحصىٰ ، وقال ﷺ: «وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّة مُسْتَقِيمًا حتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ» رواه البخاري (٤) .

وجعل اقتفاء أثر هذه الأُمَّة واجباً علىٰ كلِّ أحد بقوله تعالىٰ : ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥] ، وجعل إجماعهم حجَّة قاطعة لا يجوز لأحد الخروج عنه (٥) ، ودلائل ما ذكرنا معلومة عند كلِّ من له نوع ممارسة في العلم .

---

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٣/ ٢١٩ برقم ٢٠٠١٥) ، قال الأر نؤوط : " إسناده حسن. الجُريري: هو سعيد بن إياس. وأخرجه الطَّبراني في "الكبير" (١٩/ (١٠٣٠) من طريق حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد. إلا أنَّه قال: "أنتم آخرها" بدل قوله: "أنتم خيرها ".

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ١٠١ برقم ٧٣١٢) .

(٥) من فضل الله تعالىٰ علىٰ هذه الأمَّة : أنَّه جعل إجماع علمائها علىٰ أمر من أمور الدِّين معصوماً من الزَّلل ، وهذا سبيلٌ من سُبُل حفظ الشَّريعة ، قال الإمام الزَّركشي في" البحر المحيط في أصول الفقه " (٦/ ٣٩٦) : " وَالسِّرُّ فِي اخْتِصَاصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالصَّوَابِ فِي الْإِجْمَاعِ : أَنَّهم الْجَمَاعَةُ بِالْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّ النَّبي ﷺ بُعِثَ إلىٰ الْكَافَّةِ ، وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ انَّما بُعِثَ النَّبي لِقَوْمِهِ ، وَهُمْ بَعْضٌ مِنْ كُلٍّ . فَيَصْدُقُ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مُنْحَصِرِينَ فِيهِمْ فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ ، وَأَمَّا هَذِهِ الْأُمَّةُ فَالْمُؤْمِنُونَ مُنْحَصِرُونَ فِيهِمْ ، وَيَدُ اللهَّ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، فلِهَذَا - وَاَللهُّ أَعْلَمُ - خَصَّهَا بِالصَّوَابِ " .

فالأمَّة لا يمكن أن تجتمع كلمتها علىٰ غير الحقّ، وهذا أمر واضح لائح لكلِّ من استقرأ إجماعات علماء الأمَّة ...

وقد اختلفت عبارات الأصوليِّين في تعريف الإجماع ... ومن التَّعريفات الدَّارجة علىٰ ألسنة أهل العلم : اتِّفاق المجتهدين من أمَّة مُحَمَّد ﷺ بعد انتقاله إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ في عصرٍ من العصور علىٰ أمرٍ ديني...

ومن أشهر تعريفات الإجماع ما قاله الإمام ابن قدامة المقدسي في " روضة النَّاظر وجنَّة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل" (١/ ٣٧٦-٣٧٨) : " ومعنىٰ الإجماع في الشَّرع : اتِّفاق علماء العصر من أمَّة مُحَمَّد ﷺ علىٰ أمر من أمور الدِّين ، ووجوده متصوّر ، فإنَّ الأمَّة مُجمعة علىٰ وُجوب الصَّلوات الخمس ، وسائر أركان الإسلام . وكيف يمتنع تصوُّره ؛ والأ مَّة كلُّها متعبِّدة بالنُّصوص والأدلَّة القواطع ، معرَّضون للعقاب بمخالفتها ؟

وكما لا يمتنع اتِّفاقهم على الأكل والشُّرب ، لا يمتنع اتِّفاقهم على أمرٍ من أُمور الدِّين . وإذا جاز اتِّفاق اليهود مع كثرتهم على باطل ، فلمَ لا يجوز اتِّفاق أهل الحقّ عليه ؟!!

ويُعرفُ الإجماع بالإخبار ، والمشافهة ، فإنَّ الذين يعتبر قولهم في الإجماع : هم العلماء المجتهدون ، وهم مشتهرون معروفون ، فيمكن تعرُّف أقوالهم من الآفاق " .

ويُعتبر الإجماع مصدراً رئيساً من مصادر التَّشريع الإسلامي ، ويأتي ثالثاً بعد الكتاب والسُّنَّة ، فهو حجَّة من حجج الشَّرع ، دلَّت على حجِّيَّته أدلَّة القرآن العظيم والسُّنَّة المطهَّرة ... فمن أدلَّة القرآن الكريم :

قوله تعالى : **﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾** [النساء: ١١٥] .

فقد ذكر أهل العلم أنَّ الآية دليل على حجيَّة الإجماع ... ووجه الدّلالة من الآية : أنَّ الآية تضمَّنت الوعيد الشَّديد لمن اتَّبع غير سبيل المؤمنين ؛ فدلَّ ذلك على وجوب اتِّباع سبيل المؤمنين ، وهو كلّ ما صدر عن إجماعهم ... وبذلك صرَّح جمعٌ من أساطين العلم...

قال الإمام الشَّافعي ، كما في " تفسير الإمام الشَّافعي " (٢/ ٦٦٩-٦٧٠) : " أخبرنا أبو عبد الحافظ ، أخبرني أبو عبد اللهَّ الزُّبير بن عبد الواحد الحافظ الاسترابادي ، قال : سمعت أبا سعيد مُحَمَّد بن عقيل الفاريابي ، يقول : قال المزني والرَّبيع – رحمهما اللهَّ تعالى –: " كنَّا يوماً عند الشَّافِعِي ، إذ جاء شيخٌ ، فقال له : أسألُ ؟ قال الشَّافِعِي : سَل ، قال : (إيش) الحجَّة في دين اللهَّ ؟ فقال الشَّافِعِي : كتاب اللهَّ . قال : وماذا ؟ قال : سُنَّة رسول الله ﷺ . قال : وماذا ؟ قال : اتِّفاق الأمَّة . قال : ومن أين قلت اتِّفاق الأمَّة ، من كتاب اللهَّ ؛ فتدبَّر الشَّافِعِي – رحمه اللهَّ – ساعة . فقال الشَّيخ : أجَّلتك ثلاثة أيَّام ، فتغيَّر لون الشَّافِعِي ، ثمَّ أنَّه ذهب فلم يخرج أيَّاماً . قال : فخرج من البيت في اليوم الثَّالث ، فلم يكن بأسرع أن جاء الشَّيخ فسلَّم فجلس ، فقال حاجتي ؟

فقال الشَّافِعِي رحمه اللهَّ تعالى : نعم ، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم ، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، قال اللهَّ – عزَّ وجلَّ – : **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** [النساء: ١١٥] ، لا يصليه جهنَّم على خلاف سبيل المؤمن إلَّا وهو فرض . قال : فقال : صدقت ، وقام وذهب . قال الشَّافِعِيُّ رحمه الله : قرأت القرآن في كلِّ يوم وليلة ثلاث مرات ، حتَّى وقفت عليه " .

وقال الإمام السَّمرقندي في " بحر العلوم" (١/ ٣٦٣) في كلامه على الآية السَّابقة : " وفي الآية دليل أنَّ الإجماع حجَّة ، لأنَّ من خالف الإجماع فقد خالف سبيل المؤمنين " .

وقال الإمام أبو المظفَّر السَّمعاني في " تفسير القرآن" (١/ ٤٧٩) في كلامه على الآية السَّابقة : " وَاسْتدلَّ أهل الْعلم بِهَذِهِ الْآيَة على أَنَّ الْإِجْمَاع حجَّة " . وللاستزادة انظر : الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل (١/ ٥٦٥) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١١/ ٢١٩) ، روضة النَّاظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٨٠-٣٨٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٨٦) ، تفسير النَّسفي (١/ ٢٤٠) ، الخازن المسمَّى لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل ، علاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم البغدادي الشَّهير بالخازن (١/ ٥٩٨) ، البحر المحيط في التَّفسير (٤/ ٦٦) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢/ ٤١٣) ...

وقد تضافرت أقوال أهل العلم في حجِّيَّته ....

قال الإمام الشَّافعي في " الرِّسالة " (ص٤٠١) : " وأَمْرُ رسول الله بلزوم جماعة المسلمين ممَّا يُحتجُّ به في أنَّ إجماع المسلمين – إن شاء الله – لازمٌ " .

وقال الإمام الشَّافعي في " الرِّسالة " (ص٤٧٣) أيضاً : " ومن قال بما تقول به جماعةُ المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف ما تقول به جماعةُ المسلمين ، فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها " .

وقال الإمام ابن حزم في " المحلَّى بالآثار" (٨/ ٢١٣) : " فمُخَالِفُ الْإِجْمَاعِ عَالِماً بِأَنَّهُ إجْمَاعٌ كَافِرٌ " .

وقال الإمام أبو اسحاق الشِّيرازي في " اللمع في أصول الفقه" (ص٨٧) في كلامه عن الإجماع : " وهو حجَّة من حجج الشَّرع ودليل من أدلَّة الأحكام مقطوع على مغيبه . وذهب النَّظام والرَّافضة إلى أنَّه ليس بحجَّة" .

وقال الإمام السَّرخسي في " أصول السَّرخسي" (١/ ٣٠٨) : " الْإِجْمَاع مُوجب للْعلم قطعاً بِمَنْزِلَة النَّص ، فَكَمَا لَا يجوز ترك الْعَمَل بِالنَّصِّ بِاعْتِبَار رَأْي يعْتَرض لَـــهُ ، لَا يجوز مُخَالفَة الْإِجْمَاع بِرَأْي يعْتَرض لَهُ بَعْدَمَا انْعَقد الْإِجْمَاع بدليله " .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في " المستصفى في علم الأصول " (١/ ٣٣٢) : " الإجماع أعظم أصول الدِّين ، فلو خالف فيه مخالف لعظم الأمر فيه واشتهر الخلاف إذ لم يندرس خلاف الصَّحابة في ديَّة الجنين ، ومسألة الحرام ، وحدِّ الشُّرب ، فكيف اندرس الخلاف في أصل عظيم يلزم فيه التَّضليل والتَّبديع لمن أخطأ في نفيه وإثباته ، وكيف اشتهر خلاف النَّظام مع سقوط قدره وخسَّة رتبته ، وخفي خلاف أكابر الصَّحابة والتَّابعين ؟ هذا ممَّا لا يتَّسع له عقل أصلاً " .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في " المستصفى في علم الأصول" (١/ ٣٦٠-٣٦١) أيضاً : " إذا اتَّفقت كلمة الأمَّة ولو في لحظة انعقد الإجماع ، ووجبت عصمتهم عن الخطأ . وقال قوم : لا بدَّ من انقراض العصر وموت الجميع .

وهذا فاسد لأنَّ الحجَّة في اتِّفاقهم لا في موتهم ، وقد حصل قبل الموت ، فلا يزيده الموت تأكيداً ، وحجَّة الإجماع الآية والخبر ، وذلك لا يوجب اعتبار العصر.

فإن قيل : ما داموا في الأحياء فرجوعهم متوقَّع ، وفتواهم غير مستقرَّة.

قلنا : والكلام في رجوعهم ، فإنَّا لا نجوِّز الرُّجوع من جميعهم ، إذ يكون أحد الإجماعين خطأ ، وهو مُحال ، أمَّا بعضهم فلا يحلُّ له الرُّجوع ، لأنَّه برجوعه خالف إجماع الأمَّة التي وجبت عصمتها عن الخطأ ، نعم يمكن أن يقع الرُّجوع من بعضهم ويكون به عاصياً فاسقاً ، والمعصية تجوز على بعض الأمَّة ، ولا تجوز على الجميع.

فإن قيل : كيف يكون مخالفاً للإجماع وبعد ما تمَّ الإجماع ، وانَّما يتم بانقراض العصر ؟

قلنا : إن عنيتم به أنَّه لا يسمَّى إجماعاً ، فهو بهت على اللغة والعُرف ، وإن عنيتم أنَّ حقيقته لم تتحقَّق فما حدّه ، وما الإجماع إلَّا اتِّفاق فتاويهم ، والاتِّفاق قد حصل ، وما بعد ذلك استدامة للاتِّفاق لا إتمام للاتِّفاق " .

وقال الإمام الغزالي أيضاً في " المنخول من تعليقات الأصول " (ص٤٠٦) :" فإن قيل : فهل تكفِّرون خارق الإجماع ؟ قلنا : لا ، لأنَّ النِّزاع قد كثر في أصل الإجماع لأهل الإسلام ، والفقهاء إذا أطلقوا التَّكفير لخارق الإجماع أرادوا به إجماعاً يستند إلى أصل مقطوع به من نصٍّ أو خبر متواتر ، والله أعلم " . وللاستزادة انظر : التَّمهيد في أصول الفقه (٣/ ٢٢٤) ، روضة النَّاظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٨٨) ، الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي (١/ ٢٠٠) ، (١/ ٢٨٢) ، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (٣/ ٢٥٢) ، المنثور في القواعد الفقهيَّة (٣/ ٨٦-٨٧) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ٣٨٤) ، (٦/ ٥٠١-٥٠٢) ، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (٢/ ٢٣٣) ...

ومع كلِّ ما سبق بيانه ... رأينا بعضَ مَنْ يدَّعون السَّلفيَّة يخالفون ما ذهب إليه جمهور العلماء من القول بحجيَّة الإجماع ...

قال الألباني في " آداب الزَّفاف في السُّنَّة المطهَّرة" (ص٢٣٩) : " لا يستطيع أحد أن يدَّعي أنَّه إجماع معلوم من الدِّين بالضَّرورة ، وغير هذا الإجماع ممَّا لا يمكن تصوُّره فضلاً عن وقوعه ، ولهذا قال الإمام أحمد رضي الله عنه : من ادَّعى الإجماع فهو كاذب ، وما يدريه ، لعلَّ النَّاس اختلفوا " ...

ولنا على كلام الألباني عدَّة أُمور:

الأَمْرُ الأَوَّلُ : أنَّ كلام الإمام أحمد بن حنبل ليس حجَّة من حجج الشَّرع ، فليس كلامه معصوماً ... وقد نصَّ غير واحد من كبار العلماء على كون الإجماع حجَّة من حجج الشَّرع....

قال الإمام الشَّافعي في" جماع العلم" (ص٢٢) : " والإجماع حجَّة على كلِّ شيء ، لأنَّه لا يمكن فيه الخطأ " .

وقال الإمام أبو اسحاق الشِّيرازي في " اللمع في أصول الفقه" (ص٨٨) : " والإجماع حجَّة من جهة الشَّرع" .

وقال الإمام الجويني في "الورقات" (ص٢٤) : " وَالْإِجْمَاع حجَّة علىٰ الْعَصْر الثَّانِي وَفِي أَي عصر كَانَ ، وَلَا يشْتَرط انْقِرَاض الْعَصْر علىٰ الصَّحِيح " .

وقال الإمام السَّرخسي في" أصول السَّرخسي" (٢/ ١٨١) : " وَالْإِجْمَاع حجَّة" .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في " المستصفىٰ في علم الأصول "(١/ ٣٧٠) : " والإجماع حجَّة قاطعة " .

وللاستزادة في حجيَّة الإجماع انظر : المنخول من تعليقات الأصول (ص٤٢٨) ، المحصول (١/ ٢١٥) ، روضة النَّاظر وجنة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٤) ، (١/ ٣٧٨) ، (٢/ ٢١) ، الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي (٤/ ١٥٩) ، الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (١/ ٢١٩) ، الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي) (٣/ ٢٦٩) ، نهاية السول شرح منهاج الوصول (ص٤٠٣) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٨/ ٣٤٩) ، (٨/ ٣٥٠) ، (٨/ ٣٥١) ، فتح القدير (٣/ ٤٧٠) ، أصول الفقه المسمَّىٰ إجابة السَّائل شرح بغية الآمل (ص٢٨)...

الأَمْرُ الثَّانِي : ذكر العلماء عدَّة توجيهات لعبارة الإمام أحمد ... من ذلك:

قال الشَّيخ منَّاع بن خليل القطَّان في " تاريخ التَّشريع الإسلامي" (ص٣٨٧) : " ولذا نسبوا إليه إنكار الإجماع ، وحمل هذا الإنكار علىٰ أنَّه إنكار للإجماع العام النُّطقي ، لا الإجماع السُّكوتي . أو إجماع ما بعد الصَّحابة ، أو بعدهم . وبعد التَّابعين أو بعد القرون الثَّلاثة المشهود لها بالخير" .

وقال الشَّيخ أبو المنذر محمود بن مُحَمَّد بن مصطفىٰ بن عبد اللطيف المنياوي في " الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول (ص٤٦٤) في توجيهه لعبارة : " من ادَّعىٰ الإجماع فهو كاذب " : " فيمكن تأويل هذه العبارة الموهمة لإنكاره إمكان نقل الإجماع بعدَّة تأويلات:

أَوَّلاً : أنَّه محمول علىٰ استبعاد انفراد إطلاع ناقله ، ومعنىٰ ذلك أنَّ من ادَّعىٰ الإجماع منفرداً حيث لم يطلع عليه غيره فهو كاذب ، لأنَّه لو كان صادقاً لأطَّلع عليه غيره.

ثَانِيَاً : أنَّه محمول علىٰ الورع ، وذلك لجواز أن يكون هناك خلاف في المَسْأَلَة لم يبلغه ، ومعنىٰ ذلك : أي : من ادَّعىٰ وقوع الإجماع جازماً به مع احتمال وجود خلاف لم يبلغه فهو كاذب ، ويؤيِّد هذا لفظ الإمام أحمد - رحمه الله - في رواية ابنه عبدالله حيث قال : " من ادَّعىٰ الإجماع فقد كذب ، لعلَّ النَّاس قد اختلفوا ، ولكن يقول : لا نعلم النَّاس اختلفوا " .

ثَالِثاً : أنَّه أراد غير إجماع الصَّحابة ، ومعنى ذلك : أنَّ من ادَّعى إجماعاً غير إجماع الصَّحابة فهو كاذب ، لتعذُّر العلم به " .

الأَمْرُ الثَّالِثُ : لو كان الإجماع لا يحصل إلَّا على الأمور المعلومة من الدِّين بالضَّرورة ، فلا فائدة للإجماع حينئذ ، لأنَّ المعلوم من الدِّين بالضَّرورة ثابت بالأدلَّة القطعيَّة التي يُحكم بكفر منكرها...

الأَمْرُ الرَّابِعُ : أنَّ العلماء الذين يحتجُّ الشَّيخ الألباني بأقوالهم ... هم ممَّن يحتجُّون بالإجماع ، وإن خالفوه في عدَّة أُمور...

قال الإمام ابن تيمية الحرَّاني كما في " المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية الحرَّاني" (٢/ ١١٣) : " قال القاضي: الإجماع حجَّة مقطوع عليها ، يجبُ المصير إليها ، وتحرُم مخالفته ، ولا يجوز أن تُجمع الأمَّة على الخطأ ، وقد نصَّ أحمد على هذا في رواية عبد الله وأبي الحارث في الصَّحابة إذا اختلفوا لم يخرج عن أقاويلهم ، أرأيت إن أجمعوا له أن يخرج من أقاويلهم ؟ هذا قول خبيث ، قول أهل البدع ، لا ينبغي لأحد أن يخرج من أقاويل الصَّحابة إذا اختلفوا ... " .

وقال الإمام ابن تيمية كما في " المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام " (٢/ ١١٥) أيضاً : " دلالة كون الإجماع حجَّة هو الشَّرع " .

وقال الإمام ابن تيمية في " بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية" (٣/ ٧٦٨) أيضاً : " أنَّ سلف الأمَّة وأئمّتها يعترفون أنَّ الإجماع حجَّة " .

وقال الإمام ابن تيمية في " بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلامية" (٤/ ١٨٦) أيضاً : " الذي يدلُّ على كون الإجماع حجَّة إما الآيات وإمَّا الأخبار" .

وقال الإمام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى " (١/ ١٧) أيضاً : " ... وَهَذَا أَحَدُ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ ."

وقال الإمام ابن تيمية في "منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة" (٨/ ٣٤٤) أيضاً : " وأيضاً فَنَحْنُ نُشِيرُ إلى مَا يدلُّ عَلَى أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ بِالدَّلَالَةِ الْمَبْسُوطَةِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ " .

وقال الإمام ابن تيمية في "منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة" (٨/ ٣٥٦) أيضاً : " فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْإِجْمَاعُ حُجَّةً " .

وفي إحصائيَّة لكلمة إجماع ونظائرها في كتب ابن تيمية ، تبيَّن معنا ما يلي:

١ -تكرَّرت جملة " باتِّفاق المسلمين " (١٢٥٩) مرَّة.

٢ -وتكرَّرت جملة " باتِّفاق العلماء " (٧٤٢) مرَّة.

٣ -وتكرَّرت جملة " بإجماع المسلمين " (٣٩٥) مرَّة.

٤ -وتكرَّرت جملة " اتَّفق المسلمون " (٢١٧) مرَّة.

٥ -وتكرَّرت جملة " أجمع المسلمون " (٢١٢) مرَّة.

٦-وتكرَّرت جملة " اتَّفق العلماء " (١٧٢) مرَّة.

٧ -وتكرَّرت جملة " اتَّفق الصَّحابة " (٤٦) مرَّة.

٨ -وتكرَّرت جملة " باتَّفاق الفقهاء " (٦٦) مرَّة.

٩ -وتكرَّرت جملة " اتَّفق السَّلف " (٤٣) مرة.

١٠ -وتكرَّرت جملة " اتَّفق الفقهاء " (٣١) مرَّة.

١١ -وتكرَّرت جملة " اتَّفق أهل السُّنَّة " (٢١) مرَّة.

١٢ -وتكرَّرت جملة " باتِّفاق الصَّحابة " (٢٤) مرَّة.

١٣ -وتكرَّرت جملة " أجمع أهل العلم " (٣٦) مرَّة.

١٤ -وتكرَّرت جملة " بإجماع العلماء " (١٦) مرَّة.

١٥ -وتكرَّرت جملة " بإجماع السَّلف " (١١) مرَّة.

١٦ -وتكرَّرت جملة " أجمع العلماء " (٢٧) مرَّة.

١٧ -وتكرَّرت جملة " باتِّفاق السَّلف " (١٣) مرَّة.

١٨ -وتكرَّرت جملة " باتِّفاق أهل السُّنَّة " (٣٠) مرَّة.

١٩ -وتكرَّرت جملة " أجمع الفقهاء " (١٠) مرَّات.

٢٠ -وتكرَّرت جملة " باتِّفاق أهل الإيمان " (٧) مرَّات.

٢١ -وتكرَّرت جملة " إجماع الفقهاء " (٧) مرَّات.

٢٢ -وتكرَّرت جملة " أجمع السَّلف " (٦) مرَّات.

٢٣ -وتكرَّرت جملة " أجمع أهل السُّنَّة " (٢) مرَّتان.

٢٤ -وتكرَّرت جملة " أجمع الصَّحابة " (٤) مرَّات.

٢٥ -وتكرَّرت جملة " بإجماع الصَّحابة " (٨) مرَّات.

٢٦ -وتكرَّرت جملة " فلا خلاف بين الأمَّة " (١) مرَّة واحدة.

اعلم أنَّ ما جاء به محمَّد ﷺ أنَّ الجاهل لا يستبدُّ برأيه ، بل يجب عليه أن يسأل أهل العلم ، كما قال تعالىٰ : ﴿فَسْئَلُوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] ، وقال ﷺ : " أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ " (٦) .

وهذا اجماع ، قال في غاية السُّؤال (٧) : قال الإمام أبو بكر الهروي : أجمعت العلماء قاطبة علىٰ أنَّه لا يجوز لأحد أن يكون إماماً في الدِّين والمذهب المستقيم حتَّىٰ يكون جامعاً هذه الخصال ، وهي أن يكون حافظاً للغات العرب واختلافها ، ومعاني أشعارها وأصنافها ، واختلاف العلماء والفقهاء ، ويكون عالماً فقيهاً ، وحافظاً للإعراب وأنواعه ، والاختلاف ، عالماً بكتاب الله ، حافظاً له ولاختلاف قراءته ، واختلاف القرَّاء فيها ، عالماً بتفسيره ومُحكَمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، وقصصه ، عالماً بأحاديث الرَّسول ﷺ ، مميِّزًا بين صحيحها وسقيمها ، ومتَّصلها ومنقطعها ، ومراسيلها ومسانيدها ومشاهيرها ، وأحاديث الصَّحابة، موقوفها ومسندها ، ثمَّ يكون وَرِعاً ديِّناً ، صائناً لنفسه ، صدوقاً ، ثقة ، يبني مذهبه ودينه علىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فإذا جمع هذه الخِصال ، فحينئذٍ يجوز أن يكون إماماً ، وجاز أن يقلّد ويجتهد في دينه وفتاويه ، وإذا لم يكن جامعاً لهذه الخصال وأخلَّ بواحدة منها كان ناقصاً ، ولم يجُز أن يكون إماماً وأن يقلِّده النَّاس .

وقد حصلنا علىٰ هذه النَّتيجة من خلال المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... وأصلها موجود علىٰ الشَّبكة العنكبوتيَّة ، لكن مع وجود فوارق جمَّة ، حيث تبيَّن أنَّ ما أثبتُّه يفوق العدد الموجود علىٰ شبكة النِّت بشكل كبير ، هذا مع مراعاة وجود بعض الكتب المكرَّرة في المكتبة الشَّاملة ...

(٦) أخرجه أبو داود (١/ ٩٣ برقم ٣٣٦) ، القضاعي في مسند الشُّهاب (٢/ ١٩١ برقم ١١٦٣) ، البغوي في شرح السُّنَّة (٢/ ١٢٠ برقم ٣١٣) ، البيهقي في معرفة السُّنن والآثار (٢/ ٤١ برقم ١٦٦١) ، السُّنن الكبرىٰ (١/ ٣٤٧ برقم ١٠٧٥)

ونصُّ الحديث هو : " عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَىٰ الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَىٰ النَّبِي ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، انَّما كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ» يَعْصِبَ «شَكَّ مُوسَىٰ -عَلَىٰ جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ» .

(٧) اسم الكتاب : "غاية السُّؤال في علم الأصول " ، تاج الدِّين عبد الرَّحمن بن ابراهيم الفزاوي الشَّافعي .

قال : قلت : وإذا ثبت أنَّ هذه شرائط لصحَّة الإجتهاد والإمامة ، فقد كلّ مَنْ لم يكن كذلك أن يقتدي بمن هو بهذه الخصال المذكورة .

وقال: النَّاس في الدِّين على قسمين : مقلِّد ومجتهد ، والمجتهدون مُختصُّون بالعلم ، وعلم الدِّين يتعلَّق بالكتاب والسُّنَّة واللسان العربي الذي وردا به ، فمن كان فيما يعلم الكتاب والسُّنَّة ، وحكم ألفاظها ، ومعرفة الثَّابت من أحكامهما والمنتقل من الثُّبوت بنسخ أو غيره ، والمقدَّم والمؤخَّر صحَّ اجتهاده ، وأن يقلِّده من لم يبلغ درجته ، وفرض من ليس بمجتهد أن يسأل ويقلِّد ، وهذا لا اختلاف فيه ، انتهى . انظر قوله : وهذا لا خلاف فيه .

وقال ابن القيِّم في إعلام الموقِّعين : لا يجوز لأحد أنَّ يأخذ من الكتاب والسُّنَّة ، ما لم يجتمع فيه شروط الإجتهاد ، ومن جميع العلوم ... قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الْمُنَادِي: سَمِعْت رَجُلًا يَسْأَلُ أَحْمَدَ: إذا حَفِظَ الرَّجُلُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ يَكُونُ فَقِيهًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَرْبَعَ مِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَحَرَّكَ يَدَهُ. قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ: وَسَأَلْت جَدِّي مُحَمَّدَ بْنَ عُبَيْدِ اللهَّ، قُلْت: فَكَمْ كَانَ يَحْفَظُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ قَالَ: أَخَذَ عَنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ أَبُو حَفْصٍ: قَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ: لَمَّا جَلَسْت فِي جَامِعِ الْمَنْصُورِ لِلْفُتْيَا ذَكَرْت هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَقَالَ لِي رَجُلٌ: فَأَنْتَ هُوَ ذَا لَا تَحْفَظُ هَذَا الْقَدْرَ حَتَّى تُفْتِي النَّاسَ، فَقُلْت لَهُ: عَافَاك اللهَّ إنْ كُنْت لَا أَحْفَظُ هَذَا الْمِقْدَارَ فَإِنِّي هُوَ ذَا أُفْتِي النَّاسَ بِقَوْلِ مَنْ كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْمِقْدَارَ " انتهى (٨) .

ولو ذهبنا نحكي من حكى الإجماع لطال ، وفي هذا الكفاية للمسترشد ، وانَّما ذكرت هذه المقدِّمة لتكون قاعدة يرجع إليها فيما نذكره ، فإنَّ اليوم ابتُلي النَّاسُ بمن ينتسب إلى الكتاب والسُّنَّة ، ويستنبط من علومهما ، ولا يبالي من خالفه ، واذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل ، بل يُوجب على النَّاس الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الإجتهاد ، ولا والله عشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجُهَّال ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

---

(٨) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٣٥-٣٦) ، والفقرة الأولى منقولة بتصرُّف ...

الأُمَّة كلّها تصيحُ بلسان واحد ، ومع هذا لا يردّ لهم في كلمة ، بل كلُّهم كفَّار أو جهَّال . اللهمَّ اهدِ الضَّالَّ ، وردّه إلىٰ الحقّ ، فنقول :

قال الله عزَّ وجلَّ : **﴿إِنَّ الدِّيْن عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ﴾** [آل عمران:١٩] ، وقال تعالىٰ : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾** [آل عمران:٨٥] ، وقال تعالىٰ : **﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاة وَآتَوُا الزَّكاة فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾** [التوبة:٥] ، وفي الآية الأخرىٰ : **﴿فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾** [التوبة:١١] ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَرَّمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دِمَاءَ أهل الْقِبْلَةِ (٩) .

وقال أيضاً : لا تكونوا كالخوارج تؤوِّلوا آيات القرآن في أهل القِبلة ، وانَّما نزلت في أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها ، فسفكوا بها الدِّماء ، وانتُهكت الأموال ، وشهدوا علىٰ أهل السُّنَّة بالضَّلالة ، فعليكم بالعلم بما نزل فيه القرآن ، انتهىٰ . وكان ابن عمر يرىٰ الخوارج شرار الخلق ، قال : أنَّهم عمدوا في آيات نزلت في الكفَّار فجعلوها في المسلمين . رواه البخاري عنه ، فحينئذ ذكر الله عزَّ وجلَّ : **﴿إِنَّ الدِّيْن عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ﴾** [آل عمران:١٩] ، وقد قال النَّبي ﷺ في حديث جبريل في الصَّحيحين : «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ " **الحديث** (١٠) .

وفي حديث ابن عمر الذي في الصَّحيحين : « بُنِيَ الإسلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » **(الحديث)** (١١) .

وفي حديث وفد عبد القيس : « أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإيمان بِاللهِ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ "**الحديث** (١٢) .

---

(٩) انظر : تفسير الطبري (١١/ ٣٦) .

(١٠) أخرجه مسلم (١/ ٣٦ برقم ٨) .

(١١) أخرجه البخاري (١/ ١١ برقم ٨) ، مسلم (١/ ٤٥ برقم ١٦) ، واللفظ له .

(١٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠ برقم ٥٣) ، مسلم (١/ ٤٧ برقم ١٧) .

وهو في الصَّحيحين ، وغير ذلك من الأحاديث وصف الإسلام بالشَّهادتين وما معهما من الأركان . وهذا إجماع من الأُمَّة ، بل أجمعوا أنَّ من نطق بالشَّهادتين أُجريت عليه أحكام الإسلام لحديث : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ "(١٣) .

ولحديث الجارية : «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» (١٤) .

---

(١٣) أخرجه البخاري (١/ ١٤ برقم ٢٥) ، مسلم (١/ ٥٣ برقم ٢٢) .

(١٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٨١ برقم ٥٣٧) . ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ المتسلِّفة يستدلُّون بهذا الحديث على العلوِّ المكانيِّ لله تعالى ...مع العلم أنَّ نصَّ الحديث ومناسبته جاء بألفاظ مختلفة... وقد أورده الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ المَسَاجِد ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ ... ولم يذكره في كتاب الإيمان ... فليتنبَّه ...

فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : ... كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ". أخرجه مسلم في الصَّحيح (١/ ٣٨١ برقم ٥٣٧) ، الطَّيالسي في المسند (٢/ ٤٢٨ برقم ١٢٠١) ، ابن أبي شيبة في المسند (٢/ ٣٢٦ برقم ٨٢٥) ، أحمد في المسند (٣٩/ ١٨٤ برقم ٢٣٧٦٧) ، أبو داود (١/ ٢٤٤ برقم ٩٣٠) ، النَّسائي في السُّنن الكبرى (٨/ ١٠ برقم ٨٥٣٥) ، ابن خزيمة في كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الرَّب عزَّ وجلَّ (١/ ٢٧٨) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٤٦٦ برقم ١٧٢٨) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ٣٨٣ برقم ١٦٥) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٩٨ برقم ٩٣٨) ، ابن منده في الإيمان (١/ ٢٣٠ برقم ٩١) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٣٤ برقم ٦٥٢).

وقد اعتاد المتسلِّفون على الاحتجاج بهذا الحديث على أنَّ الله تعالى في السَّماء ... قال شيخهم الألباني بعد ذكره للحديث : " ففي الخبر مسألتان:

إحداهما شريعة : قول المسلم : أين الله ؟

وثانيهما [هكذا] : قول المسئول : في السَّماء . فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنَّما ينكر على المصطفى ﷺ " . انظر : مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي (٨١) ...

والكلام على حديث الجارية ينتظم في النّقاط التَّالية:

أَوَّلاً : أنَّ الحديث من أخبار الآحاد ، وأخبار الآحاد ليست حجَّة في العقيدة ، على ما ذهب إليه جمهور الأصوليِّين ... وقد نقلنا في كتابنا " الإِمْدَادُ وَالإِسْعَادُ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أَخَذَ بِالآحَادِ فِي الاعْتِقَاد" عن جمهرة كبيرة من أهل العلم أنَّ أخبار الآحاد لا يُؤخذ بها في باب الاعتقاد ، وأنَّها لا تفيد إلَّا الظَّن ... انظر : تهذيب الآثار وتفصيل الثَّابت عن رسول الله من الأخبار (٢/ ٧٦٨) ، أحكام القرآن للجصَّاص (٥/ ٢٧٩) ، الفصول في الأصول (١/ ١٦٢-١٦٣) ، (١/ ١٦٨) ، (١/ ١٩٥) ، (٣/ ٩٣) ، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) " (٣/ ١٨٩٨) ، تمهيد الأوائل في تلخيص الدَّلائل (ص٤٤١) ، الانتصار للقرآن (١/ ٢٢٨) ، (٢/ ٥٤٩) ، مشكل الحديث وبيانه (ص٤٤) ، كتاب أصول الدِّين للبغدادي (ص١٢) ، الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة النَّاجية (ص٣١٢) ، (ص٣١٢) ، المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٩٢) ، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشَّافعي وهو شرح مختصر المزني (١٦/ ٨٧) ، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ١١٢) ، الأسماء والصِّفات للبيهقي (٢/ ٢٠٠) ، العدّة في أصول الفقه (٣/ ٨٠٣) ، (٣/ ٨٨٨) ، (٣/ ٨٩٨) ، الكفاية في علم الرِّواية (ص٤٣٢) ، الفقيه و المتفقِّه (١/ ٢٧٨) ، (١/ ٣٥٤) ، التَّمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والأسانيد(١/ ٧) ، جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢) ، لطائف الإشارات (٣/ ٣٤) ، الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدَّليل(ص٢٣٤) ، إحكام الفصول في أحكام الأصول (ص٢٤١- ٢٤٢) ، تحقيق المذهب من أنَّ النَّبي ﷺ كتب (ص٦٦) ، المنتقى شرح الموطَّإ (٤/ ١٥٦) ، التَّبصرة في أصول الفقه" (ص٢٩٨) ، اللمع في أصول الفقه (ص٧٢) ، كتاب التَّلخيص في أصول الفقه، الجويني (٢/ ٣٤) ، البرهان في أصول الفقه (١/ ٢٣١) ، الورقات، الجويني(ص٢٥) ، أصول البزدوي (كنز الوصول الى معرفة الأصول) (ص١٥٨) ،المبسوط(١/ ٣٣) ، (٣/ ١٤٤) ، (١٦/ ٢١٣) ، أصول السَّرخسي (١/ ٣٢١) ، (١/ ٣١٩) ، قواطع الأدلَّة في الأصول(١/ ٣٦٦) ، (١/ ٣٧٤) ، (٢/ ١٠٩) ، الاصطلام في الخلاف بين الإمامين الشَّافعي وأبي حنيفة (١/ ٢٠٥) ، الاصطلام في الخلاف بين الإمامين الشَّافعي وأبي حنيفة (٢/ ٣٢٠) ، أحكام القرآن ، الكيا الهراسي (٢/ ٣٧٨) ، (ص١١٦) ، (١/ ١٥٨) ، التَّمهيد في أصول الفقه ، الكَلْوَذَاني (٣/ ٧٨) ، الوصول إلى الأصول (٢ / ١٧٢ – ١٧٤) ، المُعْلم بفوائد مسلم" (٣/ ٢٩٢) ، ميزان الأصول في نتائج العقول (١/ ٤٣٣-٤٣٤) ، ميزان الأصول في نتائج العقول (١/ ٤٤٨) ، (ص٤٣٤) ، إعراب القرآن (٢/ ٤١٣) ، المحصول في أصول الفقه (ص١١٥) ، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المسمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم (١/١٦٨) ، (١/ ١٧٥) ، بذل النَّظر في الأصول(ص٤٥٥) ، بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع (١/ ١٤) ، (٢/ ٦٩) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٤/ ٧٠) ، نواسخ القرآن، ابن الجوزي (١/ ١٤٣) ، المحصول، الرازي (١/ ٢٠٣) ، (٤/ ٣٥٥) ، أساس التَّقديس(ص٣٠٦) ، التَّفسير الكبير ، الرازي (١/ ١٧٣) ، (٢/ ٥٠١) ، (٣/ ٥٠٣) ، (٦/ ٥٠٢) ، جامع الأصول في أحاديث الرَّسول (١/ ١٢٥) ، روضة النَّاظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٢-٣٠٣) ، مباحث التَّفسير لابن المظفَّر (وهو استدركات وتعليقات على تفسير الكشف والبيان للثَّعلبي)(ص١٤٩) ، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل (ص٧١) ، المسودة في أصول الفقه (ص٢٤٠) ، (٢٤٤) ، المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤/ ٥٩) ، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجّاج(١/ ٢٠) ، (١/ ١٣٠) ، المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٤/ ٣٤٢) ، شرح فتح القدير ، السِّيواسي (٣/ ١٥٩) ، شرح تنقيح الفصول (ص٣٥٨) ، نفائس الأصول في شرح المحصول (٧/ ٣١٧١) ، التَّحصيل من المحصول(١/ ٤٢٥) ، المختصر في علم أصول الحديث النَّبوي، ابن النَّفيس (ص١١٥ باختصار) ، إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ٢١٢) ، (٢/ ١١٩) ، نهاية الوصول في دراية الأصول (١/ ١٠٣) ، (٢/ ٥١٩) ، (٦/ ٢٣٣٠) ، البلبل في أصول الفقه على مذهب أحمد بن حنبل (ص٤٢) ، الإشارات الإلهيَّة إلي

المباحث الأصوليَّة (ص٢٧٨) ، الانتصارات الإسلاميَّة في كشف شُبه النَّصرانيَّة (١/ ٢٤٣) ، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة (٤/ ٩٥) ، (٨/ ٣٥٧) ، نقد مراتب الإجماع(ص٣٠٤) ، المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢/ ٦٨) ، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي(٢/ ٣٧٠) ، المنهل الرَّوي في مختصر علوم الحديث النَّبوي(ص٣٢) ، قواعد الأصول ومعاقد الفصول وهو مختصر كتاب تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل (ص٧٥-٧٦) ، تقريب الوصول إلى علم الأصول (مطبوع مع : الإشارة في أصول الفقه) (ص١٧٩) ، تذكرة الحفَّاظ، الذهبي (١/ ١١) ،جامع التَّحصيل في أحكام المراسيل (ص٧٣) ، جامع التَّحصيل في أحكام المراسيل(ص٧٣) ، تحقيق المراد في أنَّ النَّهي يقتضي الفساد (ص١١٢) ، آكام المرجان في أحكام الجان (ص١٩٤) ، نهاية السُّول شرح منهاج الوصول (ص١٣) ، (ص٢٦٣) ، (ص٣٩٧) ، الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ٣٨) ، الدَّراري في شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٤) ، الموافقات (١/ ٢٨) ، (٣/ ٣٣٩) ، شرح التَّلويح على التَّوضيح (٢/ ٥) ، (٢/ ٧) ، شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٩٨) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٦/ ١٣٢) ، (٦/ ١٣٦) ، سلاسل الذَّهب (ص٣٢١) ، شرح التَّبصرة والتَّذكرة (١/ ١٠٥) ، كتاب التَّعريفات(ص٩٧) ، تيسير البيان لأحكام القرآن (ص١٤١-١٤٣) ، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع (ص٤١٦-٤١٧) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٦٥) ، نزهة النَّظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (ص٥١) ، فتح الباري (٤/ ٣٦٦) ، (١٣/ ٢٣٨) ، لسان الميزان (٧/ ٣٥٩) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري(١١/ ٢٧٣) ، فتح القدير لابن الهمام (٣/ ١٥٩) ، شرح الورقات في أصول الفقه (ص١٩٣) ، الأنجم الزَّاهرات على حلِّ ألفاظ الورقات في أصول الفقه (ص٢١٣-٢١٤) ، مهيع الوصول إلى علم الأصول(ص٢٠) ، التَّقرير والتَّحبير (١/ ٢٩٤) ، المختصر في علم الأثر (مطبوع ضمن كتاب: رسالتان في المصطلح) (ص١٦٧) ، فتح المغيث بشرح ألفيَّة الحديث (١/ ٣٢) ، الوجيز في أصول الفقه للكراماستي (ص١٤٧) ، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٦٦) ، (٣/ ١٣) ، تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النَّواوي (١/ ٧٥) ، فتح الباقي بشرح ألفيَّة العراقي (١/ ٩٨-٩٩) ، (١/ ١٣٠-١٣١) ، فتاوى الرَّملي(١/ ١٢٧) ، قفو الأثر في صفوة علوم الأثر(ص٤٩) ، تيسير التَّحرير (٣/ ٧٦) ، الصَّواعق المحرقة على أهل الرَّفض والضَّلال والزَّندقة (١/ ١١٠) ، (١/ ١٧٤) ، شرح الشِّفا ، القاري (١/ ٥٤٦) ، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر ، القاري (ص٢١٥) ، (ص٢١٧) ، (ص٢١٨) ، اليواقيت والدُّرر في شرح نخبة ابن حجر، المناوي (١/ ٣٠٢) ، اليواقيت والدُّرر في شرح نخبة ابن حجر (١/ ٣١٢-٣١٣) ، الكليَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة (ص٤٤) ، (ص٤١٦-٤١٧) ، مسلم الثبوت في أصول الفقه (٢/ ١٢١-١٢٢ باختصار) ، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك(٢/ ٢٧٨) ، الفواكه الدَّواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ١٥٧) ، روح البيان (٢/ ٣٢٣) ، (٦/ ٣٤١) ، (٨/ ٢١٥) ، حاشية السِّندي على سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) (١/ ٥٦٠) ، سُبُل السَّلام (١/ ٥٢٢) ، لوائح الأنوار السَّنيَّة ولواقح الأفكار السَّنيَّة (١/ ١٤٩-١٥٠) ، اتحاف السَّادة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ١٠٤-١٠٥) ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ١٣٣) ، فتح القدير ، الشَّوكاني(٥/ ٧٦) ، (٥/ ١٣٤) ، حاشية العطَّار على شرح الجلال المحلِّي على جمع الجوامع (٢/ ٢٣١) ، ردُّ المحتار على الدُّر المختار(١/ ٩٥) ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٧/ ٣٩٠) ، تفسير المنار(١/ ١١٤) ، (٣/ ٢٦١) ، (١١/ ٢٩٩) ، تفسير جزء عم لمحمد عبده (ص١٨٣) ، قواعد التَّحديث من فنون مصطلح الحديث (ص١٤٧-١٤٨) ، (٨/ ١٢٢) ، العرف الشَّذي شرح سنن التِّرمذي (١/ ٤٥) ، الأصل الجامع لإيضاح الدُّرر المنظومة في سلك جمع الجوامع (٢/ ٦٧) ، الفقه على المذاهب الأربعة (٥/ ٤٠٧) ، مناهل العِرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٤١) ، (٢/ ٢٤٧) ، تفسير المراغي (١١/ ١٠٥) ، (٢٣/ ١٢٥) ، علم أصول الفقه، عبد الوهَّاب خلَّاف (ص٤٢) ، قصص الأنبياء ، عبد الوهَّاب النَّجَّار (المقدمة/ س/ ٤) ، (المقدمة/ع/ ٧) ، الاسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت (ص٧٤-٧٦ باختصار) ، السُّنَّة

ومكانتها في التّشريع الإسلامي(ص٣٥-٣٦) ، (ص١٦٠-١٦١) ، في ظلال القرآن (٦/ ٤٠٠٨) ، التّحرير والتّنوير «تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (١/ ١٣٩) ، (٤/ ٢٧٩) ، (٢٨/ ٣٤٠) ، قواعد في علوم الحديث، التّهانوي (ص٥٦) ، أصول الفقه ، أبو زهرة (ص١٠٨-١٠٩) ، علم مصطلح الحديث ، العثيمين (ص٥) ، السُّنّة النّبويّة بين أهل الفقه وأهل الحديث " (ص٥٧) ، دستور الوحدة الثّقافيّة بين المسلمين" ، محمد الغزالي (٥٠-٥٤ باختصار) ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣٨١) ، الحديث في علوم القرآن والحديث ، حسن أيوب (ص١٨٠) ، الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الرّاجح (ص١٠٢) ، (ص٤٢٢) ، المُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ المُقَارَنِ (١/ ١٩) ،(٢/ ٦٨٤-٦٨٥) ، عبد الكريم بن علي بن محمَّد النّملة ، أصول الفقه الإسلامي ، الأستاذ الدكتور وهبه الزّحيلي (١/ ٤٥٥) ، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي ، الأستاذ الدكتور محمَّد مصطفى الزّحيلي (١/ ٢٠٨-٢٠٩) ، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن ، محمَّد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي (١٢/ ٢٢٨) ، مُوْسُوعَة القَواعِد الفِقْهِيَّة، محمَّد صدقي بن أحمد بن محمَّد آل بورنو أبو الحارث الغزّي (٨/ ٣١) ، (١٢/ ١٩٠) ، الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة (٢٥/ ٢٦٦) ، الشَّرح على شرح جلال الدِّين المحلِّي للورقات ، أحمد بن عبد الله بن حميد (ص٢٠٥) ...

ونسبهُ جماعةٌ إلى الأكثر من أهل الأصول . انظر : المعتمد في أصول الفقه ، (٢/ ٥٥٦) ، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ١٢٣) ....

كما نسبه ابن حزم إلى الحنفيَّة والشَّافعيَّة وجمهور المالكيَّة ، وإلى جميع المعتزلة . انظر : الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٧) ، إرشاد الفحول (ص٤٨) ، المسودة في أصول الفقه (ص٢٤٧-٢٤٨)...

ثَانِياً : أنَّ الحديث مُخالفٌ لما تواتر عن سيِّدنا رسول الله ﷺ : أنَّه كان إذا أتاه من يُريد الدُّخول في دين الله تعالى ، يطلبُ منه النُّطق بالشَّهادتين ... ولم يسأله مثل هذا السُّؤال ... فالحديث على هذا شاذٌّ ، والشَّاذُّ من أقسام الحديث الضَّعيف.

ثَالِثَاً : أنَّ الحديث مرويٌّ بالمعنى ، شأنه في ذلك شأن أغلب الأحاديث ، قال الخطيب البغدادي : " أَخْبَرَنِي أَبُو مُحَمَّد عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاذَانَ الصَّيْرَفِيُّ، أنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّد بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَهْمِ الْكَاتِبُ، أنا مُحَمَّد بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو السَّكُونِيُّ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْفِلَسْطِينِيُّ، أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أُكَيْمَةَ اللَّيْثِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ: قُلْنَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا لَنَسْمَعُ الْحَدِيثَ فَلَا نَقْدِرُ عَلَى تَأْدِيَتِهِ كَمَا سَمِعْنَاهُ قَالَ: " إذا لَمْ تُحِلُّوا حَرَامًا وَلَا تُحَرِّمُوا حَلَالًا فَلَا بَأْسَ " . انظر : الكفاية في علم الرِّواية (ص١٩٩) ...

فكيف لو كان الأمر متعلِّقاً بالعقيدة التي يترتَّب عليها كفرٌ وإيمان ؟!!

وقال أيضاً : " أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الطَّنَاجِيرِيُّ، أنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الْوَاعِظُ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بِسْطَامٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، ثنا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، ثنا عَبْدُ الرزَّاق قَالَ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ الثَّوري: حَدِّثْنَا بِحَدِيثِ أَبِي الزَّعْرَاءِ كَمَا سَمِعْتَ ، قَالَ: " يَا سُبْحَانَ اللهِ ، وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ ، انَّما نَجيئُكُمْ بِالْمَعْنَى " . انظر : الكفاية في علم الرِّواية (ص٢٠٩).

وقال أيضاً : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقُرَشِيُّ ، بِأَصْبَهَانَ، أنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ، ثنا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الْأَزْدِيُّ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، ح وَأَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّد بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عِيسَى النَّاقِدُ ، وَاللَّفْظُ لَهُ، أنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّد الْفِرْيَابِيُّ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ، ثنا مَعْنٌ، ثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ مَكْحُولٍ ، قَالَ دَخَلْنَا عَلَى وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ فَقُلْنَا: يَا أَبَا الْأَسْقَعِ ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَيْسَ فِيهِ وَهْمٌ وَلَا نِسْيَانٌ ، فَقَالَ ، هَلْ قَرَأَ أَحَدٌ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: فَهَلْ زِدْتُمْ أَلِفًا أَوْ وَاوًا أَوْ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: إِنَّا لَنَزِيدُ وَنَنْقُصُ ، وَمَا نَحْنُ بِأُولَئِكَ فِي الْحِفْظِ؟ فَقَالَ: فَهَذَا الْقُرْآنُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَدْرُسُونَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،، فَكَيْفَ وَنَحْنُ نُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ سَمِعْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، إذا حَدَّثْتُكُمْ عَلَى مَعْنَاهُ فَحَسْبُكُمْ " . انظر : الكفاية في علم الرِّواية (ص٢٠٣).

وقال أيضاً : أَخْبَرَنَا الْبَرْقَانِيُّ، أنا ابْنُ خَمِيرَوَيْهِ الْهَرَوِيُّ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِدْرِيسَ، ثنا ابْنُ عَمَّارٍ، ثنا الْمُعَافَى ، عَنْ مِسْعَرٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، قَالَ: " إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَدِّثَكُمُ الْحَدِيثَ كَمَا سَمِعْنَاهُ ، وَلَكِنْ عَمُـــودُهُ ، وَنَحْوُهُ " . انظر : الكفاية في علم الرِّواية (ص٢٠٨).

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ بُرْهَانٍ الْغَزَّالُ وَأَبُو الْفَتْحِ هِلَالُ بْنُ مُحَمَّد بْنِ جَعْفَرٍ الْحَفَّارُ ، قَالَا: أنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّد الصَّفَّارُ ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُحَمَّد العبَّاس بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّرْقُفِيُّ ، سَمِعْتُ الْفِرْيَابِيَّ ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ ، يَقُولُ: " لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُحَدِّثَكُمْ بِالْحَدِيثِ كَمَا سَمِعْنَاهُ – وَقَالَ ابْنُ بُرْهَانٍ: كَمَا سَمِعْنَا – مَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ " . انظر : الكفاية في علم الرِّواية (ص٢٠٩) .

ويؤكِّد ما قلناه من أنَّ الحديث روي بالمعنى : أنَّه وردت أحاديث قريبة في موضوعها من موضوع رواية حديث معاوية بن الحكم ، تعارضها ، منها :

عَنْ عَوْنٍ ، عَنْ أَخِيهِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِي ﷺ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ: " أَيْنَ اللهُ؟ " فَأَشَارَتْ إِلَى السَّماء بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ، فَقَالَ لَهَا: " مَنْ أَنَا؟ " فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِلَى السَّمَاءِ، أَيْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: " أَعْتِقْهَا" . أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٢٨٥ برقم ٧٩٠٦) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف لاختلاط المسعودي. وأخرجه ابن خزيمة في "التَّوحيد" (١/ ٢٨٤-٢٨٥) عن مُحَمَّد بن رافع، وأبو داود (٣٢٨٤) ، ومن طريقه البيهقي (٧/ ٣٨٨) عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وابن عبد البر في "التَّمهيد" (٩/ ١١٥) من طريق مُحَمَّد بن العوَّام، ثلاثتهم عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وجعل إبراهيم بن يعقوب الرَّاوي عن أبي هريرة في حديثه هو عبد الله بن عتبة وليس ابنه عبيد الله. وأخرجه ابن خزيمة (١/ ٢٨٥-٢٨٦) من طريق أسد بن موسى، و (٢٨٦) من طريق أبي داود الطَّيالسي، كلاهما عن

المسعودي، به. وأخرجه ابن خزيمة أيضاً (١/ ٢٨٨) من طريق الحسين بن الوليد، عن مالك بن أنس، عن الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن أبي هريرة، عن النَّبي ﷺ ولم يسق لفظه، لكن ذكر ابن عبد البر أنَّه بلفظ حديث "الموطأ" سواء، وهو: أنَّ رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية له سوداء، فقال: يا رسول الله، إن عليَّ رقبةً مؤمنةً، فإن كنت تراها مؤمنة أُعتِقُها. فقال لها رسول الله ﷺ: "أتشهدين أن لا إله إلَّا الله؟ " قالت: نعم. قال: "أتشهدين أنَّ محمَّداً رسولُ الله؟ " قالت: نعم. قال: "أتوقنين بالبعث بعد الموتِ؟ " قالت: نعم. فقال رسول الله ﷺ: "أعتِقْها". قلنا: هذا هو اللفظ الصَّحيح للحديث إن شاء الله، لكن أخطأ الحسين بن الوليد في إسناد هذا الحديث عن مالك، فقد اتَّفق رواة "الموطَّأ" على إرساله، لم يذكروا فيه أبا هريرة، قاله ابن عبد البر في "التَّمهيد" (٩/ ١١٤) ، والحديث مرسلاً في "الموطَّأ" برواية يحيى الليثي (٢/ ٧٧٧) . وتابع مالكاً على إرساله يونسُ بن يزيد عند البيهقي (١٠/ ٥٧) من طريق مُحمَّد بن عبد الله بن الحكم، عن ابن وهب، عنه، عن الزُّهري، به. ووصله معمر، عن الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن رجل من الأنصار: أنَّه جاء بأمة سوداء ... فذكره، وهذا إسناد صحيح، وسيأتي تخريجه في "المسند" (٣/ ٤٥١-٤٥٢) . وله شاهد من حديث الشَّريد بن سويد الثَّقفي: أنَّ أُمَّه أوصت أن يعتق عنها رقبة مؤمنة، فسأل رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: عندي جارية سوداء، أو نوبيَّة، فأُعتقها؟ فقال: "ائتِ بها" فدعوتها، فجاءت، فقال لها: "من ربُّك؟ " قالت: الله. قال: "من أنا؟ " فقالت: أنت رسول الله. قال: "أعتقها، فإنها مؤمنة". وسيأتي في مسنده (٤/ ٢٢٢) ، وإسناده حسن. وآخر من حديث ابن عبَّاس عند البزَّار (١٣- كشف الأستار) ، والطَّبراني في "الكبير" (١٢٣٦٩) : أنَّ رجلاً أتى النَّبي ﷺ فقال: "إنَّ عليَّ رقبة، وعندي جارية سوداء أعجميَّة، فقال: "ائتني بها" فقال: "أتشهدين أن لا إله إلَّا الله؟ " قالت: نعم. قال: "أتشهدين أنِّي رسول الله؟ " قالت: نعم. قال: "أعتقها". وفيه مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي ليلى، وهو سيِّء الحفظ. لكنَّه يُحسَّن في المتابعات والشَّواهد. وثالث من حديث معاوية بن الحكم، سيأتي في مسنده (٥/ ٤٤٧) ، لكن قال فيه: "أين الله؟ " فقالت: في السَّماء. قال: "من أنا؟ " قالت: أنت رسول الله .

وَعَنْ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ بِجَارِيَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً. فَإِنْ كُنْتَ تَرَاهَا مُؤْمِنَةً أُعْتِقُهَا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَّ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَشْهَدِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «أَتُوقِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «أَعْتِقْهَا " . أخرجه مالك في الموطَّأ (٢/ ٧٧٧ برقم ٩).

وَعَنْ عُبَيْدِ الله ابْنِ عَبْدِ الله، عَنْ رَجُلٍ، مِنَ الْأَنْصَارِ أنه جَاءَ بِأَمَةٍ سَوْدَاءَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَإِنْ كُنْتَ تَرَى هَذِهِ مُؤْمِنَةً أَعْتَقْتُهَا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: " أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله؟ " قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: "

أَتَشْهَدِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ " قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ: " أَتُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ " قَالَتْ: نَعَمْ ، قَالَ: " أَعْتِقْهَا " .

أخرجه أحمد في المسند (٢٥/ ١٩ برقم ١٥٧٤٣) ، قال الأرنؤوط في تخريجه : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير صحابيَّه. عبد الرزَّاق: هو ابن همام الصَّنعاني، ومعمر: هو ابن راشد البصري، وعبيد الله بن عبد الله: هو ابن عتبة ابن عبد الله بن مسعود. وهو عند عبد الرزَّاق في "المصنف" (١٦٨١٤) ، ومن طريقه أخرجه ابن خزيمة في "التَّوحيد" (ص ١٢٤) . وأخرجه مالك في "الموطأ" (٢/ ٧٧٧) ، وأخرجه البيهقي في "السُّنن" (١٠/ ٥٧) من طريق يونس بن يزيد، كلاهما عن الزُّهري، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، أنَّ رجلاً من الأنصار ... قال البيهقي: هذا مرسل. قال ابن عبد البر في "التَّمهيد" (٩/ ١١٤) : ظاهره الإرسال، لكنَّه محمولٌ على الاتصال، للقاء عبيد الله جماعة من الصحابة. وتعقَّبه الزُّرقاني في "شرح الموطَّأ" (٤/ ٨٥) بقوله: وفيه نظر، إذ لو كان كذلك ما وجد مرسلٌ قط، ثمَّ قال: فلعلَّه أراد للقاء عبيد الله جماعة من الصَّحابة الذين رووا هذا الحديث. وأورده الهيثمي في "مجمع الزَّوائد" (١/ ٢٣) ، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصَّحيح. قلنا: ورواه المسعودي وهو مختلط- فيما سلف في مسند أبي هريرة (٧٩٠٦) - عن عون بن عبد الله، عن أخيه عبيد الله، عن أبي هريرة، أنَّ رجلاً أتى النَّبي ﷺ بجارية سوداء أعجميَّة، فقال: يا رسول الله، إنّ علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ : "أين الله؟ " فأشارت إلى السَّماء بأصبعها السبَّابة، فقال لها: "من أنا؟ " فأشارت بأصبعها إلى رسول الله وإلى السَّماء، أي: أنت رسولُ الله. فقال: "أعتقها". قال الزُّرقاني في "شرح الموطَّأ" (٤/ ٨٦) : أخرجه ابن عبد البرّ، وقال: أنَّه خالف حديث ابن شهاب في لفظه ومعناه، وجعله عن أبي هريرة، وابنُ شهاب يقول: رجل من الأنصار أنَّه جاء بأمةٍ له سوداء، وهو أحفظ من عون، فالقولُ قولُه. انتهى. ثمَّ قال الزُّرقاني: فإن كانت القصَّة تعدَّدت فلا خلف، وإن كانت متَّحدة، فيمكن أن لعبيدِ الله فيه شيخين، رجل من الأنصار رواها له عن نفسه، وأبو هريرة رواها عن قصَّة ذلك الرَّجل، ويُؤول قولُه: قالت: نعم، على أنَّها قالت بالإشارة، وأنَّه وقع منها الأمران، فقالت: نعم باللفظ حين قوله: "أتشهدين.. الخ"، وأشارت إلى السَّماء حين قوله: "أين الله"، و"من أنا"، فذكر كلّ من الزُّهري وعون ما لم يذكر الآخر، والعلم عند الله.

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ، عَنْ أَخِيهِ عُبَيْدِ اللهَّ بْنِ عَبْدِ اللهَّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبي ﷺ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ، فَقَالَ: إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَقَالَ لَهَا النَّبي ﷺ : «مَنْ رَبُّكِ؟» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَتْ: اللهُّ، فَقَالَ: «فَمَنْ أَنَا؟» فَقَالَتْ: رَسُولُهُ، وَأَوْمَأَتْ بِيَدِهَا إِلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ النَّبي ﷺ : «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» . أخرجه الطَّبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٩٥ برقم ٢٥٩٨) .

وَعَنْ عَوْنَ بْنَ أَبِي جُحَيْفَةَ يُحَدِّثُ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ امْرَأَةٌ ، وَمَعَهَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَفَتُجْزِئُ عَنِّي هَذِهِ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَيْنَ اللهُ ؟ قَالَتْ : فِي السَّماء قَالَ : فَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُهُ قَالَ : أَتَشْهَدِينَ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّالله " . أخرجه الطَّبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١١٦ برقم ٢٩٧) ، البيهقي في السُّنن الكبرىٰ (٧/ ٦٣٧ برقم ١١٥٢٦).

وَعَنِ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُمِّي أَوْصَتْ إِلَيَّ أَنْ أَعْتِقَ عَنْهَا رَقَبَةً وَإِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً سَوْدَاءَ نُوبِيَّةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " ادْعُ بِهَا " فَقَالَ: " مَنْ رَبُّكِ؟ " قَالَتْ: اللهُ، قَالَ: " فَمَنْ أَنَا؟ " قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ قَالَ: " أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ " . أخرجه البيهقي في السُّنن الكبرىٰ (٧/ ٦٣٨ برقم ١٥٢٧٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِي اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ النَّبي ﷺ قَالَ: إِنَّ عَلَىَّ أُمِّي رَقَبَةً وَعِنْدِي أَمَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَ النَّبي ﷺ : ائْتِنِي بِهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ: أَتَشْهَدِينَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قال: فأعتقها . أخرجه البزَّار في المسند (١١/ ٥٥ برقم ٤٧٤٩) ...

وهناك روايات عديدة في هذا الباب...

فالنَّاظر في الرِّوايات السَّابقة يجد أنَّها جاءت بألفاظ مغايرة للفظ " أين الله " ... فقد جاء الحديث بلفظ : " مَنْ رَبُّكِ " ، " أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله " ، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: " أَتَشْهَدِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله " ، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: " أَتُوقِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ " ...

قال الشَّيخ مُحَمَّد زاهد الكوثري في تعليقه علىٰ " السَّيف الصَّقيل في الرَّدِّ علىٰ ابن زَفيل " للسُّبكي ، عند ذكر حديث الجارية ما نصّه : " وراوي هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار ، وقد اختلفت ألفاظه فيه ، ففي لفظ له : "فمدَّ النَّبي ﷺ يده إليها وأشار إليها مستفهماً مَن في السَّماء ..." الحديث، فتكون المحادثة بالإشارة علىٰ أنَّ اللفظ يكون ضائعاً مع الخرساء الصمَّاء ، فيكون اللفظ الذي أشار إليه النَّاظم والمؤلِّف لفظ أحد الرُّواة علىٰ حسب فهمه لا لفظ الرَّسول ﷺ ، ومثل هذا الحديث يصحُّ الأخذ به فيما يتعلَّق بالعمل دون الاعتقاد ، ولذا أخرجه مسلم في باب تحريم الكلام في الصَّلاة دون كتاب الإيمان !!! حيث اشتمل علىٰ تشميت العاطس في الصَّلاة ومنع النَّبي ﷺ عن ذلك ، ولم يخرجه البخاري في صحيحه ، وأخرج في جزء خلق الأفعال ما يتعلَّق بتشميت العاطس من هذا الحديث مقتصراً عليه دون ما يتعلَّق بكون الله في السَّماء ، بدون أي إشارة إلىٰ أنَّه اختصر الحديث... " . انظر : السَّيف الصَّقيل في الرَّد علىٰ ابن زفيل (ص١٠٧).

وإذا أردنا التَّرجيح بينها ، فليس إلَّا رواية : " أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله ؟" أَتَشْهَدِينَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ " ، لأنَّهما مفتاح الدُّخول في الإسلام ، فلا يُعتبر الإنسان مسلماً إلَّا إذا نطق بهما ، إلَّا إذا كان عاجزاً عن ذلك لِعِلَّة ...

وهما شعار الإسلام ، لا يصحُّ الدِّين إلَّا بهما ، وهذا من المعلوم من الدِّين بالضَّرورة ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلىٰ الْيَمَنِ، قَالَ: " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أهل كِتَابٍ، فَادْعُهُم إِلىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عزَّ وجلَّ حِجَابٌ " .

أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٩٨ برقم ٢٠٧١) ، قال الأرنؤوط في تخريجه للحديث : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشَّيخين. يحيىٰ بن عبد الله بن صيفي: هو يحيىٰ بن عبد الله بن مُحَمَّد بن يحيىٰ بن صيفي المكِّي، وأبو معبد: اسمه نافذ المكِّي. وأخرجه أبو داود (١٥٨٤) ، وابن منده في "الإيمان" (١١٧) من طريق أحمد بن حنبل، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري (٢٤٤٨) ، وابن ماجه (١٧٨٣) ، والتِّرمذي (٦٢٥) و (٢٠١٤) ، والنَّسائي (٥/ ٥٥) ، وابن خزيمة (٢٣٤٦) ، والدَّارقطني (٢/ ١٣٥-١٣٦) ، والبيهقي (٧/ ٨) ، والبغوي (١٥٥٧) من طرق عن وكيع، به. وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ١١٤) ، وعنه مسلم (١٩) (٢٩) عن وكيع، عن زكريَّا بن إسحاق، عن يحيىٰ بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عبَّاس، عن معاذ بن جبل، وقال مسلم: قال أبو بكر: ربَّما قال وكيع: عن ابن عبَّاس أنَّ معاذاً قال: بعثني ... وأخرجه الدَّارمي (١٦١٤) و (١٦٣١) ، والبخاري (١٣٩٥) و (١٤٩٦) و (٤٣٤٧) و (٧٣٧٢) ، ومسلم (١٩) (٣٠) ، والنَّسائي (٢/ ٥-٤) ، وابن خزيمة (٢٢٧٥) ، وابن منده (١١٦) ، والبيهقي (٤/ ٩٦ و٧/ ٧) من طرق عن زكريَّا بن إسحاق، به. وأخرجه البخاري (١٤٥٨) و (٧٣٧١) ، ومسلم (١٩) (٣١) ، وابن حبَّان (١٥٦) ، والطَّبراني (١٢٢٠٧) و (١٢٢٠٨) ، والدَّارقطني (٢/ ١٣٦) ، وابن منده (٢١٣) و (٢١٤) ، والبيهقي (٤/ ١٠١) و(٢/ ٧) من طريق إسماعيل بن أميَّة، عن يحيىٰ بن عبد الله، به قوله: "كرائم أموالهم "، قال ابن الأثير في "النِّهاية" (٤/ ١٦٧) ، أي نفائسَها التي تتعلَّقُ بها نفسُ مالكها ويختصُها لها، حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقّها، وواحدتها: كريمة. وقوله: "فادعهم إلىٰ شهادة ... الخ "، قال السِّندي: أراد أن يَدعُوَهم إلىٰ الإسلام بالتَّدريج، لأنَّه أقربُ إلىٰ الطَّاعة بخلاف ما لو عرض عليهم ديناً مخالفاً لدينهم في أشياءَ كثيرة، فإنَّ ذلك يُنَفِّرهم ويبعدهم عن القَبُول، فلا دلالة في الحديث علىٰ أنَّ مع أنَّ التَّكليف بالفروع بعد الإيمان، كيف وقد أخر الدَّعوة إلىٰ الزَّكاة عن الدَّعوة إلىٰ الصَّلاة، مع أنَّ التَّكليف بالزَّكاة لا يتأخَّر عن التَّكليف بالصَّلاة.

أمَّا عن مفتاح الدُّخول في الإيمان ، فقد وضَّحه الرَّسول ﷺ في حديث جبريل الشَّهير ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: " الإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ " . أخرجه البخاري (٦/ ١١٥ برقم ٤٧٧٧) ...

وروىٰ مسلم في صحيحه (١/ ٣٦ برقم ٨) بسنده عن عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، وفيه : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» .

رَابِعَاً : أنَّ العديد من أهل العلم تكلَّموا علىٰ الحديث...

قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزَّار : " وهذا الحديث قد رُوِيَ بنحو معناه عَنِ النَّبِي ﷺ مِنْ وُجُوهٍ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ " . انظر : مسند البزَّار المنشور باسم البحر الزخار (١١/ ٢٤١) .

وقال الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي : " وَهَذَا صَحِيحٌ، قَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مُقَطَّعًا مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ وَحَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ دُونَ قِصَّةِ الْجَارِيَةِ، وَأَظُنُّهُ انَّما تَرَكَهَا مِنَ الْحَدِيثِ لِاخْتِلَافِ الرُّوَاةِ فِي لَفْظِهِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ الظِّهَارِ مِنَ السُّنن مُخَالَفَةَ مَنْ خَالَفَ مُعَاوِيَةَ بْنَ الْحَكَمِ فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٥) .

أمَّا الحافظ ابن حجر فأشار في كتابه " التَّلخيص الحبير " بعد أن ذكر روايات الحديث إلىٰ اضطراب الحديث بقوله : " وَفِي اللَّفْظِ مُخَالَفَةٌ كَثِيرَةٌ " . انظر : التَّلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرَّافعي الكبير (٣/ ٤٨٠) .

وقال الحافظ ابن حجر في " الفتح " : فَإِنَّ إِدْرَاكَ الْعُقُولِ لِأَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ قَاصِرٌ ، فَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَىٰ حُكْمِهِ لِمَ وَلَا كَيْفَ ، كَمَا لَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ فِي وجوده أَيْن وَحَيْثُ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٢٠-٢٢١) .

وقال الإمام مُحَمَّد زاهد الكوثري في تعليقه علىٰ "الأسماء والصِّفات " للبيهقي : " وقصَّة الجارية مذكورة فيما بأيدينا من نُسخ مسلم ، لعلَّها زيدت فيها بعد إتماماً للحديث ، أو كانت نسخة المصنِّف ناقصة ؟ وقد أشار المصنِّف أي البيهقي إلىٰ اضطراب الحديث بقوله : " وقد ذكرت في كتاب الظِّهار من " السُّنن " مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث " . انظر : الأسماء والصفات ، البيهقي ، (هامش ص٥٣٣) ، تحقيق : الكوثري ، دار الكتب اعلمية ، بيروت.

وقال الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغُماري : " رواه مسلم وأبو داود والنَّسائي . وقد تصرَّف الرُّواة في ألفاظه ، فروي بهذا اللفظ كما هنا وبلفظ " من ربُّك؟ " قالت: الله ربِّي. وبلفظ "أتشهدين أن لا إله إلَّا الله؟ " قالت: نعم . وقد أستوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي في " السُّنن الكُبْرَىٰ " بحيث يجزم الواقف عليها أنَّ اللفظ المذكور هنا مرويٌّ بالمعنىٰ حسب فهم الرَّاوي ... " . انظر : التَّمهيد (٧/ ١٣٥ هامش).

خَامِسَاً : أنَّ ظاهرالحديث يدلُّ على أنَّ الله تعالى في السَّماء ، بمعنى أنَّ السَّماء تحويه ، وهذا عيْن الحُلول ، وهي عقيدة باطلة ، فلا يجوز أبداً اعتقاد أنَّ الله يحلُّ في شيء من مخلوقاته ، لأنَّه سبحانه الغني الذي لا يحتاج إلى ما سواه من خلقه ، وكلُّ ما سواه من خلقه محتاجٌ له ... فمقولة " الله في السَّماء " ، تعني : أن السَّماء تُحيط به سبحانه وتعالى من سائر الجهات ، بحيث يكون سبحانه أصغر منها !!! ثمَّ إنَّ صرف المتسلِّفة لعبارة : " في السَّماء " إلى " على السَّماء " هو نوع من التَّأويل الذي يفرُّون منه ، وإن ادَّعوا أنَّه ليس تأويلاً.

سَادِسَاً : أنَّ الأينيَّة تدلُّ وتُستخدم في غير المكان ... نقول : أين الثَّرى من الثُّريَّا ... والأين هنا للتَّمييز بين شيئين بينهما بونٌ كبير ... فالفرق كبيرٌ بين التُّراب والسَّماء ... كما أنَّ الأين تُستخدم للدِّلالة على استشعار مراقبة الله تعالى واطِّلاعه على أعمال وأقوال الخلق ...فقد روي أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَقِيَ رَاعِيًا بِطَرِيقِ مَكَّةَ قَالَ لَهُ: بِعْنِي شَاةً؟ قَالَ: لَيْسَتْ لِي. قَالَ لَهُ: فَتَقُولُ لِأَهْلِكَ أَكَلَهَا الذِّئْبُ؟ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ. قَالَ: اسْمَعْ، وَافِنِي هَاهُنَا إِذَا رَجَعْتَ مِنْ مَكَّةَ، وَمُرْ مَوْلَاكَ يُوَافِينِي هَاهُنَا، فَلَمَّا رَجَعَ لَقِيَ رَبَّ الْغَنَمِ وَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ، وَاشْتَرَى مِنْهُ الْغُلَامَ، فَأَعْتَقَهُ وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ. أخرجه أبو داود في الزُّهد (١/ ٢٦٢ برقم ٢٩٣) .

سَابِعَاً : أنَّ الحديث يَنسب إلى الله تعالى المكان ، وقد اجتمعت كلمة الأمَّة على تنزيه الله تعالى عن المكان ...

قال الإمام أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت الكوفيّ (١٥٠هـ) في كتابه " الفقه الأبسط " ما نصّه : " مَن قَالَ لَا أعرِفُ رَبِّي فِي السَّماء أَوْ فِي الأرض فَقَد كَفَر " . انظر : الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر) (١٣٥) .

ومراد الإمام أنَّ من نسب إلى الله التَّحيُّز والمكان ثمَّ قال لا أعرف هل مكانه السَّماء أم الأرض فهو كافرٌ.

وقال الإمام إبراهيم بن السَّري بن سهل، أبو إسحاق الزجَّاج (٣١١هـ) : " الْعليُّ هُوَ فعيل فِي معنى فَاعل فَالله تَعَالَى عَال على خلقه وَهُوَ عَليّ عَلَيْهِم بقدرته ، وَلَا يجب أَن يذهب بالعلوّ ارْتِفَاع مَكَان ، إِذْ قد بَيَّنَّا أَنَّ ذَلِك لَا يجوز فِي صِفَاته تقدَّست ، وَلَا يجوز أَن يكون على أَن يتَصَوَّر بذهن أَو يتجلَّى لطرف ، تَعَالَى عَن ذَلِك علوّاً كَبِيراً " . انظر : تفسير أسماء الله الحسنى (ص٤٨).

وقال الإمام الطَّحاوي الحنفي (٣٢١هـ) في " عقيدته " ما نصّه : " وَتَعَالَى – أي الله – عَنِ الْحُدُودِ وَالْغَايَاتِ، وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ " .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) : " وأنَّ الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزَّهاً عن المماسَّة والاستقرار والتَّمكُّن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كلِّ شيء، إلى تُخوم الثَّرى، فوقيَّة لا تزيده قرباً إلى العرش والسَّماء، بل هو رفيع الدَّرجات عن العرش، كما أنَّه رفيع الدَّرجات عن الثَّرى، وهو مع ذلك

قريب من كلِّ موجود، وهو أقرب إلىٰ العبد من حبل الوريد، وهو علىٰ كلِّ شيء شهيد ". انظر : الإبانة عن أصول الديانة (ص٢١) .

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) : " الأَصْل فِيهِ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا مَكَان ، وَجَائِز ارْتِفَاع الْأَمْكِنَة وبقاؤه علىٰ مَا كَانَ ، فَهُوَ علىٰ مَا كَانَ وَكَانَ علىٰ مَا عَلَيْهِ الْآن ، جلَّ عَن التَّغَيُّر والزَّوال والاستحالة والبطلان ، إِذْ ذَلِك أَمَارَات الْحَدث الَّتِي بهَا عرف حدث الْعَالم وَدلَالَة إحتمال الفناء ، إِذْ لَا فرق بَين الزَّوَال من حَال إلىٰ حَال ليعلم أَنَّ حَاله الأولىٰ لم تكن لذاته ، إِذْ لَا يحْتَمل زَوَال مَا لزم ذَاته وَبَين أَنَّهَا لَيست لذاته لما احْتمل هُوَ قبُول الْأَعْرَاض وانتقال الْأَحْوَال ، وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللهِ " . انظر : التَّوحيد (ص٦٩).

وقال أيضاً : " فَإِن قيل كَيفَ يرىٰ ؟!! قيل : بِلَا كَيفَ ، إِذْ الْكَيْفِيَّة تكون لذي صُورَة بل يرىٰ بِلَا وصف قيام وقعود ، وإتِّكاء وَتعلّق ، وإتِّصال وانفصال ، ومقابلة ومدابرة ، وقصير وطويل ، وَنور وظلمة ، وَسَاكن ومتحرِّك ، ومماسّ ومباين ، وخارج وداخل ، وَلَا معنىٰ يَأْخُذهُ الْوَهم أَو يقدره الْعقل لتعاليه عَن ذَلِك " . انظر : المرجع السابق (ص٨٥).

وقال أيضاً : " ... ثمَّ الله سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا مَكَان وعَلىٰ ذَلِك اعْتِقَاد الْأَنَام لم يجز أَن يتَغَيَّر الْفَهم عَن الْإِضَافَة عَمَّا كَانَ من قبل وَإِلَيْهِ ينْصَرف الْفَهم عَن الْإِضَافَة إلىٰ خلقه " . انظر : المرجع السابق (ص١٠٦) .

وقال أيضاً : " أَنَّ الله سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا مَكَان ، وَجَائِز ارْتِفَاع الْأَمْكِنَة وبقاؤه علىٰ مَا كَانَ ، فَهُوَ علىٰ مَا كَانَ ، وَكَانَ علىٰ مَا عَلَيْهِ الْآن ، جلَّ عَن التَّغَيُّر والزَّوال ، والاستحالة والبطلان ، إِذْ ذَلِك أَمَارَات الْحَدث الَّتِي بهَا عرف حدث الْعَالم وَدلَالَة احتمال الفناء إِذْ لَا فرق بَين الزَّوَال من حَال إلىٰ حَال ليعلم أَنَّ حَاله الأولىٰ لم تكن لذاته إِذْ لَا يحْتَمل زَوَال مَا لزم ذَاته وَبَين أَنَّهَا لَيست لذاته لما احْتمل هُوَ قبُول الْأَعْرَاض وانتقال الْأَحْوَال وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللهِ ... " . انظر : التَّوحيد (ص٦٨-٧٧ باختصار).

وقال الإمام ابن حبَّان (٣٥٤هـ) : " الْحَمد لله الَّذِي لَيْسَ لَهُ حد مَحْدُود فيحوىٰ ، وَلَا لَهُ أجل مَعْدُود فيفنىٰ ، وَلَا يُحِيط بِهِ جَوَامِع الْمَكَان ، وَلَا يشْتَمل عَلَيْهِ تَوَاتر الزَّمان ، وَلَا يدْرك نعْمَته بالشَّواهد والحواس ، وَلَا يُقَاس صِفَات ذَاته بِالنَّاسِ ، تعاظم قدره عَن مبالغ نعت الواصفين ، وَجلَّ وَصفه عَن إِدْرَاك غَايَة الناطقين " . انظر : الثقات (١/١) .

وقال الإمام ابن فورك الأنصاري الأصبهاني (٤٠٦هـ) : " وَاعْلَم أَنَّا إذا قُلْنَا إِنَّ الله عزَّ وَجلَّ فَوق مَا خلق لم يرجع بِهِ إِلىٰ فوقيَّة الْمَكَان والإرتفاع علىٰ الْأَمْكِنَة بالمسافة والإشراف عَلَيْهَا بالمماسَّة لشَيْء مِنْهَا " . انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص١٧٣).

وقال الإمام أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التَّميمي الحنبلي (٤١٠هـ) إمام وفقيه ، رئيس الحنابلة في عصره في كتابه " اعتقاد الإمام المبجَّل ابن حنبل " : " وأنكر على من يقول بالجسم ، وقال : إنَّ الأسماء مأخوذة بالشَّريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كلِّ ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ، والله تعالى خارج عن ذلك كلّه ، فلم يجز أن يسمَّى جسماً لخروجه عن معنى الجسميَّة ولم يجىء في الشَّريعة ذلك فبطل " . انظر : اعتقاد الإمام ابن حنبل (ص٢٩٨).

وقال الإمام ابن بطَّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (٤٤٩هـ) ، على ما نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، قال : " وَقَالَ بن بَطَّالٍ : غَرَضُ الْبُخَارِيِّ فِي هَذَا الْبَابِ الرَّدُّ عَلَى الجهميَّة الْمُجَسِّمَةِ فِي تَعَلُّقِهَا بِهَذِهِ الظَّوَاهِرِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِجِسْمٍ ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَقِرُّ فِيهِ ، فَقَدْ كَانَ وَلَا مَكَانَ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٤١٦) .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) ما نصّه : " وَاسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا فِي نَفْيِ الْمَكَانِ عَنْهُ بِقَوْلِ النَّبِي ﷺ : " أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» . وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ". وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَهُ شَيْءٌ وَلَا دُونَهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي مَكَانٍ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ٢٨٧) .

وقال الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الأشعري (٤٧٨ هـ) : " البارىء سبحانه وتعالى قائمٌ بنفسه ، متعالٍ عن الافتقار إلى محلٍّ يحلّه أو مكانٍ يُقله " . انظر : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٣).

وقال الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " وَأَنَّهُ لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ ، كَمَا تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ الزَّمان وَالْمَكَانَ ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى ما عليه كان " . انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٩٠) .

وقال أيضاً : " الأصل السَّابع : العلم بأنَّ الله تعالى منزَّه الذَّات عن الاختصاص بالجهات ، فإنَّ الجهة إمَّا فوق وإمَّا أسفل وإمَّا يمين وإمَّا شمال أو قدَّام أو خلْف ، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين ، أحدهما : يعتمد على الأرض ويسمَّى رِجْلاً ، والآخر يقابله ويسمَّى رأساً ، فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرَّأس ، واسم السّفل لما يلي جهة الرِّجل ، حتَّى إنَّ النَّملة التي تدبُّ منكَّسة تحت السَّقف تنقلب جهة الفوق في حقِّها تحتاً ، وإن كان في حقِّنا فوقاً " . انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ١٠٧) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن ثابت الرِّفاعي الحسيني (٥٧٨ هـ) : " أي سادة نزِّهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين وطهِّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقِّه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول ، تعالى الله عن ذلك ، وأيَّاكم والقول بالفوقيَّة والسُّفليَّة والمكان " . انظر : البرهان المؤيد (ص١٦).

وقال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) : " ما أكثر تفاوت النَّاس في الفُهوم ! حتَّىٰ العلماء يتفاوتون التَّفاوت الكثير في الأصول والفروع : فترىٰ أقوامًا يسمعون أخبار الصِّفات ، فيحملونها علىٰ ما يقتضيه الحسّ ، كقول قائلهم : ينزل بذاته إلىٰ السَّماء ، وينتقل!! وهذا فهم رديء ؛ لأنَّ المنتقل يكون من مكان إلىٰ مكان ، ويوجب ذلك كون المكان أكبر منه، ويلزم منه الحركة ، وكلُّ ذلك محال علىٰ الحقّ عزَّ وجلَّ " . انظر : صيد الخاطر (ص٤٨٧-٤٨٨).

وقال الإمام ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " المُرَادُ بقُرْب الْعَبْدِ مِنَ اللهِّ تَعَالَىٰ القُرْب بالذِكْر وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا قُرْبُ الذَّاتِ وَالْمَكَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ، واللهُّ يَتَعالىٰ عَنْ ذَلِكَ ويَتَقدّس " . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٢) .

وقال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُشَبِّهَةَ احْتَجُّوا عَلَىٰ إِثْبَاتِ الْمَكَانِ للهِّ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ : **﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ﴾** [الملك:١٦] ، وَالْجَوَابُ عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةُ لَا يُمْكِنُ إِجْرَاؤُهَا عَلَىٰ ظَاهِرِهَا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَنَّ كَوْنَهُ فِي السَّماء يَقْتَضِي كَوْنَ السَّماء مُحِيطًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ ، فَيَكُونُ أَصْغَرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَالسَّمَاءُ أَصْغَرُ مِنَ الْعَرْشِ بِكَثِيرٍ ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللهُّ تَعَالَىٰ شيئاً حَقِيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ الْعَرْشِ ، وَذَلِكَ بِاتِّفَاقِ أهل الإسلام مُحَالٌ ، وَلِأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ : **﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلْ للهِ﴾** [الْأَنعَامِ: ١٢] فَلَوْ كَانَ اللهُّ فِي السَّماء لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا لِنَفْسِهِ وَهَذَا مُحَالٌ، فَعَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ يَجِبُ صَرْفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا إِلىٰ التَّأْويل " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣٠/ ٥٩٢) .

وقال الإمام ابن الحاج (٧٣٧هـ) : " ... إِذْ لَيْسَ فِي مَكَانٍ فَقَدْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الْمَكَانُ " . انظر : المدخل (٢/ ١٤٩) .

وقال الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) : " وَ (الْعَلِيُّ) يُرَادُ بِهِ عُلُوُّ الْقَدْرِ وَالْمَنْزِلَةِ لَا عُلُوُّ الْمَكَانِ، لِأَنَّ اللهَّ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّحَيُّزِ " . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٧٨) .

وقال الإمام النَّسفي (٧١٠هـ) : " ... لأنَّه تعالىٰ كان ولا مكان ، فهو علىٰ ما كان قبل خلق المكان ، لم يتغيَّر عمَّا كان " . انظر : تفسير النَّسفي (٢/ ٣٥٧) .

وقال الإمام ابن حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ) : " ... وعند هُنَا لَا يُرَادُ بِهَا ظَرْفُ الْمَكَانِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَكَانِ ، بَلِ الْمَعْنَىٰ شَرَفُ الْمَكَانَةِ وَعُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ " . انظر : البحر المحيط في التَّفسير (٧/ ٤١٦) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ جِهَتَيِ الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ مُحَالٌ عَلَى اللهِّ أَنْ لَا يُوصَفَ بِالْعُلُوِّ ، لِأَنَّ وَصْفَهُ بِالْعُلُوِّ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَىٰ ، وَالْمُسْتَحِيلُ كَوْنُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْحِسِّ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ١٣٦) .

وقال الإمام الزَّبيدي : " ... أنَّه سبحانه لا مكان له ولا جهة ، قال الشَّافعي رحمه الله تعالى : والدَّليل عليه هو أنَّه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزليَّة كما كان قبل خلقه المكان ، لا يجوز عليه التَّغيير في ذاته ، ولا التَّبديل في صفاته " . انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ٢٣) .

وقال أيضاً : " (إذ لا يماثل قُربه قُرب الأجسام كما لا تماثل ذاته) الشَّريفة (ذات الأجسام وأنَّه) تعالى (لا يحلُّ في شيء) لا ذاته ولا صفاته ، أمَّا ذاته فلانَّ الحلول هو الحصول في الحيِّز تبعاً ، والله تعالى منزَّه عن التَّحيز ، ولأنَّ الحلول ينافي الوجوب الذاتي لافتقار الحال إلى المحل ، وأمَّا صفاته فلانَّ الانتقال من صفات الأجسام والله تعالى منزَّه عن الجسميَّة كما مرَّ (ولا يحلُّ فيه شيء تعالى) وتقدَّس (عن أن يحويه مكان) ، فيشار إليه أو تضمُّه جهة ، وانَّما اختصَّت السَّماء برفع الأيدي إليها عند الدُّعاء ، لأنَّها جعلت قبلة الأدعية كما أنَّ الكعبة جعلت قبلة المصلِّي يستقبلها في الصَّلاة ، ولا يقال : أنَّ الله تعالى في جهة الكعبة (كما تقدَّس عن أن يحدّه زمان) ، لأنَّ المحدود محتو على أجزاء الماهيَّة ، والله تعالى منزَّه عن ذلك ، كما تقدَّم (بل كان) تعالى (قبل أن خلق الزَّمان والمكان) ، والعرش والكرسي والسَّماوات والأرضيين (وهو الآن على ما عليه) من سلطة الأزليَّة كما (كان) قبل خلقه الزَّمان والمكان وغيرهما (وأنَّه) تعالى (بائن عن خلقه بصفاته) العليَّة (ليس في ذاته سواه جلَّ وعزَّ ولا في سواه ذاته) الشَّريفة (وأنَّه) تعالى (مقدَّس) منزَّه (عن التَّغير) من حال إلى حال (والانتقال) من مكان إلى مكان وكذا الاتِّصال والانفصال ، فانَّ كلاً من ذلك من صفات المخلوقين ... " . انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ٢٥) ...

سَابِعَاً : أنَّ العلماء أوَّلوا وتكلَّموا عمَّا جاء في الحديث من قول الجارية " في السَّماء " ، وصرَّحوا بضرورة عدم حمل اللفظ على ظاهر معناه ، وأنَّه يجب تأويله ونظيره بما ينسجم مع القواطع العقليَّة ، وكذا قواعد اللغة العربيَّة ، مع التَّأكيد على أنَّه تعالى لا يَتَوجَّهُ علَيهِ في وجوده أَين ...

ومن تأويلات العلماء لما جاء في حديث الجارية من لفظ الأين :

جاء في منح الجليل شرح مختصر خليل : " قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُ حِينَ قِيلَ لَهُ: أَيْنَ اللَّهُ: الَّذِي أَيْنَ الْأَيْنُ لَا يُقَالُ فِيهِ أَيْنَ؟ فَبَيَّنَ لِلسَّائِلِ فَسَادَ سُؤَالِهِ بِأَنَّ الْأَيْنِيَّةَ مَخْلُوقَةٌ، وَالَّذِي خَلَقَهَا كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ خَلْقِهَا لَا مَحَالَةَ، وَلَا أَيْنِيَّةَ لَهُ، وَصِفَاتُهُ تَعَالَى لَا تَتَغَيَّرُ فَهُوَ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْأَيْنِيَّةَ عَلَى مَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِهَا " . انظر : منح الجليل شرح مختصر خليل (٤/ ٢٤٨) .

وجاء في " كنز العُمَّال في سُنن الأقوال والأفعال " : " عن الأصبغ بن نباتة قال: كنَّا جلوساً عند علي بن أبي طالب فأتاه يهودي فقال: يا أمير المؤمنين متى كان الله؟ فقمنا إليه فلهزناه حتَّى كدنا نأتي على نفسه، فقال عليٌّ: خلُّوا عنه، ثمَّ قال : اسمع يا أخا اليهود ما أقول لك بأذنك واحفظه بقلبك، فإنَّما أحدِّثك عن كتابك الذي جاء به موسى بن

عمران، فإن كنت قد قرأت كتابك وحفظته فإنَّك ستجده كما أقول، انَّما يقال متىٰ كان لمن لم يكن ثمَّ كان، فأمَّا من يزل بلا كيف يكون كان بلا كينونة، كائن لم يزل قبل القَبْل وبعد البَعْد لا يزال بلا كيف ولا غاية ولا منتهىٰ، إليه ، انقطعت دونه الغايات فهو غاية كلّ غاية. فبكىٰ اليهودي وقال: والله يا أمير المؤمنين أنَّها لفي التَّوراة هكذا حرفاً حرفاً، وإنِّي أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله". (الأصبهاني في الحجَّة) " . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١/ ٤٠٧-٤٠٨) ، وانظر : الحجَّة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة (٢/ ١٩٥) .

قال الإمام أبو حنيفة : " قلت : أَرَأَيت لَو قيل : أَيْن الله تَعَالَىٰ ؟ فَقَالَ : يُقَال لَهُ : كَانَ الله تَعَالَىٰ وَلَا مَكَان قبل أن يخلق الْخلق ، وَكَانَ الله تَعَالَىٰ وَلم يكن أَيْن وَلَا خلق كل شَيْء وَهُوَ خَالق كل شَيْء " . انظر : الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر علىٰ الفقهين الأبسط والأكبر) (ص١٦١).

وقال الإمام الخطَّابي (٣٨٨هـ) : " وأمَّا قول النَّبي ﷺ : " أعتقها فإنَّها مؤمنة " ، ولم يكن ظهر له من إيمانها أكثر من قوله حين سألها : أين الله ؟ فقالت : في السَّماء ، وسألها : من أنا ؟ فقالت : رسول الله ﷺ ، فإنَّ هذا السُّؤال عن أمارة الإيمان وسمة أهله ، وليس بسؤال عن أصل الإيمان وصفة حقيقته !!! ولو أنَّ كافراً يريد الانتقال من الكفر إلىٰ دين الإسلام فوصف من الإيمان هذا القدر الذي تكلَّمت به الجارية لم يصرّ به مسلماً حتَّىٰ يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ ، ويتبرَّىٰ من دينه الذي كان يعتقده، وانَّما هذا كرجل وامرأة يوجدان في بيت فيقال للرَّجل من هذه منك ؟ فيقول : زوجتي وتصدِّقه المرأة ، فإنَّا نصدِّقهما في قولهما ، ولا نكشف عن أمرهما ، ولا نطالبهما بشرائط عقد الزَّوجية حتَّىٰ إذا جاءانا وهما أجنبيان يريدان ابتداء عقد النِّكاح بينهما فإنَّا نطالبهما حينئذ بشرائط عقد الزَّوجية من إحضار الولي والشُّهود وتسمية المهر. كذلك الكافر إذا عُرض عليه الإسلام لم يقتصر منه علىٰ أن يقول : إنِّي مسلم حتَّىٰ يصف الإيمان بكماله وشرائطه ، وإذا جاءنا من نجهل حاله بالكفر والإيمان ، فقال : إنِّي مسلم قبلناه، وكذلك إذا رأينا عليه أمارة المسلمين من هيئة وشارة ونحوهمـــا حكمنا بإسلامه إلىٰ أن يظهر لنا منه خلاف ذلك " . انظر : معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود (١/ ٢٢٢-٢٢٣) .

وقال الإمام ابن فورك الأصبهاني (٤٠٦هـ) : " ذكر خبر آخر مِمَّا يَقْتَضِي التَّأويل ويوهم ظَاهره التَّشْبِيه.

وَهُوَ من الْأَخْبَار الْمَشْهُورَة عِنْد أهل النَّقْل ، وَذَلِكَ مِمَّا يتَعَلَّق بِذكر الْمَكَان ، وَقد رُوِيَ فِي مَعْنَاهُ أَخْبَار سنذكرها أَوَّلاً فأوَّلاً فَمن ذَلِك : مَا رُوِيَ فِي الْخَبَر أَنَّ جَارِيَة عرضت علىٰ رَسُول الله ﷺ مِمَّن أُرِيد عتقهَا فِي الْكَفَّارَة ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ لَهَا : " أَيْن الله " ؟ فَأَشَارَتْ إِلىٰ السَّماء ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : " اعتقها فَإِنَّهَا مُؤمنَة " .

اعْلَم أَنَّ الْكَلَام فِي ذَلِك من وَجْهَيْن:

أَحدهمَا : فِي تَأْوِيل قَوْله ﷺ : " أَيْن الله " مَعَ إستحالة كَونه فِي مَكَان.

وَالثَّانِي : قَوْله : " أَنَّهَا مُؤمنَة " من غير ظُهُور عمل مِنْهَا.

فَأَمَّا الْكَلَام فِيمَا يتَضَمَّن قَوْله ﷺ : " أَيْن الله " فَإِنَّ ظَاهر اللُّغَة تدل من لفظ أَيْن أَنَّهَا مَوْضُوعَة للسُّؤَال عَن الْمَكَان ، ويستخبر بهَا عَن مَكَان المسؤول عَنهُ بأين إذا قيل : أَيْن هُوَ ، وَذَلِكَ أَنَّ أهل اللُّغَة قَالُوا لما ثقل على أهل اللِّسَان فِي الإستفهام عَن الْمَكَان أَن يَقُولُوا : أهوَ فِي الْبَيْت أم فِي الْمَسْجِد أم فِي السُّوق أم فِي بقْعَة كَذَا وَكَذَا وضعُوا لَفْظَة تجمع لجمع الْأَمْكِنَة يستفهمون بهَا عَن مَكَان المسؤول عَنهُ بأين ، وَهَذَا هُوَ أصل هَذِه الْكَلِمَة ، غير أَنَّهم قد استعملوها عَن مَكَان الْمَسْئُول عَنهُ فِي غير هَذَا الْمَعْنى توسُّعاً أيضاً تَشْبِيهاً بِمَا وضع لَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهم يَقُولُونَ عِنْد استعلام منزلَة المستعلم عِنْد من يستعلمه : أَيْن منزلَة فلَان مِنْك ؟ وَأَيْنَ فلَان من الْأَمِير ؟ واستعملوه فِي إستعلام الْفرق بَين الرُّتبتين بِأَن يَقُولُوا : أَيْن فلَان من فلَان ، وَلَيْسَ يُرِيدُونَ الْمَكَان وَالْمحل من طَرِيق التَّجَاوز فِي الْبِقَاع بل يُرِيدُونَ الإستفهام عَن التُّربة والمنزلة ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ : لفُلَان عِنْد فلَان مَكَان ومنزلة ، وَمَكَان فلَان فِي قلب فلَان حسن ، ويريدون بذلك الْمرتبَة والدَّرجة فِي التَّقْرِيب والتَّبعيد وَالْإِكْرَام والإهانة ، فَإِذا كَانَ ذَلِك مَشْهُوراً فِي اللُّغَة احْتمل أَن يُقَال : إِنَّ معنى قَوْله ﷺ : " أَيْن الله استعلام لمنزلته وَقدره عِنْدهَا وَفِي قَلبهَا ، وأشارت إِلَى السَّمَاء ودلَّت بإشارتها على أَنَّه فِي السَّمَاء عِنْدهَا على قَول الْقَائِل :إِذا أَرَادَ أَن يخبر عَن رفْعَة وعلو منزلَة فلَان فِي السَّمَاء ، أَي : هُوَ رفيع الشَّأْن عَظِيم الْمِقْدَار ، كَذَلِك قَوْلهَا فِي السَّمَاء على طَرِيق الْإِشَارَة إليها تَنْبِيها عَن محَله فِي قَلبهَا ومعرفتها بِهِ.

وَإِنَّمَا أشارت إِلَى السَّمَاء لِأَنَّهَا كَانَت خرساء ، فدلَّت بإشارتها على مثل دلَالَة الْعبارَة على نَحْو هَذَا الْمَعْنى ، وَإِذا كَانَ كَذَلِك لم يجز أَن يحمل على غَيره مِمَّا يَقْتَضِي الْحَد والتَّشبيه والتَّمكين فِي الْمَكَان والتَّكييف.

وَمن أَصْحَابنَا من قَالَ : إِنَّ الْقَائِل إذا قَالَ : إِنَّ الله فِي السَّمَاء وَيُرِيد بذلك أَنَّه فَوْقهَا من طَرِيق الصّفة لَا من طَرِيق الْجِهَة على نَحْو قَوْله سُبْحَانَهُ : ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] لم يُنكر ذَلِك.

وَأَمَّا قَوْله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام : " اعتقها فَإِنَّهَا مُؤمنَة " ، فَيحْتَمل أَن يكون قد عرف إِيمَانهَا بِوَحْي فَأخْبر بذلك عَن ظُهُور إشارتها الَّتِي هِيَ عَلامَة من عَلَامَات الإيمان.

وَيحْتَمل أَن يكون سَمَّاهَا مُؤمنَة على الظاهرمن حَالهَا وَأَنَّ ذَلِك الْقدر يَكْفِي من الْمَطْلُوب من إِيمَان من يُرَاد عتقه وَأَنَّه لَا يعْتَبر بعد ذَلِك ظُهُور الْأَعْمَال وَالْوَفَاء بالعبادات " . انظر : مشكل الحديث وبيانه (ص١٥٨-١٦١).

وقال الإمام طاهر بن مُحَمَّد الأسفراييني، أبو المظفَّر (٤٧١هـ) : " وَأَن تعلم أَنَّه لَا يجوز عَلَيْهِ الْكَيْفِيَّة والكميَّة والأينيَّة ، لِأَنَّ من لَا مثل لَهُ لَا يُمكن أَن يُقَال فِيهِ : كَيفَ هُوَ ؟ وَمن لَا عدد لَهُ لَا يُقَال فِيهِ كم هُوَ ؟ وَمن لَا أول لَهُ لَا يُقَال لَهُ مِم كَانَ ؟ وَمن لَا مَكَان لَهُ لَا يُقَال فِيهِ أَيْن كَانَ . وَقد ذكرنَا من كتاب الله تَعَالَى مَا يدلُّ على التَّوحيد وَنفي التَّشْبِيه وَنفي الْمَكَان والجهة وَنفي الِابْتِدَاء والأوليَّة ، وَقد جَاءَ فِيهِ عَن أَمِير الْمُؤمنِينَ عَليّ رَضِي الله عَنهُ أشفى الْبَيَان

حِين قيل لَهُ أَيْن الله ؟ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي أَيَّن الأين لَا يُقَال لَهُ أَيْن ، فَقيل لَهُ : كَيفَ الله ؟ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي كَيَّفَ الكيف لَا يُقَال لَهُ كَيفَ " . انظر : التبصير في الدِّين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص١٦١).

وقال الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التّجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (٤٧٤هـ) : " وَقَوْلُهُ: لِلْجَارِيَةِ أَيْنَ اللهُ؟ فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهَا تُرِيدُ وَصْفَهُ بِالْعُلُوِّ وَبِذَلِكَ يُوصَفُ كُلُّ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ فَيُقَالُ مَكَانُ فُلَانٍ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى عُلُوِّ حَالِهِ وَرِفْعَتِهِ وَشَرَفِهِ " . انظر : المنتقى شرح الموطإ (٦/ ٢٧٤) .

وقال الإمام السَّرخسي (٤٨٣هـ) : " فَأَمَّا الْحَدِيثُ فَقَدْ ذُكِرَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الرَّجُلَ قَالَ : عَلَيَّ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ أَوْ عَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ أَنَّ عَلَيْهِ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً ، فَلِهَذَا امْتَحَنَهَا بِالْإِيمَانِ مَعَ أَنَّ فِي صِحَّةِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ كَلَامًا ، فَقَدْ رُوِيَ «أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: أَيْنَ الله ؟ فَأَشَارَتْ إلى السَّمَاءِ» وَلَا نَظُنُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّه يَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يُثْبِتَ للهِ تَعَالَى جِهَةً وَلَا مَكَانًا، وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي الْآيَةِ لِأَنَّ الْكُفْرَ خَبَثٌ مِنْ حَيْثُ الاِعْتِقَادِ، وَالْمَصْرُوفُ إلى الْكَفَّارَةِ لَيْسَ هُوَ الاِعْتِقَادُ انَّما الْمَصْرُوفُ إلى الْكَفَّارَةِ الْمَالِيَّةُ وَمِنْ حَيْثُ الْمَالِيَّةِ هُوَ عَيْبٌ يَسِيرٌ عَلَى شَرَفِ الزَّوَالِ " . انظر : المبسوط (٧/ ٤) .

وقال الإمام المازري المالكي (٥٣٦هـ) : " ... قيل : انَّما أراد عليه السَّلام أن يتطلَّب دليلاً على أنَّها موحِّدة فخاطبها بما تفهم به قصده ، إذ من علامات الموحِّدين التَّوجُّه إلى السَّماء عند الدُّعاء وطلب الحوائج ، لأنَّ العرب التي تعبد الأصنام تطلب حوائجها من الأصنام والعجم من النِّيران ، فأراد ﷺ الكشف عن معتقدها: هل هي من جملة من آمن؟ فأشارت إلى السَّماء وهي الجهة المقصودة عند الموحِّدين كما ذكرنا. وقيل: انَّما وَجْهُ السُّؤال بـ (أين) هاهنا سؤال عمَّا تعتقده من جلال الباري سبحانه وعظمته، وإشارتها إلى السَّماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها ، والسَّماء قبلة الدَّاعين كما أنَّ الكعبة قبلة المصلِّين ، فكما لم يدلُّ استقبال الكعبة على أنَّ الله جلَّت قدرته فيها لم يدلُّ التَّوجُّه إلى السَّماء، والإشارة على أنَّ الله سبحانه حالٌّ فيها " . انظر : المُعْلم بفوائد مسلم (١/ ٤١٢) .

وقال الإمام ابن العربي المالكي (٥٤٣هـ) : " والمراد بالسُّؤال بها عنه تعالى المكانة ، فإنَّ المكان يستحيل عليه " . انظر : عارضة الأحوذي (١١/ ١٩٤) .

وقال الإمام عياض بن موسى اليحصبي السّبتي (٥٤٤هـ) : " وقول النَّبى ﷺ للجارية: " أين الله؟ "، قال الإمام: انَّما أراد النبى ﷺ أن يطلب دليلاً على أنَّها موحدة، فخاطبها بما يفهم قصده، إذ علامة الموحِّدين التَّوجُّه إلى الله إلى السَّماء عند الدُّعاء وطلب الحوائج؛ لأنَّ العرب التى تعبد الأصنام، وتطلب حوائجها من الأصنام، والعجم من النِّيران، فأراد – عليه السَّلام – الكشف عن معتقدها هل هي ممَّن آمن؟ فأشارت إلى السَّماء، وهى الجهة المقصودة عند الموحِّدين ، كما ذكرنا.

وقيل: انَّما السُّؤال بأين هاهنا سؤال عمَّا تعتقده من جلالة الباري سبحانه وعظمته. وإشاراتها إلى السَّماء إخبار عن جلالته تعالى في نفسها، والسَّماء قِبْلَةُ الدَّاعين، كما أنَّ الكعبةَ قِبْلَةُ المصلين، كما لم يدلُّ استقبال القبلة على أنَّ الله تعالى فيها، كذلك لم يدلُّ التَّوجُّه إلى السَّماء والإشارة إلى السَّماء على أنَّ الله سبحانه فيها.

قال القاضي: لا خلاف بين المسلمين قاطبة – محدِّثِهم وفقيههم ومتكلِّمهم ومقلِّدهم ونُظَّارِهم – أَنَّ الظَّواهر الواردة بذكر الله في السَّماء كقوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] ، أنَّها ليست على ظاهرها، وأنَّها متأوَّلة عند جميعهم، أمَّا من قال منهم بإثبات جهة فوق لله تعالى من غير تحديد ولا تكييف من دهماء المحدثين والفقهاء، وبعض المتكلِّمين منهم، فتأوَّل في السَّماء بمعنى على، وأمَّا دهماء النظَّار والمتكلِّمين ، وأصحاب الإثبات والتَّنزيه المحيلين، أن يختص بجهة أو يحيط به حد، فلهم فيها تأويلات بحسب مقتضاها، منها ما تقدَّم ذكره في كلام الإمام أبي عبد الله ". انظر : شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسمَّى إِكمَالُ الْمُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم (٢/ ٤٦٥) .

وقال الإمام ابن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) : " قد ثبت عند العلماء أنَّ الله تعالى لا يحويه السَّماء والأرض ولا تضمُّه الأقطار ، وانَّما عرف بإشارتها تعظيم الخالق عندها " . انظر : دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (ص١٨٩).

وقال الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) : " إنَّ لفظ " أين " كما يجعل سؤالاً عن المكان ، فقد يجعل سؤالاً عن المنـزلة والدَّرجة ، يقال : أين فلان من فلان ، فلعلَّ السُّؤال كان عن المنـزلة ، وإشارتها إلى السَّماء ، أي : هو رفيع القدْر جدًّا " . انظر : أساس التقديس (ص١٨٦).

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمَدُ القرطبيُّ (٦٥٦هـ) : " وقوله ﷺ للجارية : " أين الله ؟ " هذا السُّؤال من النَّبي ﷺ تَنَزُّلٌ مع هذه الجارية على قدْر فهمها ؛ إذ أراد أن يظهر منها ما يدلُّ على أنَّها ليست ممَّن يعبد الأصنام ولا الحجارة التي في الأرض ... فأراد النَّبي ﷺ أن يتعرَّف منها : هل هي ممَّن يعتقد أنَّ معبوده في بيت الأصنام أم لا ؟ فقال لها : أين الله ؟ فقالت : في السَّماء ، فقنع منها بذلك وحكم بإيمانها ، إذ لم تتمكَّن من فهم غير ذلك ، وإذ نزَّهت الله تعالى عن أن يكون من قبيل معبوداتهم وأصنامهم ، ورفعته عن أن يكون في مثل أمكنتهم ، وحملها على ذلك أنَّها رأت المسلمين يرفعون أبصارهم وأيديهم إلى السَّماء عند الدُّعاء ، فتُرِكت على ذلك في تلك الحال لقصور فهمها إلى أن يتمكَّن فهمها ، وينشرح صدرها ، إذ لو قيل لها في تلك الحالة : الله تعالى يستحيل عليه المكان والزَّمان لخيْف عليها أن تعتقد النَّفي المَحْض والتَّعطيل ؛ إذ ليس كلّ عقل يقبل هذا ، ويعقله على وجهه ، بل إنَّما يعقله العالمون الذين شرح الله صدورهم لهدايته ، ونوَّر قلوبهم بنور معرفته ، وأمدّهم بتوفيقه ومعونته ، وأكثر الخلق تغلب عليهم الأوهام ، وتَكِلّ منهم الأفهام.

وكلُّ ذلك في الصَّحيحين ، ولحديث « «كُفُّوا عَنْ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » (١٥) .

وقيل في تأويل هذا الحديث : أنَّ النَّبي ﷺ إنَّما سألها بـ" أين " عن الرُّتبة المعنويَّة التي هي راجعة إلىٰ جلاله تعالىٰ وعظمته التي بها بَايَنَ كلَّ من نُسبت إليه الإلهيَّة ، وهذا كما يقال : أين الثُّريَّا من الثَّرَىٰ ، والبصرُ من العَمَىٰ ؛ أي : بُعْدَ ما بينهما ، واختصَّت الثُّريَّا والبصر بالشَّرف والرِّفعة . وعلىٰ هذا يكون قولها : " في السَّماء " ؛ أي : في غاية العلوّ والرفعة ، وهذا كما يقال : فلان في السَّماء ومناط الثُّريَّا ، كما قال :

وإنَّ بني عوف كما قد علمتم مناط الثُّريَّا قد تعلّت نجومُها

أقول هذا ، والله ورسوله أعلم ، والتَّسليم أسلم.

تنبيه : ثمَّ اعلم أنَّه لا خلاف بين المسلمين قاطبة ، محدّثهم ، وفقيههم ، ومتكلِّمهم ، ومقلِّدهم ، ونُظَّارهم : أنَّ الظَّواهر الواردة بذكر الله في السَّماء ؛ كقوله : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] ليست علىٰ ظاهرها ، وأنَّها متأوَّلة عند جميعهم . أمَّا من قال منهم بالجهة ، فتلك الجهة عنده هي جهة الفوق ، كما جاء في الأحاديث ، فلا بدَّ أن يُتَأَوَّل كونه في السَّماء ، وقد تأَوّلوه تأويلات ، وأشبه ما فيه : أنَّ " في " بمعنىٰ : " علىٰ " ، كما قال : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:٧١] ؛ أي : علىٰ جذوع النَّخل ، ويكون العلوّ بمعنىٰ الغلبة ، وأمَّا من يعتقد نفي الجهة في حقِّ الله تعالىٰ ، فهو أحقُّ بإزالة ذلك الظَّاهر ، وإجلال الله تعالىٰ عنه ، وأَوْلىٰ الفرق بالتَّأويل . وقد حصل من هذا الأصل المحقَّق : أنَّ قول الجارية : " في السَّماء " ليس علىٰ ظاهره باتِّفاق المسلمين ، فيتعيَّن أن يعتقد فيه أنَّه مُعَرَّض لتأويل المتأوِّلين ، وأنَّ مَنْ حمله علىٰ ظاهره فهو ضالٌّ من الضَّالِّين " . انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٧٣-٧٦) .

(١٥) أخرجه الطَّبراني في الكبير (١٢/ ٢٧٢ برقم ١٣٠٨٩) . ونصُّ الحديث هو : «كُفُّوا عَنْ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ أَكْفَرَ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَهُوَ إِلىٰ الْكُفْرِ أَقْرَبُ» .

قال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير "(٥/ ١٢) في شرحه لأهل " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " : " وهم من نطق بها ، أي : مع نطقه بالشَّهادة الثَّانية وإن لم يعلم ما في قلبه (لا تكفِّروهم بذنب) ارتكبوه ، وإن كان من أكبر الكبائر ، كالقتل والزِّنا والسَّرقة (فمن أكفر أهل لا إله إلَّا الله) ، أي : حكم بكفرهم (فهو إلىٰ الكفر أقرب) منه إلىٰ الإيمان ، فمخالف الحقّ من أهل القبلة ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريَّات الدِّين ، كحدوث العالم وحشر الأجساد ، فإنَّه حينئذ ليس من أهل لا إله إلَّا الله فنكفِّره . وقال عليٌّ كرّم الله وجهه : أعلم النَّاس بالله أشدّهم حبّاً وتعظيماً لأهل لا إله إلَّا الله.

قال ابن عربي : إيَّاك ومعاداة أهل لا إله إلَّا الله، فإنَّ لهم من الله الولاية العامَّة ، فهم أولياء الله ، ولو جاؤوا بقُراب الأرض خطايا لا يُشركون بالله ، لقيهم الله بمثلها مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته ، ومن لم يطلعك الله

وغير ذلك ، قال ابن القيّم : " أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْكَافِرَ إذا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَقَدْ دَخَلَ فِي الإسلام " انتهىٰ (١٦) .

وكذلك أجمع المسلمون أنَّ المرتدّ إذا كانت ردَّته بالشِّرك فإنَّ توبته بالشَّهادتين ، وأمَّا القتال إن كان ثمَّ إمام قاتل النَّاس حتَّىٰ يقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزَّكاة ، وكلُّ هذا مسطور مبين في كتب أهل العلم ، من طلبه وجده ، فالحمد لله علىٰ تمام الإسلام .

فَصْلٌ : إذا فهمتم ما تقدَّم فإنَّكم الآن تكفِّرون (١٧) من شهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده ، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وأقام الصَّلاة ، وآتىٰ الزَّكاة ، وصام رمضان ، وحجَّ البيت ، مؤمناً بالله وملائكته

علىٰ عداوته لله فلا تتَّخذه عدوّاً ، فإذا تحقَّقت أنَّه عدو الله وليس إلَّا المشرك فتبرَّأ منه ، كما فعل إبراهيم بأبيه ، ولا تعادِ عباد الله بالإنكار ، ولا بما ظهر علىٰ اللسان ، بل اكره فعله لا عينه ، والعدو لله إنَّما يكره عينه ، ففرق بين من يكره عينه وهو عدو الله ، ومن يكره فعله وهو المؤمن العاصي " .

(١٦) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٢١) .

(١٧) التَّكفير مظهرٌ خطيرٌ من مظاهر التَّطرُّف والغلو ، يترتَّب عليه استباحة الدِّماء والأموال ، والتَّفريق بين المسلم وزوجته وولده ، وإذا مات لا يغسَّل ولا يكفَّن ولا يصلَّىٰ عليه ، ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، ولا يرث ولا يورث ... ولذلك حذَّر الرَّسول ﷺ أشدَّ التَّحذير من تكفير المسلم ، فقال : «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا». أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٤) ، مسلم (١/ ٧٩ برقم ٦٠) .

وقال ﷺ : «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ» . أخرجه البخاري (٨/ ١٥ برقم ٦٠٤٥) .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٤٦٦) : " وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ قَالَ لِآخَرَ : أَنْتَ فَاسِقٌ أَوْ قَالَ لَهُ أَنْتَ كَافِرٌ ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ كَمَا قَالَ ، كَانَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْوَصْفِ الْمَذْكُورِ " .

ولذلك كلّه نقول : أنَّ باب التَّكفير في ديننا ضيّق الضِّيق كلّه ، فإذا ما ارتكب إنسان أمراً مكفِّراً ، فإنَّ الواجب يقضي بضرورة محاورته وتقديم الأدلَّة النقليَّة والعقليَّة علىٰ أنَّ الأمر الذي وقع هو من باب المكفِّرات ، مع الشَّرح والبيان عمَّا يترتَّب علىٰ كفره ... لا أن نُفرغ جامَّ غضبنا وتكفيرنا عليه لأوَّل وهلة...

فمسألة التَّكفير مسألة عويصة ، وهي من الخطورة بمكان ، طالما تعثَّرت بها أقدام ، وزلَّت فيها أقلام ، وضلَّت فيها أفهام ، تشتَّت فيها الآراء ، وتناوشتها الأهواء ، لأنَّ التَّكفير حكمٌ شرعيٌّ مردُّه إلىٰ الله ورسوله ، فلا يجوز

للمسلم أن يكفِّر أحداً إلَّا ببيِّنة وبرهان قطعي لا تحوم حوله الشُّبهات ، فقد يكون المُكفَّر مُكرهاً ، والله تعالىٰ يقول : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهَّ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وقد يكون المُكَفَّر غير قاصد الكفر ، بل صدر منه ما به كُفْر سبق لسان ، فمن لم يقصد الكفر لا يكفر ولو صدر عنه ما يوجب الكفر ، فإن غلط لسانه ونطق بالكفر من غير قصد فإنَّه لا يكفر بذلك ، لما ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : " للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إليه ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَىٰ شَجَرَةً ، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إذا هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ " . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٤ برقم ٢٧٤٧) .

وقد يكون جاهلاً ، فيُعذر ، لما رواه أَبو وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِحُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، فَمَرَرْنَا عَلَىٰ شَجَرَةٍ يَضَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ كَمَا قَالَ أهل الْكِتَابِ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : ﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ أنَّكم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَنَّكم سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " . أخرجه الطَّيالسي في المسند (٢/ ٦٨٢ برقم ١٤٤٣) ، أحمد في المسند (٥/ ٢١٨ برقم ٢٢٢٤٢) ، الحميدي في المسند (٢/ ٣٧٥ برقم ٨٤٨) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٥/ ١٠١ برقم ٣٨٥٣٠) ، التِّرمذي (٤/ ٤٥ برقم ٢١٨٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ٣٧ برقم ٧٦) ، مُحَمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في السُّنَّة (١/ ١٧ برقم ٣٩) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١٥/ ٩٤ برقم ٦٧٠٢) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٤ برقم ٣٢٩١) ، أبو يعلىٰ في المسند (٣/ ٣٠ برقم ١٤٤١).

وقد يكون المُكَفَّر في حالة وَجَلٍ وخَوفٍ وغيبوبةٍ فتفوَّه بما لم يرده ، بدليل ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبي ﷺ ، قَالَ : " كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فلمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إذا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثمَّ اطْحَنُونِي ، ثمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللهَّ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً ، فلمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللهُّ الأرض فَقَالَ : اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ " وَقَالَ غَيْرُهُ : " مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ " . أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦ برقم ٣٤٨١) ، مسلم (٤/ ٢١١٠ برقم ٢٧٥٦).

وقد يكون المُكَفَّر ممَّن لم تقم عليهم الحجَّة ، فمن لم تقم عليه الحجَّة ويثبت موجب الكفر عليه ، فلا يجوز تكفيره ، لقول الله تعالىٰ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً﴾ [الإسراء: ١٥] .

وقد دلَّت آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث الرَّسول ﷺ على خطورة التَّكفير ، من ذلك:

قوله تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** [النساء: ٩٤] ، قال الإمام الرَّازي : " ... ثمَّ قَالَ تَعَالَى : **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾** . أَرَادَ الِانْقِيَادَ وَالِاسْتِسْلَامَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : **﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾** [النحل: ٨٧] ، أَيِ اسْتَسْلَمُوا لِلْأَمْرِ ، وَمَنْ قَرَأَ السَّلام بِالْأَلِفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ : أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّلام الَّذِي يَكُونُ هُوَ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْ : لَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّاكُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ أَنَّه انَّما قَالَهَا تَعَوُّذاً فَتُقْدِمُوا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ لِتَأْخُذُوا مَالَهُ ، وَلَكِنْ كُفُّوا وَاقْبَلُوا مِنْهُ مَا أَظْهَرَهُ . وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : لَا تَقُولُوا لِمَنِ اعْتَزَلَكُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ لَسْتَ مُؤْمِناً ، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ السَّلَامَةِ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَ طَالِبٌ لِلسَّلَامَةِ " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٠/ ١٨٩) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " ... وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ شيئاً مِنْ عَلَامَاتِ الإسلام لَمْ يَحِلَّ دَمُهُ حتَّى يُخْتَبَرَ أَمْرُهُ ، لِأَنَّ السَّلام تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ هَذِهِ عَلَامَةً " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٥٩) .

وقد جاءت السُّنَّة المطهَّرة بالوعيد الشَّديد لمن تجرَّأ على التَّكفير ، ومن ذلك قوله ﷺ : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ " . أخرجه مسلم (١/ ٧٩ برقم ٦٠) ، أحمد في المسند (٢/ ٦٠ برقم ٥٢٥٩).

وقوله ﷺ : " إذا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا " . أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٣) ، الطَّيالسي في المسند (٣/ ٣٧٥ برقم ١٩٥٢) ، ابن المقرئ في المعجم (ص٩٩ برقم ٢٣٢) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٦٤٠ برقم ٥٩٤) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦/ ١١٠١ برقم ١٨٩٦).

وقوله ﷺ : " لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ ". أخرجه البخاري (٨/ ١٥ برقم ٦٠٤٥) ، الأدب المفرد (ص٢٠١ برقم ٤٣٢) ، البغوي في شرح السنة (١٣/ ١٣٢ برقم ٣٥٥٢) .

وقوله ﷺ : " ... وَمَنْ رَمَى مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ " . أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٥) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٣ برقم ١٦٤٣٢) ، الرُّوياني في المسند (٢/ ٤٣١ برقم ١٤٥٠) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٢/ ٧٢ برقم ١٣٢٦) ، البيهقي في السُّنن الكبرى (٨/ ٤٣ برقم ١٥٨٧٦) ، شعب الإيمان (٩/ ٤٥ برقم ٦٢٣٨).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا سِتْرٌ مِنَ الله ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ هُجْراً هَتَكَ سِتْرَهُ ، وَإِذَا قَالَ : يَا كَــــافِرُ ، فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا " . أخرجه الطَّبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٢٤ برقم ١٠٥٤٤) ، البزَّار في المسند (٥/ ٢٥٣ برقم ١٨٦٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦٩ برقم ٤٦٦٢ ، وقال : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : " وَنا مَرَّةً أُخْرَىٰ مَوْقُوفاً " قَالَ الشَّيخ أَحْمَدُ : الصَّوَابُ مَوْقُوفٌ كَمَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ) ، ابن بطَّة في الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٧٣٢ برقم ١٠٠١) .

وَعَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ : سَأَلْتُ جَابِراً وَهُوَ مُجَاوِرٌ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ نَازِلٌ فِي بَنِي فِهْرٍ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَداً مِنْ أهل الْقِبْلَةِ مُشْرِكاً ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللهِ ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ . قَالَ : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَداً مِنْهُمْ كَافِراً ؟ قَالَ : لَا . ذكره الهيثمي في مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٠٧ برقم ٤٠٨ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ والطَّبراني فِي الْكَبِيرِ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ) .

ومع كلِّ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من التَّحذير من المجازفة في التَّكفير الذي لا يلج بابه ويُسارع فيه إلَّا من لا عنده مسْكَة من ورعٍ ومخافة ... وذلك لما يترتَّب عليه من أحكام عديدة ...

فقد رأينا أقواماً ابتُليت الأُمَّة بهم قديماً وحديثاً لا همَّ لهم إلَّا تكفير المخالفين ، ولو كان المُخالف لهم جمهور الأُمَّة ، كما برهنَّا علىٰ ذلك ووضَّحنا في كتابنا : " تَكْفِيْرُ الوَهَّابِيَّة لِعُمُوْمِ الأُمَّة المُحَمَّدِيَّة" ...

والغريب في الأمر : أنَّك إن حاورت بعضهم في هذه المسألة أنكر واستكبر ، وعبس وبسر ، وقال : نحن لا نكفِّر ... والمخالفون هم من يكفِّروننا ، ويتَّهموننا بالتَّكفير ...

فالتَّكفير شرٌّ مستطير ، وخطرٌ كبير ، تتجنَّب ولُوجه القلوبُ المُؤمنة ، وتنفرُ منه النُّفوس السَّاكنة المطمئنَّة ، وما ذلك إلَّا بسبب ما يترتَّب عليه من أحكام مُفزِعة ، من أعظمها : غضبُ الجبَّار والخلود في النَّار ، قال الإمام أبو الفضل القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي (٥٤٤هـ) : " إِدْخَال كافِرٍ فِي المِلَّة وَإِخْرَاج مُسْلِم عَنْهَا عَظِيم فِي الدِّيْن " . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٢٧٧) .

وانسجاماً مع ما جاء في القرآن والسُّنَّة من الوعيد الشَّديد لمن يتجرَّأوون علىٰ تكفير الآخرين ، فقد حذَّر العلماء الربَّانيُّون من التَّكفير ، فعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : مَا يَضُرُّكَ شَهِدْتَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ بِكُفْرٍ أَوْ قَتَلْتَهُ . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٤٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٥) .

وقال الإمام ابن عبد البرّ (٤٦٣هـ) : " فَالْقُرْآنُ والسُّنَّة يَنْهَيَانِ عَنْ تَفْسِيقِ الْمُسْلِمِ وَتَكْفِيرِهِ بِبَيَانٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظَرِ الصَّحِيح الَّذِي لَا مِدْفَعَ لَهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الإسلام فِي وَقْتٍ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً أَوْ تَأَوَّلَ تَأْوِيلاً فَاخْتَلَفُوا بَعْدُ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الإسلام لَمْ يَكُنْ لِاخْتِلَافِهِمْ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ مَعْنىً يُوجِبُ حُجَّةً ، وَلَا

يُخْرِجُ مِنَ الإسلام الْمُتَفَقِ عَلَيْهِ إِلَّا بِاتِّفَاقٍ آخَرَ أَوْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ لَا مُعَارِضَ لَهَا . وَقَدِ اتَّفَقَ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَةُ وَهُمْ أهل الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ عَلَىٰ أَنَّ أَحَداً لَا يُخْرِجُهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ عَظُمَ مِنَ الإسلام ، وَخَالَفَهُمْ أهل الْبِدَعِ ، فَالْوَاجِبُ فِي النَّظَرِ أَنْ لَا يُكَفَّرَ إلا من اتَّفق الجميع علىٰ تكفيره أو قام عَلَىٰ تَكْفِيرِهِ دَلِيلٌ لَا مِدْفَعَ لَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْسُنَّةٍ " . انظر : التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ٢١-٢٢) .

وقال الإمام الزّركشي (٧٩٤هـ) : " لَا نُكَفِّرُ أَحَداً مِنْ أهل الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، أَيْ : لَا نُكَفِّرُهُمْ بِالذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ الْمَعَاصِي كَالزِّنَىٰ وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، خِلَافاً لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَفَّرُوهُمْ بِهَا . أَمَّا تَكْفِيرُ بَعْضِ " الْمُبْتَدَعَةِ لِعَقِيدَةٍ تَقْتَضِي " كُفْرَهُ حَيْثُ يَقْتَضِي الْحَالُ الْقَطْعَ بِذَلِكَ أَوْ تَرْجِيحَهُ فَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ بِقَوْلِنَا : بِذَنْبٍ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ بِكُفْرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ بِعَدَمِ كُفْرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مَحِلُّ التَّرَدُّدِ.

فَمِنْ الْأَوَّلِ : تَكْفِيرُ مَنْ صَارَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ إلىٰ قِدَمِ الْعَالَمِ " وَإِنْكَارِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَعِلْمِ اللهِّ " تَعَالَىٰ بِالْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ تَعَالَىٰ اللهُّ عَنْ ذَلِكَ . وَقَدْ حَكَىٰ الرُّويَانِيُّ فِي الْبَحْرِ عَنْ الْإِمَامِ " الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : لَا يُكَفَّرُ مِنْ أهل الْقِبْلَةِ إِلَّا وَاحِدٌ ، وَهُوَ مَنْ نَفَىٰ عِلْمَ اللهِّ عَنْ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا فَهُوَ كَافِرٌ.

وَمِنْ الثَّانِي : الْمُبْتَدِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُ بِدْعَتُهُ إِنْكَارَ أَصْلٍ فِي الدِّينِ .

وَمِنْ الثَّالِثِ : مَنْ خَالَفَ أهل السُّنَّة فِي كَثِيرٍ مِنْ الْعَقَائِدِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الإسلام وَالزَّنْدَقَةِ : فَهَؤُلَاءِ أَمْرُهُمْ فِي مَحِلِّ الإجتهاد وَالَّذِي يَنْبَغِي الِاحْتِرَازُ عَنْ التَّكفير مَا وَجَدَ إليه سَبِيلاً ، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنْ الْمُصَلِّينَ إلىٰ الْقِبْلَةِ الْمُصَرِّحِينَ بِالتَّوْحِيدِ خَطَأٌ ، وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنْ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ " . انظر : المنثور في القواعد الفقهيَّة (٣/ ٨٧-٨٨) .

وقال الإمام ابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " فلعنُ الْمُسلم الْمعِين حرَام وَأَشد مِنْهُ رميه بالْكفْر وَخُرُوجه من الإسلام ، وَفِي ذَلِك أُمُور غير مرضيَّة مِنْهَا : إشمات الْأَعْدَاء بِأَهْل هَذِه الْملَّة الزكيَّة ، وتمكينهم بذلك من الْقدح فِي الْمُسلمين ، واشتضعافهم لشرائع هَذَا الدِّين .

وَمِنْهَا : أَنَّه رُبَّمَا يقْتَدىٰ بالرَّامي فِيمَا رمىٰ ، فيتضاعف وزره بِعَدَد من تبعه مأثماً ، وَقَلَّ أَن يسلم من رمىٰ بِكفْر مُسلماً ، فقد خرَّج أَبُو حَاتِم مُحَمَّد بن حبَّان فِي صَحِيحه عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : " مَا أكفر رجلٌ رجلاً إِلَّا بَاء بِأَحَدِهِمَا بهَا ، فَإِن كَانَ كَافِراً وَإِلَّا كفر بتكفيره . وَله شَاهد فِي الصَّحِيحين من حَدِيث أبي ذَر وَابْن عمر رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنْهُم .

وَفِي صَحِيح البُخَارِيّ لَهُ شَاهد أيضاً من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ ، وَصَحَّ عَن ثَابت ابْن الضَّحَّاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ : " وَمن رمى مُؤمناً بِكفْر فَهُوَ كقتله " ، وَخرَّج أَبُو بكر البزَّار فِي مُسْنده عَن عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنْهُمَا ، قَالَ : رَسُول الله ﷺ : " إذا قَالَ الرَّجل لِأَخِيهِ يَا كَافِر فَهُوَ كقتله " .

ورِّينا من حَدِيث الثَّوري عَن يزِيد ابْن أبي زِيَاد عَن عَمْرو بن سَلمَة ، قَالَ : سَمِعت عبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُول : مَا من مُسلمين إِلَّا وَبَينهمَا ستر من الله عزَّ وجلَّ ، فَإِن قَالَ أَحدهمَا لِأَخِيهِ كلمة هجر خرق ستر الله الَّذِي بَينهمَا ، وَلَا قَالَ أَحدهمَا : أَنْت كَافِر إِلَّا كفر أَحدهمَا .

تَابعه مُحَمَّد بن فُضَيْل ، وَأَبُو إِسْحَاق الْفَزارِيّ ، عَن يزِيد . فَهَل بعد هَذَا الْوَعيد من مزِيد فِي التَّهديد ؟!! وَلَعَلَّ الشَّيطَان يزين لمن اتبع هَوَاهُ وَرمى بالْكفْر وَالْخُرُوج من الإسلام أَخَاهُ أَنَّه تكلَّم فِيهِ بِحَق ورماه ، وأنَّه من بَاب الْجَرْح وَالتَّعْدِيل لَا يَسعهُ السُّكُوت عَن الْقَلِيل من ذَلِك فَكيف بالجليل.

هَيْهَات هَيْهَات إِن فِي مجَال الْكَلَام فِي الرِّجَال عقبات مرتقيها على خطر ومرتقبها هوى لَا منجى لَهُ من الأثم وَلَا وزر ، فَلَو حاسب نَفسه الرَّامِي أَخَاهُ مَا السَّبَب الَّذِي هاج ذَلِك لتحقّق أَنَّه الْهوى الَّذِي صَاحبه هَالك " . انظر : الرد الوافر (ص١١-١٣) .

وقال الإمام مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) في كلامه على حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : بَعَثَ عَلِيٌّ – عَلَيْهِ السَّلام – وَهُوَ بِالْيَمَنِ إلى النَّبي ﷺ بِذُهَيْبَةٍ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبعَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهَّ : اتَّقِ اللهَّ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ أَوَ لَسْتُ أَحَقُّ أهل الأرض أَنْ يَتَّقِيَ اللهَّ ، ثمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ فَقَالَ : لَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي ، فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاس وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ " : " قَالَ النَّوَوِيُّ بَعْدَ أَنْ صَرَّحَ هُوَ وَالْخَطَّابِيُّ بِأَنَّ الْحَدِيثَ وَأَمْثَالَهُ يدلُّ عَلَى كُفْرِ الْخَوَارِجِ ، وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالاً مِنْ سَائِرِ الْمَسَائِلِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا الْمَعَالِي وَقَدْ رَغَّبَ إليه الْفَقِيهُ عَبْدُ الْحَقِّ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ الْغَلَطَ فِيهَا يَصْعُبُ مَوْقِعُهُ ؛ لِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي الْمِلَّةِ وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ مِنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّين . وَقَدْ اضْطَرَبَ فِيهَا قَوْلُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ ، وَنَاهِيك بِهِ فِي عِلْمِ الْأُصُولِ ، وَأَشَارَ ابْنُ الْبَاقِلَّانِيِّ إلى أنَّهَا مِنْ الْمُعَوِّصَاتِ ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُصَرِّحُوا بِالتَّكْفِيرِ ، وانَّما قَالُوا قَوْلاً يُؤَدِّي إلى ذَلِكَ.

وَأَنَا أَكْشِفُ لَك نُكْتَةَ الْخِلَافِ وَسَبَب الْإِشْكَال ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلِيَّ مَثَلاً : إذا قَالَ إِنَّ اللهَّ تَعَالَى عَالِمٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَحَيٌّ وَلَا حَيَاةَ لَهُ وَقَعَ الِاشْتِبَاهُ فِي تَكْفِيرِهِ ؛ لِأَنَّا عَلِمْنَا مِنْ دِينِ الأُمَّة ضَرُورةَ أَنَّ مَنْ قَالَ : إِنَّ اللهَّ لَيْس بِحَيٍّ وَلَا عَالِمٍ كَانَ كَافِراً ، وَقَامَتْ الحجَّة عَلَى اسْتِحَالَةِ كَوْنِ الْعَالِمِ لَا عِلْمَ لَهُ ، فَهَلْ يَقُولُ : إِنَّ الْمُعْتَزِلِيَّ إذا نَفَى الْعِلْمَ نَفَى أَنْ

يَكُونَ اللهُ عَالِماً ، أَوْ يَقُولُ : قَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَالِمٌ، فَلَا يَكُونُ نَفْيُهُ لِلْعِلْمِ نَفْياً لِلْعَالِمِ هَذَا مَوْضِعُ الْإِشْكَالِ . قَالَ : هَذَا كَلَامُ الْمَاوَرْدِيِّ وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَجَمَاهِيرِ أَصْحَابِهِ وَجَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ " . انظر : نيل الأوطار (١/ ٣٩٥) .

ولذلك يجب على غير العالم أن يبتعد عن دائرة التَّكفير ، بل عن الكلام في المسائل الشَّرعيَّة عامَّة ، كما يجب على العالم – غير المتخصِّص بالأصول – أن يُحيط عِلماً بشروط التَّكفير حتَّى لا يقع في المحظور ، لأنَّ الكلام والفتيا في الدِّين هي من الخطورة بمكان ، وهي عبارة عن توقيعٍ بالنِّيابة عن الله تعالى ، " وَإِذَا كَانَ مَنْصِبُ التَّوْقِيعِ عَنْ الْمُلُوكِ بِالْمَحِلِّ الَّذِي لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّاتِ ، فَكَيْفَ بِمَنْصِبِ التَّوْقِيعِ عَنْ رَبِّ الأرض وَالسَّمَوَاتِ ؟ فَحَقِيقٌ بِمَنْ أُقِيمَ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ أَنْ يَعُدَّ لَهُ عِدَّتَهُ ، وَأَنْ يَتَأَهَّبَ لَهُ أُهْبَتَهُ ، وَأَنْ يَعْلَمَ قَدْرَ الْمَقَامِ الَّذِي أُقِيمَ فِيهِ ، وَلَا يَكُونُ فِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالصَّدْعِ بِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَهَادِيهِ ، وَكَيْفَ هُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي تَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ رَبُّ الْأَرْبَابِ ، فَقَالَ تَعَالَى : **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾** [النساء : ١٢٧] ، وَكَفَى بِمَا تَوَلَّاهُ اللهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ شَرَفاً وَجَلَالَةً ؛ إذْ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾** [النساء : ١٧٦] ، وَلِيَعْلَمَ الْمُفْتِي عَمَّنْ يَنُوبُ فِي فَتْوَاهُ ، وَلِيُوقِنَ أَنَّه مَسْئُولٌ غَداً وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ " . انظر : إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (١/ ٩) .

مع العلم أنَّنا رأينا وسمعنا من لا يحسن الكلام في الطَّهارة و نواقض الوضوء أو أركان الصَّلاة ... يتجاسر في التَّكفير ، بل في تكفير عموم الأُمَّة ، والعياذ بالله ... بل رأينا بعضاً من أبناء المسلمين يهوون التَّكفير ، بل أنَّهم يصرِّحون بتكفير من خالفهم فيما ذهبوا إليه من آراء ، حتَّى لو كان ذلك في الفروع فضلاً عن الأصول ...

فقد صرَّح البعض بتكفير الإمام أبي حنيفة رحمة الله ... فقد جاء في كتاب "السُّنَّة" المنسوب لعبد الله بن أحمد جملة وافرة من النُّصوص التَّالفة والهزيلة والمكذوبة المصرِّحة بتكفير الإمام الأعظم أبي حنيفة ، من ذلك :

جاء في (١/ ١٨٠) : عوأُخْبِرْتُ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يُؤْجَرُ الرَّجُلُ عَلَى بُغْضِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ؟ قَالَ: إِي وَاللهِ .

وجاء في (١/ ١٨٤) : قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْنٍ: هُو أَبُو الْجَهْمِ فَكَأَنَّهُ أَقَرَّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوري يَقُولُ: قَالَ لِي حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ " اذْهَبْ إِلَى الْكَافِرِ يَعْنِي أَبَا حَنِيفَةَ...

وجاء في (١/ ١٨٧) : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ، ثنا أَبُو حَفْصٍ التِّنِّيسِيُّ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: «مَا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مَوْلِدٌ أَشَرُّ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي مُسْلِمٍ وَمَا أُحِبُّ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنِّي خَيْرٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمَا وَأَنَّ لِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» .

وجاء في (١/ ١٨٧) : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجُوَيْهِ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ الْحَرَّانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عِيسَىَ بْنَ يُونُسَ، يَقُولُ: خَرَجَ الْأَوْزَاعِيُّ عَلَيَّ وَعَلَىَ الْمُعَافَىٰ بْنِ عِمْرَانَ وَمُوسَىٰ بْنِ أَعْيَنَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِبَيْرُوهَ بِكِتَابِ السِّيَرِ وَمَا رُدَّ عَلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ فَقَالَ: " لَوْ كَانَ هَذَا الْخَطَأُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَوْسَعَهُمْ خَطَأً، ثُمَّ قَالَ: مَا وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مَوْلِدٌ أَشْأَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ " .

وجاء في (١/ ١٩٢) : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىَ بْنَ سَعِيدٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: «اسْتَتَابَ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ أَبَا حَنِيفَةَ مَرَّتَيْنِ» .

وجاء في (١/ ١٩٤) : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِيَ يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوري، يَقُولُ: «اسْتُتِيبَ أَبُو حَنِيفَةَ مِنَ الْكُفْرِ مَرَّتَيْنِ» .

وجاء في (١/ ١٩٦) : حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ، ثنا نُعَيْمُ بْنُ يَحْيَىٰ السَّعِيدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوري، يَقُولُ «مَا وَضَعَ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا وَضَعَ أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَبُو الْخَطَايَا» .

وجاء في (١/ ١٩٧) : حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي عَرَزَةُ الْخُرَاسَانِيُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَىٰ السِّينَانِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوري، يَقُولُ: «ضَرَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ قَبْرِ أَبِي حَنِيفَةَ طَاقًا مِنَ النَّارِ».

وجاء في (١/ ٢٠٢) : حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُزَاحِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْعُذْرِيَّ، يَقُولُ: قِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ مَاتَ أَبُو حَنِيفَةَ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَبَسَ بِهِ بَطْنَ الْأَرْضِ» ؟

وجاء في (١/ ٢٠٣) : حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ شَرِيكًا، يَقُولُ: «لَأَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ رَبْعٍ مِنْ أَرْبَاعِ الْكُوفَةِ خَمَّارٌ يَبِيعُ الْخَمْرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَنْ يَقُولُ بِقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ» .

وجاء في (١/ ٢٠٤) : حَدَّثَنِي هَارُونُ، حَدَّثَنِي شَاذَانُ، سَمِعْتُ شَرِيكًا، يَقُولُ: «أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ جَرَبٌ» .

وجاء في (١/ ٢١١) : حَدَّثَنِي أَبُو مَعْمَرٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَىٰ، قَالَ: سَأَلْتَ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: «ذَاكَ أَبُو جِيفَةَ، ذَاكَ أَبُو جِيفَةَ سَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْأَرْضَ» .

وجاء في (١/ ٢١٤) : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبُّوَيْهِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ فِي مَسْأَلَةٍ لِأَبِي حَنِيفَةَ: «قَطْعُ الطَّرِيقِ أَحْيَانًا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا» .

وجاء في (١/ ٢٢٣) : حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ، نا الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَرَجِ الْخَيَّاطُ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي سُوَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، يَقُولُ: «أَبُو حَنِيفَةَ هَذَا وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَارَ جَهَنَّمَ» .

وجاء في (١/ ٢٢٣) : أُخْبِرْتُ عَنْ مُطَرِّفٍ الْيَسَارِيِّ الْأَصَمِّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ «الدَّاءُ الْعُضَالُ الْهَلَاكُ فِي الدِّينِ أَبُو حَنِيفَةَ الدَّاءُ الْعُضَالُ» .

وجاء في (١/٢٢٨) : أُخْبِرْتُ عَنْ هَوْذَةَ بْنِ خَلِيفَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ وَقَدْ أُخِذَ بِلِحْيَتِهِ كَأَنَّهُ تَيْسٌ وَهُوَ يُدَارُ بِهِ عَلَى الْحِلَقِ يُسْتَتَابُ مِنَ الْكُفْرِ» .

وهناك الكثير الكثير من مثل ذلك ، فارجع إلى الكتاب لترى العجائب والغرائب ، ومع ذلك يسمَّى هذا الكتاب بكتاب "السُّنَّة" !!! فأيّ سُنَّة هذه التي احتوت على تكفير إمام كبير ، يتبع رأيه مئات الملايين ممَّن يقولون : لَا إِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّد رسول الله؟!!!!

وجاء في كتاب "شرح السُّنَّة" للبربهاري (ص١٠٠-١٠١) : "فإنَّه من استحلَّ شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب ، فإنَّه ليس يدين لله بدين ، وقد ردَّه كلَّه ، كما لو أنَّ عبداً آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى ، إلَّا أنَّه شكَّ في حرف ، فقد ردَّ جميع ما قال الله تعالى ، وهو كافر ..." .

أقول : لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ، فإنَّ البربهاري قال بما لم يسبق إليه ، مع أنَّ النَّاظر يجد أنَّ كتابه قد احتوى على العديد العديد من الأخبار والآثار الموضوعة والمكذوبة على رسول الله ﷺ ، وقد أشار محقِّق الكتاب إلى ذلك ، فارجع إليه لترى المصائب.

وجاء في شرح السُّنَّة للبربهاري -كذلك- (ص١١٣) : "وإذا سمعت الرَّجل تأتيه بالأثر فلا يريده ، ويريد القرآن ، فلا يُشكّ أنَّه رجل قد احتوى على الزَّندقة ، فقم من عنده ودعه" .

فهل بعد هذا الغلو غلو ، وهل بعد هذا التَّطرُّف تطرُّف ، بل هل بعد هذه المصائب والمعاطب بلاء ، نسأل الله السَّلامة...

وجاء فيه أيضاً (ص١١٤-١١٥) : "وإذا رأيت الرَّجل من أهل السُّنَّة رديء الطَّريق والمذهب ، فاسقاً فاجراً ، صاحب معاصي ضالَّاً وهو على السُّنَّة ، فاصحبه ، واجلس معه ، فإنَّه ليس يضرّك معصيته ، وإذا رأيت الرَّجل مجتهداً في العبادة ، متقشِّفاً محترقاً بالعبادة ، صاحب هوى ، فلا تُجالسه ، ولا تقعُد معه ، ولا تسمع كلامه ، ولا تمش معه في طريق ، فإنِّي لا آمن أن تستحلي طريقته ، فتهلك معه" .

وأنا لا أرى السُّنَّة التي دعا إليها البربهاري إلَّا السُّنَّة التي اشتمل عليها كتابه الذي أنقل منه ، وقد اشتمل على طامَّات ودواهي وأمور مستشنعات ، أمَّا السُّنَّة الصَّحيحة التي جاءت عن حبيبنا وسيِّدنا رسول الله ﷺ فلا شكَّ في أنَّها تشكِّل المصدر الثَّاني من مصادر التَّشريع الإسلامي﴿**وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقابِ**﴾ [الحشر : ٧] .

وجاء في كتاب البربهاري أيضاً (ص١٢٥) : "فمن أقرَّ بها في هذا الكتاب وآمن به واتَّخذه إماماً ، ولم يشك في حرف منه ، ولم يجحد حرفاً واحداً ، فهو صاحب سنة وجماعة ، كامل قد كملت فيه السُّنَّة ، ومن جحد حرفاً ممَّا في هذا الكتاب ، أو شكَّ ووقف ، فهو صاحب هوىٰ" .

وهذا الكلام ينطوي علىٰ عظائم لا تغيب عن الفَطِن اللبيب...

وجاء فيه أيضاً (ص١٢٦) : "الإسلام هو السُّنَّة ، والسُّنَّة هي الإسلام" .

أقول : وأين القرآن ، أين القرآن ، أما له اعتبار فيما تذهبون إليه؟! مع أنَّ كلامه صريح في أن من لم يكن علىٰ السُّنَّة التي اشتمل عليها كتابه فإنَّه ليس بمسلم ، والعياذ بالله تعالىٰ.

أمَّا الإمام ابن تيمية – غفر الله له– فمن المعلوم أنَّه قال وجاء بعقائد خالف بها ما عليه الأُمَّة ، كقوله بحوادث لا أوَّل لها ... ولأجل ذلك رجَّح رواية : "كان الله ولم يكن شيء قبله" علىٰ رواية : " كان الله ولم يكن شيء غيره" مع أنَّ قضيَّة الجمع بين الرِّوايتين تقتضي حمل الرِّواية الأولىٰ علىٰ ما بعدها ، لا العكس ، والجمع يقدَّم علىٰ التَّرجيح بالاتِّفاق...

والأمور التي خالف بها ما عليه الأُمَّة كثير ، وقد ناقشه فيها معاصروه ، ومن أشهرها : قوله بالحدِّ لله تعالىٰ ... وقوله بالحدّ ، مبثوث في العديد من كتبه ، وقد أكثر من الكلام عليه في كتابه "بيان تلبيس الجهميَّة" في غير موضع ، والغريب العجيب في كلامه عن الحدّ أنَّه اعتبر من لم يعترف بالحدّ لله تعالىٰ كافراً والعياذ بالله ، فقد قال في " درء تعارض العقل والنقل " (٢/ ٥٨) : " ... فهذا كلُّه وما أشبهه شواهد ودلائل علىٰ الحدِّ ، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الآيات وجحد آيات الله ..." . فانظر ودقِّق النَّظر فيما قاله ، غفر الله له...

والكلام الموجود في كُتبه من مثل ذلك كثير ، ولعلَّنا نفرد لذلك رسالة خاصَّة ، إن شاء الله تعالىٰ...

كما وجدناه – غفر الله له– يستهين بدماء المسلمين ، فيفتي بهدرها وإراقتها لأتفه الأسباب ، دليل ذلك ما تجده في مجموع الفتاوىٰ (٢٢/ ٢٣٦) ، فقد أفتىٰ بقتل من جهر بالنيَّة في الصَّلاة ، فقال : " الْجَهْرُ بِلَفْظِ النِّيَّةِ لَيْسَ مَشْرُوعًا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِين ، وَلَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَلَا فَعَلَهُ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَفِ الأُمَّة وَأَئِمَّتِهَا ، وَمَنْ ادَّعَىٰ أَنَّ ذَلِكَ دِينُ اللهِ وَأَنَّهُ وَاجِبٌ ، فإنَّه يَجِبُ تَعْرِيفُهُ الشَّرِيعَةَ وَاسْتِتَابَتُهُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قُتِلَ ..." .

أمَّا الإمام ابن القيِّم –رحمه الله– فقد اشتملت بعض كتبه علىٰ نصوص تكفيريَّة عديدة ، وسأقتصر علىٰ بعض ما جاء في نونيَّته:

جاء في نونيَّته تحت عنوان : "فصل في تلازم التَّعطيل والشِّرك" :

واعلم بأنَّ الشِّرك والتَّعطيل مذ	كانا هما لا شكَّ مصطحبـــــــــان
أبداً فكلُّ معطِّـــــل هو مشرك	حتماً وهذا واضـــــح لتِّبيان
لكن أخو التَّعطيل شر من أخي الـ	إشراك بالمعقــــــول والبرهان
والمشركـــــون أخفّ في كفرانهم	وكلاهمـــــا من شيعة الشَّيطـــــان

انظر : النونيَّة وشرحها للهرَّاس (٢/ ٣٠٧-٣٠٩) .

والمؤلِّف يقصد بالمعطِّلة : المعتزلة ، والفلاسفة ، ومتأخِّري الأشعريَّة ، والقرامطة الباطنيَّة والصُّوفيَّة ... انظر : النونية وشرحها للهراس (١/ ٢٣) .

مع أنَّ الأشاعرة –الذين كفَّرهم المصنِّف- يشكِّلون السَّواد الأعظم من أمَّة مُحَمَّد ﷺ ، وقد اعترف بذلك الدُّكتور سفر حوالي في كتابه : "نقد منهج الأشاعرة" حيث يقول : "فالمسألة أكبر من ذلك وأخطر ، أنَّها مسألة مذهب بدعي له وجوده الواقعي الضَّخم في الفكر الإسلامي ، حيث تمتلئ به كثير من كتب التَّفسير ، وشروح الحديث ، وكتب اللغة ، والبلاغة ، والأصول ، فضلاً عن كتب العقائد والفكر ، كما أنَّ له جامعاته الكبرىٰ ، ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلىٰ السَّنغال" .

والذي قاله الدُّكتور سفر الحوالي صحيح كلّ الصحَّة ، فإنَّ جلّ كُتب التَّفسير ، والفقه ، والحديث ، والعقائد ، والبلاغة ، والبيان ... صنَّفها علماء الأشاعرة الذين يشكِّلون مع الماتريديَّة ومن وافقهم من أهل الحديث ، أهل السُّنَّة والجماعة...

جاء في لوامع الأنوار البهيَّة (ص٧٣) قول الإمام السَّفاريني : "أهل السُّنَّة والجماعة ثلاث فرق : الأثريَّة والأشعريَّة ، والماتريديَّة."

وجاء في لوائح الأنوار السَّنيَّة (٢/ ١٥) قول الإمام السَّفاريني – كذلك- : "وهذا قول عامَّة أهل السُّنَّة والجماعة من أهل الحديث والفقه ، والكلام من الأثريَّة ، والأشعريَّة ، والماتريديَّة ، وغيرهم" .

ومع كلِّ ذلك فقد هاجمهم الإمام ابن القيِّم وكذا شارح النُّونيَّة الدُّكتور الهرَّاس...

سُئل الإمام ابن رشد الجدّ الملقَّب عند المالكيَّة بشيخ المذهب عن السَّادة الأشاعرة وحكم من ينتقصهم ، فقال : "وهؤلاء الذين سَمَّيت من العلماء أئمَّة خير وهدىٰ ، وممَّن يجب بهم الاقتداء ، لأنَّهم قاموا بنصر الشَّريعة ، وأبطلوا شُبه أهل الزَّيغ والضَّلالات ، وأوضحوا المشكلات ، وبيَّنوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات ، فهم بمعرفتهم بأصول الدِّيانات العلماء علىٰ الحقيقة ، لعلمهم بالله عزَّ وجلَّ وما يجب له وما يجوز عليه وما ينتفي عنه ، إذ لا تُعلم

الفروع إلَّا بعد معرفة الأصول ، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ويقرّ لهم ، فهم الذين عنىٰ رسول الله ﷺ بقوله : « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» .

فلا يعتقد أنَّهم علىٰ ضلالة وجهالة إلَّا غبي جاهل !!! أو مبتدع زائغ عن الحقِّ مائل !!! ولا يسبّهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلَّا فاسق ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾** [الأحزاب : ٥٨] .

والله أسأل العصمة والتَّوفيق برحمته . قاله مُحَمَّد بن رشد" . انظر : فتاوىٰ ابن رشد (٢/ ٨٠٢) .

ومن المناسب هنا أن نذكر أنَّ البعض يحلو له دائماً أن يجمع بين الأشاعرة والملحدة والمجسِّمة!! والمشبِّهة!!! فيجعلهم في العقيدة والدِّيانة سواء ، تماماً كما فعل الدُّكتور سفر حوالي في كتابة "نقد منهج الأشاعرة" فانظره لتعرف...

وقد وصل الأمر عند البعض – سامحهم الله – إلىٰ استعمال القوَّة والإرهاب من أجل نصرة ما ذهبوا إليه من أفكار مغايرة لعقائد الأُمَّة ، ولذلك تجدهم يستخدمون القوَّة من أجل إبعاد ونفي من قال بغير قولهم ، ومن أنصع الأدلَّة علىٰ ذلك ما فعلوه مع الإمام ابن حبَّان – عليه رحمة الله – ذلك أنَّه حينما خالفهم في إثبات الحدّ لله تعالىٰ ، طردوه من بلده ، وأقصوه ، وأبعدوه ...

قال الإمام الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (١٦/ ٩٧) : "وقال أبو إسماعيل الأنصاري : سمعت يحيىٰ بن عمَّار الواعظ ، وقد سألته عن ابن حبَّان ، فقال : نحن أخرجناه من سجستان ، كان له علم كثير ، لم يكن له كبير دين ، قدم علينا فأنكر الحدَّ لله فأخرجناه" .

قال الذَّهبي : إنكاركم عليه بدعة أيضاً ، والخوض في ذلك ممَّا لم يأذن به الله ، ولا أتىٰ نصٌّ بإثبات ذلك ولا بنفيه و " مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ " . أخرجه التِّرمذي (٢٣١٧) ، ابن ماجة (٣٩٧٦) ، أحمد (١/ ٢٠١) ، الطَّبراني (٢٨٨٦) .

وتعالىٰ الله أن يُحدّ أو يوصف إلَّا بما وصف به نفسه ، أو علّمه رسله بالمعنىٰ الذي أراد ، بلا مثل ولا كيف **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورىٰ : ١١] .

" وَكَانَ الْأَنْصَارِيّ الْمشَار إليه رجلا كثير الْعِبَادَة مُحدثا إِلَّا أَنَّه يتظاهر بالتَّجسيم والتَّشبيه وينال من أهل السُّنَّة ، وَقد بَالغ فِي كِتَابه ذمّ الْكَلَام حتَّىٰ ذكر أَنَّ ذَبَائِح الأشعرية لَا تحل ..." . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ٥١٧) .

قلت : والأنصاري – سالف الذِّكر – بكلامه السَّابق يجعل الأشاعرة الذين يشكِّلون السَّواد الأعظم من أمَّة مُحَمَّد ﷺ مع إخوانهم المنزِّهين من الماتريديَّة ومن وافقهم ، يجعلهم أكفر من اليهود والنَّصارىٰ ، لأنَّ الله تعالىٰ أحلّ لنا

طعام أهل الكتاب ، فقال سبحانه : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة : ٥] ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

فمن المعلوم أنَّ الأشاعرة يشكِّلون مع الماتريديَّة السَّواد الأعظم من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ ، ذلك أنَّه وبعد ظهور مذهب الإمام الأشعري ، ومذهب الإمام الماتريدي ، ذهب أغلب النَّاس إليهما ، وقد ثبت بالاستقراء أنَّ أغلب المفسِّرين ، والمحدِّثين ، والفقهاء ، والأصوليِّين ، والمتكلِّمين ، وأهل اللغة ، والمؤرِّخين ، والقادة ، والمصلحين ، هم أشاعرة أو ماتريديَّة ، أو موافقين لهم ، وعلىٰ منهجهم ، سواء من تقدَّمهم أو تأخَّر عنهم ...

فَمِنْ أهل التَّفسير وَعُلُوْم القُرآن عَلَى سَبِيْلِ المِثَالِ لَا الحَصْر : أبو مُحَمَّد سهل بن عبد الله التُستري (٢٨٣هـ) ، والزجَّاج (٣١٠هـ) ، والطَّبراني (٣٦٠هـ) ، والسَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، وابن أبي زَمَنِين المالكي (٣٩٩هـ) ، والماوردي (٤٥٠هـ) ، والقشيري (٤٦٥هـ) ، والواحدي النَّيسابوري (٤٦٨هـ) ، وأبو المظفَّر السَّمعاني (٤٨٩هـ) ، وتاج القرَّاء محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدِّين الكرماني (٥٠٥هـ) ، والبغوي (٥١٦هـ) ، وابن عطيَّة (٥٤٢هـ) ، وابن العربي (٥٤٣هـ) ، وابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والقرطبي (٦٧١هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، والنَّسفي (٧١٠هـ) ، والخازن (٧٤١هـ) ، وأبو حيَّان (٧٤٥هـ) ، وابن عادل الحنبلي الدِّمشقي النُّعماني (٧٧٥هـ) ، والزَّركشي (٧٩٤هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، وابن الجزري (٨٣٣هـ) ، ونظام الدِّين الحسن بن مُحَمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري (٨٥٠هـ) ، والمحلّي (٨٦٤هـ) ، والثَّعالبي (٨٧٥هـ) ، والبقاعي (٨٨٥هـ) ، ومحمَّد بن عبد الرَّحمن الإيجي الشَّافعيّ (٩٠٥هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وأبو السُّعود (٩٨٢هـ) ، والشِّهاب الخفَّاجي (١٠٦٩هـ) ، والزّرقاني (١١٢٢هـ) ، والبروسوي (١١٢٧هـ) ، والجمل (١٢٠٤هـ) ، وابن عجيبة (١٢٢٤هـ) ، والصَّاوي (١٢٤١هـ) ، والآلوسي (١٢٧٠هـ) ، والمراغي (١٣٧١هـ) ، وسيِّد قطب (١٣٨٥هـ) ، والطَّاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) ، والشَّعراوي (١١٨هـ) ، ووهبة الزُّحيلي ، وغيرهم كثير ..

وَمِنْ أهل الحَدِيْثِ وَعُلُوْمِه : الخطَّابي (٣٨٨هـ) ، والحاكم (٤٠٥هـ) ، وابن فورك (٤٠٦هـ) ، وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، وابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، والبيهقي (٤٥٨هـ) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، والمازري (٥٣٦هـ) ، والقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، وابن عساكر (٥٧١هـ) ، والمنذري (٦٠١هـ) ، ومحمَّد بن سعيد بن يحيىٰ بن الدّبيثي الواسطي (٦٣٧هـ) ، وابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، وأبو العبَّاس القرطبي (٦٥٦هـ) ، والعز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، ومحمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، وابن المنير (٦٨٣هـ) ، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن الزَّملكاني (٧٢٧هـ) ، وابن جماعة (٧٣٣هـ) ، وعبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) ، والمزِّي (٧٤٢هـ) ، والزَّيلعي (٧٤٣هـ) ، وصلاح الدِّين ، خليل بن كيكلدي العلائي (٧٦١هـ) ، وأحمد بن أحمد الكردي (٧٦٣هـ) ، ومحمَّد بن بهادر

الزَّركشي (٧٩٤هـ) ، وعمر بن علي بن الملقن (٨٠٥هـ) ، والعراقي (٨٠٦هـ) ، والهيثمي (٨٠٧هـ) ، أبو زرعة العراقي (٨٢٦هـ) ، ومحمَّد بن أبي بكر الدَّماميني (٨٢٧هـ) ، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي (٧٢٨هـ) ، وبرهان الدِّين بن مُحَمَّد بن خليل الحلبي سبط ابن العجمي (٨٤١هـ) ، ومحمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد مرزوق الحفيد (٨٤٢هـ) ، ومحمَّد بن أحمد بن موسىٰ الكفيري (٨٤٦هـ) ، ومحمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن موسىٰ الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، ومحمود بن أحمد العيني بدر الدِّين أبو مُحَمَّد (٨٥٥هـ) ، والسَّخاوي (٩٠٢هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وأحمد بن مُحَمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) ، وابن علَّان (١٠٥٧هـ) ، والمناوي (١٠٣١هـ) ، وعلي القاري (١٠١٤هـ) ، والبيقوني (المتوفىٰ نحو ١٠٨٠هـ) ، والسِّندي (١١٣٦هـ) ، والزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، وعلي بن سليمان البجمعوي المغربي المالكي (١٢٩٨هـ) ، واللكنوي (١٣٠٤هـ) ، وشبير العثماني (١٣٦٩هـ) ، وغيرهم كثير ...

وَمِنْ أهل الفِقْهِ وَأُصُوْلِه:

فَمِنَ الحَنَفِيَّة : الجصَّاص (٣٧٠هـ) ، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، وعبد العزيز البخاري (٤٤٩هـ) ، والبزدوي (٤٨٢هـ) ، والسَّرخسي (٥٥٢هـ) ، والكاساني (٥٨٧هـ) ، والميرغناني (٥٩٣هـ) ، والزيلعي (٧٤٣هـ) ، والكمال بن الهمام (٨٦١هـ) ، وابن أمير الحاج (٨٧٩هـ) ، ابن نُجيم (٩٧٠هـ) ، والشّرنبلالي (١٠٦٩هـ) ، والحصكفي (١٠٨٨هـ) ، وابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، وأحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، وغيرهم كثير....

وَمِنَ المَالِكِيَّة : ابن رشد (٥٢٠هـ) ، وابن الحاجب (٦٤٤هـ) ، والقرافي (٦٨٤هـ) ، وابن جزِّي (٧٠٨هـ) ، وابن الحاج (٧٣٧هـ) ، والشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، والسَّنوسي (٨٩٥هـ) ، وزرُّوق (٨٩٩هـ) ، والدَّردير (١٢٠١هـ) ، والزَّرقاني (١١٢٢هـ) ، والنَّفراوي (١١٢٥هـ) ، والدَّسوقي (١٢٣٠هـ) ، وابن عليش (١٢٩٩هـ) ، وغيرهم كثير...

وَمِنَ الشَّافِعِيَّة : ابن النَّقيب (٤٥١هـ) ، والجويني (٤٧٨هـ) ، والغزالي (٥٠٥هـ) ، والاسفرائيني (٤١٨هـ) ، والباقلَّاني (٤٠٣هـ) ، والشِّيرازي (٤٧٦هـ) ، والمتولِّي (٤٧٨هـ) ، والسَّمعاني (٥٦٢هـ) ، والرَّازي (٦٠٦هـ) ، والرَّافعي (٦٢٣هـ) ، والآمدي (٦٣١هـ) ، وابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، والعز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، والنَّووي (٦٧٦هـ) ، والبيضاوي (٦٨٥هـ) ، وابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) ، وابن الرُّفعة (٧١٠هـ) ، والسُّبكي تقي الدِّين (٧٥٦هـ) ، وتاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، والأذرعي (٧٨٣هـ) ، والحصني (٨٢٩هـ) ، وابن المقرّي (٨٣٧هـ) ، والرَّملي (٨٤٤هـ) ، والمحلِّي (٨٦٤هـ) ، وزكريَّا الأنصاري (٩٢٦هـ) ، وابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) ، والشَّربيني (٩٧٧هـ) ، والبجيرمي (١٢٢١هـ) ، والبيجوري (١٢٧٦هـ) ، وغيرهم كثير...

وَمِنْ أهل التَّوَارِيْخ وَالسِّيَر وَالتَّرَاجِم : وأبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، وابن عساكر (٤٩٩هـ) ، والقاضي عياض (٥٤٤هـ) ، والسُّهيلي (٥٨١هـ) ، وابن الأثير (٦٣٠هـ) ، وابن خِلِّكان (٦٨١هـ) ، والمحبّ الطَّبري (٦٩٤هـ) ، والصَّفدي (٦٩٦هـ) ، والمزِّي (٧٤٢هـ) ، والتِّلمساني (٧٧١هـ) ، وابن خلدون (٨٠٨هـ) ، وابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، والصَّالحي (٩٤٢هـ) ، وغيرهم كثير...

وَمِنْ أهل اللغَة : الجرجاني (٤١٧هـ) ، وابن الأنباري (٣٧٧هـ) ، والسُّيوطي (٩١١هـ) ، وابن مالك (٦٧٢هـ) ، وابن عقيل (٥١٣هـ) ، وابن هشام (٧٦١هـ) ، وابن منظور (٧١١هـ) ، والفيروزآبادي (٨١٧هـ) ، والزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، وابن الحاجب (٦٤٤هـ) ، والأزهري (٣٧٠هـ) ، وأبو حيَّان (٧٤٥هـ) ، وابن فارس (٣٩٥هـ) ، والكفوي (٩٩٠هـ) ، وابن آجروم (٧٢٣هـ) ، وغيرهم كثير...

وَمِنَ القَادَة : نور الدِّيْن الشَّهيد (١١٧٤م) ، وصلاح الدِّيْن الأيُّوبي (٥٨٩هـ) ، والمظفَّر قُطُز (٦٥٨هـ) ، والظَّاهر بيبرس (٦٧٦هـ) ، والسُّلطان مُحَمَّد الفاتح (١٤٨١م) ، وغيرهم كثير ...

فهؤلاء هم الفُحول الذي اعتنقوا عقيدة التَّنزيه التي خالفها وعارضها من يدَّعون السَّلفيَّة ، فإذا استثنينا هؤلاء الصِّيد الميامين وغيرهم الكثير الكثير ممَّن هم على منهجهم ، من أهل الكتاب والسُّنَّة ... فلا يتبقَّى إلَّا الرِّعاع الشَّراذم الأجلاف الذين لا تقوم بهم للدِّين قائمة ، ولا تهتدي بهم في دروب الهلاك هائمة ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم...

قال الإمام عبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ) بعد أن عدَّدَ أئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة في علم الكلام من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم : ".. ثمَّ بعدهم شيخ النَّظر وإمام الآفاق في الجدل والتَّحقيق : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجًاً في حلوق القدريَّة ، والنَّجَّاريَّة ، والجهميَّة ، والجسميَّة ، والرَّوافض ، والخوارج ، وقد ملأ الدُّنيا كتبه ، وما رزق أحد من المتكلِّمين من التَّبَع ما قد رزق ، لأنَّ جميع أهل الحديث وكلّ من لم يتمعزل من أهل الرَّأي على مذهبه " . انظر : أُصول الدِّين (ص٣٠٩-٣١٠).

فالإمام عبد القاهر البغدادي يؤكِّد على أنَّ الإمام الأشعري كان شوكةً في حُلوقِ القدريَّة ، والنَّجَّاريَّة ، والجهميَّة ، والجسميَّة ، والرَّوافض ، والخوارج ، وكان سبباً في كدرهم وحزنهم...

ويؤكِّد أيضاً على أنَّ أهل الرَّأي والحَدِيث على مذهبه ، وأنَّ فقهاء هذَيْن الْفَرِيقَيْنِ وقرَّاؤهم ومحدِّثوهم ومتكلِّموهم متَّفقون على مقَالَة وَاحِدَة فِي تَوْحِيد الصَّانِع وَصِفَاته وعدله وحكمته ، وَفِي أسمائه وَصِفَاته ، وفي أبواب النُّبُوَّة والإمامة ، وفي أحكام العقبى ، وفي سَائِر أصول الدِّين ، وأنَّ اختلافهم منحصر في فروع الحَلَال وَالْحَرَام ، وأنَّهم يربأوون بأنفسهم عن تضليل وتفسيق بعضهم بعضاً ، وأنَّهم مُجمعون على الإقرار بتوحيد الصَّانِع ، وَقِدَمه ،

وَقدم صِفَاته الأزليَّة ، وإجازة رُؤْيَته من غير تَشْبِيه وَلَا تَعْطِيل ، مَعَ الإقرار بكتب الله وَرُسُله ، وبتأييد شَرِيعَة الإسلام ، وإباحة مَا أَبَاحَهُ الْقُرْآن ، وَتَحْرِيم مَا حرَّمه الْقُرْآن ، مَعَ قيود مَا صَحَّ من سنَّة رَسُول الله ﷺ ، واعتقاد الْحَشْر والنَّشر ، وسؤال الْملكَيْنِ فِي الْقَبْر ، والإقرار بالحوض وَالْمِيزَان ، وبالتَّالي فمن كان منهم فهو من الْفرْقَة النَّاجِية إن ختم الله لَهُ بهَا ، وَقد دخل فِي هَذِه الْجُمْلَة جُمْهُور الأُمَّة وسوادها الْأَعْظَم من أصحاب مَالك ، وَالشَّافِعِيّ ، وأبي حنيفَة ، والأوزاعي ، والثَّوري ، وَأهل الظَّاهِر ... وفي ذلك يقول : " فأمَّا الْفرْقَة الثَّالِثَة وَالسَّبْعُونَ فَهِيَ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة من فريقي الرَّأْي والْحَدِيث دون من يشتري لَهو الحَدِيث . وفقهاء هذَيْن الْفَرِيقَيْنِ وقرَّاؤهم ومحدِّثوهم ومتكلِّمو أهل الحَدِيث مِنْهُم كلُّهم متَّفقون على مقَالَة وَاحِدَة فِي تَوْحِيد الصَّانِع وَصِفَاته وعدله وحكمته ، وَفِي أسمائه وَصِفَاته ، وفي أبواب النُّبُوَّة والإمامة ، وفي أحكام العقبى ، وفي سَائِر أصول الدِّين . وانَّما يَخْتَلِفُونَ فِي الْحَلَال وَالْحَرَام من فروع الأحكام ، وَلَيْسَ بَينهم فِيمَا اخْتلفُوا فِيهِ مِنْهَا تضليل وَلَا تفسيق ، وهم الْفرْقَة النَّاجِية ، ويجمعها الإقرار بتوحيد الصَّانِع ، وَقِدَمه ، وَقِدم صِفَاته الأزليَّة ، وإجازة رُؤْيَته من غير تَشْبِيه وَلَا تَعْطِيل ، مَعَ الإقرار بكتب الله وَرُسُله ، وبتأييد شَرِيعَة الإسلام ، وإباحة مَا أَبَاحَهُ الْقُرْآن ، وَتَحْرِيم مَا حرَّمه الْقُرْآن ، مَعَ قيود مَا صَحَّ من سنَّة رَسُول الله ﷺ ، واعتقاد الْحَشْر والنَّشر ، وسؤال الْملكَيْنِ فِي الْقَبْر ، والإقرار بالحوض وَالْمِيزَان ، فَمن قَالَ بِهَذِهِ الْجِهَة الَّتِي ذَكرنَاهَا وَلم يخلط إيمانه بهَا بِشَيْء من بدع الْخَوَارِج ، وَالرَّوَافِض ، والقدريَّة ، وَسَائِر أهل الأهواء ، فَهُوَ من جملَة الْفرْقَة النَّاجِية إن ختم الله لَهُ بهَا ، وَقد دخل فِي هَذِه الْجُمْلَة جُمْهُور الأُمَّة وسوادها الْأَعْظَم من أصحاب مَالك ، وَالشَّافِعِيّ ، وأبي حنيفَة ، والأوزاعي ، والثَّوري ، وَأهل الظَّـــاهِر " . انظر : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ص١٩-٢٠) .

ومن المعلوم أنَّ الإمام عبد القاهر البغدادي كان أحد أساطين العلم وفُحوله ، قال عنه الإمام الذَّهبي : " العَلاَّمَةُ ، البَارِعُ ، المُتَفَنِّنُ ، الأُسْتَاذُ ، أَبُو مَنْصُوْرٍ البَغْدَادِيُّ ، نَزِيْلُ خُرَاسَان ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَةِ ، وَأَحَدُ أَعلاَمِ الشَّافِعِيَّةِ ... وَكَانَ أَكبَرَ تَلاَمِذَةِ أَبِي إِسْحَاق الإِسْفَرَايِيْنِيّ ، وَكَانَ يُدَرِّس فِي سَبْعَةَ عَشَرَ فَنّاً ، وَيُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ ، وَكَانَ رَئِيْساً مُحْتَشِماً مُثرياً ، لَهُ كِتَاب (التَّكملَة) فِي الحِسَاب . قَالَ أَبُو عثْمَان الصَّابُوْنِيّ : كَانَ الأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُوْرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الأُصُوْلِ ، وَصُدُور الإِسلام بِإِجْمَاعِ أهل الفَضْل ، بَدِيْعَ التَّرتيب ، غَرِيْبَ التَّأْلِيْفِ ، إِمَاماً مُقَدَّماً مُفَخَّماً ، وَمن خرَاب نَيْسَابُوْر خُرُوْجُه مِنْهَا " . انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٧٢-٥٧٣) .

وقال الإمام البيهقي عن الإمام الأشعري على ما نسبه له السُّبكي في الطَّبقات : " ... إِلَى أَن بلغت النَّوبَة إِلَى شَيخنَا أَبِي الْحسن الْأَشْعَرِيّ رَحمَه الله ، فَلم يحدث فِي دين الله حَدثاً ، وَلم يَأْتِ فِيهِ ببدعة ، بل أَخذ أقاويل الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ وَمن بعدهمْ من الأئمَّة فِي أُصُول الدِّين ، فنصرها بِزِيَادَة شرح وتبيين ، وَأَنَّ مَا قَالُوا وَجَاء بِهِ الشَّرْع فِي

الْأُصُول صَحِيح فِي الْعُقُول ، بِخِلَاف مَا زعم أهل الْأَهْوَاء من أَنَّ بعضه لَا يَسْتَقِيم فِي الآراء ، فَكَانَ فِي بَيَانه وثبوته مَا لم يدلُّ عَلَيْهِ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمَّة كأبي حنيفَة ، وسُفْيَان الثَّوري من أهل الْكُوفَة ، والأوزاعي وَغَيره من أهل الشَّام ، وَمَالك والشَّافعي من أهل الْحَرَمَيْنِ ، وَمن نحا نَحْوهمَا من أهل الْحجاز ، وَغَيرهَا من سَائِر الْبِلَاد ... " . انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٩٧) ، وللاستزادة انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ٥٢٤-٥٢٦ باختصار) ، تبيين كذب المفتري تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٣٦٠-٣٦٢) ، (ص٣٩٧-٣٩٨) ، (ص٤١٠) ، معيد النعم ومبيد النقم (ص٢٢-٢٣) ، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٧٣) ، (٣/ ٣٧٧) ، حاشية الكلنبوي على شرح الدواني (١/ ٣٤-٣٩) ، العين والأثر في عقائد أهل الأثر (ص٥٣) ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٧٣) ، (١/ ٧٦) ، حاشية الشَّيخ مُحَمَّد نجيب المطيعي على شرح الدردير على الخريدة في علم التوحيد (ص١٩٣-١٩٤) ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٢/ ٦-٧) ، رد المحتار على الدر المختار (١/ ٤٩) ، براءة الأشعريين من عقائد المخالفين (ص١١٢) ، تبسيط العقائد الإسلامية (ص٢٩٩) .

فالحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشَّافِعِيَّة ، وفضلاء الْحَنَابِلَة أشعريُّون ، أو ماتريديُّون ... ولم يشذّ عن ذلك إلَّا الهمج الرِّعاع الذين لا يُسمع قولهم ، ولا يؤبه لهم ، ولا يُؤخذ بكلامهم ، ممَّن مالوا إلى التَّجسيم ... وبرغم ما تقدَّم من كون الأشاعرة ومن وافقهم يشكِّلون السَّواد الأعظم من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ ، فقد عكف المتسلِّفون على تكفيرهم وتبديعهم وتفسيقهم ، حتَّى لم يُبقوا على الإيمان إلَّا من كان منهم أو على شاكلتهم ...

ومن أقوالهم ونصوصهم في تكفير الأشاعرة وعلمائهم :

[١] : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " ... قول الأشاعرة المخالف للكتاب والسُّنَّة !!! وما عليه السَّلف والأئمَّة " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الكتب النَّجديَّة (١٥/ ٣٦٥) .

[٢] : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " في أثناء الكلام عن عقيدة ابن تيمية : " ... وله الكتب المشهورة في أصول الدِّين ؛ وهو الذي ردَّ على الفلاسفة والمعتزلة والجهميَّة ، وأتباعهم من الأشعريَّة والكراميَّة ، والماتريديَّة ، فإنَّ هذه الطوائف الثَّلاث ، وافقوا الجهميَّة في الكثير من بدعتهم ، وخالفوهم في شيء ، وغلطوا على السَّلف ، وادعوا أنَّ مذهبهم الإيمان باللفظ ، وتفويض المعنى ؛ وبيَّن شيخ الإسلام وجه غلطهم على السَّلف ، وأوضح ذلك في أكثر مصنَّفاته " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الكتب النَّجديَّة (١١/ ٣٦١) .

[٣] : قام مدَّعو السَّلفيَّة بإخراج الحافظ ابن حجر العسقلاني ، والإمام النَّووي ، وغيرهما من أساطين وجهابيذ العلم من أهل السُّنَّة والجماعة ...

[٤] : قال إمامهم مُحَمَّد بن صالح العثيمين ، وهو من أبرز دعاة الوهَّابيَّة عندما قيل له : " سؤال : النَّووي وابن حجر ، نجعلهما من غير أهل السُّنَّة والجماعة ؟! : " فيما يذهبان إليه في الأسماء والصِّفات ، ليسا من أهل السُّنَّة

والجماعة ... سؤال : بالإطلاق ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ؟ قال العثيمين : لا نطلق " ، انتهى بحروفه . انظر كتاب " لقاء الباب المفتوح " : (ص/ ٤٢) دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ.

فابن العثيمين يتَّهم الحافِظَين الإمامين : النَّووي وابن حجر العسقلاني بأنَّهما مُبتدعيّن ، وهذا استخفاف بجبلين وفحلين من فحول العلم ، وجرأة على التَّبديع والتَّضليل والتَّكفير ليس لها نظير ، مع أنَّ لحوم العلماء مسمومة ، قال الإمام ثقة الدِّين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) : " وَاعْلَم يَا أخي وفَّقنَا الله وَإِيَّاك لمرضاته مِمَّن يخشاه ويتقيه حق تُقَاته : إِنَّ لُحُوم الْعلمَاء رَحْمَة الله عَلَيْهِم مَسْمُومَة ، وَعَادَة الله فِي هتك أَسْتَار منتقصيهم مَعْلُومَة ، لِأَنَّ الوقيعة فيهم بِمَا هم مِنْهُ بَرَاء ، أمره عَظِيم ، والتَّنَاول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مرتعٌ وخيم ، والاختلاق على من اخْتَارَهُ الله مِنْهُم لنعش الْعلم خُلُقٌ ذميم ، والاقتداء بِمَا مدح الله بِهِ قَول المتَّبعين من الاسْتِغْفَار لمن سبقهمْ وصفٌ كريم ، إِذْ قَالَ مثنياً عَلَيْهِم فِي كِتَابه وَهُوَ بمكارم الْأَخْلَاق وصدها عليم : **﴿وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحشر: ١٠] ، والارتكاب لنهي النَّبي ﷺ عَن لاغتياب وَسَبِّ الْأَمْوَات جسيم ، **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور: ٦٣] . انظر : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص٢٩-٣٠).

والعبارة قالها الحافظ ابن عساكر في أثناء الذبِّ عن الإمام الأشعري ، وعنى بها أوباش الحشويَّة الذين ما فتئوا يُبدِّعون ويُضلِّلون ويُكفِّرون من ليس على شاكلتهم ومنهجهم ، ونظيرهم في زماننا من يدَّعون السَّلفيَّة ، الذين صُنِّف هذا المصنَّف لتبصيرهم بعظيم جُرمهم ، وهم يعكفون على تكفير من سواهم...

[٥] : اعتبر عالمهم الدُّكتور سفر الحوالي أنَّ الحافظ ابن حجر العسقلاني كان متذبذباً في عقيدته ، فقال : " ولو قيل : أنَّ الحافظ – رحمه الله – كان متذبذباً في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصَّواب ، كما يدلُّ عليه شرحه لكتاب التَّوحيد . انظر: منهج الاشاعرة في العقيدة (ص٢٨) .

[٦] : قال عالمهم : عبد المحسن البدر : " ومن العلماء الذين مَضوا وعندهم خلل في مسائل من العقيدة ، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم ، بل إنَّ مؤلَّفاتهم من المراجع المهمَّة للمشتغلين في العلم ، الأئمَّة : البيهقي ، والنَّووي ، وابن حجر العسقلاني . انظر : رفقاً أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة (ص٣٢-٣٣) .

[٧] : اتَّهمت اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء !!! الإمام النَّووي بأنَّ عنده أغلاط في العقيدة ، فلا يقتدىٰ به ... فقد جاء في فتاويها :

س١٢: بالنِّسبة للإمام النَّووي بعض الإخوة يقول : أنَّه أشعريٌّ في الأسماء والصِّفات فهل يصحُّ هذا ؟ وما الدَّليل ؟ وهل يصحُّ التَّكلُّم في حقِّ العلماء بهذه الصُّورة ؟ ومنهم من قال : إنَّ له كتاباً يسمَّىٰ : " بستان العارفين " ، وهو صوفيٌّ فيه ، فهل يصحُّ هذا الكلام ؟

ج١٢: له أغلاط !!! في الصِّفات ، سلك فيها مسلك المؤولين ، وأخطأ في ذلك ، فلا يُقتدىٰ به في ذلك ، بل الواجب التَّمسُّك بقول أهل السُّنَّة : وهو إثبات الأسماء والصِّفات الواردة في الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة المطهَّرة ، والإيمان بذلك على الوجه اللائق بالله جلَّ وعلا ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ عملاً بقوله سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] ، وما جاء في معناها من الآيات ، وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا مُحَمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٣/ ٢٢١-٢٢٢) .

[٨] : اتَّهم الشَّيخ ابن باز الإمامين : النَّووي ، وابن حجر العسقلاني – رحمهما الله – بأنَّ لهما أغلاط في العقيدة ، ولذا فهما ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ... فقد جاء في فتاوىٰ ابن باز : " سائل يقول : هناك من يحذر من كتب الإمام النَّووي وابن حجر رحمهما الله تعالىٰ ، ويقول : إنَّهما ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ، فما الصَّحيح في ذلك ؟ ج : لهم أشياء غلطوا فيها في الصِّفات ، ابن حجر والنَّووي وجماعة آخرون ، لهم أشياء غلطوا فيها ، ليسوا فيها من أهل السُّنَّة ، وهم من أهل السُّنَّة فيما سلموا فيه ولم يحرِّفوه هم وأمثالهم ممَّن غلط " . انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (٢٨/ ٤٧) .

[٩] : صنَّف المدعو : عبد الله سعدي الغامدي العبدلي كتاباً سمَّاه : " الأخطاء الأساسيَّة في العقيدة وتوحيد الألوهيَّة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، تأليف : أحمد بن حجر العسقلاني .... فيا للعجب .

[١٠] : اعتبر عالمهم الدُّكتور سفر حوالي الأشاعرة ليسوا من أهل السُّنَّة . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة (ص٢٢) .

[١١] : أخرج الشَّيخ ابن عثيمين الأشاعرة والماتريديَّة من عموم الأُمَّة ، مع العلم أنَّهم يمثِّلون السَّواد الأعظم من علماء الأُمَّة ، فقد قال في شرحه للواسطيَّة : " عُلِمَ من كلام المؤلِّف – رحمه الله – أنَّه لا يُدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم ، فالأشاعرة – مثلاً – والماتريديَّة ، لا يعدّون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب ، لأنَّهم مخالفون لما كان عليه النَّبي ﷺ ، وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ حقيقتها !!! ولهذا يخطئ من يقول : أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة : سلفيُّون ، وأشعريُّون ، وماتريدون ، فهذا خطأ ، نقول : كيف يمكن الجميع أهل السُّنَّة وهم مختلفون ؟! فماذا بعد الحقِّ إلا الضَّلال؟! وكيف يكونون أهل السُّنَّة وكلُّ واحد يردُّ علىٰ الأخر ؟! هذا لا يمكن ، إلا إذا أمكن الجمع بين الضدَّين ، فنعم ، وإلَّا فلا شكَّ أنَّ أحدهم وحده هو صاحب السُّنَّة ، فمن هو ؟!! الأشعريَّة

أم الماتريديَّة أم السَّلفيَّة ؟ نقول : من وافق السُّنَّة ، فهو صاحب السُّنَّة ومن خالفها فهو ليس بصاحبها ، فنحن نقول : السَّلف هم أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً ، والكلمات تعتبر معانيها لننظر كيف نسمِّي من خالف السُّنَّة أهل السُّنَّة ؟ لا يمكن ، وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة : أنَّهم مجتمعون ؟ فأين الاجتماع ؟ فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقداً حتَّى المتأخِّر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النَّبي ﷺ وأصحابه فإنَّه سلفي " . انظر : هامش شرح الواسطية (ص٦٥ – ٦٦) .

[١٢] : كفَّر أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، الأشاعرة ، وأنَّهم لا يعرفون معنى الشَّهادتين . انظر: الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٣٢، ٣٢٠ ، ٣٦٤) .

[١٣] : جاء في مجموع فتاوى ابن باز : " مذهب الأشاعرة هل هو حقٌّ أم ضلال ؟ : ذكر أنَّ الخلافات في العقيدة ضيِّقة وقال : الذين يقولون بضلال مذهب الأشاعرة نقول لهم ارجعوا إلى فتاوى ابن تيمية واقرءوا ماذا كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري حتَّى نفهم أنَّ هؤلاء جهلة أ. هـ. والجواب أن يقال : لا شكَّ أنَّه ضلَّ بسبب الخلاف في العقيدة فرق كثيرة ، كالمعتزلة ، والجهميَّة ، والرَّافضة ، والقدريَّة وغيرهم ، وأيضاً الأشاعرة ضلُّوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسُّنَّة وما عليه خيار هذه الأُمَّة من أئمَّة الهدى من الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين لهم بإحسان والأئمَّة المهتدين فيما تأوَّلوه من أسماء الله وصفاته على غير تأويله ، وأبو الحسن الأشعري – رحمه الله – ليس من الأشاعرة . وإن انتسبوا إليه لكونه رجع عن مذهبهم واعتنق مذهب أهل السُّنَّة ، فمدح الأئمَّة له ليس مدحاً لمذهب الأشاعرة . ولا يصحُّ أن يُرمى من اعترض على الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السُّنَّة بالجهل ، لأنَّ حقيقة الجهل هو القول على الله بغير علم ، أمَّا من أخذ بالكتاب والسُّنَّة وقواعد الشَّرع المعتبرة وسار على طريق سلف الأُمَّة وأنكر على من تأوَّل أسماء الله وصفاته أو شيئاً منها على غير تأويلها ، فإنَّه لا يُرمى بالجهل " . انظر : مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٣/ ٥٣) .

[١٤] : ختم ابن عثيمين كتابه : " القواعد المثلى " بالحكم على مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أهل الحقِّ بالبطلان ، فيقول : " الخاتمة : إذا قال قائل : قد عرفنا بطلان مذهب أهل التَّأويل في باب الصِّفات ، ومن المعلوم أنَّ الأشاعرة من أهل التَّأويل لأكثر الصِّفات ، فكيف يكون مذهبهم باطلاً ، وقد قيل : أنَّهم يمثِّلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين ؟ . وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري ؟ وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم ؟ قلنا : الجواب عن السُّؤال الأوَّل : أنَّنا لا نسلِّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنِّسبة لسائر فرق المسلمين ، فإنَّ هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدَّقيق . ثمَّ لو سلَّمنا أنَّهم بهذا القدر أو أكثر فإنَّه لا يقتضي عصمتهم

من الخطأ !!! لأنَّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر !!! ثمَّ نقول : إنَّ إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التَّأويل ، فإنَّ السَّلف الصَّالح من صدر هذه الأُمَّة ، وهم الصَّحابة الذين هم خير القرون ، والتَّابعون لهم بإحسان وأئمَّة الهدىٰ من بعدهم ، كانوا مجمعين علىٰ إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصِّفات ، وإجراء النُّصوص علىٰ ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل . وهم خير القرون بنصِّ الرَّسول ﷺ ، وإجماعهم حجَّة مُلزمة ، لأنَّه مقتضىٰ الكتاب والسُّنَّة ، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرَّابعة من قواعد نصوص الصِّفات .

والجواب عن السُّؤال الثَّاني : أنَّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمَّة المسلمين لا يدَّعون لأنفسهم العصمة من الخطأ ، بل لم ينالوا الإمامة في الدِّين إلَّا حين عرفوا قدر أنفسهم ، ونزّلوها منزلتها ، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسُّنَّة ما استحقُّوا به أن يكونوا أئمَّة ، قال الله تعالىٰ : ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤] ، وقال عن إبراهيم : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: ١٢٠] ثمَّ إنَّ هؤلاء المتأخِّرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه ، وذلك أنَّ أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة : المرحلة الأولىٰ : مرحلة الاعتزال . اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً ، يقرِّره ، ويناظر عليه ، ثمَّ رجع عنه ، وصرَّح بتضليل المعتزلة ، وبالغ في الرَّدِّ عليه . المرحلة الثَّانية : مرحلة بين الاعتزال المحض والسُّنَّة المحضة . سلك فيها طريق أبي مُحَمَّد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٧١) من المجلد السَّادس عشر من " مجموع الفتاوىٰ " لابن قاسم : " والأشعري وأمثاله برزخ بين السَّلف والجهميَّة ، أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ، ومن هؤلاء أصولاً عقليَّة ظنُّوها صحيحة ، وهي فاسدة " .
انظر : القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص٧٩-٨١) .

ولنا علىٰ كلام ابن عثيمين الملاحظات التَّالية:

أَوَّلاً : قوله : " أنَّنا لا نسلِّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنِّسبة لسائر فرق المسلمين ، فإنَّ هذه دعوىٰ تحتاج إلىٰ إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق " .

قلت : قد قدَّمنا الكلام في أنَّه قد ثبت بالاستقراء أنَّ أغلب المفسِّرين ، والمحدِّثين ، والفقهاء ، والأصوليِّين ، والمتكلِّمين ، وأهل اللغة ، والمؤرِّخين ، والقادة ، والمصلحين ، هم أشاعرة أو ماتريديَّة ، أو موافقين لهم ، وعلىٰ منهجهم ، سواء من تقدَّمهم أو تأخَّر عنهم ، وذكرنا العديد العديد من شهادات فُحول العلم وأساطينه علىٰ ذلك ، كما اعترف بعض المتسلِّفة بذلك ، فهذا الدكتور سفر الحوالي يقول : " ... وَليكن مَعْلُوماً أَنَّ هَذَا الرَّدّ الْمَوْعُود لَيْسَ مَقْصُوداً بِهِ الصَّابُونِي وَلَا غَيره من الْأَشْخَاص ، فَالْمَسْأَلَة أكبر من ذَلِك وأخطر ، أَنَّهَا مَسْأَلَة مَذْهَب بدعي !!! لَهُ

وجوده الواقعي الضَّخم فِي الْفِكر الإسلامي ، حَيْثُ تمتلئ بِهِ كثيرُ من كُتب التَّفسير ، وشروح الحَدِيث ، وَكتب اللُّغَة والبلاغة ، وَالْأُصُول ، فضلاً عَن كتب العقائد والفكر ، كَمَا أَنَّ لَهُ جامعاته الْكُبْرَىٰ ومعاهده المنتشرة فِي أَكثر بِلَاد الإسلام من الفلبِّين إِلىٰ السَّنغال !!! " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب علىٰ مقالات الصابوني (ص٧).

ثَانِياً : وقوله : " ثمَّ لو سلَّمنا !!! أنَّهم بهذا القدر أو أكثر ، فإنَّه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ !!! لأنَّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر " .

قلت : وماذا تقولون ، بل ما هو جوابكم عن مخالفات ابن تيمية- الذي لا تحيدون عن أقواله قيْد أُنملة – لإجماع المسلمين ، فقد أحصىٰ عليه علماء الأُمَّة مخالفته للإجماع في غير ما مسألة ، قال الإمام ابن حجر الهيتمي في كلامه عن ابن تيمية : " واعْلم أَنَّه خَالف النَّاس فِي مسَائِل نبَّه عَلَيْهَا التَّاج السُّبْكِيّ وَغَيره . فممَّا خرق فِيهِ الْإِجْمَاع : قَوْله فِي : " عليّ الطَّلَاق " أَنَّه لَا يَقع عَلَيْهِ ، بل عَلَيْهِ كَفَّارَة يَمِين ، وَلم يقل بِالْكَفَّارَةِ أحد من الْمُسلمين قبله ، وَأَنَّ طَلَاق الْحَائِض لَا يَقع ، وَكَذَا الطَّلَاق فِي طُهْر جَامع فِيهِ ، وَأَنَّ الصَّلاة إذا تُركت عمداً لَا يجب قَضَاؤُهَا ، وَأَنَّ الْحَائِض يُبَاح لَهَا بِالطّوافِ بِالْبَيْتِ وَلَا كَفَّارَة عَلَيْهَا ، وَأَنَّ الطَّلَاق الثَّلَاث يُردُّ إِلىٰ وَاحِدَة ، وَكَانَ هُوَ قبل ادِّعائه ذَلِك نقل أجماع الْمُسلمين علىٰ خِلَافه ، وَأَنَّ المكوس حَلَال لمن أقطعها ، وأنَّها إذا أخذت من التُّجَّار أجزأتهم عَن الزَّكاة ، وَإِن لم تكن باسم الزَّكاة وَلَا رسمها ، وَأَنَّ الْمَائِعَات لَا تنجس بِمَوْت حَيَوَان فِيهَا كالفأرة ، وَأَنَّ الْجُنُب يصلِّي تطوّعه بِاللَّيْلِ وَلَا يُؤَخِّرهُ إِلىٰ أَن يغْتَسل قبل الْفجْر ، وإِنْ كَانَ بِالْبَلَدِ ، وَأَنَّ شَرط الْوَاقِف غير مُعْتَبَر ، بل لَو وقف علىٰ الشَّافِعِيَّة صرف إِلىٰ الْحَنَفِيَّة وَبِالْعَكْسِ ، وعَلىٰ الْقُضَاة صُرف إِلىٰ الصُّوفِيَّة ، فِي أَمْثَال ذَلِك من مسَائِل الْأُصُول مَسْأَلَة الْحسن والقُبْح الْتزم كل مَا يرد عَلَيْهَا ، وَإِن مُخَالف الْإِجْمَاع لَا يكفر وَلَا يفسق ، وَأَنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُول الظَّالِمُونَ والجاحدون علوّاً كَبِيراً مَحَلُّ الْحَوَادِث ، تَعَالَىٰ الله عَن ذَلِك وتقدَّس ، وَأَنَّه مُركَّبٌ تفْتَقر ذَاته افتقار الْكلِّ للجزء ، تَعَالَىٰ الله عَن ذَلِك وتقدَّس ، وَأَنَّ الْقُرْآن مُحدث فِي ذَات الله ، تَعَالَىٰ الله عَن ذَلِك ، وَأَنَّ الْعَالم قديم بالنَّوع ، وَلم يزل مَعَ الله مخلوقاً دَائِماً فَجعله مُوجبا بِالذَّاتِ لَا فَاعِلاً بِالِاخْتِيَارِ ، تَعَالَىٰ الله عَن ذَلِك ، وَقَوله بالجِسْميَّة والجهة والانتقال ، وَأَنَّه بقَدَر الْعَرْش لَا أَصْغَرَ وَلَا أكبر ، تَعَالَىٰ الله عَن هَذَا الافتراء الشَّنيع الْقَبِيح ، وَالْكفْر البراح الصَّرِيح ، وخذل مُتَّبعيه وشتَّت شَمْل معتقديه ، وَقَالَ : إِنَّ النَّار تفنىٰ ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاء غير معصومين ، وَأَنَّ رَسُول الله ﷺ لَا جاه لَهُ وَلَا يتوسَّل بِهِ ، وأَنَّ إِنْشَاء السّفر إِليه بِسَبَب الزِّيَارَة مَعْصِيّة لَا تُقصر الصَّلاة فِيهِ ، وسيحرم ذَلِك يَوْم الْحَاجَة ماسَّة إِلىٰ شَفَاعَته ، وَأَنَّ التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل لم تبدَّل أَلفاظهما وانَّما بُدِّلت معانيهما "... انظر : الفتاوىٰ الحديثية (ص١٥٨-١٥٩) ،، وللاستزادة في هذه المسألة انظر : الدرَّة المضيَّة في الردِّ علىٰ ابن تيمية ، تقي الدِّين السبكي ، ضمن رسائل المنهج الرباني في الرد علىٰ ابن تيمية الحراني (ص٩٩ فما بعدها).

ثَالِثَاً : وقوله : أنَّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمَّة المسلمين لا يدَّعون لأنفسهم العصمة من الخطأ ...

أقول : أمَّا أنتم ، فقد خالفتم عموم الأمَّة ، وزعمتم أنَّكم وحدكم على الحقِّ ، وأنَّ غيركم على الباطل ، وكأنَّكم في ذلك معصومون ، آمنون من الوقوع في الخطأ ... زاعمين أنَّكم تسيرون على منهج السَّلف ... وهذه فِرية بلا مِرية ... فالعديد من عقائكم التي قعَّدها لكم ابن تيمية لا تمتُّ بصلة ، بل بأدنى صلة للسَّلف الصَّالح ... بل إنَّ بعضها يخالف منطوق القرآن والسُّنَّة المطهَّرة ...

رَابِعَاً : وقوله : إنَّ إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التَّأويل ، فإنَّ السَّلف الصَّالح من صدر هذه الأُمَّة ، وهم الصَّحابة الذين هم خير القرون ، والتَّابعون لهم بإحسان ، وأئمَّة الهدى من بعدهم ، كانوا مُجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصِّفات ، وإجراء النُّصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل...

أقول : كم أتمنَّى أن يأتي واحد من المتسلِّفة بنقل صريح صحيح على ما قاله ابن عثيمين ... فمن من الصَّحابة قال بإجراء النُّصوص على ظاهر معناها ؟!!! مع أنَّ الثَّابت عن السَّلف الصَّالح أنَّ جمهورهم فوَّضوا الكَيْف والمعنى ، ولَم يفسِّرون مِنْهَا شيئاً ... في الوقت الذي وجدنا فيه ابن تيمية يزعم أنَّ التَّفويض في صفات الله تعالى من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد ، فقال : " فتبيَّن أنَّ قول أهل التَّفويض الذين يزعمون أنَّهم متَّبعون للسُّنَّة والسَّلف من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد " . انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥) .

وفيما يلي سردٌ لبعض أقوال أهل العلم في هذه المسألة :

جاء في شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (٤١٨هـ) : " أَخْبَرَنَا أحمد بْنُ مُحَمَّد بْنِ حَفْصٍ ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّد بْنُ أحمد بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو مُحَمَّد سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَكِيمٍ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ بْنِ يُونُسَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ دَاوُدَ بْنَ طَلْحَةَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ الدَّوْسِيَّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ مُحَمَّد بْنَ الْحَسَنِ ، يَقُولُ : " اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلى الْمَغْرِبِ عَلَى الإيمان بِالْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فِي صِفَةِ الرَّب عزَّ وجلَّ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ وَلَا وَصْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ ، فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شيئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ خَرَجَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبي ﷺ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا ، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ثمَّ سَكَتُوا ، فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ " . انظر : شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٨٠) .

وجاء الأسماء والصِّفات للبيهقي : " وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهَّ : لِيسَ فِيمَا يُضَافُ إِلى اللهَّ عزَّ وجلَّ مِنْ صِفَةِ الْيَدَيْنِ شِمَالٌ ، لِأَنَّ الشِّمَالَ مَحَلُ النَّقْصِ وَالضَّعْفِ ، وَقَدْ رُوِيَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْيَدِ عِنْدَنَا الْجَارِحَةَ

، انَّمَا هُوَ صِفَةٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ ، فَنَحْنُ نُطْلِقُهَا عَلَىٰ مَا جَاءَتْ وَلَا نُكَيِّفُهَا ، وَنَنْتَهِي إِلَىٰ حَيْثُ انْتَهَىٰ بِنَا الْكِتَابُ وَالْأَخْبَارُ الْمَأْثُورَةُ الصَّحِيحَةُ وَهُوَ مَذْهَبُ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ١٥٨) .

وقال الإمام البيهقي أيضاً في كلامه علىٰ حديث : " يَنْزِلُ اللهُ عزَّ وجلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " . قَالَ رَحِمَهُ اللهُ : وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحابة عَنِ النَّبي ﷺ ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ فِيمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ والسُّنَّة مِنْ أَمْثَالِ هَذَا ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحابة وَالتَّابِعِينَ فِي تَأْوِيلِهِ ، ثمَّ أنَّهم عَلَىٰ قِسْمَيْنِ : مِنْهُمْ مَنْ قَبِلَهُ وَآمَنَ بِهِ وَلَمْ يُؤَوِّلْهُ وَوَكَلَ عِلْمَهُ إِلَىٰ اللهِ وَنَفَىٰ الْكَيْفِيَّةَ وَالتَّشْبِيهَ عَنْهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ قَبِلَهُ وَآمَنَ بِهِ وَحَمَلَهُ عَلَىٰ وَجْهٍ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي اللُّغَةِ وَلَا يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ " . انظر : الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص١١٦).

وقال الإمام ابن عبد البرّ : " الَّذِي عَلَيْهِ أهل السُّنَّة وَأَئِمَّةُ الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا الإيمان بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبي ﷺ فِيهَا ، وَالتَّصْدِيقُ بِذَلِكَ ، وَتَرْكُ التَّحْدِيدِ وَالْكَيْفِيَّةِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ . أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ خَلَفُ بْنُ الْقَاسِمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْوَرْدِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أحمد بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أحمد بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أحمد بْنِ نَصْرٍ أَنَّه سَأَلَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ : " إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَىٰ أُصْبُعٍ " ، وَحَدِيث : " إِنَّ قلوب بني آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن " ، وَإِنَّ اللهَ يَعْجَبُ أَوْ يَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ فِي الْأَسْوَاقِ " ، " وَأَنَّهُ عزَّ وجلَّ يَنْزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَنَحْوُ هَذِهِ الأحاديث ، فَقَالَ : هَذِهِ الأحاديث نَرْوِيهَا ، وَنُقِرُّ بِهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ . قَالَ أَبُو دَاوُدَ : وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّد ، قَالَ : سَمِعْتُ الْهَيْثَمَ بْنَ خَارِجَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ ، وَسُفْيَانَ الثَّوري ، وملك بْنَ أَنَسٍ ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الأحاديث الَّتِي جَاءَتْ فِي الصِّفَاتِ ، فَقَالُوا : أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ . وَذَكَرَ عبَّاس الدُّورِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَىٰ بْنَ مَعِينٍ ، يَقُولُ : شَهِدْتُ زكريَّا بْنَ عَدِيٍّ سَأَلَ وَكِيعَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ هَذِهِ الأحاديث ، يَعْنِي مِثْلَ : الْكُرْسِيُّ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ ، وَنَحْوِ هَذَا ، فَقَالَ : أَدْرَكْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ، وَسُفْيَانَ ، وَمِسْعَراً يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الأحاديث ، وَلَا يُفَسِّرُونَ شيئاً .

قَالَ عبَّاس بْنُ مُحَمَّد الدُّورِيُّ : وَسَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ وَذَكَرَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أهل السُّنَّة أَنَّه كَانَ يَقُولُ : هَذِهِ الأحاديث الَّتِي تُرْوَىٰ فِي الرُّؤْيَةِ ، وَالْكُرْسِيِّ مَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ ، وَضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عباده ، وأنَّ جهنم لتمتلئ ، وَأَشْبَاهُ هَذِهِ الأحاديث ، وَقَالُوا : إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ : يَقَعُ فِي قُلُوبِنَا أَنَّ هَذِهِ الأحاديث حَقٌّ ، فَقَالَ : ضَعَّفْتُمْ عِنْدِي أَمْرَهُ ، هَذِهِ الأحاديث حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهَا ، رَوَاهَا الثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ إِلَّا أَنَّا إذا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الأحاديث لَمْ نُفَسِّرْهَا ، وَلَمْ نَذْكُرْ أَحَداً يُفَسِّرُهَا ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يُنْكِرُ عَلَىٰ مَنْ حَدَّثَ بِمِثْلِ هَذِهِ الأحاديث ..." . انظر

: التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٤٨-١٥٠) ، وانظر : تفسير القرآن ، السمعاني (٢/ ٣٦٦) ، معالم التَّنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٢/ ١٩٧) ، وانظر : (١/ ٢٥) ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٣٠٣) ، الملل والنحل (١/ ٩١) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٢/ ٣٩٥) ، ذم التَّأويل (ص٢٣) ، فتاوى ابن الصلاح (١/ ٨٣) ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٤٢) ، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٤) ، المجموع شرح المهذب (٤/ ٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠٦) ، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها (ص١٤٦) ، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٥) ، طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٩١-١٩٢) ، فضل علم السَّلف على الخلف (ص٤) ، الإتقان في علوم القرآن (٣/ ١٤) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٦٢) ، (٣/ ٩٢٤) ، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص٧٧-٧٨) ، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص٦٠) ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ٩٦-٩٧) .

بقي أمرٌ آخر ، وهو ما نسبه البعض للإمام مالك في مسألة الاستواء : " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ... " ، والحقُّ أنَّ هذه العبارة منحولة على مالك ، ورويت كذلك عن ربيعة بن عبد الرَّحمن ، وأمِّ سلمة ، رضي الله عنها ، فقد ثبت بالبحث العلمي أنَّ ذلك لم يثبت عنهم ، قال أستاذنا الأستاذ المحقِّق المدقِّق حسَّان عبد المنَّان – حفظه الله - : " ليس لهذا إسناد يثبتُ ، وإليك تفصيله :

رواه اللالكائي في " شرح أصول الاعتقاد " (٦٦٤) ، وإسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني في " عقيدة السَّلف " (١/ ١١٠-١١١) " من الرَّسائل المنيريَّة " ، وأبو نعيم في " الحلية " (٦/ ٣٢٥-٣٢٦) من طريق سلمة بن شبيب ، عن مهدي بن جعفر عن جعفر بن عبد الله ، عن مالك بن أنس . وتابعه الدَّارمي في " الرَّدّ على الجهميَّة " (ص٢٨٠) ، فقال : عن مهدي بن جعفر ، عن جعفر بن عبد الله ، عن رجلٍ قد سمّاه لي ، قال : جاء رجل إلى مالك بن أنس ... وفي هذا الإسناد ثلاث عِلَلٍ : رواية الدَّارمي المخالفة لرواية سلمة بن شبيب ، فزاد فيها رجلاً مجهولاً ، وجهالة جعفر بن عبد الله فإني لم أتبيَّنه ، وما عند الدَّارمي في روايته من توثيقه لا يُحسِّنُ أمرَه وحالَه ، وأمَّا مهدي بن جعفر ـ وهو الرَّملي ـ ففيه نظر ، إذ نقلوا أنَّ ابن عدي قال : يروي عن الثِّقات أشياء لا يُتابعُه عليها أحدٌ ، وهذا يُشعر بنكارة حديثه ، وهو ما حكم به البخاري ، فقال : حديثُه منكر . " التَّهذيب " .

ورواه ابن عبد البرّ في " التَّمهيد " (٧/ ١٥١) من طريق بقي بن مخلد ، حدَّثنا بكَّار بن عبد الله القرشي ، حدَّثنا مهدي بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، به . وفي هذه الرِّواية وهمٌ وتدليس ، كأنَّه من بكَّر بن عبد الله ، فقد أسقطَ مَنْ بينَ مهدي بن جعفر ومالك ، وقد بيَّنا ذلك في الرِّواية السَّابقة .

ورواه إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني (١/ ١١٠) ، عن أبي الحسن بن إسحاق المدني ، حدَّثنا أحمد بن الخضر أبو الحسن الشَّافعي ، حدَّثنا شاذان ، حدَّثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني ، حدَّثنا جعفر بن ميمون ، قال : سُئل مالك بن

أنس ... وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ، فجعفر بن ميمون هو الأنماطي ، وهو ضعيف ، وشاذان وشيخُه لم أعثر لهما على ترجمة !!

ورواه البيهقي في " الأسماء والصِّفات " (ص٤٠٨) ، عن أبي عبد الله ، أخبرني أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل بن مهران ، حدَّثنا أبي ، حدَّثنا أبو الربيع ابن أخي رشدين بن سعد ، قال : سمعتُ عبد الله بن وهب ، يقول : كُنَّا عند مالك بن أنس ... فذكره .

وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ـ وإن جوَّد إسناده ابن حجر في " الفتح " (٤٠٧/١٣) ، فأبو الرَّبيع لم أعرفه ، وأحمد : لم أعثر له على ترجمة ، وأبوه مترجم في " اللسان " (٥/ ٨١-٨٢) ، وفيه نظرٌ وضعف في آخر ستِّ سنوات من عمره .

ورواه البيهقي ، عن أبي بكر أحمد بن مُحَمَّد بن الحارث الفقيه الأصفهاني ، أخبرنا أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن جعفر بن حيَّان المعروف بأبي الشَّيخ ، حدَّثنا أبو جعفر بن زيرك البزي ، سمعتُ مُحَمَّد بن عمرو بن النَّضر النَّيسابوري ، يقول : سمعتُ يحيى بن يحيى ، يقول : كُنَّا عند مالك بن أنس فجاء رجل ... فذكره.

وهذا إسنادٌ لا يصحُّ أيضاً ، فابنُ زيرك لم أجد له ترجمة ، ومحمَّد بن عمرو بن النَّضر ذكره ابن حجر في " نزهة الألباب " (٩٢/٢) ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وانظر " سير أعلام النُّبلاء " (٨/ ١٠٠-١٠١) .

ورواه ابن عبد البرّ في " التَّمهيد " (٧/ ١٥١) ، عن مُحَمَّد بن مالك ، قال : حدَّثنا عبد الله بن يونس ، قال : حدَّثنا بقي بن مخلد ، قال : حدَّثنا أيُّوب بن صلاح المخزومي بالرَّملة ، قال : كُنَّا عند مالك إذ جاءَه عراقي ، فقال له ... فذكره . كذا في المطبوع : " أيُّوب بن صلاح " ، وهو تحريف ، انَّما هو أيُّوب بن صالح بن سلمة الحرَّاني المخزومي ، وهو ضعيف ، ضعَّفه ابن معين وغيرُه . انظر ترجمته في " اللسان " (١/ ٤٨٣-٤٨٤) .

وبهذا يتبيَّن لك خطأ الحافظ الذَّهبي في قوله في " العلو " (ص١٤١مختصره) : " هذا ثابت عن مالك " !! ومن ثَمَّ خطأ كُلّ مَن سَلَّمَ بما نُسِبَ إلى الإمام مالك رحمه الله ، لأنَّ أسانيده لا تَقُومُ لذلك .

وقد يَرِدُ علينا أنَّ ذلك بمجموع هذه الطُّرق والأسانيد يصحُّ .

فنقولُ : إنَّ مثلَ هذه الأسانيد لا تتقوَّى ، وليس عجيباً أن تتكثَّرَ ، لأنَّ الفتنة في هذه المسألة قد انتشرت في ذاك الحين ، ونُسِبَ زوراً هذا القول إلى مالك وغيره ، فتناقلَه مجاهيلُ من النَّاس لا يُعرفون بصحيح علمٍ ، ولا توثيق ، فانتشرت لشائعاتها ، وإلاَّ فقُل لي بربِّكَ ـ : أين الثِّقات من تلامذة الإمام مالك ، وتلامذتهم عن مثل هذه الحادثة وهذا القول ؟! . وفي الباب ممَّا رُوِيَ بنحوِه :

١.قول أمّ سلمة : رواه اللالكائي (٦٦٣) ، والصَّابوني في " عقيدة السَّلف " (١/ ١١٠) ، وابن قدامة في " العلو " (٨٢) ، وفي إسنادِه : مُحَمَّد بن أشرس ، وهو متَّهم في الحديث ، وقد تركه غير واحد ، وقال شيخ الإسلام في "

الفتاوىٰ " (٥/ ٣٦٥) : وقد رُوِيَ هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ، ولكن ليس إسناده ممَّا يُعتمد عليه .

٢ .قول ربيعة شيخ الإمام مالك : رواه اللالكائي (٦٦٥) ، والبيهقي (ص٤٠٨-٤٠٩) ، وابن قدامة في " العلو " (٩٠) ... بأسانيد لا تصحُّ . وعلىٰ أيٍّ فالقضيَّة تبقىٰ رأياً من عالِم ، غير ملزمٍ للنَّاس ، ولا قاطع للجدل والفهم ، ولا محدِّدٍ لفهمٍ واحدٍ ، بل لكُلِّ مُتَّسع فيها يرىٰ ... والله أعلم " . انظر : مجموعة رسائل مُحَمَّد نسيب الرفاعي ، حسان عبد المنان ، (ص٢٨-٢٩) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م.

فهذه هي أقوال علماء الأُمَّة قد أجمعت علىٰ أنَّ السَّلف الصَّالح لم يفسِّروا شيئاً مِنْ نصوص الصِّفات ، ولَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا ، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ والسُّنَّة ثمَّ سَكَتُوا ، وقالوا : كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ ، فَتَفْسِيرُهُ قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَنْهُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا اللهُ وَرَسُولُهُ . وَالْحَاصِلُ أَنَّ السَّلف وَالْخَلَفَ مُؤَوِّلُونَ لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ صَرْفِ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ ، وَلَكِنَّ تَأْوِيلَ السَّلف إِجْمَالِيٌّ ، فجمهور علماء السَّلف لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا أَصْلاً ، فَلَو كَانَ تَأْوِيلُهَا حَتْماً ، لَبَادَرُوا إليه ، فَعُلِمَ قَطْعاً أَنَّ قِرَاءتَهَا وَإِمرَارَهَا عَلَىٰ مَا جَاءتْ هُوَ الحَقُّ ، لاَ تَفْسِيرَ لَهَا غَيْرُ ذَلِكَ ، فَنُؤْمِنُ بِذَلِكَ ، وَنَسْكُتُ اقْتِدَاءً بِالسَّلَفِ ، مُعْتَقِدِيْنَ أَنَّهَا صِفَاتٌ لله – تَعَالَىٰ – اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِ حَقَائِقِهَا ... وقد استوعبتُ ذلك كلَّه فِي رِسَالتي لِدرجَة الماجِسْتير ، وكانت بعنوان : " التَّفْوِيض فِي صِفَات الله تَعالىٰ بيْنَ السَّلف والخَلَف ... " .

ومع ذلك كلِّه وغيره الكثير من أقوال العلماء الذين أكَّدوا علىٰ أنَّ منهج السَّلف قام علىٰ تفويض الكَيْف والمعنىٰ ، إلَّا أنَّ من يدَّعون السَّلفيَّة أشاحوا بوجوههم عن الحقِّ مع بياضه ونصاعته ، وأغرقوا أنفسهم في بحار التَّشبيه ، والعياذ بالله تعالىٰ ... حتَّىٰ بلغ بهم الأمر إلىٰ التَّمادي...

[١٥] : في حديثه عن أقسام التَّوحيد !!! اتَّهم المدعو : صالح الفوزان الأشاعرة بأنَّهم يجحدون توحيد الأسماء والصِّفات ، فقال : " والقسم الثَّاني : – وهو توحيد الألوهيَّة – جحده أكثر الخلق ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالدعوة إليه ، وقد جحده المشركون قديماً وحديثاً ، وجحودهم له يتمثَّل بعبادة الأشجار ، والأحجار ، والأصنام ، والقبور ، والأضرحة ، وعبادة مشايخ الصُّوفيَّة باعتقاد النَّفع والخير فيهم من دون الله – عزَّ وجلَّ – ممَّن ينتسبون إلىٰ الإسلام زوراً وبهتاناً . والقسم الثَّالث – وهو توحيد الأسماء والصِّفات ، ويعني إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النَّقص علىٰ حدِّ قوله تعالىٰ : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورىٰ : ١١] . وهذا القسم قد جحده الجهميَّة وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة ، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الرُّبوبيَّة ، لكن لمَّا كثر منكروه وروَّجوا الشُّبه

حوله ؛ أفرد البحث ، وجعل قسماً مستقلاً ، وأُلِّفت فيه المؤلَّفات الكثيرة ؛ فألَّف الإمام أحمد ردَّه المشهور على الجهميَّة ، وألَّف ابنه عبد الله كتاب (السُّنَّة) ، وألَّف عبد العزيز الكناني كتاب (الحيدة) في الرَّدِّ على بشر المريسي ، وألَّف أبو عبد الله المروزي كتاب (السُّنَّة) ، وألَّف عثمان بن سعيد كتاب (الرَّدّ على بشر المريسي) ، وألَّف إمام الأئمَّة مُحَمَّد بن خزيمة كتاب (التَّوحيد) ، وألَّف غير هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم الرُّدود على هؤلاء ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم ؛ فلله الحمد والمنَّة على بيان الحقِّ ودحض الباطل " . انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشِّرك والإلحاد (ص١٤٢) .

قلت : أمَّا عن كلام الفوزان عن كتاب " الرَّدّ على الجهميَّة والزَّنادقة " ونسبته للإمام أحمد ، فإنَّ هذا الكتاب مُفترىً على الإمام ، ومكذوبٌ عليه ، كتبه ونسبه له من لا يستحي من الله ولا من عباد الله ... وممَّا جاء في الكتاب من الباطل : " لمَّا سمع موسى كلام ربِّه ، قال : يا ربّ هذا الذي سمعته هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى هو كلامي ، انَّما كلَّمتك على قدر ما يطيق بدنك ، ولو كلَّمتك بأكثر من ذلك لِمَتَّ . قال : فلمَّا رجع موسى إلى قومه قالوا له : صِفّ لنا كلام ربِّك ؟!!! قال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟! قالوا : فشبِّهه . قال : هل سمعتم أصوات الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ، فكأنَّه مثله " . انظر : الرد على الجهميَّة والزنادقة (ص١٣٧) .

أرأيتم كيف نسَبَ الصَّوت إلى الله تعالى ، مع أنَّ الصَّوت لم تأت إضافته إلى الله تعالى في حديث صحيح ، ثمَّ كيف شبَّه صوت الله تعالى بصوت الصَّواعق التي تُقبل في أحلى حلاوة سمعتموها!!! ...

وعن نسبة الكتاب للإمام أحمد قال الإمام الذَّهبي : " ... لاَ كَرِسَالَةِ الإِصْطَخْرِيِّ ، وَلاَ كَالرَّدِّ عَلَى الجهميَّة المَوْضُـوْعِ عَلَى أَبِي عَبْدِالله ، فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ تَقِيّاً وَرِعاً ، لاَ يَتَفَوَّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ " . انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٦-٢٨٧) .

وقال محقِّقُ " سير أعلام النُّبلاء " : " يرى الذَّهبي المؤلِّف أنَّ كتاب " الرَّدّ على الجهميَّة " موضوعٌ على الامام أحمد . وقد شكَّك أيضاً في نسبة هذا الكتاب إلى الامام أحمد بعض المعاصرين في تعليقـه على " الاختلاف في اللفظ والرَّدّ على الجهميَّة " لابن قتيبة . ومستنده أنَّ في السَّند إليه مجهولاً ، فقد رواه أبو بكر غلام الخلَّال ، عن الخلَّال ، عن الخضر بن المثنَّى ، عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ... والخضر بن المثنَّى هذا مجهول ، والرِّواية عن مجهول مقدوحٌ فيها ، مطعونٌ في سندها . وفيه ما يخالف ما كان عليه السَّلف من معتقد ، ولا يتَّسق مع ما جاء عن الإمام في غيره ممَّا صحَّ عنه ، وهذا هو الذي دعا الذَّهبي هنا إلى نفي نسبته إلى الامام أحمد ، ومع ذلك فإنَّ غير واحد من العلماء قد صحَّحوا نسبة هذا الكتاب إليه ، ونقلوا عنه ، وأفادوا منه ، منهم القاضي أبو يعلى ، وأبو الوفاء

بن عقيل ، والبيهقي ، وابن تيمية ، وتلميذه ابن القيِّم ، وتوجد من الكتاب نسخة خطيَّة في ظاهريَّة دمشق ، ضمن مجموع رقم (١١٦) ، وهي تشتمل على نصِّ " الرَّدّ على الجهميَّة " فقط ، وهو نصف الكتاب ، وعن هذا الأصل نشر الكتاب في الشَّام ، بتحقيق الأستاذ مُحَمَّد فهر الشَّقفة . وممَّا يؤكِّد أنَّ هذا الكتاب ليس للإمام أحمد : أنَّنا لا نجد له ذكراً لدى أقرب النَّاس إلى الامام أحمد بن حنبل ممَّن عاصروه وجالسوه ، أو أتوا بعده مباشرة وكتبوا في الموضوع ذاته ، كالإمـــــام البخاري(٢٥٦هـ) ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) ، وأبي سعيد الدَّارمي (٢٨٠هـ) ، والإمام أبو الحسن الأشعري قد ذكر عقيدة الامام أحمد في كتابه : " مقالات الإسلاميِّين " ، ولكنَّه لم يشر إلى هذا الكتاب مطلقاً ، ولم يستفد منه شيئاً " . انظر : هامش سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٧) .

أمَّا بقيَّة الكُتب التي ذكرها الفوزان ، فسيكون الحديث عنها وعن غيرها من الكتب المعنونة بـ " السُّنَّة " في دراسة مستقلَّة ضمن كتاب ضخم ، لإطلاع الجميع وإخبارهم في أيِّ فلك يدور من يدَّعون السَّلفيَّة ... وكذا إعلام الجميع بحقيقة السُّنَّة التي إليها ينتسبون ، وإليها يدعون...

[١٦] : جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وهذه الطَّائفة التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري وصفوا ربَّ العالمين بصفات المعدوم والجماد ؛ فلقد أعظموا الفِرية على الله ، وخالفوا أهل الحقِّ من السَّلف والأئمَّة وأتباعهم ؛ وخالفوا من ينتسبون إليه ، فإنَّ أبا الحسن الأشعري ، صرَّح في كتابه " الإبانة " ، و " المقالات " ، بإثبات الصِّفات ؛ فهذه الطَّائفة المنحرفة عن الحقِّ قد تجرَّدت شياطينهم لصدِّ النَّاس عن سبيل الله ، فجحدوا توحيد الله في الإلهيَّة ، وأجازوا الشِّرك الذي لا يغفره الله !!! فجوَّزوا أن يعبد غيره من دونه ، وجحدوا توحيد صفاته بالتَّعطيل .

فالأئمَّة من أهل السُّنَّة وأتباعهم لهم المصنَّفات المعروفة في الرَّدِّ على هذه الطَّائفة الكافرة !!! المعاندة !!! كشفوا فيها كلَّ شبهة لهم ، وبيَّنوا فيها الحقَّ الذي دلَّ عليه كتاب الله وسُنَّة رسوله ، وما عليه سلف الأُمَّة وأئمَّتها من كلِّ إمام رواية ودراية " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٣/ ٢٠٦-٢٠٧) .

فعلماء نجد الأعلام !!! يُصرِّحون بتكفير الأشاعرة ، وبتكفيرهم لهم تكفير للسَّواد الأعظم من علماء الأُمَّة ...أمَّا عن حديثهم عن كتاب " الإبانة " ... فكتابُ " الإبانة " كتابٌ لعبت به الأيدي الأثيمة العابثة ، وقد استوعب المسألة بالدَّليل الأستاذ وهبي غاوجي الألباني في رسالته الطيِّبة : " نظرة علميَّة في نِسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن " ، حيث دلَّل وأثبت بأنَّ قسماً لا يُستهان به من " الإبانة " لا يصحُّ نسبته للإمام الأشعري...

[١٧] : جاء في مجموع رسائل ابن عثيمين : " سئل فضيلة الشَّيخ : عمَّا يتعلَّمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلاميَّة من أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو " الإيمان بأسماء الله – تعالى – ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل " . وهل تقسيم أهل السُّنَّة إلى قسمين : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، ومدرسة الأشاعرة

والماتريديَّة تقسيم صحيح ؟ وما موقف المسلم من العلماء المئولين ؟ فأجاب بقوله : لا شكَّ أنَّ ما يتعلَّمه الطَّلبة في المدارس من أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو : (الإيمان بأسماء الله – تعالىٰ – ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل) ، هو المطابق للواقع بالنِّسبة لمذهب أهل السُّنَّة ، كما تشهد بذلك كتبهم المطوَّلة والمختصرة ، وهو الحقُّ الموافق لما جاء في الكتاب والسُّنَّة ، وأقوال السَّلف ، وهو مقتضىٰ النَّظر الصَّحيح ، والعقل الصَّريح ، ولسنا بصدد سرد أفراد الأدلَّة في ذلك ، لعدم طلبه في السُّؤال ، وانَّما نُجيب علىٰ ما طلب وهو تقسيم أهل السُّنَّة إلىٰ طائفتين في مدرستين :

إِحْدَاهُمَا : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، المانعين لصرف النُّصوص عن ظواهرها.

الثَّانِيَة : مدرسة الأشاعرة والماتريديَّة ، الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته.

فنقول : من المعلوم أنَّ بين هاتين المدرستين اختلافاً بيِّناً في المنهاج فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته ، فالمدرسة الأولىٰ يقرِّر معلِّموها وجوب إبقاء النُّصوص علىٰ ظواهرها فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته ، مع نفي ما يجب نفيه عن الله – تعالىٰ –، من التَّمثيل أو التَّكييف ، والمدرسة الثَّانية يقرِّر معلِّموها وجوب صرف النُّصوص عن ظواهرها فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته . وهذان المنهاجان متغايران تماماً ، ويظهر تغايرهما بالمثال التَّالي : قال الله تعالىٰ : **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾** [المائدة: ٦٤] . وقال فيما حكاه عن معاتبة إبليس حين أبىٰ أن يسجد لآدم بأمر الله : **﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** [ص: ٧٥] . فقد اختلف معلِّمو المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله تعالىٰ لنفسه ، فقال أهل المدرسة الأولىٰ : يجب إبقاء معناهما علىٰ ظاهره ، وإثبات يدين حقيقيَّتين لله تعالىٰ !!! علىٰ وجه يليق به . وقال أهل المدرسة الثَّانية : يجب صرف معناهما عن ظاهره ، ويحرم إثبات يدين حقيقيَّتين لله تعالىٰ !!! ثمَّ اختلفوا في المراد بهما هل هو القوَّة ، أو النِّعمة . وبهذا المثال يتبيَّن أنَّ منهاجي أهل المدرستين مختلفان متغايران ، ولا يمكن بعد هذا التَّغاير أن يجتمعا في وصف واحد ، هو " أهل السُّنَّة " . إذن فلا بدَّ أن يختصَّ وصف أهل السُّنَّة بأحدهما دون الآخر ، فلنحكم بينهما بالعدل ، ولنعرضهما علىٰ ميزان القسط وهو كتاب الله تعالىٰ ، وسُنَّة رسوله ﷺ ، وكلام الصَّحابة ، والتَّابعين لهم بإحسان من سلف الأُمَّة وأئمَّتها . وليس في هذا الميزان ما يدلُّ بأي وجه من وجوه الدّلالة ، المطابقة ، أو التَّضمُّن ، أو الالتزام صريحاً أو إشارة علىٰ ما ذهب إليه أهل المدرسة الثَّانية ، بل في هذا الميزان ما يدلُّ دلالة صريحة ، أو ظاهرة ، أو إشاريَّة علىٰ ما ذهب إليه أهل المدرسة الأولىٰ ، وعلىٰ هذا فيتعيَّن أن يكون وصف أهل السُّنَّة خاصَّاً بهم لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثَّانية ؛ لأنَّ الحكم بمشاركتهم إيَّاهم جور ، وجمع بين الضدَّين ، والجور ممتنع شرعاً ، والجمع بين الضدَّين ممتنع عقلاً ". انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١١٥-١١٧) .

وحتىٰ يتَّضح لك الأمر جليّاً أيُّها القارئ الكريم ... سأضع بين يديك طائفة يسيرة من أقوال علماء الأُمَّة الذين فسَّروا قول الله تعالىٰ : ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، لتعلم يقيناً أنَّ الحقَّ هو ما قاله الجمهور الذي خالفه العثيمين وزُمرته المُتسلِّفة...

قال الإمام الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) : " ... وكذلك ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، كما تقول : إنَّ لِفُلانٍ عِنْدِي يَداً ، أي : نِعْمَةً " . انظر : معانئ القرآن ، الأخفش (١/ ٢٨٤) .

وقال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) : " القول في تأويل قوله : ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ، قال أبو جعفر : وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ جَرَاءَةِ الْيَهُودِ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَوَصْفِهِمْ إِيَّاهُ بِمَا لَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ ، تَوْبِيخًا لَهُمْ بِذَلِكَ وَتَعْرِيفًا مِنْهُ نَبِيَّهُ ﷺ قَدِيمَ جَهْلِهِمْ وَاغْتِرَارَهُمْ بِهِ وَإِنْكَارَهُمْ جَمِيعَ جَمِيلِ أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ وَكَثْرَةَ صَفْحِهِ عَنْهُمْ وَعَفْوِهِ عَنْ عَظِيمِ إِجْرَامِهِمْ ، وَاحْتِجَاجًا لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنَّهُ لَهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ أَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَنْبَاءُ الَّتِي أَنْبَأَهُمْ بِهَا كَانَتْ مِنْ خَفِيِّ عُلُومِهِمْ وَمَكْنُونِهَا الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَحْبَارُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَضْلًا فَأَطْلَعَ اللهُ عَلَىٰ ذَلِكَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقَرِّرَ عِنْدَهُمْ صِدْقَهُ وَيَقْطَعَ بِذَلِكَ حُجَّتَهُمْ.

يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١١٣] مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يَعْنُونَ: أَنَّ خَيْرَ اللهِ مُمْسَكٌ ، وَعَطَاءُهُ مَحْبُوسٌ عَنِ الِاتِّسَاعِ عَلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِي تَأْدِيبِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] ، وَإِنَّمَا وَصَفَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْيَدَ بِذَلِكَ ، وَالْمَعْنَىٰ: الْعَطَاءُ ، لِأَنَّ عَطَاءَ النَّاسِ وَبَذْلَ مَعْرُوفِهِمُ الْغَالِبَ بِأَيْدِيهِمْ ، فَجَرَىٰ اسْتِعْمَالُ النَّاسِ فِي وَصْفِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا إِذَا وَصَفُوهُ بِجُودٍ وَكَرَمٍ أَوْ بِبُخْلٍ وَشُحٍّ وَضِيقٍ ، بِإِضَافَةِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَىٰ يَدَيْهِ ، كَمَا قَالَ الْأَعْشَىٰ فِي مَدْحِ رَجُلٍ:

يَدَاكَ يَدَا مَجْدٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَكَفٌّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

فَأَضَافَ مَا كَانَ صِفَةَ صَاحِبِ الْيَدِ مِنْ إِنْفَاقٍ وَإِفَادَةٍ إِلَىٰ الْيَدِ؛ وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي أَشْعَارِهَا وَأَمْثَالِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَىٰ. فخَاطَبَهُمُ اللهُ بِمَا يَتَعَارَفُونَهُ ، وَيَتَحَاوَرُونَهُ بَيْنَهُمْ فِي كَلَامِهِمْ ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ يَبْخَلُ عَلَيْنَا وَيَمْنَعُنَا فَضْلَهُ فَلَا يَفْضُلُ ، كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْسُطَهَا بِعَطَاءٍ وَلَا بَذْلِ مَعْرُوفٍ. تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا قَالَ أَعْدَاءُ اللهِ ...

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْجَدَلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ نِعْمَتَاهُ ، وَقَالَ: ذَلِكَ بِمَعْنَىٰ: يَدُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ نِعَمُهُ عَلَيْهِمْ؛ وَقَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: لَكَ عِنْدِي يَدٌ ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ: نِعْمَةً.

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: عَنَى بِذَلِكَ الْقُوَّةَ ، وَقَالُوا: ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: **﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي﴾** وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَدُهُ مُلْكُهُ؛ وَقَالَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾** [المائدة: ٦٤] مُلْكُهُ وَخَزَائِنُهُ. قَالُوا: وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْعَرَبِ لِلْمَمْلُوكِ: هُوَ مِلْكُ يَمِينِهِ ، وَفُلَانٌ بِيَدِهِ عُقْدَةُ نِكَاحِ فُلَانَةَ: أَيْ يَمْلِكُ ذَلِكَ ، وَكَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: **﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾** [المجادلة: ١٢] وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَدُ اللهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ هِيَ يَدٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ كَجَوَارِحِ بَنِي آدَمَ. قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ خُصُوصِيَّةِ آدَمَ بِمَا خَصَّهُ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُ بِيَدِهِ " . انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ٤٥٠-٤٥٤ باختصار) ، وللاستزادة انظر : تفسير التستري (ص٥٨) ، معاني القرآن وإعرابه ، الزَّجَّاج (٢/ ١٨٩-١٩٠) ، بحر العلوم (١/ ٤٢٧) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢/ ١٣٢) ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (٣/ ١٧٩٩-١٨٠١) ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) ، (٢/ ٥١-٥٢) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٠٧) ، تفسير الراغب الأصفهاني (٥/ ٣٩٣) ، الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل (١/ ٦٨٩) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢١٥-٢١٦) ، زاد المسير في علم التَّفسير (١/ ٥٦٦) ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٢/ ٣٩٥-٣٩٧) ، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) (١/ ٣٩٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٣٩) ،، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل (٢/ ١٣٥) ، تفسير النَّسفي ، النَّسفي ، (١/ ٢٧٣) ، التسهيل لعلوم التَّنزيل (١/ ٢٣٨) ، تفسير الخازن المسمَّى لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل (٢/ ٧٠-٧٢) ، البحر المحيط في التَّفسير (٤/ ٣١٥) ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣/ ١٤٦) ، اللباب في علوم الكتاب (٧/ ٤٢٧-٤٢٩) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٦١٤) ...

[١٨] : أخرج دكتورهم سفر حوالي الأشاعرةَ من أهل السُّنَّة والجماعة ، وفي ذلك يقول : إِنَّ مصطلح أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يُطلق وَيُرَاد بِهِ مَعْنيانِ :

أ . الْمَعْنىٰ الْأَعَمّ : وَهُوَ مَا يُقَابل الشِّيعَة ، فَيُقَال : المتنسبون لِلْإِسْلَام قِسْمَانِ : أهل السُّنَّة والشِّيعة ، مِثْلَمَا عنون شيخ الإسلام كِتَابه فِي الرَّد علىٰ الرَّافضي " منهاج السُّنَّة " ، وَفِيه بيَّن هذَيْن الْمَعْنيين ، وَصرَّح أَنَّ مَا ذهبت إليه الطَّوائف المبتدعة من أهل السُّنَّة بِالْمَعْنَىٰ الْأَخص . وَهَذَا الْمَعْنىٰ يدْخل فِيهِ كل من سوىٰ الشِّيعَة ، كالأشاعرة ، لاسيَّما والأشاعرة فِيمَا يتَعَلَّق بموضوع الصَّحابة وَالْخُلَفَاء متفقون مَعَ أهل السُّنَّة ، وهي نقطة الِاتِّفَاق المنهجيَّة الوحيدة !!! كَمَا سَيَأْتِي.

ب . الْمَعْنىٰ الْأَخص : وَهُوَ مَا يُقَابل المبتدعة وَأهل الْأَهْوَاء ، وَهُوَ الْأَكْثَر اسْتِعْمَالاً ، وَعَلَيهِ كتب الْجرْح وَالتَّعْدِيل . فَإِذا قَالُوا عَن الرجل أَنَّه صَاحب سُنَّة أَو كَانَ سُنيّاً أومن أهل السُّنَّة وَنَحْوهَا ، فَالْمُرَاد أَنَّه لَيْسَ من إِحْدَىٰ الطَّوائف البدعيَّة كالخوارج ، والمعتزلة ، والشِّيعة ، وَلَيْسَ صَاحب كَلَام وَهوىٰ ، وَهَذَا الْمَعْنىٰ لَا يدْخل فِيهِ الأشاعرة أبداً ، بل هم خارجون عَنهُ ، وَقد نَصَّ الإِمَام أَحْمد وَابْن الْمَدِينِيّ علىٰ أَنَّ من خَاضَ فِي شَيْء من علم الْكَلَام ، لَا يعْتَبر من

أهل السُّنَّة ، وَإِن أَصَاب بِكَلَامِهِ السُّنَّة حتَّىٰ يدع الجدلي وَيسلِّم للنُّصوص ، فَلم يشترطوا مُوَافقَة السُّنَّة فَحسب ، بل التلقِّي والاستمداد مِنْهَا ، فَمن تلقَّىٰ من السُّنَّة فَهُوَ من أَهلهَا وَإِن أَخطَأَ ، وَمن تلقَّىٰ من غَيرهَا فقد أَخطَأَ وَإِن وافقها فِي النَّتِيجَة . والأشاعرة – كَمَا سترىٰ – تلقَّوا وَاسْتَمَدُّوا من غير السُّنَّة !!! وَلم يوافقوها فِي النَّتائج ، فَكيف يكونوا من أَهلهَا ؟!!! " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب علىٰ مقالات الصابوني (ص١٥-١٧) .

[١٩] : وقال الدُّكتور سفر حوالي أيضاً : " ... قد أوضحنا فِيمَا سبق أَنَّ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة والأشاعرة فرقتان مُخْتَلِفَتَانِ ، وَهَذَا يسْتَلْزم تَحْدِيد أَيهمَا الْفرْقَة النَّاجِية ؟ " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني (ص٦٩) .

وأضاف قائلاً : " بل نَحن نَزِيدكُمْ إيضاحاً ، فَنَقُول : إِنَّ هَذِه العقائد الَّتِي أدخلتموها فِي الإسلام وجعلتموها عقيدة الْفرْقَة النَّاجِية بزعمكم ، هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فلاسفة اليونان ومشركو الصَّابئة وزنادقة أهل الْكتاب !!! . لَكِن ورثهَا عَنْهُم الجهم بن صَفْوَان ، وَبشر المريسي ، وَابْن كُلَّاب ، وَأَنْتُم ورثتموها عَن هَؤُلَاءِ ، فَهِيَ من تَرِكَة الفلاسفة ، والابتداع ، وَلَيْسَت من مِيرَاث النُّبُوَّة وَالْكتاب.

وَمن أوضح الْأَدِلَّة علىٰ ذَلِك : أَنَّنا مَا نزال حتَّىٰ الْيَوْم نردُّ عَلَيْكُم بِمَا أَلَّفه أَئِمَّة السُّنَّة الْأَولونَ من كتب فِي الرُّدود علىٰ " الجهميَّة " كتبوها قبل ظُهُور مذهبكم بِزَمَان ، وَمِنْهُم : الإِمَام أَحْمد ، وَالْبُخَارِيّ ، وَأَبُو دَاوُد ، والدَّارمي ، وَابْن أبي حَاتِم ... فَدلَّ هَذَا علىٰ أَنَّ سلفكم أُولَئِكَ الثَّلَاثَة وأشباههم ، مَعَ مَا زدتم عَلَيْهِم ، وركبتم من كَلَامهم من بدع جَدِيدَة !!! . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب علىٰ مقالات الصابوني (ص٧١).

[٢٠] : قال ابن باز : " فالأشاعرة وأشباههم لا يدخلون في أهل السُّنَّة في إثبات الصِّفات ، لكونهم قد خالفوهم في ذلك ، وسلكوا غير منهجهم ، وذلك يقتضي الإنكار عليهم ، وبيان خطئهم في التَّأويل ، وأنَّ ذلك خلاف منهج أهل السُّنَّة والجماعة ، كما تقدَّم بيانه في أوَّل هذه التَّنبيهات ، كما أنَّه لا مانع أن يقال : إنَّ الأشاعرة ليسوا من أهل السُّنَّة في باب الأسماء والصِّفات ، وإن كانوا منهم في الأبواب الأخرىٰ ، حتَّىٰ يعلم النَّاظر في مذهبهم أنَّهم قد أخطأوا في تأويل بعض الصِّفات وخالفوا أصحاب النَّبي ﷺ وأتباعهم بإحسان في هذه المسألة ، تحقيقاً للحقِّ ، وإنكاراً للباطل ، وإنزالاً لكلٍّ من أهل السُّنَّة والأشاعرة في منزلته التي هو عليها " . انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (٣/ ٧٤) .

[٢١] : وقال ابن باز أيضاً : " ومن العقائد المضادَّة للعقيدة الصَّحيحة في باب الأسماء والصِّفات !!! عقائد أهل البدع : من الجهميَّة ، والمعتزلة ، ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عزَّ وجلَّ ، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال ، ووصفه عزَّ وجلَّ بصفة المعدومات ، والجمادات ، والمستحيلات ، تعالىٰ الله عن قولهم علوَّاً كبيراً ، ويدخل

في ذلك من نفىٰ بعض الصِّفات وأثبت بعضها ، كالأشاعرة ، فإنَّه يلزمهم فيما أثبتوه من الصِّفات نظير ما فرُّوا منه من الصِّفات التي نفوها ، وتأوَّلوا أدلَّتها ، فخالفوا بذلك الأدلَّة السَّمعيَّة والعقليَّة ، وتناقضوا في ذلك تناقضاً بيِّناً "

. انظر : مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز (١/ ٢٧) .

[٢٢] : قال المدعو : صالح الفوزان : " وبهذا يعلم أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم ينفرد بقول لم يقم عليه دليلٌ من الكتاب والسُّنَّة ، ولم يقل به أحدٌ من الأئمَّة من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم . ومن أراد الحقَّ في هذا فلينظر في مجموع فتاواه الكبير الذي بلغ خمسة وثلاثين مجلَّداً ، وطبع عدَّة مرَّات ، ووزِّع علىٰ نطاق واسع في العالم الإسلامي ، ولا يصدق ما أشاعه عنه المغرضون ، فإنَّ قول الخصم غير مقبول علىٰ خصمه ، وانَّما يرجع إلىٰ كلام الشَّخص نفسه ، ويحكم عليه بموجبه ، واليوم والحمد لله كتب شيخ الإسلام وفتاواه قد انتشرت واشتهرت ، وهي تدحض ما افتراه عليه خصومه من الأكاذيب ، ومن رجع إلىٰ هذه المؤلَّفات القيِّمة ، أدرك أنَّه مفترىٰ عليه ، ووجد في هذه المؤلَّفات العلم الغزير الموروث عن النَّبي ﷺ ، ولا يسع المنصف الخالي من التَّعصُّب الأعمىٰ إلَّا أن يقرَّ له بالعلم والفضل.

قالوا : أنَّه أفتىٰ بفتاوىٰ تخالف فتاوىٰ الأئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة ، وهذا من الكذب علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو لم ينفرد بقول يخالف به الأئمَّة جميعاً ، سواء الأئمَّة الأربعة أو أئمَّة السَّلف الذين هم قبل الأربعة ، كما سبق بيانه ، فلم يقل قولاً إلَّا وله سلف فيه من الأئمَّة ، وأهل السُّنَّة والجماعة ، اللهمَّ إلَّا أن يريد هذا القائل بأهل السُّنَّة والجماعة جماعة الأشاعرة والماتريديَّة - فهذا اصطلاح خاطئ ؛ لأنَّ المراد بأهل السُّنَّة والجماعة حقَّاً من كان علىٰ طريقة الرَّسول ﷺ وأصحابه ، وهم الفرقة النَّاجية ، وهذا الوصف لا ينطبق إلَّا علىٰ الصَّحابة والتَّابعين ومن سار علىٰ نهجهم واتَّبع طريقهم ، والأشاعرة والماتريديَّة خالفوا الصَّحابة والتَّابعين والأئمَّة الأربعة في كثير من المسائل الاعتقاديَّة وأُصول الدِّين !!! فلم يستحقُّوا أن يلقَّبوا بأهل السُّنَّة والجماعة ، وهؤلاء لم يخالفهم شيخ الإسلام ابن تيمية وحده ، بل خالفهم عامَّة الأئمَّة والعلماء الذين ساروا علىٰ نهج السَّلف " . انظر : من مشاهير المجددين في الإسلام (ابن تيمية ومحمَّد بن عبد الوهاب) (ص٣٢).

[٢٣] : قال المدعو : مُحَمَّد حامد الفقي ، في تحقيقه لكتاب : " فتح المجيد " : " ... فإنَّ جهم بن صفوان ومن تبعه يزعمون أنَّها لا تدلُّ علىٰ صفة قائمة بالله تعالىٰ ، وتبعهم علىٰ ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم . فلهذا كفَّرهم كثيرون من أهل السُّنَّة !!! قال العلَّامة ابن القيِّم رحمه الله تعالىٰ:

ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في   عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ   ـهم بلاه قبلـــــه الطَّبراني

فإنَّ هؤلاء الجهميَّة ومن وافقهم علىٰ التَّعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله " . انظر : هامش كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٤٠١) .

[٢٤] : قال ابن عثيمين : " فإذا سُئلنا : مَنْ أهل السُّنَّة والجماعة ؟ فنقول : هم المتمسِّكون بالإسلام المحض ، الخالص عن الشَّوب . وهذا التَّعريف من شيخ الإسلام ابن تيمية يقتضي أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة ونحوهم ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ، لأنَّ تمسُّكهم مشوبٌ بما أدخلوا فيه من البدع . وهذا هو الصَّحيح ، أنَّه لا يعدُّ الأشاعرة والماتريديَّة فيما ذهبوا إليه في أسماء الله وصفاته من أهل السُّنَّة والجماعة.

وكيف يعدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك مع مخالفتهم لأهل السُّنَّة والجماعة ؟! لأنَّه يقال : إمَّا أن يكون الحقُّ فيما ذهب إليه هؤلاء الأشاعرة والماتريديَّة ، أو الحقُّ فيما ذهب إليه السَّلف !!! ومن المعلوم أنَّ الحقَّ فيما ذهب إليه السَّلف ، لأنَّ السَّلف هنا هم الصَّحابة والتَّابعون وأئمَّة الهدىٰ من بعدهم ، فإذا كان الحقُّ فيما ذهب إليه السَّلف ، وهؤلاء يخالفونهم ، صاروا ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك . انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين (٨/ ٦٨٥-٦٨٦) .

[٢٥] : قال ابن باز في جوابه علىٰ سؤال : هل الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، أرجو التَّوضيح ؟ تحت عنوان : " بيان طائفة الأشاعرة " : ج : الأشاعرة عندهم أشياء خالفوا فيها أهل السُّنَّة من تأويل بعض الصِّفات ، فهم في بعض التَّأويل ليسوا من أهل السُّنَّة ؛ لأنَّ أهل السُّنَّة لا يؤولون ، وهذا غلط من الأشاعرة ومنكر ، وعندهم مخالفات غير ذلك !!! والواجب علىٰ المؤمن هو طريق أهل السُّنَّة والجماعة ، وهو الإيمان بأسماء الله كلّها ، وصفاته الواردة في القرآن الكريم ، وهكذا الثَّابتة في السُّنَّة ، يجب الإيمان بها ، وإمرارها كما جاءت ، بلا تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تأويل ، بل يجب أن تمرَّ كما جاءت ، مع الإيمان بها علىٰ الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالىٰ " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ١٥٦) .

[٢٦] : في كتابه : " تأكيد المسلَّمات السَّلفيَّة في نقض الفتوىٰ الجماعيَّة بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضيَّة " ، ذكر المدعو : عبد العزيز بن ريِّس الريِّس ، أسماء من اشتملت عليه كتبهم في تكفير الأشاعرة ، فقال : " العلماء الذين قرَّروا !!! بأنَّ الأشاعرة مبتدعة من الفرق الهالكة ، وأنَّهم ليسوا من أهل السُّنَّة " : قد نصَّ غير واحد من أهل العلم علىٰ أنَّ الأشاعرة مُبتدعة ، ومعنىٰ هذا أنَّهم ليسوا من أهل السُّنَّة ، وعليه فلا يكونون من الفرقة النَّاجية الطَّائفة المنصورة:

١ . إمام أهل السُّنَّة الإمام أحمد : فقد بدَّع الكُلَّابيَّة ، وشدَّد عليهم ، وهم كالأشاعرة الأوائل ، قال الإمام ابن تيمية في " درء تعارض العقل والنَّقل " (٦/٢) : " وأمَّا الحارث المحاسبي ، فكان ينتسب إلىٰ قول ابن كُلَّاب ، ولهذا

أمر أحمد بهجره ، وكان أحمد يحذِّر عن ابن كُلَّاب وأتباعه " وقال في الفتاوىٰ (١٢/٣٦٨) : والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمَّة السُّنَّة كانوا يحذِّرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كُلَّاب ويحذِّرون عن أصحابه . وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكُلَّابيَّة .

وقال في كتابه : " الاستقامة " (١/١٠٥) : والكُلَّابيَّة هم مشايخ الأشعريَّة ، فإنَّ أبا الحسن الأشعري انَّما اقتدىٰ بطريقة أبي مُحَمَّد بن كُلَّاب ، وابن كُلَّاب كان أقرب إلىٰ السَّلف زمناً وطريقة ، وقد جمع أبو بكر بن فورك شيخ القشيري كلام ابن كُلَّاب والأشعري ، وبيَّن اتفاقهما في الأصول ، ولكن لم يكن كلام أبي عبد الرَّحمن السّلمي قد انتشر بعد ، فإنَّه انتشر في أثناء المائة الرَّابعة ، لَّما ظهرت كتب القاضي أبي بكر بن الباقلاني ونحوه ا.هـ

وقال كما في الفتاوىٰ : (١٢/١٧٨) : وأمَّا قوله : وقوم نحوا إلىٰ أنَّه – أي القرآن – قديم لا بصوت ولا حرف إلَّا معنىٰ قائم بذات الله ، وهم الأشعريَّة ، فهذا صحيح ، ولكن هذا القول أوَّل من قاله في الإسلام عبدالله بن كُلَّاب ، فإنَّ السَّلف والأئمَّة كانوا يثبتون لله تعالىٰ ما يقوم به من الصِّفات والأفعال المتعلِّقة بمشيئته وقدرته ، والجهميَّة تنكر هذا وهذا ، فوافق ابن كُلَّاب السَّلف علىٰ القول بقيام الصِّفات القديمة ، وأنكر أن يقوم به شيء يتعلَّق بمشيئته وقدرته ، وجاء أبو الحسن الأشعري بعده وكان تلميذاً لأبي علي الجبائي المعتزلي ثمَّ أنَّه رجع عن مقالة المعتزلة ، وبيَّن تناقضهم في مواضع كثيرة ، وبالغ في مخالفتهم في مسائل القدر ، والإيمان ، والوعد والوعيد ، حتَّىٰ نسبوه بذلك إلىٰ قول المرجئة والجبريَّة والواقفة ، وسلك في الصِّفات طريقة ابن كُلَّاب ، وهذا القول في القرآن هو قول ابن كُلَّاب في الأصل ، وهو قول من اتَّبعه كالأشعري وغيره ا.هـ وقال كما في الفتاوىٰ (١٧/١٤٩) : كالكُلَّابيَّة ومن اتَّبعهم من الأشعريَّة وغيرهم ا.هـ

وقال الإمام أبو بكر ابن خزيمة كما في " سير أعلام النُّبلاء " : (١٤/٣٨٠) لَّما قال له أبو علي الثَّقفي : " ما الذي أنكرت أيُّها الأستاذ من مذاهبنا حتَّىٰ نرجع عنه ؟ قال : ميلكم إلىٰ مذهب الكُلَّابيَّة ، فقد كان أحمد بن حنبل من أشدِّ النَّاس علىٰ عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب ، وعلىٰ أصحابه مثل الحارث وغيره ا.هـ

فكيف لو أدرك من جاء بعدهم من الأشاعرة الذين ازدادوا سوءاً إلىٰ أشاعرة زماننا الذين تميع فيهم هؤلاء المفتون ، وطار بفتواهم إذاعة ونشراً موقع الإسلام اليوم تحت نظر ورعاية من مشرفه سلمان العودة ، فإنَّ الأشاعرة كلَّما تأخَّروا زادوا بعداً عن السُّنَّة ، قال الإمام ابن تيمية في شرح الأصفهانيَّة : (ص١٠٧-١٠٨) : " فإنَّ كثيراً من متأخِّري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله إلىٰ قول المعتزلة أو الجهميَّة أو الفلاسفة " ، وقال في الدَّرء : (٧/٩٧) : " وهذا الكلام في الأصل– أي تقديم العقل علىٰ النقل– هو من قول الجهميَّة المعتزلة وأمثالهم ، وليس من قول الأشعري وأئمَّة أصحابه ، وانَّما تلقَّاه عن المعتزلة متأخِّرو الأشعريَّة ، لَّما مالوا إلىٰ نوع التَّجهُّم بل الفلسفة ، وفارقوا

قول الأشعري وأئمَّة أصحابه الذين لم يكونوا يقرُّون بمخالفة النقل للعقل ، بل انتصبوا لإقامة أدلَّة عقليَّة توافق السَّمع ، ولهذا أثبت الأشعري الصِّفات الخبريَّة بالسَّمع ، وأثبت بالعقل الصِّفات العقليَّة التي تعلم بالعقل والسَّمع ، فلم يثبت بالعقل ما جعله معاضداً للسَّمع ، بل ما جعلـــه معاضداً له ، وأثبت بالسَّمع ما عجز عنه العقل ا.هـ

٢ . الإمام أبو نصر السّجزي : إذ وصف الأشاعرة بأنَّهم متكلِّمون ، وفرقة محدَثة ، وأنَّهم أشدُّ ضرراً من المعتزلة ، فقال : " فكلُّ مدَّع للسُّنَّة يجب أن يطالب بالنقل الصَّحيح بما يقوله ، فإن أتىٰ بذلك علم صدقه ، وقبلَ قوله ، وإن لم يتمكَّن من نقل ما يقوله عن السَّلف ، عُلم أنَّه محدث زائغ ، وأنَّه لا يستحقُّ أن يصغا إليه أو يناظر في قوله ، وخصومنا المتكلِّمون معلومٌ منهم أجمع اجتناب النَّقل والقول به بل تمحينهم لأهله ظاهر ، ونفورهم عنهم بين ، وكتبهم عارية عن إسناد ، بل يقولون : قال الأشعري ، وقال ابن كُلَّاب ، وقال القلانسي ، وقال الجبائي... ومعلوم أنَّ القائل بما ثبت من طريق النَّقل الصَّحيح عن الرَّسول ﷺ لا يسمَّىٰ محدثاً بل يسمَّىٰ سُنيَّاً متَّبعاً ، وأنَّ من قال في نفسه قولاً وزعم أنَّه مقتضىٰ عقله ، وأنَّ الحديث المخالف له لا ينبغي أن يلتفت إليه ، لكونه من أخبار الآحاد ، وهي لا توجب علماً ، وعقله موجب للعلم يستحق أن يسمَّىٰ محدثاً مبتدعاً ، مخالفاً ، ومن كان له أدنىٰ تحصيل أمكنه أن يفرِّق بيننا وبين مخالفينا بتأمُّل هذا الفصل في أوَّل وهلة ، ويعلم أنَّ أهل السُّنَّة نحن دونهم ، وأنَّ المبتدعة خصومنا دوننا " . انظر : الرَّدّ علىٰ من أنكر الحرف والصَّوت (ص١٠٠-١٠١).

ثمَّ قال (ص٢٢٢- ٢٢٣) : " ثمَّ بلي أهل السُّنَّة بعد هؤلاء ؛ بقوم يدَّعون أنَّهم من أهل الاتِّباع ، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم ، وهم : أبو مُحَمَّد بن كُلَّاب ، وأبو العبَّاس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري ... وفي وقتنا : أبو بكر الباقلَّاني ببغداد ، وأبو إسحاق الإسفرائني ، وأبو بكر بن فورك بخراسان ، فهؤلاء يردُّون علىٰ المعتزلة بعض أقاويلهم ، ويردُّون علىٰ أهل الأثر أكثر مما ردُّوه علىٰ المعتزلة – ثمَّ قال : وكلّهم أئمّةُ ضَلالة !!! يدعونَ النَّاس إلىٰ مخالفةِ السُّنَّة ، وتركِ الحديث ...." ، وبيَّن – رحمه الله– وجه كونهم أشدّ من المعتزلة ، فقال (ص١٧٧-١٧٨) : " لأنَّ المعتزلة قد أظهرت مذهبها ، ولم تستقف ، ولم تُمَوِّه . بل قالت : إنَّ الله بذاته في كلِّ مكان ، وإنَّه غير مرئي ، وإنَّه لا سمع له ، ولا بصر ، ولا علم ، ولا قدرة ، ولا قوَّة ... فعرف أكثر المسلمين مذهبهم وتجنَّبوهم وعدُّوهم أعداء . والكُلَّابيَّة ، والأشعريَّة قد أظهروا الرَّدَّ علىٰ المعتزلة ، والذَّبّ عن السُّنَّة وأهلها ، وقالوا في القرآن وسائر الصِّفات ما ذكرنا بعضه ا.هـ.

وقال في كتاب " تحريم النَّظر في كتب الكلام " (ص٤٢) : " وقال أحمد بن إسحاق المالكي : أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هم أهل الكلام ، فكلُّ متكلِّم من أهل الأهواء والبدع أشعريَّاً كان أو غير أشعري ، لا تُقبل له شهادة ويهجر ، ويؤدَّب علىٰ بدعته ، فإن تمادىٰ عليها استُتيب منها " ا.هـ !!!

٣ .الإمام مُحَمَّد بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي – رحمــه الله- : فقد روىٰ عنه ابن عبد البرّ في " جامع بيان العلم وفضله " (٢/٩٦) : " أنَّه قال في كتاب الشَّهادات في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء ، قال : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكلُّ متكلِّم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريّاً كان أو غير أشعري ، ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً !!! ويُهجر ، ويؤدَّب علىٰ بدعته ، فإن تمادىٰ عليها استُتيب منها.

٤ . ابن قدامة – رحمه الله – : فقد نصَّ علىٰ أنَّهم مبتدعة ، فقال في كتاب المناظرة في القرآن (ص٣٥) : " ولا نعرف في أهل البدع طــائفة يكتمون مقـــــالتهم ، ولا يتجاسرون علىٰ إظهارها إلَّا الزَّنادقة والأشعريَّة " ا.هـ

٥ . أبو حامد الإسفرائني : قال ابن تيمية في " درء التَّعارض " (٢/٩٦) : قال الشَّيخ أبو الحسن : وكان الشَّيخ أبو حامد الإسفرايني شديد الإنكار علىٰ الباقلَّاني وأصحاب الكلام ، قال : ولم يزل الأئمَّة الشَّافعيَّة يأنفون ويستنكفون أن يُنسبوا إلىٰ الأشعري ، ويتبرَّؤن ممَّا بنىٰ الأشعري مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحَوْم حواليه ، علىٰ ما سمعت عدَّة من المشايخ والأئمَّة ، منهم : الحافظ المؤتمن بن أحمد بن علىٰ السَّاجي ، يقولون : سمعنا جماعة من المشايخ الثِّقات قالوا : كان الشَّيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرايني إمام الأئمَّة الذي طبق الأرض علماً وأصحاباً إذا سعىٰ إلىٰ الجمعة من قطعية الكرج إلىٰ جامع المنصور يدخل الرّباط المعروف بالزوزي المحاذي للجامع ، ويقبل علىٰ من حضر ويقول اشهدوا عليَّ بأنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، كما قاله الإمام ابن حنبل لا كما يقوله الباقلَّاني ، وتكرر ذلك منه جمعات ، فقيل له في ذلك ، فقال حتَّىٰ ينتشر في النَّاس ، وفي أهل الصَّلاح ، ويشيع الخبر في أهل البلاد أنِّي بريء ممَّا هم عليه – يعني الأشعريَّة – وبريء من مذهب أبي بكر بن الباقلَّاني ، فإن جماعة من المتفقِّهة الغُرباء يدخلون علىٰ الباقلَّاني خفية ، ويقرؤون عليه ، فيفتنون بمذهبه ، فإذا رجعوا إلىٰ بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظنُّ ظانٌّ أنَّهم منِّي تعلَّموه قبله وأنا ما قلته ، وأنا بريء من مذهب البلاقلَّاني وعقيدته.

قال الشَّيخ أبو الحسن الكرجي : وسمعت شيخي الإمام أبا منصور الفقيه الأصبهاني ، يقول : سمعت شيخنا الأمام أبا بكر الزاذقاني ، يقول : كنت في درس الشَّيخ أبي حامد الإسفرايني ، وكان ينهي أصحابه عن الكلام وعن الدُّخول علىٰ الباقلَّاني ، فبلغه أنَّ نفراً من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظنَّ أنِّي معهم ومنهم ، وذكر قصَّة قال في آخرها : إنَّ الشَّيخ أبا حامد قال لي : يا بُني ، قد بلغني أنَّك تدخل علىٰ هذا الرَّجل – يعني الباقلَّاني – فإيَّاك وإيَّاه فإنَّه مبتدع ؛ يدعو النَّاس إلىٰ الضَّلالة ، وإلَّا فلا تحضر مجلسي ، فقلت : أنا عائذ بالله ممَّا قيل وتائب إليه ، واشهدوا عليَّ أنِّي لا أدخل إليه . قال الشَّيخ أبو الحسن : وسمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي ، يقول : سمعت عدَّة من المشايخ والأئمَّة ببغداد أظنُّ الشَّيخ أبا إسحاق الشِّيرازي أحدهم ، قالوا : كان أبو بكر

الباقلَّانيٰ يخرج إلىٰ الحمام متبرقعاً خوفاً من الشَّيخ أبي حامد الإسفراييني ، قال أبو الحسن : ومعروف شدَّة الشَّيخ أبي حامد علىٰ أهل الكلام حتَّىٰ ميَّز أصول فقه الشَّافعي من أصول الأشعري ، وعلَّقه عنه أبو بكر الزاذاقاني ، وهو عندي ، وبه اقتدىٰ الشَّيخ أبو إسحاق الشِّيرازي في كتابيه : " اللمع " ، و " التَّبصرة " ، حتَّىٰ لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميَّزه ، وقال : هو قول بعض أصحابنا ، وبه قالت الأشعريَّة ، ولم يعدّهم من أصحاب الشَّافعي استنكفوا منهم ، ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدِّين . قلت : هذا المنقول عن الشَّيخ أبي حامد وأمثاله من أئمَّة أصحاب الشَّافعي ، أصحاب الوجوه ، معروف في كتبهم المصنَّفة في أصول الفقه وغيرها ، وقد ذكر الشَّيخ أبو حامد ، والقاضي أبو الطيِّب ، وأبو إسحاق الشِّيرازي ، وغير واحد بيَّنوا مخالفة الشَّافعي وغيره من الأئمَّة لقول ابن كُلَّاب والأشعري في مسألة الكلام التي امتاز بها ابن كُلَّاب والأشعري عن غيرهما ، وإلَّا فسائر المسائل ليس لابن كُلَّاب والأشعري بها اختصاص ا.هـ

٦ . أبو إسماعيل عبد الله بن مُحَمَّد الأنصاري:

ذكر السُّبكي في طبقاته : (٤/ ٢٧٢) أنَّه ذكر في كتابه " ذم الكلام " أنَّه كان يلعن أبا الحسن الأشعري ، وأنَّه ترك الرِّواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيري لكونه أشعريَّاً ا.هـ

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ : (١٤/ ٣٥٤) : كأبي إسماعيل الأنصاري الهروي صاحب كتاب " ذم الكلام " ، فإنَّه من المبالغين في ذم الجهميَّة لنفيهم الصِّفات ، وله كتاب : " تكفير الجهميَّة " ، ويبالغ في ذم الأشعريَّة ، مع أنَّهم من أقرب هذه الطوائف إلىٰ السُّنَّة والحديث !!! وربَّما كان يلعنهم !!! وقد قال له بعض النَّاس بحضرة نظام الملك : أتلعن الأشعريَّة ؟ فقال : ألعن من يقول ليس في السَّموات إله ، ولا في المصحف قرآن ، ولا في القبر نبي ، وقام من عنده مغضباً ا.هـ

٧. مُحَمَّد بن عبد الملك بن مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد الكرجي أبو الحسن الشَّافعي.

تقدَّم نقل ابن تيمية كلامه عن الأشعريَّة ، وقد نقل له السُّبكي في طبقاته : (٦/ ١٤٤) أبياتاً في ذمِّ الأشعريَّة ، فقال رحمه الله :

وخبثُ مقـــــال الأشعري تخنُّث ... يضاهي تلويــه تلوي الشَّغـــازب
يزين هذا الأشعري مقالـــــه ... ويقشبه بالسّم ياشر قـــــاشب
فينفي تفاصيلا ويثبت جملـــة ... كنـــــاقصه من بعد شدِّ الذَّوائب
يؤول آيات الصِّفات برأيـــه ... فجرأته في الدِّين جرأة خـــارب
ويجزم بالتَّأويـــــل من سنن الهدىٰ ... ويخلب أغماراً فأشئم بخــــالب

٨ . القحطاني في نونيّة الرَّائعة !!! إذ قال:

يا أشعريَّة يا أسـافلة الورىٰ ... يا عُمي يا صُم بـلا آذان

إنِّي لأبغضكم وأبغض حزبكم ... بغضاً أقلُّ قليلـه أضغـاني

لو كنت أعمىٰ المقلتين لسرَّنـي ... كيلا يرىٰ إنسانكـم إنساني

وقال :

يا أشعريَّة يا جميع من ادَّعـىٰ ... بدعاً وأهواء بلا برهـان

جاءتكـم سنيَّة مأمونة ... من شاعر ذرب اللسان معـان

٩ .الإمام ابن تيمية – رحمه الله – : قد بيَّن أنَّهم مبتدعة بطرق ؛ منها : أنَّه نصَّ علىٰ ذلك ، فقال كما في مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٥٠) : كما يقوله بعض المبتدعة الأشعريَّة من أنَّ حروفه ابتداء جبرائيل أو مُحَمَّد مضاهاة منهم في نصف قولهـم لمن قال : أنَّه قول البشر من مشركـي العرب ، ممَّن يزعم أنَّه أنشأه بفضله وقوَّة نفسه ا.هـ

ومنها : أنَّه جعلهم من المتكلِّمين ، وبجعله لهم من المتكلِّمين أخرجهم من أهل السُّنَّة إلىٰ أهل البدع ، فقال في الدَّرء (٦/ ١٨٣) : وأهل الكلام من الأشعريَّة وغيرهم ا.هـ

وفي أكثر من موضع يذكر أنَّهم أقرب إلىٰ أهل السُّنَّة من غيرهم ، فهذا يدلُّ علىٰ أنَّهم ليسوا منهم ، قال في مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٥) : " وأمَّا الأشعريَّة فلا يرون السَّيف موافقة لأهل الحديث ، وهم في الجملة أقرب المتكلِّمين إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة والحديث ... " .

ونقل في الدَّرء (٦/ ٢٢١) كلام أبي الْوَلِيدِ بن رُشْدٍ الْمَالِكِيُّ في كِتَابِهِ المسمَّىٰ بـ " الكشف عن مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ " : والمثل الذي ضربه لخطورة التَّأويل ، ثمَّ قال أبو الوليد : وهذه حال الفرق الحادثة في هذه الشَّريعة ، وذلك أنَّ كل فرقة منهم تأولت في الشَّريعة تاويلاً غير التَّأويل الذي تأولته الفرقة الأخرىٰ ، وزعمت أنَّه الذي قصد صاحب الشَّرع حتَّىٰ تمزَّق الشَّرع كلَّ ممزَّق ، وبعُد جداً عن موضوعه الأوَّل ، ولمَّا علم ﷺ أنَّ مثل هذا يعرض ولا بدَّ في شريعته ، قال : ستفترق أُمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النَّار إلَّا واحدة ، يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشَّرع ولم تؤوله تأويلاً صرَّحت به للنَّاس.

قال : وأنت إذا تأمَّلت ما عرض في هذه الشَّريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التَّأويل ، تبيَّنت أنَّ هذا المثال صحيح ، فأوَّل من غيَّر هذا الدواء الأعظم هم الخوارج ثمَّ المعتزلة بعدهم ثمَّ الأشعريَّة ثمَّ الصُّوفيَّة ثمَّ جاء أبو حامد فطم الوادي علىٰ القرىٰ ا.هـ

فأبو الوليد بن رشد يقرِّر أنَّ الأشاعرة من عموم الفرق الاثنتين والسَّبعين الضَّالَّة !!! وأقرَّه الإمام ابن تيمية على هذا ، ولم يعترض عليه ، خلافاً لهؤلاء المفتين الفتوى الجماعيَّـــة البدعيَّة ، ولسلمان العودة النَّاشر لها في موقعه.

١٠ . الإمام ابن القيِّم – رحمه الله – فقد نقل كلام أبي الْوَلِيدِ بن رُشْدٍ الْمَالِكِيُّ المتقدِّم في كِتَابِهِ المسمَّى بـ : " الكشف عن مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ " والمثل الذي ضربه لخطورة التَّأويل ، كما في الإعلام : (٤/ ٢٥٤) ، والصَّواعق المرسلة : (٢/ ٤١٧) ، وأقرَّه ولم يخالفه مثل شيخه ابن تيميَّة.

١١ . الشَّيخ العلَّامة من أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة السَّلفيَّة سليمان بن سحمان – رحمه الله- : فقد ردَّ على السَّفاريني قوله في " لوامع الأنوار " : إنَّ الأشاعرة والماتريديَّة من الفرقة النَّاجية ، كما قال هؤلاء المفتون ، فقال : " هذا مصانعة !!! من المصنِّف – رحمه الله تعالى – في إدخاله الأشعريَّة والماتريديَّة في أهل السُّنَّة والجماعة ، فكيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة من لا يثبت علوَّ الرَّب سبحانه فوق سماواته ، واستواءه على عرشه ، ويقول : حروف القرآن مخلوقة ، وإنَّ الله لا يتكلَّم بحرف ولا صوت ، ولا يثبت رؤية المؤمنين ربَّهم في الجنَّة بأبصارهم ، فهم يقرُّون بالرُّؤية ، ويفسِّرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرَّائي . ويقول : الإيمان مجرَّد التَّصديق ، وغير ذلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجمــــــاعة " . لوامع الأنوار البهيَّة (١/ ٧٣) .

١٢ . الشَّيخ العلامة من أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة السَّلفيَّة عبدالله بن عبدالرَّحمن أبا بطين – رحمه الله – : فقد ردَّ على السَّفاريني قوله في لوامع الأنوار : إنَّ الأشاعرة والماتريديَّة من الفرقة النَّاجية ، كما قال هؤلاء المفتون ، فقال : " تقسيم أهل السُّنَّة إلى ثلاث فرق فيه نظر ، فالحقُّ الذي لا ريب فيه أنَّ أهل السُّنَّة فرقة واحدة ، وهي الفرقة النَّاجية التي بيَّنها النَّبي ﷺ حين سئل عنها بقوله : " هي الجماعة " ، وفي رواية : " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " ، أو " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " . وبهذا عرف أنَّهم المجتمعون على ما كان عليه النَّبي ﷺ وأصحابه ، ولا يكونون سوى فرقة واحدة . والمؤلِّف نفسه يرحمه الله لما ذكر في المقدِّمة هذا الحديث ، قال في النَّظم:

وليس هذا النَّصّ جزماً يعتبر   في فرقة إلَّا على أهل الأثر

يعني بذلك : الأثريَّة . وبهذا عرف أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة هم فرقة واحدة الأثريَّة ، والله أعلم " . المصدر السَّابق (١/ ٧٣) .

١٣ . الإمام المحدِّث مُحَمَّد ناصر الدِّين الألباني – رحمه الله – في " السِّلسلة الصَّحيحة (٦/ ٢٨٥) حيث قال : " فإنَّ ما أنا فيه من الاشتغال بالمشروع العظيم – تقريب السُّنَّة بين يدي الأُمَّة – الذي يشغلني عنه في كثير من الأحيان ردود تنشر في رسائل وكتب ومجلَّات من بعض أعداء السُّنَّة !!! من المتمذهبة ، والأشاعرة ، والمتصوِّفة ، وغيرهم

!!! ففي هذا الانشغـــال ما يغنيني عن الرَّدِّ على المحبِّين النَّاشئين ، فضلاً عن غيرهم . والله المستعان ، وعليه التّكلان " ا.هـ

١٤ . الإمام الفقيه مُحَمَّد بن صالح العثيمين– رحمه الله– : في شرحه للواسطيَّة استدرك في أوَّلها على السَّفاريني لما جعل الأشاعرة والماتريديَّة من الفرقة النَّاجية ، وبيَّن أنَّ الفرقة النَّاجية واحدة ، وهم أهل الحديث أهل السُّنَّة دون الأشعريَّة والماتريديَّة ، وقال (٢/ ٣٧٢) أيضاً : أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة ونحوهم ، ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ا.هـ

١٥ . شيخنا العلَّامة صالح الفوزان – حفظه الله – سئل : أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة ، وهذا سائل يقول : هل الأشاعرة والماتريديَّة يعدُّون من أهل السُّنَّة والجماعة ؟

الجواب : لا يعدّون ، لم يعدهم أحد من أهل السُّنَّة والجماعة قط ، لكن هم يسمُّون أنفسهم من أهل السُّنَّة ، وهم ليس من أهل السُّنَّة ا.هـ

تنبيهات :

التَّنْبِيْهُ الأَوَّلُ : ذكر الإمام ابن تيمية في أكثر من موضع أنَّ الأشاعرة أقرب !!! إلى أهل السُّنَّة ، فقال في " نقض التَّأسيس " (٢/ ٨٧) : " فإنَّهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السُّنَّة والجماعة والحديث ا.هـ ، وليس معنى هذا تزكيتهم وأنَّهم من أهل السُّنَّة ، بل معناه أنَّهم خير من الجهميَّة والمعتزلة على سوئهم الشَّديد !!! كالقول إنَّ النَّصارى أقرب إلى الإسلام من اليهود !!! فليس معنى هذا أنَّ النَّصارى مسلمون ، فالله الذي قال : **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاس عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى﴾** [المائدة: ٨٢] ، قد نصَّ على أنَّ النَّصارى كفَّار ، كما قال تعالى : **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ﴾** [المائدة: ٧٣] .

التَّنْبِيْهُ الثَّانِي : شاع في هذا الزَّمن عند كثيرين إدخال الأشاعرة في أهل السُّنَّة ، معتمدين في هذا على كلام لابن تيمية ، وهو أنَّ لأهل السُّنَّة إطلاقين : إطلاقاً عامَّاً ، وهو ما يقابل الرَّافضة ، وإطلاقاً خاصاً والمراد بهم أهل الحديث ، فعلى الإطلاق الأوَّل تكون الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، وإذا أرادوا تعليل إدخال الأشاعرة في أهل السُّنَّة ، قالوا : هم أهل السُّنَّة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة ، وقد وقع هؤلاء في خطئين:

الأَوَّلُ : في فهم كلام ابن تيمية ، فإنَّه لما ذكره أراد في استعمال عامَّة النَّاس لا في استعمال الشَّرع ، وكلام العامة لاينبني عليه شرع ، وانَّما يذكره من باب الإخبار ببغض النَّاس للرَّافضة ثمَّ على فهم هؤلاء لكلام ابن تيمية تكون المعتزلة من أهل السُّنَّة!!

الثَّاني : أنَّه يلزم على تعليلهم إدخال الرَّافضة في أهل السُّنَّة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة . وبعد هذا إليك نصوص الإمام ابن تيمية التي توضِّح مراده ، قال (٤/ ١٥٥) : " فالمقصود هنا أنَّ المشهورين من الطَّوائف بين أهل السُّنَّة

والجماعة العامَّة بالبدعة ليسوا منتحلين للسَّلف ، بل أشهر الطوائف بالبدعة الرَّافضة حتَّىٰ إنَّ العامَّة لا تعرف من شعائر البدع إلَّا الرَّفض ، والسُّنِّي في اصطلاحهم : من لا يكون رافضيّاً ، وذلك لأنَّهم أكثر مخالفة للأحاديث النَّبويَّة ، ولمعاني القرآن ، وأكثر قدحاً في سلف الأمَّة وأئمَّتها وطعناً في جمهور الأُمَّة من جميع الطَّوائف ، فلمَّا كانوا أبعد عن متابعة السَّلف ، كانوا أشهر بالبدعة " ا.هـ.

وقال في المنهاج : (٢/ ٢٢١) : " فلفظ أهل السُّنَّة يُراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثَّلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطَّوائف إلَّا الرَّافضة ، وقد يُراد به أهل الحديث والسُّنَّة المحضة ، فلا يدخل فيه إلَّا من يثبت الصِّفات لله تعالىٰ ، ويقول : إنَّ القرآن غير مخلوق ، وإنَّ الله يُرىٰ في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسُّنَّة . وهذا الرَّافضي يعني المصنِّف جعل أهل السُّنَّة بالإصطلاح الأوَّل ، وهو اصطلاح العامَّة كلّ من ليس برافضي قالوا هو من أهل السُّنَّة ، ثمَّ أخذ ينقل عنهم مقالات لا يقولها إلَّا بعضهم مع تحريفه لها ، فكان في نقله من الكذب والإضطراب ما لا يخفىٰ علىٰ ذوي الألباب ، وإذا عرف أنَّ مراده بأهل السُّنَّة السُّنَّة العامَّة " ا.هـ . وانظر شرح الواسطيَّة لشيخنا مُحَمَّد بن عثيمين – رحمه الله– (١/ ٥٣) .

التَّنْبِيْهُ الثَّالِثُ : قال ابن تيميَّة في نقض التَّأسيس : (٢ / ٨٧) : ... فإنَّهم طوائف أقرب أهل الكلام إلىٰ السُّنَّة والجماعة والحديث ، وهم يعدّون من أهل السُّنَّة والجماعة عند النَّظر إلىٰ مثل المعتزلة والرَّافضة وغيرهم ، بل هم أهل السُّنَّة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرَّافضة ونحوهم . اعتمد علىٰ هذا النَّص بعض من في قلبه زيغ لينسب إلىٰ الإمام ابن تيمية القول بأنَّ الأشاعرة من أهل السُّنَّة ، وهذا من التَّدليس وبيان ذلك من وجهين : الوَجْهُ الأوَّلُ : أنَّ كلام العالم يفسِّر بعضه بعضاً وقد تقدَّم كلامه الصَّريح علىٰ أنَّ الأشاعرة من أهل البدع ، فكيف يترك منصف كلامه الصَّريح المبين من عدَّة طرق إلىٰ كلام مجمل.

الوَجْهُ الثَّانِي : أنَّ في الكلام نفسه ما يدلُّ علىٰ أنَّ الأشاعرة ليسوا من أهل السُّنَّة عند الإطلاق بل بالنِّسبة إلىٰ غيرهم من المعتزلة ، أمَّا عند الإطلاق فليسوا من أهل السُّنَّة وهو المراد . وانَّما سمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة بالنِّسبة للمعتزلة ، وفي البلد التي ليس فيها إلا هم لأنَّهم أكثر تمسُّكاً بالسُّنَّة والجماعة منهم " . انظر : تأكيد المسلَّمات السَّلفيَّة في نقض الفتوىٰ الجماعيَّة بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضيَّة (ص١٠–٢٣).

[٢٧] : قال المدعو : عمر بن محمود : " ومن آثار دعوة هذا النَّاظم – يقصد البيجوري – أنَّه جعل علىٰ المسلمين جميعاً وجوب تقليد إمام معيَّن لا يخرج عنه قيْد أُنملة ، وكذلك عليه اتِّباع طريقة الصُّوفيَّة ، ومن هنا صار مؤلفاً أن ترىٰ الرَّجل بعد أن يذكر اسمه وموطنه ، يذكر مذهبه ، فهو شافعيٌّ مثلاً أو حنفيٌّ ، وهو بعد ذلك قادريٌّ أو شاذليٌّ

أو رفاعيٌّ من هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان . فالله سبحانه وتعالى قد سمَّانا المسلمين ، ورضي الإسلام لنا ديناً ، فكيف لا نرضاه لأنفسنا ؟!

فمن هنا صارت الأُمَّة شيعاً وأحزاباً ، وصار لهذه الشِّيع والفرق كتب علميَّة خاصَّة فيها ، وهي من الضَّلال بمكان " . انظر : ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد (ص٦٠).

مع أنَّ الكاتب وغيره من المتسلِّفة لم ولن يخرج عمَّا قاله ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم قيْد أُنملة ... فهُم مقلِّدون لهما حذو القذَّة بالقذَّة...

[٢٨] : قال المدعو : صالح الفوزان : " وأوَّل من حفظ عنه مقالة التَّعطيل في الإسلام هو الجعد بن درهم في أوائل المئة الثَّانية ، وأخذ هذا المذهب الخبيث عنه الجهم بن صفوان وأظهره ، وإليه نُسبت الجهميَّة ، ثمَّ انتقل هذا المذهب إلى المعتزلة والأشاعرة ، وهذه أسانيد مذهبهم ، ترجع إلى اليهود والصَّابئين والمشركين والفلاسفة !!! وهم في هذا التَّعطيل متفاوتون ، فالجهميَّة : ينفون الأسماء والصِّفات ، والمعتزلة : يثبتون الأسماء مجرَّدة من معانيها وينفون الصِّفات ، والأشاعرة : يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط ؛ هي : العلم ، والحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والسَّمع ، والبصر ، والكلام ، وينفون بقية الصِّفات .

وشبهة الجميع فيما نفوه من الصِّفات أنَّ إثباتها يقتضي التَّشبيه والتَّجسيم بزعمهم ؛ لأنَّه لا يشاهد موصوف بها إلَّا هذه الأجسام ، والله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى: ١١] ؛ فتعيَّن نفي الصِّفات وتعطيلها ؛ تنزيهاً لله عن التَّشبيه بزعمهم ، ولهذا يسمُّون من أثبتها مشبِّهاً " . انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشِّرك والإلحاد (ص١٥٨) ، وانظر : فتاوى الأئمَّة النَّجديَّة حول قضايا الأُمَّة المصيرية ، من شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب إلى سماحة الشَّيخ ابن باز (١/ ٥١٤) .

[٢٩] : قال الألباني في تعليقه على متن الطَّحاويَّة ، عند قول المؤلِّف : باب الرَّدّ على من تأوَّل صفتي الرِّضا والغضب : " والله يغضب ويرضى ، لا كأحد من الورى " : فيه ردٌّ على المتأوِّلة المعطِّلة من الأشاعرة وغيرهم الذين قالوا بأنَّ المراد بالبغض والرِّضى إرادة الإحسان ، وليت شعري ما الفرق بين تسليمهم بصفة الإرادة وإنكارهم للصِّفتين المذكورتين بتأويلهما ، وهي مثلهما في اتِّصاف العبد بها أيضاً ؟ فهلَّا قالوا فيهما كما قالوا في الإرادة الإلهيَّة : أنَّها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد ، وإن كان كلٌّ منهما حقيقة تناسب الموصوف بها . وقد بسط القول في ذلك الشَّارح رحمه الله فراجعه " التَّعليق على متن الطَّحاويَّة " (ص١٠٠-١٠١) " . انظر : موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر مُحَمَّد ناصر الدِّين الألباني " (٦/ ٢٦٢) .

[٣٠] : قال المدعو مُحَمَّد خليل هرَّاس : " وَأَهْلُ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ بِإِزَاءِ السُّنَّة الصَّحِيحَةِ فَرِيقَانِ :

١ . فريقٌ لَا يتورَّع عَنْ رَدِّهَا وَإِنْكَارِهَا إذا وَرَدَتْ بِمَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ ؛ بِدَعْوَىٰ أَنَّهَا أَحَادِيثُ آحَادٍ لَا تُفِيدُ إلاَّ الظنَّ ، وَالْوَاجِبُ فِي بَابِ الإعْتِقَادِ الْيَقِينُ ، وَهُؤَلَاءِ هُمُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْفَلَاسِفَةُ.

٢ . وَفَرِيقٌ يُثْبتها وَيَعْتَقِدُ بِصِحَّةِ النَّقْلِ ، وَلَكِنَّهُ يَشْتَغِلُ بِتَأْوِيلِهَا ؛ كَمَا يَشْتَغِلُ بِتَأْوِيلِ آيَاتِ الْكِتَابِ ، حتَّىٰ يخرجَها عَنْ مَعَانِيهَا الظَّاهِرَةِ إِلىٰ مَا يُرِيدُهُ مِنْ معانٍ بِالْإِلْحَادِ وَالتَّحْرِيفِ ، وهؤلاء هم متأخِّرو الْأَشْعَرِيَّةِ ، وَأَكْثَرُهُمْ توسُّعاً فِي هَذَا الْبَابِ الْغَزَالِيُّ ، والرَّازي " . انظر : شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية (ص١٦٣).

وقال أيضاً : " وانَّما سُمِّي أهل التَّعْطِيلِ جَهْمِيَّةً نِسْبَةً إِلىٰ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ التِّرمذي رَأْسِ الْفِتْنَةِ والضَّلَالِ ، وَقَدْ تُوُسِّع فِي هَذَا اللَّفْظِ حتَّىٰ أَصْبَحَ يُطلق عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَفَىٰ شيئاً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، فَهُوَ شَامِلٌ لِجَمِيعِ فِرَقِ النُّفاة ؛ مِنْ فَلَاسِفَـةٍ ، وَمُعْتَزِلَةٍ ، وَأَشْعَرِيَّةٍ ، وَقَرَامِطَةٍ بَاطِنِيَّةٍ " . انظر : شرح العقيدة الواسطية ، ويليه ملحق الواسطية (ص١٨٥-١٨٦).

[٣١] : قال ابن عثيمين في كتابه : القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ : " ... وبه علم أنَّ طريق الأشاعرة والماتريديَّة في أسماء الله وصفاته وما احتجُّوا به لذلك ، لا تندفع به شُبه المعتزلة والجهميَّة ، وذلك من وجهين : أحدهما : أنَّه طريق مبتدع لم يكن عليه النَّبي ﷺ ولا سلف الأُمَّة وأئمَّتها ، والبدعة لا تُدفع بالبدعة ، وانَّما تُدفع بالسُّنَّة " . انظر : القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص٤٦-٤٧) .

[٣٢] : سُئل عالمهم عبد الرَّحمن بن ناصر البرَّاك : هل يوصف الأشاعرة بالسُّنَّة ؟ ونصُّ السُّؤال هو : هل يوصف الأشاعرة بأنَّهم من أهل السُّنَّة والجماعة فيما وافقوا فيه أهل السُّنَّة والجماعة ، وليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة فيما خالفوهم فيه ، أي : لا ينفىٰ عنهم مطلق الوصف ولا يعطون الوصف المطلق ، وكذا غيرها من الجماعات المخالفة للسُّنَّة ؟ الجواب : الحمد لله والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله ، وبعد : أهل السُّنَّة والجماعة هم الذين اقتفوا طريق السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين وساروا علىٰ نهجهم في جميع أصول الإيمان ، فيؤمنون بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، ويؤمنون بالقدر خيره وشرِّه ، ويؤمنون بكلِّ ما يدخل في هذه الأصول ممَّا جاء في الكتاب والسُّنَّة ، فمن استقام علىٰ هذا المنهج فهو من أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يخرجه من دائرة أهل السُّنَّة والجماعة أن يخطئ في بعض المسائل ، ومن خالف أهل السُّنَّة في بعض هذه الأصول فليس هو من أهل السُّنَّة والجماعة ، ولو وافق في بعض الأصول ، فلا يقال له من أجل ذلك أنَّه من أهل السُّنَّة في كذا ، بل يقال أنَّه يوافق أهل السُّنَّة ، فإنَّ الموافقة في بعض الأمور لا تصيِّر الرَّجل من الطَّائفة التي وافقها في بعض معتقداتها ، ولو صح هذا لأمكن أن يقال إنَّ المعتزلة من أهل السُّنَّة في إقرارهم بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ومن أهل السُّنَّة لقولهم بأنَّ الإيمان قول وعمل ، وهذا غلط ظاهر ، ولم يقل بهذا أحدٌ من أهل العلم ، لكن الأشاعرة هم أقرب إلىٰ أهل السُّنَّة

من المعتزلة ، وهم ينتسبون إلى السُّنَّة في مقابل المعتزلة ، وكيف يكونون من أهل السُّنَّة وهم يخالفونهم في باب صفات الله ، وفي رؤية الله ، وفي كلام الله ، وفي الإيمان ، وفي أفعال العباد ، وفي الحكمة والأسباب ، فلا يصحُّ أن يقال : أنَّهم من أهل السُّنَّة في كذا وليسوا من أهل السُّنَّة في كذا ، لكن يقال : أنَّهم يوافقون أهل السُّنَّة ، وهذا الكلام أكثر ما ينطبق على متأخِّري الأشاعرة ، خصوصاً المعاصرين ، فإنَّهم أبعد عن مذهب أهل السُّنَّة من أكثر المتقدِّمين ، كيف وبعض هؤلاء يتصدَّى لخصومة أهل السُّنَّة ، والتَّشنيع عليهم ، وتلقيبهم بالمجسِّمة والمشبِّهة ، كما صنع بعض أسلافهم ، ومع هذا فلا ينكر ما لبعض العلماء المعدودين من الأشاعرة من آثار حميدة في الدِّين علماً وعملاً ، فرحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وعفا عنَّا وعنهم ، والله أعلم " . المفتي : عبد الرَّحمن بن ناصر البراك ، رقم الفتوى ١٦٠٩٠ ، تاريخ الفتوى ٤/ ٧/ ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦-٠٧-٣٠ .

وأردفها بأخرى : عنوان الفتوى : كثرة الأشاعرة هل تدلُّ على أنَّهم على الحقِّ ؟

السُّؤال : المشايخ الأفاضل : نعلم كلُّنا أنَّ من رحمة الله عزَّ وجلَّ بأُمة نبيِّه مُحَمَّد ﷺ أنَّه لم يقبض النَّبي ﷺ إلَّا وقد ترك الأُمَّة على المحجَّة البيضاء ، ليلها كنهارها ، وتكفَّل ربُّ العزَّة بحفظ هذا الدِّين إلى أن يشاء الله ، فإذا تأمَّلنا هذا الكلام ورجعنا إلى التاريخ الإسلامي ، نجد أنَّ السَّواد الأعظم من أهل الإسلام على البيِّنة في أي عصر يعيشه الإسلام منذ الخلافة الرَّاشدة ، ومروراً بكلِّ الدُّول الإسلاميَّة ، وحتَّى يومنا هذا ، هذا التَّفكير على الرغم من عقلانيَّته ومنطقيَّته إلا أنَّه غير مُريح ، لأنَّنا إن طبَّقناه على أنفسنا وعقيدتنا ، فسنجد أنَّ مذهب الأشاعرة هو الذي ساد في أهل السُّنَّة طوال هذه السِّنين ، ولم يعرف في عامَّة أهل السُّنَّة شيوع ما نقول عنه أنَّه اعتقاد السَّلف ، فإن كان ما نراه هو اعتقاد الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، والسَّلف ، فلِمَ لَم يظهره الله عزَّ وجلَّ ، وأظهر غيره عليه ؟

الجواب : الحمد لله ، وبعد : لقد بعث الله نبيَّنا محمَّداً ﷺ بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ، وقد تحقَّق هذا كما وعد – سبحانه وتعالى – فلم يزل النَّبي ﷺ يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سرَّاً وجهراً بقوله وفعله حتَّى دخل النَّاس في دين الله أفواجاً ، فما مات ﷺ حتَّى أكمل الله له ولأُمَّته دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمته ، كما جاء في الآية الكريمة التي نزلت على النَّبي ﷺ ، وهو واقف بعرفة ، وقد ترك أمَّته على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها ، يعني : أنَّه ﷺ قد بيَّن هذا الدِّين أكمل بيان ، فبلَّغ رسالات ربِّه كما أمره الله بقوله: **﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾** [المائدة:٦٧] . وأمر صحابته ، رضي الله عنهم ، أن يبلِّغوا فقال في خطبته في حجَّة الوداع : " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ " . وقال : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً " . فقام أصحابه ، رضوان الله عليهم ، بالبلاغ والدَّعوة ، والجهاد أسوة بنبيِّهم ﷺ ، وانتشر الإسلام بالمعمورة شرقاً وغرباً .

وقد أخبر ﷺ أنَّه يطرأ على هذه الأُمَّة افتراق واختلاف ، وبيَّن أنَّ الفرقة النَّاجية هم من كانوا على مثل ما كان عليه ﷺ وأصحابه ، رضي الله عنهم ، كما أخبر ﷺ أنَّ الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ وبدأ الافتراق في الأُمَّة منذ أن ظهرت الخوارج ، والرَّافضة ، والمرجئة ، والقدريَّة ، ثمَّ تفرَّعت الفرق ، وتعدَّدت ، وظهرت بدعة التَّعطيل التي يعرف أهلها بمؤسسها الجهم بن صفوان ، وهم الجهميَّة ، وتفرَّع عن بدعة التَّعطيل ، فرقٌ شتَّى ، اضطربت مذاهبهم في صفات الله ، وفي كلامه ، وفي القدر ، فغلبت على الأُمَّة هذه المذاهب ، ولكنَّ الله قد ضمن حفظ كتابه ودينه ، فلم يزل في هذه الأُمَّة من يقيم لها أمر دينها بالبيان ، كما جاء في الحديث المشهور : " يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْه انْتِحَالَ المُبْطِلِينَ وتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ وتَحْرِيفَ الغَالِينَ " .

وفي الحديث الآخر : " إنَّ اللهَ يَبْعَثُ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائةِ سَنَةٍ مَن يُجَدِّدُ لهذه الأُمَّة أَمْرَ دِينِهَا " . ومع هذا الافتراق ، وهذا الاختلاف لا بدَّ من ردِّ ما اختلف فيه النَّاس إلى كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، واعتبار ذلك بما كان عليه الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وأنَّهم كانوا على الهدىٰ المستقيم ، وقد وعد الله بالرِّضا والجنَّة السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتَّبعوهم بإحسان ، كما قال تعالى : **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة:١٠٠] .

والحقُّ إنَّما يعرف بدلالة كتاب الله ، وسُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام - لا يعرف الحقُّ بالكثرة !!! فإنَّ الله تعالى أبطل ذلك ، حيث بيَّن أنَّ الكثرة لا يعوَّل عليها ، كما قال تعالى : **﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [يوسف:٢١] ، وقال تعالى : **﴿وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾** [يوسف:٣٨] . وقال تعالى : **﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرض يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾** [الأنعام:١١٦] . والسُّنَّة ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، ودلَّت عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة ، والأشاعرة فرقة من الفرق الإسلاميَّة ، وهم وإن كانوا ينتسبون إلى السُّنَّة ، فليس مذهبهم موافقاً لما كان عليه الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، وما دلَّ عليه القرآن والحديث ، فمذهب الأشاعرة يتضمَّن أموراً مخالفة ، كنفي كثير من الصِّفات ، حيث لا يثبتون إلَّا سبعاً من الصِّفات ، ويقولون : إنَّ الإيمان هو مجرَّد التَّصديق ، ويُخرجون الأعمال عن مسمَّىٰ الإيمان ، وهذا مذهب المرجئة ، ومن أصول مذهبهم : نفي تأثير الأسباب في مسبَّباتها ، ومن ذلك : نفي تأثير قدرة العبد في أفعاله ، ومن ذلك : قولهم بأنَّ كلام الله معنىٰ نفسي لا يسمع من الله ؛ لأنَّه ليس بحرف ، ولا صوت ، وأنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله ، ليس هو كلام الله حقيقة ؛ فموسىٰ لم يسمع كلام الله من الله ، بل إنَّ الذي سمعه كلامٌ خلقه الله في الشَّجرة ، وهو عبارة عن المعنىٰ النَّفسي ، وهذا من أعظم التنقُّص لله ، حيث يتضمَّن

هذا القول تشبيه الله بالأخرس ، ولا يزكِّي هذه الأقوال إن قال بها بعض الأكابر والفضلاء من أهل العلم فإنَّهم غير معصومين ، وما قالوه من هذه الأقوال المخالفة لمذهب السَّلف الصَّالح هو ممَّا يعدُّ من أخطائهم التي لا يتابعون عليها ، وهم في ذلك مجتهدون ومأجورون ، والواجب على المسلم أن يحكِّم كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، وألَّا يتعصَّب لإمام ، أو مذهب ، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويردّ ، إلَّا الرَّسول ﷺ ، والله أعلم " . المفتي : عبد الرَّحمن بن ناصر البراك ، رقم الفتوى ١٦٥٥٣ ، تاريخ الفتوى ١٣/ ٩/ ١٤٢٧ هـ — ٢٠٠٦-١٠-٠٦ .

[٣٣] : قال عالمهم أحمد بن يحيى النَّجمي في تقريظه لكتاب : " تأكيد المسلَّمات السَّلفيَّة في نقض الفتوى الجماعيَّة بأنَّ الأشاعرة من الفرقة المرضيَّة " : " فقد اطَّلعت على رسالة كتبها الشَّيخ عبدالعزيز بن ريس الريِّس – جزاه الله خيراً ، وبارك فيه – ؛ ردَّ بها على فتوى كتبها مجموعة من المشائخ ، زعموا فيها أنَّ الأشاعرة والماتريديَّة من أهل السُّنَّة ؛ كَبُرت كَلمة تَخرج مِن أفواههم ، والحقُّ الذي لا مِرْيَة فيه ، أنَّ الأشاعرة ، والماتريديَّة ؛ من طوائف أهل البدع !! ولا يَجوز لأحد أن يقول : أنَّهم من أهل السُّنَّة !! ومن زعم أنَّ هاتين الطَّائفتين من أهل السُّنَّة والجماعة ، فإنَّه قد أقحم نفسه في خطأ فادح !! وخطر فاضح ، وسيُسأَلُ يوم القيامة عن قِيلِهِ قبل أن يُفرَج له عن سبيله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه في (٣/ ٣٤٧) بعد كلام له في هذا المجال : " وبهذا يتبيَّن أنَّ أحقَّ النَّاس أن تكون هي الفرقة النَّاجية ؛ أهل الحديث والسُّنَّة ؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصَّبون له إلَّا رسول الله ﷺ ، وهم أعلم النَّاس بأقواله ، وأحواله ، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها ، وأئمَّتهم فقهاء فيها ، وأهل معرفة بمعانيها ، وأتباع لها ؛ تصديقاً ، وعملاً ، وحبَّاً ، وموالاةً لمن والاها ، ومعاداةً لمن عاداها ... – إلى أن قال : وما تنازع فيه النَّاس من مسائل الصِّفات ، والقدر ، والوعيد ، والأسماء ، والأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر ، وغير ذلك يَرُدُّونَهُ إلى الله ورسوله ، ويُفسِّرون الألفاظ المجملة ؛ التي تَنازع فيها أهل التفرُّق والاختلاف ، فما كان من معانيها مُوَافِقاً للكتاب والسُّنَّة أَثبتوه ، وما كان منها مُخالفاً للكتاب والسُّنَّة أَبطلوه ، ولا يتَّبعون الظن ، وما تهوى الأنفس ، فاتِّباع الظنِّ جهلٌ ، واتِّباع هوى النَّفس بغير هدىً من الله ظلم ، وجماع الشرِّ الجهل والظلم ا.هـ كيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة من يُحكِّمُ العقل في القضايا الإيمانيَّة الثابتة بالكتاب والسُّنَّة ، فما قَبِلَهُ منها قبل ، وما رَدّه منها ردَّ ، ولذلك فإنَّهم لا يثبتون من الصِّفـــات إلَّا سبع صفـــات ، وما عداها فإنَّه يكـــون مصيرها التَّأويل ؛ الذي يؤدِّي إلى التَّعطيل.

كيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة من يؤول قوله تعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥] باستولى ، فيكون كأنَّه مُستولٍ عليه غيره ، ثمَّ استولى عليه بعد ذلك .

كيف يكون من أهل السُّنَّة والجماعة مَن يتأوَّل حديث نُزول الرَّب في الثُّلث الأخير مِن الليل الذي ثبت في قوله : " يَنزل الله عزَّ وجلَّ كلّ ليلة إلى السَّماء الدُّنيا لِنِصف الليل الآخر أو لثلث الليل الآخر فيقول : مَن ذا الذي يَدعوني فأستجيب له ؛ مَن ذا الذي يسألني فأعطيه ؛ مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتَّى يطلع الفجر " رواه أحمد ، وأصله في الصَّحيحين . فيقول المؤول : ينزل أمره ، مع أنَّ أمر الله عزَّ وجلَّ هو نازل في كلِّ وقت وحين.

كيف يكون مِن أهل السُّنَّة والجماعة مَن يتأوَّل اليدين بالنِّعمتين ؟! مع أنَّ الله سبحانه وتعالى قد قَرَن ذلك بما يكون من خصائص اليد ، وهو الإنفاق ، فقال جلَّ من قائل : **﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهَّ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾** [المائدة: ٦٤] ، عِلماً بأنَّ النِّعم التي يُسديها الرَّب الجليلُ إلى عباده كثيرة لا تُحصى ، قال جلَّ من قائل : **﴿وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُوَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهَّ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** [إبراهيم: ٣٤] . انظر : تقريظ رسالة : تأكيد المسلمات السَّلفيَّة في نقض الفتوى الجماعية بأن الأشاعرة من الفرقة المرضية ، لمؤلفها : للشيخ عبدالعزيز الريس ، بقلم : أحمد بن يحيى النجمي (/ ٨ / ١٤٢٧هـ) .

وفي معرض آخر أخرج ابن تيمية الأشعريَّة من أهل السُّنَّة والجماعة ، واعتبرهم أقرب المتكلِّمين إلى مذهب أهل السُّنَّة : " وَأَمَّا " الْأَشْعَرِيَّةُ " فَلَا يَرَوْنَ السَّيف مُوَافَقَةً لِأَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَهُمْ فِي الْجُمْلَةِ أَقْرَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ إلى مَذْهَبِ أهل السُّنَّة وَالْحَدِيثِ ، وَ " الْكُلَّابِيَة وَكَذَلِكَ الكَرَّامِيَّة " فِيهِمْ قُرْبٌ إلى أهل السُّنَّة ، وَالْحَدِيثِ وَإِنْ كَانَ فِي مَقَالَةِ كُلٍّ مِنْ الْأَقْوَالِ مَا يُخَالِفُ أهل السُّنَّة وَالْحَدِيثِ " . انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥) .

وجاء في " طبقات الحنابلة " التَّصريح بضلال الأشاعرة ، فقد جاء فيه : " حسبك لشيخي الإسلام وإمامي الهدى وخليفتي رسول اللهَّ ﷺ الهاديين الرَّاشدين وتوقفهما وإحجامهما عن تفسير آية من كتاب اللهَّ جلَّ وعزَّ ، وهما أعلم الخلق بالله عزَّ وجلَّ بعد رَسُول اللهَّ ﷺ وبرسوله وبكتاب اللهَّ وتأويله ، فماذا عسى أن نقول فِي جسارة المعتزلة والأشاعرة وبقيَّة المتكلِّمين الضالِّين !!! فِي تأويل صفات الرَّحمن عزَّ وجلَّ الَّتِي نطق بها القرآن ، ونقلها الأئمَّة الأثبات والعلماء الثِّقات " . انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) .

[٣٤] : قال شيخهم الدُّكتور سفر حوالي : " موقف الْحَنَابِلَة من الأشاعرة أشهر من أَن يذكر ، فمنذ بدَّع الإِمَام أَحمد " ابْن كُلَّاب " وَأمر بهجره – وَهُوَ المؤسس الْحَقِيقِيّ للْمَذْهَب الْأَشْعَرِيّ– لم يزل الحنَابلة مَعَهم فِي معركة طَوِيلَة ، وحتَّى فِي أَيَّام دولة نظام الْملك– الَّتِي استطالوا فِيهَا – وَبعدهَا كَانَ الْحَنَابِلَة يخرجُون من بَغْدَاد كل واعظ يخلِّط قصصه بِشَيْء من مَذْهَب الأشاعرة ، وَلم يكن ابْن الْقشيرِي إِلَّا وَاحِداً مِمَّن تعرَّض لذَلِك ، وبسبب انتشار مَذْهَبهم وَإِجْمَاع عُلَمَاء الدولة سِيمَا الْحَنَابِلَة على محاربته أصدر الْخَلِيفَة الْقَادِر منشور " الِاعْتِقَاد القادري " أوضح فِيهِ العقيدة الْوَاجِب على الأُمَّة اعتقادها سنة (٤٣٣هـ) .

وكذلك يفعل أتباعهم في عصرنا هذا بملء خطبهم الحماسيَّة أو مواعظهم وقصصهم ، وما يسمُّونه بالكتب الفكريَّة لثقة قرائهم – من الشَّباب المتحمِّس– العمياء بهم ، ولجهل أكثر هؤلاء الشَّباب بعقيدتهم الصَّحيحة التي كان عليها سلفهم الصَّالح من الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان.

هَذَا ، وَلَيْسَ ذمّ الأشاعرة وتبديعهم خَاصٌّ بأئمَّة الْمَذَاهب المعتبرين ، بل هُوَ مَنْقُول أيضاً عَن أَئِمَّة السُّلوك الَّذين كَانُوا أقرب إلى السُّنَّة وَاتِّبَاع السَّلف ، فقد نقل شيخ الإسلام فِي الاسْتقَامَة كثيراً من أَقْوَالهم فِي ذَلِك ، وأنَّهم يعتبرون مُوَافقَة عقيدة الأشعريَّة منافياً لسلوك طَرِيق الْوِلَايَة والاستقامة ، حتَّى أَنَّ عبد الْقَادِر الجيلاني ، لما سُئِلَ : " هَل كَانَ لله ولي على غير اعْتِقَاد أحمد بن حَنْبَل ؟ قَالَ : مَا كَانَ وَلَا يكون " . فَهَذَا موجز مُخْتَصر جدّاً لحكم الأشاعرة فِي الْمَذَاهب الْأَرْبَعَة ، فَمَا ظَنُّك بِحكم رجال الْجرْح وَالتَّعْدِيل مِمَّن يعلم أَنَّ مَذْهَب الأشاعرة هُوَ ردُّ خبر الْآحَاد جملَة ، وأنَّ فِي الصَّحيحين أَحَادِيث مَوْضُوعَة أدخلها الزَّنَادِقَة ... وَغَيرهَا من الْعَوام ، وَانْظُر إِن شِئْت تَرْجَمَة إمَامهمْ الْمُتَأَخر الْفَخر الرَّازِيّ فِي " الْمِيزَان " ، و " لسان الْمِيزَان " . فَالْحكم الصَّحِيح فِي الأشاعرة أنَّهم من أهل الْقبْلَة لاشكَّ فِي ذَلِك ، أَمَّا أَنَّهم من أهل السُّنَّة فَلَا .... " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني ، سفر بن عبد الرَّحمن الحوالي ، الدار السَّلفيَّة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦م .

والحقّ أنَّ كلام سفر الحوالي وغيره من المتسلِّفة في مسألة خبر الآحاد مجانب للصَّواب ، لأنَّ جمهور أهل العلم لا يأخذون بخبر الآحاد في العقيدة ... لأنَّ العقيدة لا تُبنى إلَّا على القطع ، والآحاد ظنِّي ، والظنَّ لا يغني عن الحقِّ شيئاً ، مع العلم أنَّ الجمهور يأخذون بخبر الآحاد إذا كان أصله في مُحكم القرآن ، وقد رددنا على أقوالهم وحُججهم في كتابنا " الإِمْدَادُ وَالإِسْعَادُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِالآحَادِ فِي الاعْتِقَاد" ، فالحمد لله تعالى ...

[٣٥] : قال إمامهم أبو عبد الله مُحَمَّد بن صالح المُعافري القحطاني المعروف بالإمام القحطاني (٣٧٩هـ) في نونيَّته:

يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَىٰ ... يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلاَ آذَانِ
إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ ... بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي
لَوْ كُنْتُ أَعْمَىٰ الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي ... كَيْلاَ يَرَىٰ إِنْسَانَكُمْ إِنْسَانِي
تَغْلِي قُلُوبُكُمْ عَلَيَّ بِحَرِّهَا ... حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ
مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ وَمُوتُوا حَسْرَةً ... وَأَسَىٰ عَلَيَّ وَعَضُّو كُلَّ بَنَانِ
يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَىٰ ... بِدَعًا وَأَهْوَاءً بِلاَ بُرْهَانِ
جَاءَتْكُــــمُ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ ... مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مُعَانِ
خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا ... فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانِي
يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ ... كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَىٰ كَهْلاَنِ
إِنِّي قَصَدتُّ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ ... هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ عَلَىٰ الْبُلْدَانِ
هِيَ فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِــمْ ... صَابٌ وَفِي الأَجْسَــادِ كَالسَّعْدَانِ

انظر : نونية القحطاني ، أبو مُحَمَّد عبدالله بن مُحَمَّد الأندلسي ، تحقيق : مُحَمَّد بن أحمد سيد أحمد ، مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة الطبعة : الثالثة ، ١٩٩٥م.

[٣٦] : قال ابن تيمية واصفاً الأشعريَّة بأنَّهم مبتدعة : " ... كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُبْتَدِعَةِ الْأَشْعَرِيَّةِ مِنْ أَنَّ حُرُوفَهُ ابْتِدَاءً جبرائيل أَوْ مُحَمَّد ، مُضَاهَاةً مِنْهُمْ فِي نِصْفِ قَوْلِهِمْ لِمَنْ قَالَ : أَنَّه قَوْلُ الْبَشَرِ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّه أَنْشَأَهُ بِفَضْلِهِ وَقُوَّةِ نَفْسِهِ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٥٠-٥١) .

[٣٧] : اتَّهم المدعو محمَّد حسن عبد الغفَّار الأشاعرة بأنَّهم يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، فقال : " وأمَّا أهل الضَّلالة والتَّحريف والتَّبديل الذين لا يعتقدون الاعتقاد السَّليم في ربِّهم ، فقالوا : إنَّ معنىٰ قوله تعالىٰ : **﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾** [طه: ٣٩] ، أي : علىٰ رؤيتي ، وقد وقع بعض أهل السُّنَّة والجماعة في هذا التَّأويل ، فقالوا في قول الله تعالىٰ : **﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾** [القمر: ١٤] ، أي : برؤيتنا ، فقالوا : ليس لله عين ، قالوا : ولو أثبتُّم لله عيناً فقد شبَّهتموه بخلقه ، إذا فلا بدَّ أن ننفي هذه الصِّفة . والذين ضلُّوا في هذا الباب هم المشبِّهة والمعطِّلة والمحرِّفة ، فالمعطِّلة هم الجهميَّة والمعتزلة ، والمشبِّهة هم الذين غلوا في الإثبات ، فشبَّهوا الخالق بالمخلوق ، والمحرِّفة هم الأشاعرة الذين يقولون : نؤول ، وهو تحريف وليس بتأويل " . انظر : شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة ، محمد حسن عبد الغفار (١١/ ١٠) .

وللعبد الفقير كتاب في هذا الباب بعنوان : " جَلَاءُ العَيْنِ بِحَقِيْقَةِ مَا أُضِيْفَ إِلىٰ اللهِ مِنْ لَفْظِ العَيْن " جلَّىٰ فيه حقيقة ما أُضيف إلىٰ الله تعالىٰ من لفظ العين ... فالحمدُ لله تعالىٰ علىٰ ما منَّ به وأعطىٰ...

[٣٨] : وقال أيضاً : " الأشاعرة هم مؤولة العصر ، الذِّين يحرِّفون الكلم عن مواضعه ، وقد انتشر بين النَّاس الآن أنَّهم متكلِّمو أهل السُّنَّة والجماعة ، وهذا باطل ، فإنَّهم أبعد النَّاس عن أهل السُّنَّة والجماعة ، بل هم من يحرِّف الكلِم عن مواضعه " . انظر : شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة (١٨/ ٣) .

[٣٩] : وقال أيضاً معلِّقاً على تأويل قول الله تعالى : ﴿اسْتَوَى﴾ بـ" استولى " : " أمَّا أهل السُّنَّة والجماعة فقالوا : هذا القول من أضلِّ الضَّلال ، والذين قالوا بذلك من الفرق الضالَّة المبتدعة الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه " . انظر: شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة (١٨/ ٤) .

قلتُ : وبناء على كلامهم وقولهم بأنَّ تفسير " استوى " بـ" استولى " من أضلِّ الضَّلال ، وأنَّ الذين قالوا بذلك من الفرق الضالَّة المبتدعة الذين حرَّفوا الكلم عن مواضعه ... فإنَّ جمهرة كبيرة من علماء الأُمَّة يدخلون في الضَّلال والابتداع في دين الله تعالى ... فقد فسَّر غير واحد من مشاهير العلماء الاستواء بالاستيلاء ، منهم : الإمام أبو بكر مُحَمَّد بن عزيز السِّجستاني ، الإمام نظام الدِّين الحسن بن مُحَمَّد بن حسين القمِّي النَّيسابوري ، الإمام إبراهيم بن السّري بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجَّاج ، الإمام أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن إبراهيم السَّمرقندي الفقيه الحنفي ، الإمام الشَّريف الرَّضي ، الإمام أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي ، الشَّهير بالماوردي ، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي ، النَّيسابوري ، الشَّافعي ، الإمام أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرَّحمن بن تمام بن عطيَّة الأندلسي المحاربي ، الإمام محمود بن أبي الحسن بن الحسين النَّيسابوري ، الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التَّيمي الرَّازي الملقَّب بفخر الدِّين الرَّازي خطيب الرَّي ، الإمام أبو مُحَمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السّلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطان العلماء ، الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي ، الإمام ناصر الدِّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشِّيرازي البيضاوي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي ، الإمام مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي ، الإمام أبو حفص سراج الدِّين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدِّمشقي النُّعماني ، الإمام مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود ، أبو منصور الماتريدي ، مُحَمَّد بن عُزير السِّجستاني ، أبو بكر العُزيري ، مجد الدِّين أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى ، الإمام عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني ، الإمام الرَّبيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ، أبو الوفاء ، علي بن عقيل بن مُحَمَّد بن عقيل البغدادي الظّفري ، الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج ، الإمام نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ... انظر بالترتيب : كتاب غريب القرآن (ص١١٣-١١٥) ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٤٦-٢٥٢) ، معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج (٣/ ٣٥٠) ، كتاب غريب القرآن (ص١١٤) ،

بحر العلوم (١/ ٥٣٦-٥٣٧) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢/ ١٥٢-١٥٣) ، تفسير الماوردي (٢/ ٢٢٩) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٣٧٥) ، (٣/ ٣-٤) بالترتيب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٠٨) ، (٣/ ١٠٤) ، (٤/ ٣٥٨) ، إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٣٣٣) ، (١/ ٤٥٠) ، (٢/ ٦٦٣) ، (٢/ ٨٠٣) ، مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٥٧-٢٧١) ، (٢٥/ ١٣٦-١٣٩) ، تفسير القرآن ، أبو مُحَمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام سلطان العلماء (١/ ٤٨٥-٤٨٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢١٨-٢٢١) ، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل (٣/ ١٦) ، (٣/ ١٨٠) ، تفسير النسفي (٢/ ١٣٣) ، (٢/ ٢٠١) ، (٣/ ٢٣٠) بالترتيب ، التسهيل لعلوم التَّنزيل (١/ ٢٩٠) ، اللباب في علوم الكتاب (٩/ ١٤٣-١٥٢) ، التوحيد للماتريدي (ص٦٨-٧٧) ، الهدية العلائية (ص٤٧٠) ، غريب القرآن المسمَّى بنزهة القلوب (ص١١٤) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ١٠٦-١٠٧) ، بيان المعاني (١/ ٢٦١-٢٦٢) ، (٢/ ٩٥) ، (٢/ ١٩٢) ، (٣/ ٦) ، (٦/ ٣٥) بالترتيب ، الجامع الصَّحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب (ص٣٣٨-٣٤١) ، الوَاضِح في أُصُول الفِقه (٢/ ٣٧٩-٣٨١) ، المدخل (٢/ ١٤٨-١٤٩) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/ ٣٢٨٢) ...

[٤٠] : وفي كتابهم المسمَّى بـ : " التَّوحيد " المرحلة الثَّانوية / الصَّف الأوَّل ، تأليف : الفوزان ، وصفوا في هذا الكتاب المقرَّر رسميَّاً في مدارسهم الأشاعرة والماتريديَّة بالشِّرك ، وقالوا عن المشركين الأوائل : " فهؤلاء المشركون هم سلف الجهميَّة ، والمعتزلة ، والأشاعرة " . انظر : التوحيد ، الصف الأول من المرحلة الثانوية (ص ٦٦ و٦٧) .

[٤١] : ولما أدخل الإمام مُحَمَّد السَّفاريني الحنبلي الأشعريَّة والماتريديَّة في أهل السُّنَّة ، في كتابه : " لوامع الأنوار البهيَّة " ، اعترض عليه المدعو سليمان بن سحمان ، فقال : " هذه مصانعة !!! من المصنِّف – رحمه الله تعالى – في إدخاله الأشعريَّة والماتريديَّة في أهل السُّنَّة والجماعة ، وكيف يكون من أهل السُّنَّة من لا يثبت علوّ الرَّب سبحانه فوق سماواته ، واستواءه على عرشه ، ويقول : حروف القرآن مخلوقة ، وأنَّ الله لا يتكلَّم بحرف ولا صوت ، ولا يثبت رؤية المؤمنين ربَّهم في الجنَّة بأبصارهم ، فهم يقرُّون بالرُّؤية ، ويفسِّرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرَّائي ، ويقول : الإيمان مجرَّد التَّصديق ، وغير ذلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة " .

[٤٢] : وفي تعليق للشَّيخ عبد الله بابطين ما لفظه : " ... والمؤلِّف نفسه – يرحمه الله – لَمَّا ذكر في المقدِّمة هذا الحديث ، قال : وليس هذا النَّص جزماً يعتبر في فرقة إلَّا على أهل الأثر " يعني بذلك الأثريَّة ، وبهذا عرف أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة هم فرقة واحدة : الأثريَّة " . انظر : هامش لوامع الأنوار البهية (١/ ٧٣) .

[٤٣] : وقال الشَّيخ الألباني : " ... أعداء السُّنَّة !!! من المتمذهبة ، والأشاعرة ، والمتصوِّفة ، وغيرهم " . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٦٧٦) .

وهذا وصف من الألباني لعموم الأُمَّة من أتباع المذاهب الإسلاميَّة : الحنفيَّة ، والمالكيَّة ، والشافعيَّة ، والحنبليَّة ، ومن ضمنهم الأشاعرة ، والمتصوِّفة ... بأنَّهم أعداء السُّنَّة ... فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله تعالى...

[٤٤] : اعتبروا عقيدة الأشاعرة التي عليها الأُمَّة نوعاً من أنواع التَّلفيق ، وأنَّها جامعة للمتناقضات ... فقال المدعو : عمر بن محمود أبو عمر : " ومذهب الأشعريَّة هو مذهب المعتزلـــة ، ولكنَّه متطوِّر بغرابة غير معقولة

ولا مفهومة ، وهذا ديدن الأشـــاعرة في تلفيق مذهبهم !!! وتوفيقهم بين المتناقضات بها لا يتَّفق " . انظر : ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد (ص٤) .

[٤٥] : وفي " طبقات الحنابلة " – وهو من كتبهم المعتبرة عندهم – جاء الحكم بضلال الأشاعرة ومن وافقهم في تأويل الألفاظ المضافة إلى الله تعالى ، فقال القاضي أبو يعلى : " ... فماذا عسى أن نقول في جسارة المعتزلة والأشاعرة وبقيَّة المتكلِّمين الضَّالين في تأويل صفات الرَّحمن عزَّ وجلَّ الَّتي نطق بها القرآن ونقلها الأئمَّة الأثبات والعلماء الثِّقات " . انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ١٤٨) .

[٤٦] : وقال إمامهم أبو عبد الله الحسن بن العبَّاس الرُّستمي :

الأشعريَّة ضُلَّال زنادقـــــــةٌ   إخوان من عبد العزَّى مع اللاَّت

بربِّهم كفروا جهراً وقولـــــــهُمُ   إذا تدبَّرته من أسوى المقـالات

ينفون ما أثبتوا عوداً لبدئهـــــم   عقائدُ القوم من أوهى المحـالات

انظر : ذيول الحفاظ ، تعليق الكوثري (ص٢٦٣).

[٤٧] : قال ابن تيمية : " ثمَّ أَقْرَبُ هَؤُلَاءِ " الجهميَّة " الْأَشْعَرِيَّةُ يَقُولُونَ : إنَّ لَهُ صِفَاتٍ سَبْعاً : الْحَيَاةَ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْقُدْرَةَ ، وَالْإِرَادَةَ ، وَالْكَلَامَ ، وَالسَّمْعَ ، وَالْبَصَرَ . وَيَنْفُونَ مَا عَدَاهَا وَفِيهِمْ مَنْ يَضُمُّ إلَى ذَلِكَ " الْيَدَ " فَقَطْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَوَقَّفُ فِي نَفْيِ مَا سِوَاهَا وَغُلَاتُهُمْ يَقْطَعُونَ بِنَفْيِ مَا سِوَاهَا . وَأَمَّا " الْمُعْتَزِلَةُ " فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ مُطْلَقاً وَيُثْبِتُونَ أَحْكَامَهَا ، وَهِيَ تَرْجِعُ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ إلَى أَنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ . وَأَمَّا كَوْنُهُ مُرِيداً مُتَكَلِّماً فَعِنْدَهُمْ أَنَّها صِفَاتٌ حَادِثَةٌ أَوْ إضَافِيَّةٌ أَوْ عَدَمِيَّةٌ . وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاس إلَى " الصَّابِئِينَ الْفَلَاسِفَةِ " مِنْ الرُّومِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ حَيْثُ زَعَمُوا : أَنَّ الصِّفَاتِ كُلَّهَا تَرْجِعُ إلَى سَلْبٍ أَوْ إضَافَةٍ ؛ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْ سَلْبٍ وَإِضَافَةٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ ضُلَّالٌ مُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ .

وَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ مَعْرِفَةَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَصَراً نَافِذاً وَعَرَفَ حَقِيقَةَ مَأْخَذِ هَؤُلَاءِ عَلِمَ قَطْعاً أنَّهم يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ ، وأنَّهم كَذَّبُوا بِالرُّسُلِ وَبِالْكِتَابِ وَبِمَا أُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ ؛ وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ : إنَّ الْبِدَعَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ الْكُفْرِ وَآيِلَةٌ إليه وَيَقُولُونَ : إنَّ الْمُعْتَزِلَةَ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ؛ وَالْأَشْعَرِيَّةُ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ الجهميَّة الذُّكُورُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ الجهميَّة الْإِنَاثُ . وَمُرَادُهُمْ الْأَشْعَرِيَّةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مِنْهُمْ بِكِتَابِ " الْإِبَانَةِ " الَّذِي صَنَّفَهُ الْأَشْعَرِيُّ فِي آخِرِ عُمْرِهِ وَلَمْ يُظْهِرْ مَقَالَةً تُنَاقِضُ ذَلِكَ ، فَهَذَا يُعَدُّ مِنْ أهل السُّنَّة ؛ لَكِنَّ مُجَرَّدَ الِانْتِسَابِ إلَى الْأَشْعَرِيِّ بِدْعَةٌ " . انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٨-٣٥٩) .

وقول ابن تيمية بأنَّ الأشاعرة لا يثبتون لله تعالىٰ إلَّا سبع صفات ، هي : الْحَيَاةَ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْقُدْرَةَ ، وَالْإِرَادَةَ ، وَالْكَلَامَ ، وَالسَّمْعَ ، وَالْبَصَرَ . وأنَّهم يَنْفُونَ مَا عَدَاهَا ... مجانب للصَّواب ، لأنَّ الأشاعرة يصفون الله تعالىٰ بكلِّ ما فيه مدح وكمال ، وكمالاته تعالىٰ لا تنتهي ... وسأكتفي هنا بنقل ما يناقض كلام ابن تيمية عن علمين جبلين من أعلام الأشاعرة ... قال الإمام الرَّازي : " الظَّاهريُّون من المتكلِّمين زعموا أنَّه لا صفة لله تعالىٰ وراء هذه الصِّفات السَّبع أو الثَّماني . وأثبت أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه اليد صفة وراء القدرة ، والوجه صفة وراء الوجود ، وأثبت الاستواء صفة أخرىٰ . وأثبت أبو إسحاق الإسفرائيني صفة تُوجب الاستغناء عن المكان ، وأثبت القاضي صفات ثلاثة أُخرىٰ ، وهي إدراك الشمِّ والذَّوق واللمس ، وأثبت عبد الله بن سعيد القِدَم صفة وراء البقاء ... " .
انظر : محصل أفكار المتكلِّمين (ص٢٧٠).

وقال الإمام مسعود بن عمر التَّفتازاني (٧٩٣هـ) : " زعم بعض الظَّاهريَّة أنَّه لا صفة لله تعالىٰ وراء السَّبعة المذكورة ؛ لوجهين : أنَّه لا دليل عليه ، وكلُّ ما لا دليل عليه يجب نفيه ، ورُدَّ بمنع المقدِّمتين ... " . انظر : شرح المقاصد (٤/ ١٦٥) .

فماذا يقول أتباع ابن تيمية الذين ما زالوا يردِّدون أقوال ابن تيمية ولا يحيدون عمَّا قاله قيْد أُنملة ...؟!!!

[٤٨] : قال الشَّيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين في شرح العقيدة الواسطيَّة : " فالأشاعرة مثلاً والماتريديَّة لا يُعتبرون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب ، لأنَّهم مخالفون لما كان عليه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ حقيقتها !!! ولهذا يخطئ من يقول : إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة : سلفيُّون ، وأشعريُّون ، وماتريديُّون ، فهذا خطأ ، نقول : كيف يكون الجميع أهل سُنَّة وهم مختلفون ؟! وماذا بعد الحق إلَّا الضَّلال ، وكيف يكونون أهل سُنَّة وكلُّ واحد منهم يردُّ علىٰ الآخر ؟! هذا لا يمكن إلَّا إذا أمكن الجمع بين الضدَّين " . انظر : شرح العقيدة الواسطية (١/ ٥٣) .

[٤٩] : قال ابن تيمية : " فَالْمُعْتَزِلَةُ فِي الصِّفَاتِ مَخَانِيثُ الجهميَّة !!! وَأَمَّا الْكُلَّابِيَةِ فِي الصِّفَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْأَشْعَرِيَّةُ ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو إسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ : الْأَشْعَرِيَّةُ الْإِنَاثُ هُمْ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ !!! وَمِنْ النَّاس مَنْ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جَهْماً سَبَقَهُمْ إلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ ، أَوْ لأنَّهم مَخَانِيثُهُمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٢٧) .

وقال ابن تيمية : " ... وَأَنْتُمْ شُرَكَاؤُهُمْ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ كُلِّهَا ، وَمِنْهُمْ أَخَذْتُمُوهَا ، وَأَنْتُمْ فُرُوخُهُمْ فِيهَا ، كَمَا يُقَالُ : الْأَشْعَرِيَّةُ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْمُعْتَزِلَةُ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ، لَكِنْ لَمَّا شَاعَ بَيْنَ الْأُمَّة فَسَادُ مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَنَفَرَتْ الْقُلُوبُ عَنْهُمْ ، صِرْتُمْ تُظْهِرُونَ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ مَعَ مُقَارَبَتِكُمْ أَوْ مُوَافَقَتِكُمْ لَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ " . انظر : الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٦/ ٦٤٣) .

فابن تيمية يصف الأشاعرة بأنَّهم مخانيث ، والمخنَّث يصفه ابن تيمية بأنَّه ملعونٌ على لسان المصطفى ، فقد قال في كتابه " الاستقامة " (١/ ٣٢٠) : " الْوَجْه الْخَامِس تَشْبِيه الرِّجَال بِالنِّسَاء ، فَإِنَّ المغاني كَانَ السَّلف يسمُّونهم مخانيث ، لِأَنَّ الْغناء من عمل النِّسَاء ، وَلم يكن على عهد النَّبي ﷺ يُغني فِي الأعراس إِلَّا النِّسَاء ، كالإماء والجواري الحديثات السِّن ، فَإِذا تشبَّه بهم الرَّجل كَانَ مخنَّثاً ، وَقد لعن رَسُول الله ﷺ المخنَّثين من الرِّجَال والمترجِّلات من النِّسَاء ، وَهَكَذَا فِيمَن يحْضرُون فِي السَّماع من المُردان الَّذين يسمُّونهم الشُّهُود ، فيهم من التَّخنُّث بِقدر مَا تشبَّهوا بِالنِّسَاء ، وَعَلَيْهِم من اللَّعْنَة بِقدر ذَلِك ، وَقد ثَبت عَن النَّبي ﷺ أَنَّه أَمر بِنَفْي المخنَّثين ، وَقَالَ : " أخرجوهم من بُيُوتكُمْ " .

والغريب هنا أنَّ ابن تيمية ينقل عن أحد الفقهاء ويوافقه : أنَّ من لعن علماء الأشاعرة يعزَّر ، وفي ذلك يقول في " مجموع الفتاوى" (٤/ ١٦) : " وَأَمَّا لَعْنُ الْعُلَمَاءِ لِأَئِمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ فَمَنْ لَعَنَهُمْ عُزِّرَ . وَعَادَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ ، فَمَنْ لَعَنَ مَنْ لَيْسَ أَهْلاً لِلَّعْنَةِ وَقَعَتْ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ . وَالْعُلَمَاءُ أَنْصَارُ فُرُوعِ الدِّينِ وَالْأَشْعَرِيَّةُ أَنْصَارُ أُصُولِ الدِّينِ " .

[٥٠] : قال إمامهم أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (٤٨١هـ) كما في "طبقات الشَّافعيَّة الكبرى" (٦/ ١٤٤) :

وخبثُ مقـــــــال الأشعري تخنُّث	يضـــاهي تلويه تلوي الشغازب
يزين هـــــــذا الأشعري مقالـــــه	ويقشبـــه بالسمِّ ياشر قـــاشب
فينفي تفـــــــاصيلاً ويثبت جملـــة	كنـــــاقصه من بعد شدِّ الذوائب
يؤول آيات الصِّفـــــــــات برأيه	فجرأتـــه في الدِّين جرأة خـــارب

وعلى كلِّ حال فإنَّ الأشاعرة عند ابن تيمية وشيعته ليسوا من أهل السُّنَّة ، وانَّما هم أهل كلام ، عدادهم في أهل البدعة...

[٥١] : قال إمامُهم أبو نصر السِّجزي نصر (٤٤٤هـ) في كتابه : " الرَّدُّ على من أنكر الصَّوت والحرف " : "... الفصل الثَّاني : في بيان السُّنَّة ما هي ؟ وبمَ يصير المرء من أهلها ؟... فكلُّ مدَّع للسُّنَّة يجب أن يطالب بالنَّقل الصَّحيح بما يقوله ، فإن أتى بذلك عُلِم صدقه ، وقبلَ قوله ، وإن لم يتمكَّن من نقل ما يقوله عن السَّلف ، علم أنَّه محدث زائغ ، وأنَّه لا يستحق أن يصغا إليه أو يناظر في قوله ، وخصومنا !!! المتكلِّمون معلوم منهم أجمع اجتناب النَّقل والقول به ، بل تمحينهم لأهله ظاهر ، ونفورهم عنهم بيِّن ، وكتبهم عارية عن إسناد ، بل يقولون : قال الأشعري ، وقال ابن كُلَّاب ، وقال القلانسي ، وقال الجبائي ... " . انظر : رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٤٦).

وهذه إحدىٰ المُضحكات المُبكيات منهم ... لأنَّ كُتبهم هي العارية عن الإسناد والإسعاد ... فما من مسألة إلَّا وحشروا فيها رأياً لابن تيمية أو ابن القيِّم أو أحد علمائهم ... لدرجة أن جعلوا رأي علمائهم حكماً فيصلاً في كلِّ مسألة بحثوها أو جادلوا خصومهم فيها ... فلسان الحال يقول : رمتني بدائها وانسلَّت...

[٥٢] : وقال أيضاً : " ثمَّ بُلِيَ أهل السُّنَّة بعد هؤلاء ؛ - أي المعتزلة - بقوم يدَّعون أنَّهم من أهل الاتّباع ، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم ، وهم أبو مُحَمَّد بن كُلَّاب ، وأبو العبَّاس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري ... فهؤلاء يردون علىٰ المعتزلة بعض أقاويلهم ويردُّون علىٰ أهل الأثر أكثر ممَّا ردُّوه علىٰ المعتزلة ". انظر : رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت (ص٣٤٣-٣٤٥) .

وروىٰ ابن عبدالبر عن ابن خويز منداد المصري المالكي : أنَّه قال في كتاب الشَّهادات من كتابه " الخلاف " ، في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء ، قال : " أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكلُّ متكلِّم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريّاً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً !!! ويهجر ويؤدَّب علىٰ بدعته " . انظر : جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢) .

وما قاله ابن عبد البر من رواية ابن خويز منداد عن مالك لا يصحّ ، قال الإمام ابن حجر العسقلاني في ترجمته لابن خويز منداد : " وعنده شواذ عن مالك ، واختيارات وتأويلات لم يعرِّج عليها حذَّاق المذهب ، كقوله : إنَّ العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار ، وأنَّ خبر الواحد مفيد العلم ، وأنَّه لا يعتق علىٰ الرَّجل سوىٰ الآباء والأبناء ، وقد تكلَّم فيه بن الوليد الباجي ، ولم يكن بالجيِّد النَّظر ، ولا بالقويِّ في الفقه ، وكان يزعم أنَّ مذهب مالك أنَّه لا يشهد جنازة متكلِّم ، ولا يجوز شهادتهم ولا مناكحتهم ولا أمانتهم ، وطعن ابن عبد البر فيه أيضاً ... " . انظر : لسان الميزان (٥/ ٢٩١) .

ونختم هذا الفصل بما قاله الدُّكتور مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي في تقريظه لكتاب : " أهل السُّنَّة الأشاعرة " ، قال : " وقد سألت واحداً من هؤلاء الذين يبدِّعون أتباع الإمام الأشعري ويسفِّهونهم ، ويلقون الكلام في ذلك علىٰ عواهنه : ما الذي تنقمه منهم ؟ وما البدعة التي ابتدعوها ففسَّقتهم بها ؟ وقال لي : تعطيلهم القرآن بالتَّأويل الذي ابتدعوه ، قلت له : ما من كلمة أوَّلوها إلَّا وفي أئمَّة السَّلف من أوَّلها ، إذ كان السَّبيل إلىٰ فهمها اجتهاداً يتَّسع لأكثر من فهم واحد.

ألا تعلم أنَّ في السَّلف من أوَّلَ كلمة استوىٰ في مثل قوله تعالىٰ : **﴿ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾** [فصلت: ١١] ، ومن أوَّلَ كلمة وجه في قوله تعالىٰ : **﴿وَيَبْقى وَجْهُ**

رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] ، وأوّلَ الضَّحك في قول رسول الله ﷺ : " ضحكَ ربُّكما الليلة من فِعَالكما " ، وأوّلَ الفراغ في قوله تعالىٰ : **﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ﴾** [الرحمن: ٣١] .

وهل في هؤلاء الذين يعتزُّون بنسبتهم وحدهم إلىٰ السَّلف من لم يؤوِّل كلمة يحبُّهم في قوله تعالىٰ : **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** [المائدة: ٥٤] ، ومن لم يؤوِّل المعيَّة في قوله تعالىٰ : **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** [الحديد: ٤] ، ومن لم يؤوِّل القُرب في قوله تعالىٰ : **﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾**[ق: ١٦] .

فلماذا تبرِّرون لأنفسكم هذا الذي لا تبرِّرونه لمن هم ليسوا أقلّ منكم علماً ، بل أنَّكم لتعلمون أنَّهم القدوة الصَّالحة لهذه الأُمَّة ؟

لماذا يكون تأويل الأشاعرة لما بَرْهَنَ الدَّليل الاجتهادي علىٰ صحَّة تأويله تعطيلاً وابتداعاً ، ويكون تأويلكم لما قد لا نؤيِّدكم فيه سلفيَّة صافية ملتزمة لا تعطيل فيها ولا تأويل؟!

كنَّا نقول بالأمس : قاتل الله الجهالة ، كم تحجب العقل عن الحقِّ ، ولكنَّا نقول اليوم : قاتل الله العصبيَّة العمياء كم تحجب العين المبصرة عن رؤية الشَّمس صافية متلألئة في كبد السَّماء ! " . انظر تقريظ البوطي لكتاب : أهل السُّنَّة الأشاعرة (ص١٣-١٤)...

ولك أن تتعجَّب معي أيُّها القارئ الحبيب ، من الشَّيخ ابن باز – غفر الله له- حيث صنَّف كتاباً سمَّاه بـ : "الأدلَّة النَّقليَّة والحسيَّة علىٰ جريان الشَّمس وسكون الأرض وإمكان الصُّعود إلىٰ الكواكب" اعتبر فيه الأرض ثابتة لا تدور ... وأنَّ من يقل بغير ذلك ، فقد كذب علىٰ الله ، وكلُّ من كذب علىٰ الله سبحانه أو كذَّب كتابه الكريم أو كذَّب علىٰ رسوله الأمين عليه الصَّلاة والسَّلام فهو كافر ضَالٌّ مضِلٌّ ، يُستتاب فإنَّ تاب وإلَّا قُتل كافراً مرتدَّاً ، ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين –لأنَّ هذا القول الباطل كما هو مخالف للنُّصوص ، فهو مخالف للمشاهد والمحسوس ومكابرة للعقول والواقع ..." فانظر يا رعاك الله ... وانظر أيضاً كتابه : الشِّهاب المنقض علىٰ من قال بكرويَّة الأرض ..." .

ومن عجائب الشَّيخ الألباني – عليه رحمة الله – أنَّه قال في تأويل الإمام البخاري لقول الله تعالىٰ : **﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾** [القصص : ٨٨] ، أي : إلَّا ملكه : "هذا لا يقوله مسلم مؤمن" . انظر : فتاوىٰ الألباني (ص٥٢٣) .

مع أن الإمام ابن تيمية – عليه رحمة الله- نقل في الفتاوىٰ الكبرىٰ (٢/ ٤٢٧ فما بعدها) عدَّة تأويلات أوَّلها سلف الأُمَّة للوجه الوارد في الآية ، فقال : " رُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: " إلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ وَعَنْ " جَعْفَرِ الصَّادِقِ " إلَّا دِينَهُ " وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ... وَعَنْ مُجَاهِدٍ " إلَّا هُوَ " وَعَنْ الضَّحَّاكِ " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلَّا اللهَّ والجنَّة والنَّار وَالْعَرْشَ" ، وَعَنْ ابْنِ كيسان " إلَّا مُلْكَهُ ". وَذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ " الْوَجْهِ " يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَصْلِ مِثْلَ الْجِهَةِ كَالْوَعْدِ وَالْعِدَةِ

وَالْوَزْنِ وَالزِّنَةِ وَالْوَصْلِ وَالصِّلَةِ وَالْوَسْمِ وَالسِّمَةِ لَكِنْ فِعْلُهُ حُذِفَتْ فَاؤُهَا وَهِيَ أَخَصُّ مِنْ الْفِعْلِ كَالْأَكْلِ وَالْإِكْلَةِ. فَيَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى التَّوَجُّهِ وَالْقَصْدِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْت مُحْصِيه ... رَبَّ الْعِبَادِ إليه الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

ثُمَّ أَنَّه يُسَمَّى بِهِ الْمَفْعُولُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْمُتَوَجَّهُ إليه كَمَا فِي اسْمِ الْخَلْقِ وَدِرْهَمِ ضَرْبِ الْأَمِيرِ وَنَظَائِرِهِ وَيُسَمَّى بِهِ الْفَاعِلُ الْمُتَوَجِّهُ كَوَجْهِ الْحَيَوَانِ يُقَالُ: أَرَدْت هَذَا الْوَجْهَ أَيْ هَذِهِ الْجِهَةَ وَالنَّاحِيَةَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: **﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾** ، أَيْ قِبْلَةُ اللهِ وَوُجْهَةُ اللهِ هَكَذَا قَالَ جُمْهُورُ السَّلَفِ" .

وقد وصل الأمر بأحدهم – سامحه الله- أن وصف الأشاعرة بأنَّهم : "حثالة الزَّرادشتيَّه والمجوسيَّة والهندوسيَّة" ، وذلك في كتابه : "الردُّ الأثري المفيد على البيجوري في جوهرة التَّوحيد" .

كما افترى المدعو أبو عبد الله محمود الحدَّاد على جميع "شرَّاح البخاري بأنَّهم ليسوا من أهل السُّنَّة ، وذلك في تعليقه على عقيدة الرَّازيين ، أبو حاتم ، وأبو زرعة (ص١٣١) ، حيث قال عند ذكره لفتح الباري : "يسَّر الله من أهل السُّنَّة من يشرحه"!!!

وللعلم فإنَّ صحيح البخاري قد تعاقب على شرحه عشرات العلماء على مرِّ التَّاريخ...

وهذا إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على المكانة العظيمة لـ (صحيح البخاري) عند كافَّة علماء المسلمين ، وهي شروحٌ بعضها اكتمل ، والبعضُ الآخر لم يكتمل ، حيث عاجلت المنيَّة صاحبه قبل إكماله ... ومنها ما وصل إلينا ، ومنها ما لم يصل ، ومن أهم شُرَّاح صحيح البخاري : الإمام الخطَّابي (٣٨٦هـ) ، والإمام ابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، والإمام القاسم إسماعيل بن مُحَمَّد الأصبهاني (٥٣٥هـ) ، والإمام نجم الدِّين أبي حفص عمر بن مُحَمَّد النَّسفي الحنفي (٥٣٧هـ) ، والإمام أبو الحسن مُحَمَّد بن أحمد الجياني النَّحوي (٥٤٠هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن سعيد بن يحيى بن الدّميثي الواسطي (٦٣٧هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، والإمام يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، والإمام ابن المنير الإسكندراني (٦٨٣هـ) ، والإمام علي بن مُحَمَّد اليونيني (٧٠١هـ) ، والإمام أبو عبد الله عمر بن رشيد الفهري (٧٢١هـ) ، والإمام عبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) ، والإمام علاء الدِّين مغلطاي (٧٦٢هـ) ، والإمام أحمد بن أحمد الكردي (٧٦٣هـ) ، والإمام الكرماني (٧٨٦هـ) ، والإمام مغلطاي بن فليج التُّركي المصري الحنفي (٧٩٢هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن بهادر الزَّركشي (٧٩٤هـ) ، والإمام ابن رجب (٧٩٥هـ) ، والإمام القاضي مجد الدِّين إسماعيل بن إبراهيم البلبيسي (٨١٠هـ) ، والإمام الفيروز آبادي (٨١٧هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن أبي بكر الدَّماميني (٨٢٧هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الدَّائم بن موسى البرماوي (٨٣١هـ) ، والإمام علي بن الحسين بن عروة المشرفي الموصلي الحنبلي (٨٣٧هـ) ، والإمام برهان الدِّين بن مُحَمَّد بن خليل الحلبي سبط ابن العجمي (٨٤١هـ) ، والإمام

وكُتُبه ورسله ، ملتزماً جميع شعائر الإسلام ، وتجعلونهم كفَّاراً (١٨) ، وبلادهم بلاد حرب ، فنحن نسألكم : من إمامكم في ذلك ؟!!! وَمِمَّن أخذتم هذا المذهب عنه ؟!! فإن قلتم : كفَّرناهم لأنَّهم

مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد مرزوق الحفيد (٨٤٢هـ) ، والإمام شهاب الدِّين أحمد بن رسلان المقدسي الرَّملي الشافعي (٨٤٤هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن أحمد بن موسىٰ الكفيري (٨٤٦هـ) ، والإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، والإمام العيني (٨٥٥هـ) ، والإمام عمر بن علي بن الملقِّن (٨٠٥هـ) ، والإمام أبو طاهر مجيد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب بن مُحَمَّد بن إبراهيم الشِّيرازي الفيروزآبادي (٨١٦هـ) ، والإمام عبد الرَّحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (٨٢٤هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن أبي بكر الدَّماميني (٨٢٧هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الدائم بن موسىٰ البرماوي (٨٣١هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن أحمد بن موسىٰ الكفيري (٨٤٦هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن موسىٰ الشافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) ، والإمام أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (٨٥٧هـ) ، والإمام أبو البقاء مُحَمَّد بن علي بن خلف الأحمدي المصري الشَّافعي (يُعتقد أنَّه عاش بعد سنة ٩٠٩ هـ) ، والإمام السُّيوطي (٩١١هـ) ، والإمام القسطلاني (٩٢٣هـ) ، والإمام زين الدِّين عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن بن أحمد العبَّاسي(٩٦٣هـ) ، والإمام إسماعيل بن مُحَمَّد بن عبد الهادي (١١٦٢هـ) ، والإمام حسن العدوي الحمزاوي المالكي (١٣٠٣هـ) ، والإمام أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري (١٣٥٢هـ) ...

فهؤلاء ليسوا من أهل السُّنَّة عند من يدَّعون السَّلفيَّة ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً...

وصنَّف المدعو عبد الله سعد الغامدي العبدلي كتابه : "الأخطاء الأساسيَّة في العقيدة وتوحيد الرُّبوبيَّة من كتاب فتح الباري ..." . والحبل علىٰ الجرَّار.

(١٨) من المعلوم في دين الإسلام أنَّ التَّكفير شرٌّ مستطير ، وخطرٌ كبير ، تتجنَّب ولُوجه القلوبُ المُؤمنة ، وتنفرُ منه النُّفوس السَّاكنة المطمئنَّة ، وما ذلك إلَّا بسبب ما يترتَّب عليه من أحكام مُفزِعة ، من أعظمها : غضبُ الجبَّار والخلود في النَّار ، قال الإمام أبو الفضل القاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي (٥٤٤هـ) : " إِدْخَال كافِرٍ فِي المِلَّة وَإِخْرَاج مُسْلِمٍ عَنْهَا عَظِيم فِي الدِّين" . انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٢٧٧) .

وقد جاء في الكتاب والسُّنَّة العديد من الآيات والأحاديث التي حذَّرت وبيَّنت ما في التَّكفير من خطورة ... وانسجاماً مع ذلكم الوعيد الشَّديد ، فقد حذَّر العلماء الربَّانيُّون من التَّكفير ، فعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ ، قَالَ : مَا يَضُرُّكَ شَهِدْتَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ بِكُفْرٍ أَوْ قَتَلْتَهُ " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٤٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٥) .

وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البرّ بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) : " فَالْقُرْآنُ والسُّنَّة يَنْهَيَانِ عَنْ تَفْسِيقِ الْمُسْلِمِ وَتَكْفِيرِهِ بِبَيَانٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظَرِ الصَّحيح الَّذِي لَا مِدْفَعَ لَهُ أَنَّ كُلَّ

مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الإسلام فِي وَقْتٍ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً أَوْ تَأَوَّلَ تَأْوِيلاً فَاخْتَلَفُوا بَعْدُ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الإسلام لَمْ يَكُنْ لِاخْتِلَافِهِمْ بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ مَعْنىً يُوجِبُ حُجَّةً ، وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الإسلام الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ إِلَّا بِاتِّفَاقٍ آخَرَ أَوْ سُنَّةٍ ثَابِتَةٍ لَا مُعَارِضَ لَهَا . وَقَدِ اتَّفَقَ أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةُ وَهُمْ أهل الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ عَلَىٰ أَنَّ أَحَداً لَا يُخْرِجُهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ عَظُمَ مِنَ الإسلام ، وَخَالَفَهُمْ أهل الْبِدَعِ ، فَالْوَاجِبُ فِي النَّظَرِ أَنْ لَا يُكَفَّرَ إلا من اتَّفق الجميع علىٰ تكفيره أو قام عَلَىٰ تَكْفِيرِهِ دَلِيلٌ لَا مِدْفَعَ لَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْسُنَّةٍ " . انظر : التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ٢١-٢٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله بدر الدِّين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي (٧٩٤هـ) : " لَا نُكَفِّرُ أَحَداً مِنْ أهل الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، أَيْ : لَا نُكَفِّرُهُمْ بِالذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ الْمَعَاصِي كَالزِّنَىٰ وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، خِلَافاً لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَفَّرُوهُمْ بِهَا.

أَمَّا تَكْفِيرُ بَعْضِ " الْمُبْتَدَعَةِ لِعَقِيدَةٍ تَقْتَضِي " كُفْرَهُ حَيْثُ يَقْتَضِي الْحَالُ الْقَطْعَ بِذَلِكَ أَوْ تَرْجِيحَهُ فَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ بِقَوْلِنَا : بِذَنْبٍ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ بِكُفْرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ بِعَدَمِ كُفْرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مَحَلُّ التَّرَدُّدِ.

فَمِنْ الْأَوَّلِ : تَكْفِيرُ مَنْ صَارَ مِنْ الْفَلَاسِفَةِ إلىٰ قِدَمِ الْعَالَمِ " وَإِنْكَارِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَعِلْمِ اللهِ " تَعَالَىٰ بِالْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ حَكَىٰ الرُّويَانِيُّ فِي الْبَحْرِ عَنْ الْإِمَامِ " الشَّافِعِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : لَا يُكَفَّرُ مِنْ أهل الْقِبْلَةِ إلَّا وَاحِدٌ ، وَهُوَ مَنْ نَفَىٰ عِلْمَ اللهِ عَنْ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِهَا فَهُوَ كَافِرٌ.

وَمِنْ الثَّانِي : الْمُبْتَدِعُ الَّذِي لَا تَبْلُغُ بِدْعَتُهُ إنْكَارَ أَصْلٍ فِي الدِّينِ .

وَمِنْ الثَّالِثِ : مَنْ خَالَفَ أهل السُّنَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْعَقَائِدِ كَالْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.

قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الإسلام وَالزَّنْدَقَةِ : فَهَؤُلَاءِ أَمْرُهُمْ فِي مَحَلِّ الإجتهاد وَالَّذِي يَنْبَغِي الِاحْتِرَازُ عَنْ التَّكفير مَا وَجَدَ إليه سَبِيلاً ، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنْ الْمُصَلِّينَ إلىٰ الْقِبْلَةِ الْمُصَرِّحِينَ بِالتَّوْحِيدِ خَطَأٌ ، وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنْ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ " . انظر : المنثور في القواعد الفقهيَّة (٣/ ٨٧-٨٨) .

وَمِنْهَا : أَنَّه رُبَّمَا يقْتَدىٰ بالرَّامي فِيمَا رمىٰ ، فيتضاعف وزره بِعَدَد من تبعه مأثماً ، وَقَلَّ أَن يسلم من رمىٰ بِكفْر مُسلماً ، فقد خرَّج أَبُو حَاتِم مُحَمَّد بن حبَّان فِي صَحِيحه عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : " مَا أكفر رجلٌ رجلاً إِلَّا بَاء بِأَحَدِهِمَا بهَا ، فَإِن كَانَ كَافِراً وَإِلَّا كفر بتكفيره . وَله شَاهد فِي الصَّحِيحين من حَدِيث أبي ذَر وَابْن عمر رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنْهُم . وَفِي صَحِيح البُخَارِيّ لَهُ شَاهد أيضاً من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَضِي الله تَعَالَىٰ عَنهُ ، وَصَحَّ عَن ثَابت ابْن الضَّحَّاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ : " وَمَنْ رَمَىٰ مُؤمناً بِكفْر فَهُوَ كقتله "

، وَخرَّج أَبُو بكر البزَّار فِي مُسْنده عَن عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنْهُمَا ، قَالَ : رَسُول الله ﷺ : " إذا قَالَ الرجل لِأَخِيهِ يَا كَافِر فَهُوَ كقتله " .

ورُوِّينا من حَدِيث الثَّوري عَن يزِيد ابْن أبي زِيَاد عَن عَمْرو بن سَلمَة ، قَالَ : سَمِعت عبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُول : مَا من مُسلمين إِلَّا وَبَينهمَا ستر من الله عزَّ وجلَّ ، فَإِن قَالَ أَحدهمَا لِأَخِيهِ كلمة هجر خرق ستر الله الَّذِي بَينهمَا ، وَلَا قَالَ أَحدهمَا : أَنْت كَافِر إِلَّا كفر أَحدهمَا . تَابعه مُحَمَّد بن فُضَيْل ، وَأَبُو إِسْحَاق الْفَزارِيّ ، عَن يزِيد . فَهَل بعد هَذَا الْوَعيد من مزِيد فِي التَّهديد ؟!! وَلَعَلَّ الشَّيطان يزين لمن اتبع هَوَاهُ وَرمىٰ بالْكفْر وَالْخُرُوج من الإسلام أَخَاهُ أَنَّه تكلم فِيهِ بِحَق ورمــاه ، وأَنَّه من بَاب الْجرْح وَالتَّعْدِيل لَا يَسعهُ السُّكُوت عَن الْقَلِيل من ذَلِك فكيف بالجليل.

هَيْهَات هَيْهَات إِن فِي مجَال الْكَلَام فِي الرِّجَال عقبات مرتقيها علىٰ خطر ومرتقبها هوىٰ لَا منجىٰ لَهُ من الأثم وَلَا وزر ، فَلَو حاسب نَفسه الرَّامِي أَخَاهُ مَا السَّبَب الَّذِي هاج ذَلِك لتحقّق أَنَّه الْهوىٰ الَّذِي صَاحبه هَالـك" . انظر : الرد الوافر (ص١١-١٣) .

وقال الإمام مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) في كلامه علىٰ حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : بَعَثَ عَلِيٌّ – عَلَيْهِ السَّلام – وَهُوَ بِالْيَمَنِ إلىٰ النَّبي ﷺ بِذُهَيْبَةٍ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبعَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهَّ : اتَّقِ اللهَّ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ أَوَ لَسْتُ أَحَقُّ أهل الأرض أَنْ يَتَّقِيَ اللهَّ ، ثمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ : يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟ فقَالَ : لا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي ، فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاس وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ " : " قَالَ النَّوَوِيُّ بَعْدَ أَنْ صَرَّحَ هُوَ وَالْخَطَّابِيُّ بِأَنَّ الْحَدِيثَ وَأَمْثَالَهُ يدلُّ عَلَىٰ كُفْرِ الْخَوَارِجِ ، وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالاً مِنْ سَائِرِ الْمَسَائِلِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا الْمَعَالِي وَقَدْ رَغَّبَ إليه الْفَقِيهُ عَبْدُ الْحَقِّ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا ، فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ الْغَلَطَ فِيهَا يَصْعُبُ مَوْقِعُهُ ؛ لِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي الْمِلَّةِ وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ مِنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّينِ . وَقَدْ اضْطَرَبَ فِيهَا قَوْلُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ ، وَنَاهِيك بِهِ فِي عِلْمِ الْأُصُول ، وَأَشَارَ ابْنُ الْبَاقِلَّانِيِّ إلىٰ أنَّهَا مِنْ الْمُعَوِّصَاتِ ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُصَرِّحُوا بِالتَّكْفِيرِ ، وانَّما قَالُوا قَوْلاً يُؤَدِّي إلىٰ ذَلِكَ.

وَأَنَا أَكْشِفُ لَك نُكْتَةَ الْخِلَافِ وَسَبَب الْإِشْكَالِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلِيَّ مَثَلاً إذا قَالَ إنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ عَالِمٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ ، وَحَيٌّ وَلَا حَيَاةَ لَهُ وَقَعَ الِاشْتِبَاهُ فِي تَكْفِيرِهِ ؛ لِأَنَّا عَلِمْنَا مِنْ دِينِ الأُمَّة ضَرُورَةَ أَنَّ مَنْ قَالَ إنَّ اللهَّ لَيْس بِحَيٍّ وَلَا عَالِمٍ كَانَ كَافِراً ، وَقَامَتْ الحجَّة عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ كَوْنِ الْعَالِمِ لَا عِلْمَ لَهُ ، فَهَلْ يَقُولُ إنَّ الْمُعْتَزِلِيَّ إذا نَفَىٰ الْعِلْمَ نَفَىٰ أَنْ يَكُونَ اللهَّ عَالِماً ، أَوْ يَقُولُ قَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَىٰ عَالِمٌ فَلَا يَكُونُ نَفْيُهُ لِلْعِلْمِ نَفْياً لِلْعَالِمِ هَذَا مَوْضِعُ الْإِشْكَال . قَالَ : هَذَا كَلَامُ

الْمَاوَرْدِيِّ وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَجَمَاهِيرِ أَصْحَـــابِهِ وَجَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ " . انظر : نيل الأوطار (١/ ٣٩٥) .

ولذلك يجب على غير العالم أن يبتعد عن دائرة التَّكفير ، بل عن الكلام في المسائل الشَّرعيَّة عامَّة ، كما يجب على العالم – غير المتخصِّص بالأصول – أن يُحيط علماً بشروط التَّكفير حتَّى لا يقع في المحظور ، لأنَّ الكلام والفتيا في الدِّين هي من الخطورة بمكان ، وهي عبارة عن توقيعٍ بالنِّيابة عن الله تعالى ، " وَإِذَا كَانَ مَنْصِبُ التَّوْقِيعِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْمَحِلِّ الَّذِي لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْهَلُ قَدْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ السَّنِيَّاتِ ، فَكَيْفَ بِمَنْصِبِ التَّوْقِيعِ عَنْ رَبِّ الأرض وَالسَّمَوَاتِ ؟ فَحَقِيقٌ بِمَنْ أُقِيمَ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ أَنْ يَعُدَّ لَهُ عِدَّتَهُ ، وَأَنْ يَتَأَهَّبَ لَهُ أُهْبَتَهُ ، وَأَنْ يَعْلَمَ قَدْرَ الْمَقَامِ الَّذِي أُقِيمَ فِيهِ ، وَلَا يَكُونُ فِي صَدْرِهِ حَرَجٌ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالصَّدْعِ بِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَّ نَاصِرُهُ وَهَادِيهِ ، وَكَيْفَ هُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي تَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ رَبُّ الْأَرْبَابِ ، فَقَالَ تَعَالَى : **﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُّ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾** [النساء : ١٢٧] ، وَكَفَى بِمَا تَوَلَّاهُ اللهُّ تَعَالَى بِنَفْسِهِ شَرَفاً وَجَلَالَةً ؛ إِذْ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُّ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾** [النساء : ١٧٦] ، وَلِيَعْلَمَ الْمُفْتِي عَمَّنْ يَنُوبُ فِي فَتْوَاهُ ، وَلِيُوقِنَ أَنَّه مَسْئُولٌ غَداً وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْ اللهَّ " . انظر : إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين (١/ ٩) .

مع العلم أنَّنا رأينا وسمعنا من لا يحسن الكلام في نواقض الوضوء أو أركان الصَّلاة ... يتجاسر في التَّكفير بل في تكفير عموم الأُمَّة ، والعياذ بالله...

وفيما يلي عرضٌ لبعض المسائل التي كفَّر الوَهَّابيُّون فيها عموم الأُمَّة...

الأُوْلَى : اعتبر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب (الفقه) عيْن الشِّرك ، ذلك أنَّه بعد أن ذكر قول الله تعالى : **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهَّ﴾** [التوبة : ٣١] ، قال : " فسَّرها رسول الله ﷺ والأئمَّة بعده بهذا الذي تُسمُّونه الفقه !!! وهو الَّذي سمَّاه الله شِركاً ، واتِّخاذهم أرباباً ، لا أعلم بين المفسِّرين في ذلك اختلافاً" . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٥٩) .

فابن عبد الوهَّاب يعتبرُ كتب الفقه عين الشِّرك ، ويفتري على الرَّسول ﷺ أنَّه فسَّرها بالفقه... وهنا نسأل فنقول : وأين نجد تفسير الرَّسول ﷺ للآية بالفقه ؟!!! بل مَنْ مِنَ المفسِّرين قال بها افتراه مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ؟!!! أنَّه الكذب بعينه وشينه ومينه ... بل الحقُّ أنَّ القرآن الكريم أمَرَ وطالبَ بالتَّفقُّه في الدِّين ، فقال تعالى : **﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** [التوبة : ١٢٢] ، " قَالَ مَالِكٌ : وأنَّه لَيَقَعُ فِي قَلْبِي أَنَّ الْحِكْمَةَ هُوَ الْفِقْهُ فِي دِينِ اللهَّ ، وأَمْرٌ يُدْخِلُهُ اللهُّ فِي الْقُلُوبِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ ، وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ ، أَنَّكَ تَجِدُ الرَّجُلَ عَاقِلاً فِي أَمْرِ الدُّنيا ذَا نَظَرٍ فِيهَا ، وَتَجِدُ آخَرَ ضَعِيفاً فِي

أَمْرِ دُنْيَاهُ ، عَالِماً بِأَمْرِ دِينِهِ، بَصِيراً بِهِ ، يُؤْتِيهِ اللهُ إِيَّاهُ وَيَحْرِمُهُ هَذَا ، فَالْحِكْمَةُ : الْفِقْهُ فِي دِينِ اللهِ" . انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١/ ٧٠٠) .

كما وضَّح الرَّسول ﷺ أنَّ التَّفقُّه في الدِّين سبيلٌ للخيريَّة ، فقال : " إذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّين " . أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٩٢ برقم ١٦٩٥٩) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٣/ ٤٤٤ برقم ٣٦١٥٧) ، البزَّار في المسند (٥/ ١١٧ برقم ١٧٠٠) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المعجم (١/ ٣٨) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٤٦) ، البيهقي في القضـــاء والقدر (ص١٨٢ برقم ١٦٤) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٩٧ برقم ٨٧).

وقال ﷺ : " إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الْهُدَىٰ ، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً ، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاس ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا ، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىٰ ، انَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ". أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٧ برقم ٢٢٨٢) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ١٧٧ برقم ٤) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ٨٧ برقم ٨٧) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (١٣/ ٢٩٥ برقم ٧٣١١) ، البيهقي في دلائل النُّبوَّة (١/ ٣٦٨) .

واستجابة لهذا الهَدي النَّبوي في التَّفقُّه في دين الله تعالىٰ ، فقد نبغ من السَّلف الصَّالح العديد من الفقهاء ، سواء كانوا من الصَّحابة أو التَّابعين أو تابعيهم ... وكان من أبرزهم الصَّحابي الجليل عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما ، الذي نبغ في علوم الشَّريعة وفقهها ببركة دعاء الرَّسول ﷺ له : " اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين ، وَعَلِّمْهُ التَّأويل " . أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦٦ برقم ٢٣٩٧) ، فضائل الصَّحابة (٢/ ٨٤٦ برقم ١٥٦٠) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٢/ ١١١ برقم ٣٢٨٨٧) ، إسحق بن راهوية في المسند (٤/ ٢٣٠ برقم ٢٠٣٨) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٢٨٧ برقم ٣٨٠) ، البزَّار في المسند (١١/ ٢٨٢ برقم ٥٠٧٥) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١٥/ ٥٣١) ، الآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٦٦ برقم ١٧٤٨) ، الطَّبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٢ برقم ١٤٢٢) ، المعجم الصغير (١/ ٣٢٧ برقم ٥٤٢) ، المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٣ برقم ١٠٦١٤) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصَّحيحين (٣/ ٦١٥ برقم ٦٢٨٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠/ ٢٢٢ برقم ٢٣٤) ، البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٩٣) .

وقد شارك العديد من فقهاء السَّلف والخلف في صناعة موسوعة فقهيَّة ضخمة ، اعتمدوا في صناعتها على كتاب الله تعالى وسنَّة رسول الله ﷺ ، وهم متَّفقون فيما بينهم على الخطوط الفقهيَّة العريضة ، وإن اختلفوا في بعض الجزئيَّات المتعلِّقة بالحياة اليوميَّة ، قال الإمام عبد الرَّحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " فاعلم أنَّ هذا الفقه المستنبط من الأدلَّة الشَّرعيَّة كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم ، خلافاً لا بدَّ من وقوعه لما قدَّمناه . واتَّسع ذلك في الملَّة اتِّساعاً عظيماً ، وكان للمقلِّدين أن يقلِّدوا من شاءوا منهم ، ثمَّ لَمَّا انتهى ذلك إلى الأئمَّة الأربعة من علماء الأمصار وكانوا بمكان من حسن الظَّنِّ بهم ، اقتصر النَّاس على تقليدهم ، ومنعوا من تقليد سواهم ، لذهاب الإجتهاد لصعوبته ، وتشعُّب العلوم الَّتي هي موادّه باتِّصال الزَّمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعـــة ". انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (١/ ٥٧٧) .

وبناء على ما قاله ابن عبد الوهَّاب من كون كُتب الفقه " كتب الشِّرك " ، فإنَّ كلَّ من اشتهر بالفقه أو كَتَبَ كُتباً فقهيَّة ، من السَّلف والخلف يُعتبر كافراً مشركاً ، لأنَّه صنَّف كُتُباً شِركيَّة كُفْرِيَّة ، ويدخل في ذلك : الفقهاء السَّبعة الذين اشتهروا بالفقه في المدينة المنوَّرة ، وهم :

(١) الصَّحابي الجليل الفقيه عُروة بن الزُبير بن العوام الأسدي القرشيّ ...

(٢) الصَّحابي الشَّهير الفقيه خارجة بن زيد بن ثابت ...

(٣) التَّابعي الشَّهير الفقيه سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي المُلقّب بـ "عالم أهل المدينة "، وبـ " سيِّد التَّابعين."

(٤) التَّابعي الشَّهير الفقيه القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر التَّيمي البكري ، حفيد الصدِّيق أبو بكر.

(٥) التَّابعي الشَّهير الفقيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذليّ...

(٦) التَّابعي الشَّهير الفقيه أبو بكر بن عبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، المعروف براهب قريش .

(٧) التَّابعي الشَّهير الفقيه سليمان بن يسار مولى أُمِّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث...

ويدخل فيهم – أيضاً – الأئمَّة الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشَّافعي ، وأحمد ، وغيرهم من أئمَّة السَّلف والخلف وخاصَّة أصحاب المصنَّفات فيه ...

الثَّانِيَةُ : كفَّروا كلَّ من بلغته دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، ومع ذلك أصرَّ مُناكفاً مُعانداً مُستكبراً ، فقد صرَّح مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّهم – أي الوهَّابيَّة – لا يُكفِّرون " إلَّا من بلغته دعوتنا للحقِّ ، ووضحت له المحجَّة ، وقامت عليه الحجَّة ، وأصرَّ مستكبراً معانداً ، كغالب من نقاتلهم اليوم !!! يصرُّون على ذلك الإشِراك !!!

ويمتنعون من فعل الواجبات ، ويتظاهرون بأفعال الكبائر والمحرَّمات " ... انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٢٣٤) .

وكفَّروا كلَّ من بلغته دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب !!! ولم يُسْلم !!. انظر: الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢٤٥) .

والمعنى ... أنَّ من لم ينطو تحت طاعة وإمرة مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب فهو كافر ... فمن بلغته دعوته ولم يُسلِّم له القِياد فهو كافر ... لأنَّه صرَّح بأنَّ النَّاس كانوا قبل ظهوره كفَّاراً ، ولذلك قاتلهم ، فمجرَّد قتاله لهم مبرِّر لتكفيرهم ، لأنَّهم خالفوه ، ومخالفتهم له مبرِّر لقتالهم ، مع العلم أنَّ أغلب علماء عصره خالفوه ، مثل : الإمام مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن بن عفالق الحنبلي الإحسائي (١١٦٤هـ) ، والإمام الصَّنعاني (١١٨٢هـ) ، وهو صاحب القصيدة التي تبرَّأ فيها من مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، ومنها قوله :

رجعت عن النَّظم الذي قلت في النَّجدي	فقد صحَّ لي عنه خلاف الذي عندي
ظننت بـه خيراً وقلت عسى عسى	نجد ناصحاً يهدي الأنام ويستهدي
فقد خاب فيه الظنُّ لا خاب نصحنا	وما كلُّ ظنٍّ للحقائق لي مهدي
وقد جاءنا من أرضه الشَّيخ مربد	فحقَّق من أحواله كلّ ما يبدي
وقد جاءني من تأليفه برسائل	يكفِّر أهل الأرض على عمد
ولفَّق في تكفيرهم كلّ حجَّة	تراها كبيت العنكبوت لذي النقد
تجاري على إجراء دماء كل مسلم	مُصَلٍّ مُزَكٍّ لا يحول عن العهد
وقد جاءنا عن ربِّنا في براءة	براءتهم عن كلِّ كفر وعن جحد
وإخواننا سمَّاهم اللهّ فاستمع	لقول الإله الواحد الصمد الفرد
وقد قال خير المرسلين نهيت عن	فما باله لم ينته الرجل النجدي
وقال لهم لا ما أقاموا الصَّلاة في	أناس أتوا كل القبائح عن قصد
أبن أبن لي لِمّ سفكت دماءهم	ولِمّ ذا نهبت المال قصداً على عمد
وقد عصموا هذا وهذا بقول لا	إله سوى اللهّ المهيمن ذي المجد

وممَّن عاش في زمان مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب من العلماء وخالفه : الإمام عبد الله بن عيسى المويس التَّميمي (١١٧٥هـ) ، والإمام سليمان بن عبد الوهَّاب النَّجدي (١٢٠٨هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الله بن فيروز الإحسائي (١٢١٦هـ) ، وقد ردَّ على مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بقصيدة ، قال فيها:

سَلامُ فِرَاق لا سَلامُ تَحِيَّةِ ... عَلَىٰ سَاكِنِي نَجْدٍ وَأَرْضِ اليَمامَةِ

لَقَدْ زَعَمُوا أهل الشَقَاءِ بِأَنَّهُم ... عَلَىٰ دِيْنِ حَقٍّ وَاصِبٍ وَاسْتِقَامَةِ

وَقَالُوا سِوَاهُم كُل مَنْ كَانَ كَافِرَاً ... فَقَد كَذَبُوا وَالله هُم في ضَلالَةِ

وَقِدْ حَاوَلُوا التَعْطِيْلَ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ ... وَلَفَّقُوا دِيْناً بِدْعَةً أَيُّ بِدْعَةِ

أَضَلُّوْا بِجَهْلٍ هَذِهِ الأُمَّة الَّتِي لَقَدْ ... خَرَجَتْ لِلنَّاسِ هُم خَيْرُ أُمَةِ

وَبَدَّلُوا أَحْكَامَ الكِتَابِ جَمِيْعًا وَحَلَّلُوا ... شَيْئَاً حُرِّمَت في الشَرِيْعَةِ

بِسَفْكِ دِمَاءٍ وَانْتِهَاكِ مَحَارِمِ ... وَقَتْلُ مُصَلٍّ مُتَقٍ لله قَانِتِ

فَأَنْشُدُكم بِالله يَا أهل دِيْنِهِ ... أَيُعْرَفُ هَذَا مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةِ

بِأَيِّ دَلِيْلٍ أَمْ بِأَيَّةِ حُجَةٍ ... وَفِي أَيِّ شَرْعٍ بَلْ بِأَيَّةِ مِلَّةِ

يُبَاحُ دِمَاءُ المُسْلِمِيْنَ وَمَالَهُم ... أَئِمَّةِ دِيْنِ الله خَيْرِ أَئِمَّةِ

فكم نهبوا مَالاً وَكَم سَفَكُوا دَمَاً ... وَكَم هَتكُوا عَنْ كُلِّ خُوْدٍ جَمِيْلَةِ

فَلا تَعْبَئُوا يَا قَوْمُ فِيْهِم فَإِنَّهُم ... كِلابٌ ذِيَابٌ لِلأَنَامِ مُضِرَّةِ

فَوَيْلٌ لَهُم مِنْ فِعْلِهِم وَفِعَالِهِم ... وَوَيْلٌ لَهُم يَوْمَ المَعَادِ بِنِقْمَةِ

أَلا فَاخبِرُوْنِي أَيُّهَا القَوْم أَنْتُمُ عَلَىٰ ... أَيِّ دِيْنٍ أَم فَمِن أَيّ فِرْقَةِ

أَوَحْيٌ إِلَيْكُم جَاء أَم خَبَرٌ أَتَىٰ ... بِأَنَّكُمْ خَيْرُ القُرُوْنِ وَقُدْوَةِ

وَأَنْتُم خِيَارُ الخَلْقِ طُرَّاً بِزَعْمِكُم ... وَسَاحَتُكُم قَد فُضِّلَت كُلُّ سَاحَةِ

ومن العلماء الذين عاشوا في زمانه وخالفوه : الإمام سليمان بن سحيم بن أحمد بن سحيم الحنبلي النَّجدي (١٢٣٠هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن علي بن سلُّوم (١٢٤٦هـ) ، والإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، صاحب " حاشية ردّ المحتار على الدُّرِّ المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة " ، فقد قال في حاشيته عنهم : " مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا.

(قَوْلُهُ : وَيُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ نَبِيِّنَا ﷺ عَلِمْت أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مُسَمَّى الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَىٰ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرَ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَىٰ الْحَرَمَيْنِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهم هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أهل السُّنَّة ، وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّىٰ كَسَرَ

اللهُ تَعَالَىٰ شَوْكَتَهُمْ ، وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة (٤/ ٢٦٢) .

والعجيب الغريب ... أنَّ الوهَّابيَّة قاموا بحذف هذه الفقرة وشطبها من " حاشية ابن عابدين " من النُّسخة التي طُبعت على نفقة الوليد بن طلال ، كما تمَّ حذف كتاب " البُغاة " كاملاً من نفس الكتاب من النُّسخة نفسها ... فإلى الله المُشتكى ... وهذا هو ديدنهم ، وصنيعهم مع كلِّ ما لا يتوافق مع منهجهم ومعتقدهم...

كما ردَّ على مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب العديد من كبار علماء الحنابلة وكان أوَّلهم أخُوه الشَّيخ سليمان بن عبد الوهَّاب ، في كتابٍ سمَّاه : " الصَّواعق الإلهيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة ... " .

فالمُهمُّ في الأمر أنَّ علماء عصره عارضوه ، وحذَّروا منه ، بسبب الفتن الكثيرة التي أحدثها ، ويكفي هنا أن أُشير إلى ما جاء في ترجمة عبد الوهَّاب والد مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، التي ذكرها الإمام مُحَمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكَّة (١٢٩٥هـ) في كتابه : " السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة " ، قال : " ... وهو والد مُحَمَّد صاحب الدَّعوة التي انتشر شررُها في الآفاق ، لكن بينهما تباينٌ مع أنَّ محمَّداً لم يتظاهر بالدَّعوة إلَّا بعد موت والده ، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمَّن عاصر الشَّيخ عبد الوهَّاب هذا أنَّه كان غضبان على ولده مُحَمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ، ويتفرَّس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للنَّاس : يا ما ترون من مُحَمَّد من الشرِّ ، فقدَّر الله أن صار ما صار ، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيخ مُحَمَّد كان منافياً له في دعوته ، وردَّ عليه ردَّاً جيِّداً بالآيات والآثار ، لِكوْنِ المردود عليه لا يقبل سواهما ، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدِّماً أو متأخِّراً ، كائناً من كان غير الشَّيخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيِّم !!! فإنَّه يرى كلامهما نصَّاً لا يقبل التَّأويل ، ويصول به على النَّاس ، وإن كان كلامهما على غير ما يفهم ، وسمَّى الشَّيخ سليمان ردَّه على أخيه : " فَصْلُ الخِطَابِ فِي الرَّدِّ عَلَى مُحَمَّد بن عَبْدِ الوهَّاب " ، وسلَّمه الله من شرِّه ومكره مع تلك الصَّولة الهائلة التي أرعبت الأباعد ، فإنَّه كان إذا باينه أحد وردَّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة ، يُرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السُّوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله !!! وقيل : إنَّ مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسِّلاح ، فأمر مُحَمَّد أن يُعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشَّيخ سليمان وهو في المسجد وحده ، فأُدخل عليه فلمَّا رءاه الشَّيخ سليمـــــان خاف منه ، فرمى المجنونُ السَّيف من يده وصار يقول : يا سليمانُ لا تخف إنَّك من الآمنين ويكرِّرها مراراً ، ولا شكَّ أنَّ هذه من الكرامات " . انظر : السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص٢٧٥-٢٧٦).

فالوهَّابيَّة فتنة دهماء أَلَمَّتْ بالمسلمين ... عملت على تعزيز الأنانيَّة والعصبيَّة والتَّفرقة الدِّينيَّة لدرجة أنَّهم غدوا لا يعترفون ببقيَّة المذاهب الإسلاميَّة من حنفيَّة ومالكيَّة وشافعيَّة وحنبليَّة ... وقد عمل المُستعمر البغيض على إذكائها وزاد من أُوارها...

وقد لَبِسَت الوهَّابيَّة لَبُوْسَ السَّلف ، وادَّعت الحرص على التَّوحيد الذي لا تعرفُ منه إلَّا اسمه ، والعياذ بالله تعالى...

جاء في " البدر الطَّالع " عن أتباع مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وَلَكنهُمْ يرَوْنَ أَنَّ من لم يكن دَاخِلاً تَحت دولة صَاحب نجد وممتثلاً لأوامره ، خَارج عَن الإسلام . وَلَقَد أخبرني أَمِيرُ حجاج الْيَمَن السَّيِّد مُحَمَّد بن حُسَيْن المراجل الكبسي أَنَّ جمَاعَة مِنْهُم خاطبوه هُوَ وَمن مَعَه من حجاج الْيمن بأنَّهم كفَّار وأنَّهم غير معذورين عَن الْوُصُول إِلَى صَاحب نجد لينْظر فِي إسْلَامهمْ ، فَمَا تخلَّصوا مِنْهُ إِلَّا بِجهْد جهيد " . انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٥-٦) .

وقال الإمام أحمد بن مُحَمَّد الصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، عند تفسير قول الله تعالى : ﴿**إِنَّ الشَّيطان لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا انَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر : ٦] : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، يحسبون أنَّهم على شيء ، ألا أنَّهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " . انظر : حاشية الصاوي على الجلالين (٥/ ٧٨) .

وقد عمد المتسلِّفون – كعادتهم – إلى شطب هذه الفقرة من " حاشية الصَّاوي على الجلالين " ، من طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! مُحَمَّد عبد السَّلام شاهين ، حيث حرَّفوا النَّصَّ ليُصبح كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيخ علي مُحَمَّد الضبَّاع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : " وهم فرقة بأرض الحجـــاز ... يحسبون أنَّهم " . فقد وضعوا مكان الكلام المحذوف نقطاً ، فإلى الله المشتكى من قوم لا يستحون ولا يرعوون...

مشركون بالله ، والذي منهم ما أشرك بالله لم يكفر من أشرك بالله ، لأنَّه سبحانه قال : **﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** [النساء:٤٨] الآية (١٩) ، وما في معناها من الآيات ، وأنَّ أهل العلم قد عدُّوا في المكفِّرات : من أشرك بالله.

الثَّالِثَةُ : كفَّروا كلَّ من سمَّاهم بالخوارج ، فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... من سمَّاهم الخوارج ، فهو الكافر حقَّاً ، الذي يجب قتاله ، حتَّىٰ يكون الدِّين كلُّه لله ، بإجماع المسلمين كلِّهم" . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ١٨٢) .

وكفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب كلَّ من يُسمِّي أتباعه : خوارج ، وكلَّ من يقف مع خصومهم ، ولو كانوا لله تعالىٰ موحِّدين . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٦٣) .

(١٩) قال الإمام الطبري في تفسيره (٧/ ١٢١-١٢٢) في تفسير الآية : " عُنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ، وَإِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، فَإِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ بِهِ وَالْكُفْرَ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ الشِّرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أهل الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى الْكَلَامِ ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: **﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** [النساء: ٤٨] فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِوُقُوعِ يَغْفِرُ عَلَيْهَا وَإِنْ شِئْتَ بِفَقْدِ الْخَافِضِ الَّذِي كَانَ يَخْفِضُهَا لَوْ كَانَ ظَاهِرًا ، وَذَلِكَ أَنْ يُوَجَّهَ مَعْنَاهُ: إِلَى أَنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ بِأَنْ يُشْرَكَ بِهِ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَزَاءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ ذَنْبًا مَعَ شِرْكٍ أَوْ عَنْ شِرْكٍ؛ وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَتَوَجَّهُ أَنْ تَكُونَ أَنْ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ فِي قَوْلِ بَعْضِ أهل الْعَرَبِيَّةِ.

وذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَقْوَامٍ ارْتَابُوا فِي أَمْرِ الْمُشْرِكِينَ حِينَ نَزَلَتْ: **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهَّ إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر: ٥٣] ذِكْرُ الْخَبَرِ بِذَلِكَ: حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ ، قَالَ: ثني مُجَبَّرٌ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾** [الزمر: ٥٣] الْآيَةَ ، قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَالشِّرْكُ يَا نَبِيَّ اللهَّ. فَكَرِهَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: **﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾** [النساء: ٤٨] ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا " .

حُدِّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ ، فِي قَوْلِهِ: **﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨] قَالَ: أَخْبَرَنِي مُجَبَّرٌ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾** [الزمر: ٥٣] الْآيَةُ ، قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَالشِّرْكُ يَا نَبِيَّ اللهَّ. فَكَرِهَ ذَلِكَ ﷺ النَّبِيُّ فَقَالَ: **﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء: ٤٨] " .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ ، قَالَ: ثنا آدَمُ ، قَالَ: ثنا الْهَيْثَمُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ: ثنا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَشُكُّ فِي قَاتِلِ النَّفْسِ ، وَآكِلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَشَاهِدِ الزُّورِ ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**﴾ ، فَأَمْسَكْنَا عَنِ الشَّهَادَةِ " وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ فَفِي مَشِيئَةِ اللهِ ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً شِرْكًا بِاللهِ " .

وقال الإمام البغوي في " معالم التّنزيل في تفسير القرآن " (١/٦٤٢-٦٤٣) : " قَالَ الْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ وَأَصْحَابِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ حَمْزَةَ كَانَ قَدْ جُعِلَ لَهُ عَلَى قَتْلِهِ أَنْ يُعْتَقَ فَلَمْ يُوفَ لَهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ نَدِمَ عَلَى صَنِيعِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى الَّذِي صَنَعْنَا وَأَنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُنَا عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنَّا سَمِعْنَاكَ تَقُولُ وَأَنْتَ بِمَكَّةَ : ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ**﴾ [الفرقان: ٦٨] ، الآيات وَقَدْ دَعَوْنَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَقَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ وَزَنَيْنَا، فَلَوْلَا هَذِهِ الْآيَاتُ لَاتَّبَعْنَاكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿**إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً**﴾ [الفرقان: ٧٠- ٧١] الآيتين، فَبَعَثَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا قرؤوا كَتَبُوا إِلَيْهِ: إِنَّ هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ نَخَافُ أَنْ لَا نَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَنَزَلَ: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**﴾ ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ: إِنَّا نَخَافُ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْ أهل الْمَشِيئَةِ فَنَزَلَتْ: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**﴾ [الزُّمَر: ٥٣] ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَرَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَبِلَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ لِوَحْشِيٍّ: «أَخْبِرْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟» فَلَمَّا أَخْبَرَهُ قَالَ: «وَيْحَكَ غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي» ، فَلَحِقَ وَحْشِيٌّ بِالشَّامِ فَكَانَ بِهَا إِلَى أَنْ مات.

وقال مخبر عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ**﴾ [الزمر: ٥٣] ، الْآيَةَ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَالشِّرْكُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَسَكَتَ ثمَّ قَامَ إِلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَنَزَلَتْ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنَّا عَلَى عَهْدِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عَلَى كَبِيرَةٍ شَهِدْنَا أَنَّهُ مِنْ أهل النَّارِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ فَأَمْسَكْنَا عَنِ الشَّهَادَاتِ. حُكِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عنه أن أرجى آية في القرآن قوله: وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ " .

وقال الإمام الرَّازي في : التَّفسير " (١٠/٩٧-٩٩) : " اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا هَدَّدَ الْيَهُودَ عَلَى الْكُفْرِ، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ التَّهْدِيدَ لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ لَا مَحَالَةَ بَيَّنَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّهْدِيدِ مِنْ خَوَاصِّ الْكُفْرِ، فَأَمَّا سَائِرُ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ مُغَايِرَةٌ لِلْكُفْرِ فَلَيْسَتْ حَالُهَا كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ يَعْفُو عَنْهَا، فَلَا جَرَمَ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: هَذِهِ الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْيَهُودِيَّ يُسَمَّى مُشْرِكًا فِي عُرْفِ الشَّرْعِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْآيَةَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ مَا سِوَى الشِّرْكِ مَغْفُورٌ، فَلَوْ كَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ مُغَايِرَةٌ لِلشِّرْكِ لَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ مَغْفُورَةً بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَبِالْإِجْمَاعِ هِيَ غَيْرُ مَغْفُورَةٍ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا دَاخِلَةٌ تَحْتَ اسْمِ الشِّرْكِ.

الثَّانِي: أَنَّ اتِّصَالَ هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ تَهْدِيدَ الْيَهُودِ، فَلَوْلَا أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ اسْمِ الشِّرْكِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

فَإِنْ قِيلَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾** [الحَجّ: ١٧] عَطَفَ الْمُشْرِكَ عَلَى الْيَهُودِيِّ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ.

قُلْنَا: الْمُغَايَرَةُ حَاصِلَةٌ بِسَبَبِ الْمَفْهُومِ اللُّغَوِيِّ، وَالِاتِّحَادُ حَاصِلٌ بِسَبَبِ الْمَفْهُومِ الشَّرْعِيِّ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ دَفْعًا لِلتَّنَاقُضِ. إِذَا ثَبَتَتْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ فَنَقُولُ: قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمُسْلِمُ لَا يُقْتَلُ بِالذِّمِّيِّ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُقْتَلُ. حُجَّةُ الشَّافِعِيِّ أَنَّ الذِّمِّيَّ مُشْرِكٌ لِمَا ذكرناه، والمشرك مباح الدم لقوله تعالى:

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ. فَكَانَ الذِّمِّيُّ مُبَاحَ الدَّمِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمُبَاحُ الدَّمِ هُوَ الَّذِي لَا يَجِبُ الْقِصَاصُ عَلَى قَاتِلِهِ، وَلَا يَتَوَجَّهُ النَّهْيُ عَنْ قَتْلِهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِهَذَا الدَّلِيلِ فِي حَقِّ النَّهْيِ، فَوَجَبَ أَنْ يَبْقَى مَعْمُولًا بِهِ فِي سُقُوطِ الْقِصَاصِ عَنْ قَاتِلِهِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَقْوَى الدَّلَائِلِ لَنَا عَلَى الْعَفْوِ عَنْ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الِاسْتِدْلَالَ بِهَا مِنْ وُجُوهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَعْنَاهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ لِأَنَّهُ بِالْإِجْمَاعِ لَا يَغْفِرُ عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ، وذلك عند ما يَتُوبُ الْمُشْرِكُ عَنْ شِرْكِهِ، فَإِذَا كَانَ قَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ هُوَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: **﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ﴾** ، هُوَ أَنْ يَغْفِرَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ، حَتَّى يَكُونَ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ مُتَوَارِدَيْنِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ: فُلَانٌ لَا يُعْطِي أَحَدًا تَفَضُّلًا، وَيُعْطِي زَائِدًا فَإِنَّهُ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ يُعْطِيهِ تَفَضُّلًا، حَتَّى لَوْ صَرَّحَ وَقَالَ: لَا يُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ وَيُعْطِي أَزْيَدَ عَلَى سَبِيلِ الْوُجُوبِ، فَكُلُّ عَاقِلٍ يَحْكُمُ بِرَكَاكَةِ هَذَا الْكَلَامِ، فَثَبَتَ أَنَّ قَوْلَهُ: وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ عَلَى سَبِيلِ التَّفَضُّلِ. إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ أَصْحَابَ الْكَبَائِرِ قَبْلَ التَّوْبَةِ، لِأَنَّ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ غُفْرَانَ الصَّغِيرَةِ وَغُفْرَانَ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَاجِبٌ عَقْلًا، فَلَا يُمْكِنُ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَيْهِ، فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى غُفْرَانِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَسَّمَ الْمَنْهِيَّاتِ عَلَىٰ قِسْمَيْنِ: الشِّرْكُ وَمَا سِوَىٰ الشِّرْكِ، ثمَّ إِنَّ مَا سِوَىٰ الشِّرْكِ يَدْخُلُ فِيهِ الْكَبِيرَةُ قَبْلَ التَّوْبَةِ، وَالْكَبِيرَةُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالصَّغِيرَةُ، ثمَّ حَكَمَ عَلَىٰ الشِّرْكِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مَغْفُورٍ قَطْعًا، وَعَلَىٰ مَا سِوَاهُ بِأَنَّهُ مَغْفُورٌ قَطْعًا، لَكِنْ فِي حَقِّ مَنْ يَشَاءُ، فَصَارَ تَقْدِيرُ الْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ يَغْفِرُ كُلَّ مَا سِوَىٰ الشِّرْكِ، لَكِنْ فِي حَقِّ مَنْ شَاءَ. وَلَمَّا دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَىٰ الشِّرْكِ مَغْفُورٌ، وَجَبَ أَنْ تَكُونَ الْكَبِيرَةُ قَبْلَ التَّوْبَةِ أيضاً مَغْفُورَةً.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ: **﴿لِمَنْ يَشاءُ﴾** ، فَعَلَّقَ هَذَا الْغُفْرَانَ بِالْمَشِيئَةِ، وَغُفْرَانُ الْكَبِيرَةِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَغُفْرَانُ الصَّغِيرَةِ مَقْطُوعٌ بِهِ، وَغَيْرُ مُعَلَّقٍ عَلَىٰ الْمَشِيئَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْغُفْرَانُ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ غُفْرَانُ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَاعْتَرَضُوا عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ الْأَخِيرِ بِأَنَّ تَعْلِيقَ الْأَمْرِ بِالْمَشِيئَةِ لَا يُنَافِي وُجُوبَهُ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: **﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾** [النِّساءِ: ٤٩] ثمَّ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُزَكِّي إِلَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلتَّزْكِيَةِ، وَإِلَّا كَانَ كذبا، والكذب علىٰ اللهَّ محال، فكذا هاهنا " .

وقال الإمام الطَّهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٥/ ٨٠-٨٣) : **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً﴾** : " يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُتَعَلِّقَةً بِمَا قَبْلَهَا مِنْ تَهْدِيدِ الْيَهُودِ بِعِقَابٍ فِي الدُّنْيَا، فَالْكَلَامُ مَسُوقٌ لِتَرْغِيبِ الْيَهُودِ فِي الْإِسْلَامِ، وَإِعْلَامِهِمْ بِأَنَّهُمْ بِحَيْثُ يَتَجَاوَزُ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَ حُصُولِ إِيمَانِهِمْ، وَلَوْ كَانَ عَذَابُ الطَّمْسِ نَازِلًا عَلَيْهِمْ، فَالْمُرَادُ بِالْغُفْرَانِ التَّجَاوُزُ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْمُؤَاخَذَةِ لَهُمْ بِعِظَمِ كُفْرِهِمْ وذنوبهم، أَي يرفع الْعَذَابَ عَنْهُمْ. وَتَتَضَمَّنُ الْآيَةُ تَهْدِيدًا لِلْمُشْرِكِينَ بِعَذَابِ الدُّنْيَا يَحِلُّ بِهِمْ فَلَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ بَعْدَ حُلُولِ الْعَذَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾** [يُونُس: ٩٨] الْآيَةَ. وَعَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ حَرْفُ (إِنَّ) فِي مَوْقِعِ التَّعْلِيلِ وَالتَّسَبُّبِ، أَيْ آمِنُوا بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ، لِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا دُونَ الْإِشْرَاكِ بِهِ، كَقَوْلِهِ: **﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾** [الْأَنفال: ٣٣] ، أَيْ : لِيُعَذِّبَهُمْ عَذَابَ الدُّنْيَا، ثمَّ قَالَ: **﴿وَما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾** [الْأَنفَال: ٣٤] ، أَيْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ عذابل الْجُوعِ وَالسَّيْفِ. وَقَوْلُهُ: **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [الدُّخان: ١٠، ١١] ، أَيْ دُخَانُ عَامِ الْمَجَاعَةِ فِي قُرَيْشٍ. ثمَّ قَالَ: **﴿إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾** [الدُّخان: ١٥، ١٦] أَيْ بَطْشَةُ يَوْمِ بَدْرٍ أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْغُفْرَانِ التَّسَامُحَ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَبِلَ مِنْ أهل الْكِتَابَيْنِ الدُّخولَ تَحْتَ ذِمَّةِ الْإِسْلَامِ دُونَ الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ حُكْمُ الْجِزْيَةِ، وَلَمْ يَرْضَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا بِالْإِيمَانِ دُونَ الْجِزْيَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** - إِلَىٰ قَوْلِهِ- : **﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾** [التَّوبَة: ٥] . وَقَالَ فِي شَأْنِ أهل الْكِتَابِ : **﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ﴾** [التَّوبَة: ٢٩].

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً، وَقَعَتِ اعْتِرَاضًا بَيْنَ قَوَارِعِ أَهلِ الْكِتَابِ وَمَوَاعِظِهِمْ، فَيَكُونُ حَرْفُ (إِنَّ) لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ لِقَصْدِ دَفْعِ احْتِمَالِ الْمَجَازِ أَوِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْوَعِيدِ، وَهُوَ إِمَّا تَمْهِيدٌ لِمَا بَعْدَهُ لِتَشْنِيعِ جُرْمِ الشِّرْكِ بِاللهِ لِيَكُونَ تَمْهِيدًا لِتَشْنِيعِ حَالِ الَّذِينَ فَضَّلُوا الشِّرْكَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَإِظْهَارًا لِمِقْدَارِ التَّعْجِيبِ مِنْ شَأْنِهِمُ الْآتِي فِي قَوْلِهِ: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾** [النِّسَاء: ٥١] ، أَيْ فَكَيْفَ تَرْضَوْنَ بِحَالِ مَنْ لَا يَرْضَى اللهُ عَنْهُ. وَالْمَغْفِرَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَصِحُّ حَمْلُهَا عَلَى مَعْنَى التَّجَاوُزِ الدُّنْيَوِيِّ، وَعَلَى مَعْنَى التَّجَاوُزِ فِي الْآخِرَةِ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْتِئْنَافَ تَعْلِيمِ حِكَمٍ فِي مَغْفِرَةِ ذُنُوبِ الْعُصَاةِ: ابْتُدِئَ بِمُحْكَمٍ وَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** ، وَذُيِّلَ بِمُتَشَابِهٍ وَهُوَ قَوْلُهُ: **﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** ، فَالْمَغْفِرَةُ مُرَادٌ مِنْهَا التَّجَاوُزُ فِي الْآخِرَةِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ «فَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ» وَهُوَ يُرِيدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا يَقْتَضِي أُمُورًا مُشْكَلَةً:

الأَوَّلُ: أَنْ يَقْتَضِي أَنَّ اللهَ قَدْ يَغْفِرُ الْكُفْرَ الَّذِي لَيْسَ بِشِرْكٍ كَكُفْرِ الْيَهُودِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يَغْفِرُ لِمُرْتَكِبِ الذُّنُوبِ وَلَوْ لَمْ يَتُبْ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَدْ لَا يَغْفِرُ لِلْكَافِرِ بَعْدَ إِيمَانِهِ وَلِلْمُذْنِبِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ، لِأَنَّهُ وَكَّلَ الْغُفْرَانَ إِلَى الْمَشِيئَةِ، وَهِيَ تُلَاقِي الْوُقُوعَ وَالِانْتِفَاءَ. وَكُلُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ قَدْ جَاءَتِ الْأَدِلَّةُ الْمُتَظَافِرَةُ عَلَى خِلَافِهَا، وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى مُخَالَفَةِ ظَاهِرِهَا، فَكَانَتِ الْآيَةُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْحَاكِمَةُ بِبَيَانِ مَا تَعَارَضَ مِنْ آيَاتِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. وَتَلْخِيصُ الْكَلَامِ فِيهَا أَنْ يُقَالَ: النَّاسُ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ: كَافِرٌ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ، فَهَذَا مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ بِإِجْمَاعٍ، وَمُؤْمِنٌ مُحْسِنٌ لَمْ يُذْنِبْ قَطُّ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ مَحْتُومٌ عَلَيْهِ حسب الْوَعْدِ فِي اللهِ بِإِجْمَاعٍ وَتَائِبٌ مَاتَ عَلَى تَوْبَتِهِ فَهَذَا عِنْدَ أَهلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورِ فُقَهَاءِ الأمّة لَا حق بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُحْسِنِ، وَمُذْنِبٌ مَاتَ قَبْلَ تَوْبَتِهِ فَهَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْخِلَافِ:

فَقَالَتِ الْمُرْجِئَةُ: هُوَ فِي الْجَنَّةِ بِإِيمَانِهِ وَلَا تَضُرُّهُ سَيِّئَاتُهُ، وَجَعَلُوا آيَاتِ الْوَعِيدِ كُلَّهَا مُخَصَّصَةً بِالْكُفَّارِ وَآيَاتِ الْوَعْدِ عَامَّةً فِي الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: إِذَا كَانَ صَاحِبَ كَبِيرَةٍ فَهُوَ فِي النَّارِ لَا مَحَالَةَ وَقَالَتِ الْخَوَارِجُ: إِذَا كَانَ صَاحِبَ كَبِيرَةٍ أَوْ صَغِيرَةٍ فَهُوَ فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ وَلَا إِيمَانَ لَهُ، وَجَعَلُوا آيَاتِ الْوَعْدِ كُلَّهَا مُخَصَّصَةً بِالْمُؤْمِنِ الْمُحْسِنِ وَالْمُؤْمِنِ التَّائِبِ، وَجَعَلُوا آيَاتِ الْوَعِيدِ عَامَّةً فِي الْعُصَاةِ كفّاراً أَوْ مُؤْمِنِينَ وَقَالَ أَهلِ السُّنَّةِ: آيَاتُ الْوَعْدِ ظَاهِرَةُ الْعُمُومِ وَلَا يَصِحُّ نُفُوذُ كُلِّهَا لِوَجْهِهِ بِسَبَبِ تَعَارُضِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾** [اللَّيْل: ١٥، ١٦] ، وَقَوْلِهِ: **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ﴾** [الجِنّ: ٢٣] ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ آيَاتِ الْوَعْدِ لَفْظُهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ: فِي الْمُؤْمِنِ الْمُحْسِنِ، وَفِيمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى الْعَفْوُ عَنْهُ دُونَ تَعْذِيبٍ مِنَ الْعُصَاةِ، وَأَنَّ آيَاتِ الْوَعِيدِ لَفْظُهَا عُمُومٌ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ فِي الْكَفَرَةِ، وَفِيمَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ تَعَالَى أَنَّهُ يُعَذِّبُهُ مِنَ الْعُصَاةِ. وَآيَةُ إِنَّ اللهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ جلَتِ الشَّكَّ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ﴾ مُبْطِلٌ لِلْمُعْتَزِلَةِ، وَقَوْلَهُ: ﴿لِمَنْ يَشاءُ﴾ رادّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّ غُفْرَانَ مَا دُونُ الشِّرْكِ لِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ» . وَلَعَلَّهُ بَنَىٰ كَلامَهُ عَلَىٰ تَأْوِيلِ الشِّرْكِ بِهِ بِمَا يَشْمَلُ الْكُفْرَ كُلَّهُ، أَوْ بَنَاهُ عَلَىٰ أَنَّ الْيَهُودَ أَشْرَكُوا فَقَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَالنَّصَارَىٰ أَشْرَكُوا فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَهُوَ تَأْوِيلُ الشَّافِعِيِّ فِيمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ فَخْرُ الدِّينِ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ بَعِيدٌ.

فَالْإِشْرَاكُ لَهُ مَعْنَاهُ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالْكُفْرُ دُونَهُ لَهُ مَعْنَاهُ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ تَأَوَّلُوا الْآيَةَ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي «الْكَشَّافِ» : بِأَنَّ قَوْلَهُ لِمَنْ يَشاءُ مَعْمُولٌ يَتَنَازَعُهُ لَا يَغْفِرُ الْمَنْفِيُّ وَيَغْفِرُ الْمُثْبتُ. وَتَحْقِيقُ كَلامِهِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ عَلَيْهِ: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَصِيرُ مَعْنَىٰ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ أَنَّهُ لَا يَشَاءُ الْمَغْفِرَةَ لَهُ إِذْ لَوْ شَاءَ الْمَغْفِرَةَ لَهُ لَغَفَرَ لَهُ، لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ الْمُمْكِنَ لَا يَمْنَعُهَا شَيْءٌ، وَهِيَ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلِ، فَلَمَّا قَالَ: لَا يَغْفِرُ علمنَا أَنّ ﴿لِمَنْ يَشاءُ﴾ مَعْنَاهُ لَا يَشَاءُ أَنْ يَغْفِرَ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ مِنْ قَبِيلِ الْكِنَايَةِ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: لَا أَعْرِفَنَّكَ تَفْعَلُ كَذَا، أَيْ لَا تَفْعَلْ فَأَعْرِفُكَ فَاعِلًا، وَهَذَا التَّأْويل تَعَسُّفٌ بَيِّنٌ.

وَأَحْسَبُ أَنَّ تَأْوِيلَ الْخَوَارِجِ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا. وَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ فَتَأَوَّلُوا بِمَا نَقَلَهُ عَنْهُمُ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَنَّ مَفْعُولَ لِمَنْ يَشاءُ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، أَيْ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ الشِّرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ الْإِيمَانَ، أَيْ لِمَنْ آمَنَ، وَهِيَ تَعَسُّفَاتٌ تُكْرِهُ الْقُرْآنَ عَلَىٰ خِدْمَةِ مَذَاهِبِهِمْ.

وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، إِنْ كَانَتْ مُرَادًا بِهَا الْإِعْلَامُ بِأَحْوَالِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ فَهِيَ آيَةٌ اقْتُصِرَ فِيهَا عَلَىٰ بَيَانِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ تَهْوِيلُ شَأْنِ الْإِشْرَاكِ، وَأُجْمِلَ مَا عَدَاهُ إِجْمَالًا عَجِيبًا، بِأَنْ أُدْخِلَتْ صُوَرُهُ كُلُّهَا فِي قَوْلِهِ: لِمَنْ يَشاءُ الْمُقْتَضِي مَغْفِرَةً لِفَرِيقٍ مُبْهَمٍ وَمُؤَاخَذَةً لِفَرِيقٍ مُبْهَمٍ. وَالْحَوَالَةُ فِي بَيَانِ هَذَا الْمُجْمَلِ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْأُخْرَىٰ الْمُسْتَقْرَاةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا نَزَلَ فِي أَوَّلِ الْبِعْثَةِ لَأَمْكَنَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْآيَاتِ نَسَخَ مَا تَضَمَّنَتْهُ، وَلَا يَهُولُنَا أَنَّهَا خَبَرٌ لِأَنَّهَا خَبَرٌ مَقْصُودٌ مِنْهُ حُكْمٌ تَكْلِيفِيٌّ، وَلَكِنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ مُعْظَمِ الْقُرْآنِ، فَتَعَيَّنَ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَىٰ كُلِّ مَا تَقَدَّمَهَا، وَبِذَلِكَ يَسْتَغْنِي جَمِيعُ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّعَسُّفِ فِي تَأْوِيلِهَا كُلٌّ بِمَا يُسَاعِدُ نِحْلَتَهُ، وَتُصْبِحُ صَالِحَةً لِحَامِلِ الْجَمِيعِ، وَالْمَرْجِعُ فِي تَأْوِيلِهَا إِلَى الْأَدِلَّةِ الْمُبَيِّنَةِ، وَعَلَىٰ هَذَا يَتَعَيَّنُ حمل الْإِشْرَاك علىٰ مَعْنَاهُ الْمُتَعَارف فِي الْقُرْآن والشريعة الْمُخَالف لِمَعْنَىٰ التَّوْحِيد، خلاف تَأْوِيل الشَّافِعِي الْإِشْرَاكِ بِمَا يَشْمَلُ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ، وَلَعَلَّهُ نَظَرَ فِيهِ إِلَىٰ قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ فِي تَحْرِيمِ تَزَوُّجِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ بِأَنَّهُمَا مُشْرِكَتَانِ.. وَقَالَ: أَيُّ شِرْكٍ أَعْظَمُ مِنْ أَن يدعىٰ الله ابْنٌ.

وَأَدِلَّةُ الشَّرِيعَةِ صَرِيحَةٌ فِي اخْتِلَافِ مَفْهُومِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ، وَكَوْنُ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، وَالنَّصَارَىٰ قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، لَا يَقْتَضِي جَعْلَهُمْ مُشْرِكِينَ إِذْ لَمْ يَدَّعُوا مَعَ ذَلِكَ لِهَذَيْنِ إِلَهِيَّةً تُشَارِكُ اللهَ تَعَالَىٰ،

قلنا : حقُّ الآيات حقٌّ ، و كلام أهل العلم حقٌّ ، ولكن أهل العلم قالوا في تفسير : أشرك بالله : أي : ادَّعىٰ أنَّ لله شريكاً ، كقول المشركين : ﴿هؤُلاءِ شُرَكاؤُنا﴾ [النحل:٨٦] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أنَّهم فِيكُمْ شُرَكاءُ﴾ [الأنعام:٩٤] ، ﴿إذا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥] ، ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً واحِدَاً﴾ [ص:٥] ، إلىٰ غير ذلك ممَّا ذكره الله في كتابه ورسوله وأهل العلم ، ولكن هذه التَّفاصيل التي تفصِّلون مِنٌ عندكم أنَّ من فعل كذا فهو مشرك ، وتُخرجونه من الإسلام ، من أين لكم هذا التَّفصيل ؟!! استنبطتم ذلك بمفاهيمكم !!! فقد تقدَّم لكم من إجماع الأُمَّة أنَّه لا يجوز لمثلكم الاستنباط ، ألكم في ذلك قدوة من إجماع أو تقليد من يجوز تقليده ، مع أنَّه لا يجوز للمقلِّد أن يكفِّر إن لم تُجمع الأُمَّة علىٰ قول متبوعه ، فبيِّنوا لنا من أين أخذتم مذهبكم هذا ؟!! ولكم علينا عهد الله وميثاقه إن بيَّنتم لنا حقَّاً يجب المصير إليه لنتَّبع الحقَّ إن شاء الله ، فإن كان المراد مفاهيمكم ، فقد تقدَّم أنَّه لا يجوز لنا ولا لكم ولا لمن يؤمن بالله واليوم الآخر الأخذ بها ، ولا نكفِّر من معه الإسلام الذي أجمعت الأُمَّة علىٰ أنَّ من أتىٰ به فهو مسلم ، فأمَّا الشِّرك ففيه أكبر وأصغر ، وفيه كبير وأكبر ، وفيه ما يُخرج من الإسلام ، وفيه مالا يُخرج من الإسلام ، وهذا كلُّه بإجماع ، وتفاصيل ما يُخرج ممَّا لا يُخرج يحتاج إلىٰ تبيين أئمَّة أهل الإسلام ، الذي اجتمعت فيهم شروط الإجتهاد ، فإن أجمعوا علىٰ أمر لم يسع أحد الخروج عنه ، وإن اختلفوا

وَاخْتِلَافُ الْأَحْكَامِ التَّكْلِيفِيَّةِ بَيْنَ الْكُفْرَيْنِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنْ لَا يُرَادَ بِهَذَا اللَّفْظِ مَفْهُومُ مُطْلَقِ الْكُفْرِ، عَلَىٰ أَنَّهُ مَاذَا يُغْنِي هَذَا التَّأْوِيل إِذَا كَانَ بَعْضُ الْكَفَرَةِ لَا يَقُولُ بِإِلَهِيَّةِ غَيْرِ اللهِ مِثْلَ مُعْظَمِ الْيَهُودِ.

وَقَدِ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الْكُفْرِ، أَيِ الْإِيمَانَ، يُوجِبُ مَغْفِرَتَهُ سَوَاءٌ كَانَ كُفْرَ إِشْرَاكٍ أَمْ كُفْرًا بِالْإِسْلَامِ، لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ، إِمَّا بِوَعْدِ اللهِ عِنْدَ أهل السُّنَّةِ، أَوْ بِالْوُجُوبِ الْعَقْلِيِّ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَنَّ الْمَوْتَ عَلَىٰ الْكُفْرِ مُطْلَقًا لَا يُغْفَرُ بِلَا شَكٍّ. إِمَّا بِوَعِيدِ اللهِ، أَوْ بِالْوُجُوبِ الْعَقْلِيِّ وَأَنَّ الْمُذْنِبَ إِذَا تَابَ يُغْفَرُ ذَنْبُهُ قَطْعًا، إِمَّا بِوَعْدِ اللهِ أَوْ بِالْوُجُوبِ الْعَقْلِيِّ. وَاخْتُلِفَ فِي الْمُذْنِبِ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ ذَنْبِهِ وَلَمْ يَتُبْ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا يُغَطِّي عَلَىٰ ذُنُوبِهِ، فَقَالَ أهل السُّنَّةِ: يُعَاقَبُ وَلَا يُخَلَّدُ فِي الْعَذَابِ بِنَصِّ الشَّرِيعَةِ، لَا بِالْوُجُوبِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ الْمَشِيئَةِ، فَقَدْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ وَعَرَّفَنَا مَشِيئَتَهُ بِأَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ" .

فالأمر واسع ، فإن كان عندكم عن أهل العلم بيان واضح فبيِّنوا لنا وسمعاً وطاعة ، وإلَّا فالواجب علينا وعليكم الأخذ بالأمر المُجمع عليه ، واتِّباع سبيل المؤمنين .

وأنتم تحتجُّون أيضاً بقوله عزَّ وجلَّ : **﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** [الزمر:٦٥] (٢٠) ، وبقوله عزَّ وجلَّ في حقِّ الأنبياء : **﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام:٨٨] ، وبقوله تعالى : **﴿وَلَا**

---

(٢٠) قال الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن " (١٥/ ٢٧٦-٢٧٧) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾** ، قِيلَ: إِنَّ فِي الْكَلَامِ تقديما وتأخيرا، والتَّقدير: لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ وَأُوحِيَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ كَذَلِكَ، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى بَابِهِ، قَالَ مُقَاتِلٌ: أَيْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّوْحِيدُ مَحْذُوفٌ، ثمَّ قَالَ:" لَئِنْ أَشْرَكْتَ" يَا مُحَمَّد **﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** ، وَهُوَ خطاب للنَّبي ﷺ خَاصَّةً، وَقِيلَ: الْخِطَابُ لَهُ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ، إِذْ قَدْ عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ لَا يُشْرِكُ وَلَا يَقَعُ مِنْهُ إِشْرَاكٌ، وإلا حباط الْإِبْطَالُ وَالْفَسَادُ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ: فَمَنِ ارْتَدَّ لَمْ تَنْفَعْهُ طَاعَاتُهُ السَّابِقَةُ وَلَكِنَّ إِحْبَاطَ الرِّدَّةِ الْعَمَلَ مَشْرُوطٌ بِالْوَفَاةِ عَلَى الْكُفْرِ، وَلِهَذَا قَالَ: **﴿مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾** ، فالمطلق ها هنا مَحْمُولٌ عَلَى الْمُقَيَّدِ، وَلِهَذَا قُلْنَا مَنْ حَجَّ ثمَّ ارْتَدَّ ثمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَةُ الْحَجِّ. قُلْتُ: هَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ مَالِكٍ تَجِبُ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ " .

وقال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير" (٤/ ٥٤٤) : **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** ، أَيْ: مِنَ الرُّسُلِ **﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** ، هَذَا الْكَلَامُ مِنْ بَابِ التَّعْرِيضِ لِغَيْرِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ عَصَمَهُمْ عَنِ الشِّرْكِ، وَوَجْهُ إِيرَادِهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ التَّحْذِيرُ، وَالْإِنْذَارُ لِلْعِبَادِ مِنَ الشِّرْكِ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مُوجِبًا لِإِحْبَاطِ عَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْفَرْضِ، وَالتَّقْدِيرِ: فَهُوَ مُحْبِطٌ لِعَمَلِ غَيْرِهِمْ مِنْ أُمَمِهِمْ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى. قِيلَ: وَفِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالتَّقْدِيرُ: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ وَأُوحِيَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ كَذَلِكَ. قَالَ مُقَاتِلٌ: أَيْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِكَ بِالتَّوْحِيدِ وَالتَّوْحِيدُ مَحْذُوفٌ، قَالَ: لَئِنْ أَشْرَكْتَ يَا مُحَمَّد لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، وهو خطاب للنَّبي ﷺ خَاصَّةً. وَقِيلَ إِفْرَادُ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: **﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾** بِاعْتِبَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، كَأَنَّهُ قِيلَ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ هَذَا الْكَلَامُ، وَهُوَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ، وَهَذِهِ الْآيَةُ مُقَيَّدَةٌ بِالْمَوْتِ عَلَى الشِّرْكِ كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : **﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾** ، وَقِيلَ: هَذَا خَاصٌّ بِالْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّ الشِّرْكَ مِنْهُمْ أَعْظَمُ ذَنْبًا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَالْأَوَّلُ أولى" .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٢٤/٥٨-٥٩) في تفسيره للآية الكريمة : " تَأْيِيدٌ لِأَمْرِهِ بِأَنْ يَقُولَ لِلْمُشْرِكِينَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ مَقَالَةَ إِنْكَارِ أَنْ يَطْمَعُوا مِنْهُ فِي عِبَادَةِ اللهِ، بِأَنَّهُ قَوْلٌ اسْتَحَقُّوا أَنْ يُرْمَوْا بِغِلْظَتِهِ لِأَنَّهُمْ

﴿يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً﴾ [آل عمران:٨٠] (٢١) ، فنقول: نعم كلُّ هذا حقٌّ يجب الإيمان به ، ولكن من أين لكم أنَّ المسلم الذي يشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله ،

جَاهِلُونَ بِالْأَدِلَّةِ وَجَاهِلُونَ بِنَفْسِ الرَّسُولِ وَزَكَائِهَا. وَأَعْقَبَ بِأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَطَرَّقُ الْإِشْرَاكُ حَوَالَيْ قُلُوبِهِمْ، فَالْمَقْصُودُ الْأَهَمُّ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ التَّعْرِيضُ بِالْمُشْرِكِينَ إِذْ حَاوَلُوا النَّبِيءَ ﷺ عَلَى الِاعْتِرَافِ بِإِلَهِيَّةِ أَصْنَامِهِمْ.

وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى جملَة ﴿قُلْ﴾ [الزمر: ٦٤] . وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ بِلَامِ الْقَسَمِ وبحرف (قد) تَأْكِيد لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعْرِيضِ لِلْمُشْرِكِينَ.

وَالْوَحْيُ: الْإِعْلَامُ مِنَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ. وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ.

فَالْمُرَادُ الْقَبْلِيَّةُ فِي صِفَةِ النُّبُوءَةِ فَـ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مُرَادٌ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ.

وَجُمْلَةُ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ مُبَيِّنَةٌ لِمَعْنَى أُوحِيَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠] .

وَالتَّاءُ فِي ﴿أَشْرَكْتَ﴾ تَاءُ الْخِطَابِ لِكُلِّ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِمَضْمُونِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ بَيَانًا لِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلنَّبِيءِ ﷺ فتكُونُ الْجُمْلَةُ بَيَانًا لِجُمْلَةِ أُوحِيَ إِلَيْكَ، وَيَكُونُ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اعْتِرَاضًا لِأَنَّ الْبَيَانَ تَابِعٌ لِلْمُبَيَّنِ عُمُومُهُ وَنَحْوِهِ. وَأَيًّا مَا كَانَ فَالْمَقْصُودُ بِالْخِطَابِ تَعْرِيضٌ بِقَوْمِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ لِأَنَّ فَرْضَ إِشْرَاكِ النَّبِيءِ ﷺ غَيْرُ مُتَوَقَّعٍ.

وَاللَّامُ فِي ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ مُوطِّئَةٌ لِلْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ دَالَّةٌ عَلَيْهِ، وَاللَّامُ فِي لَيَحْبَطَنَّ لَامُ جَوَابِ الْقَسَمِ.

وَالْحَبْطُ: الْبُطْلَانُ وَالدَّحْضُ، حَبِطَ عَمَلُهُ: ذَهَبَ بَاطِلًا. وَالْمُرَادُ بِالْعَمَلِ هُنَا: الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي يُرْجَى مِنْهُ الْجَزَاءُ الْحَسَنُ الْأَبَدِيُّ. وَمَعْنَى حَبْطِهِ: أَنْ يَكُونَ لَغْوًا غَيْرَ مجازي عَلَيْهِ" .

(٢١) قال الإمام الشَّوكاني في " فتح القدير " (٣/٢٩٦-٢٩٧) في تفسير الآية : " وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ﴾ الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ «يَأْمُرُكُمْ» بِالرَّفْعِ عَلَى ابْتِدَاءِ الْكَلَامِ، وَهَذَا الْأَصْلُ فِيمَا إِذَا أُعِيدَ حَرْفُ النَّفْيِ، فَإِنَّهُ لَمَّا وَقَعَ بَعْدَ فِعْلٍ مَنْفِيٍّ، ثُمَّ انْتَقَضَ نَفْيُهُ بِلَكِنْ، احْتِيجَ إِلَى إِعَادَةِ حَرْفِ النَّفْيِ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَاضِحٌ: أَيْ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا إِلَخْ وَلَا هُوَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ أَرْبَابًا. وَقَرَأَهُ ابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةُ وَيَعْقُوبُ، وَخَلَفٌ: بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى أَنْ يَقُولَ وَلَا زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ ، وَلَيْسَتْ مَعْمُولَةً لِأَنْ: لِاقْتِضَاءِ ذَلِكَ أَنْ يَصِيرَ الْمَعْنَى: لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أُوتِيَ الْكِتَابَ أَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا، وَالْمَقْصُودُ عَكْسُ هَذَا الْمَعْنَى، إِذِ الْمَقْصُودُ

إذا دعى غائباً أو ميّتًا ، أو نذر له أو ذبح لغير الله ، أو تمسّح بقبر (٢٢) ، أو أخذ من تُرابه أنَّ هذا هو الشِّرك الأكبر الذي من فعله حبط عمله، وحلَّ ماله ودمه ، وأنَّه الذي أراد الله سبحانه من هذه الآية وغيرها في القرآن ؟!!!

أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْمُرَ، فَلِذَلِكَ اضْطُرَّ فِي تَخْرِيجِ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ إِلَى جَعْلِ لَا زَائِدَةً لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ وَلَيْسَتْ لِنَفْيٍ جَدِيدٍ. وَقَرَأَهُ الدُّورِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بِاخْتِلَاسِ الضَّمَّةِ إِلَى السُّكُونِ.

وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ: **﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً﴾** : أَنَّهُمْ لَمَّا بَالَغُوا فِي تَعْظِيمِ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ، فَصَوَّرُوا صُوَرَ النَّبِيئِينَ، مِثْلَ يَحْيَى وَمَرْيَمَ، وَعَبَدُوهُمَا، وَصَوَّرُوا صور الْمَلَائِكَة، واقتران التَّصْوِيرُ مَعَ الْغُلُوِّ فِي تَعْظِيمِ الصُّورَةِ وَالتَّعَبُّدِ عِنْدَهَا ضَرْبٌ مِنَ الْوَثَنِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: «إِنْ قِيلَ نَفْيُ الْأَمْرِ أَعَمُّ مِنَ النَّهْيِ فَهَلَّا قِيلَ وَيَنْهَاكُمْ. وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ دَعْوَاهُمْ وَتَقَوُّلِهِمْ عَلَى الرُّسُلِ» . وَأَقُولُ: لَعَلَّ التَّعْبِيرَ بِلَا يَأْمُرُكُمْ مُشَاكَلَةٌ لِقَوْلِهِ: **﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾** لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَسِيحَ قَالَ: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ فَلَمَّا نُفِيَ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ نُفِيَ مَا هُوَ مِثْلُهُ وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِاتِّخَاذِ الْمَلَائِكَةِ أَرْبَابًا، أَوْ لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا يَدَّعُونَ التَّمَسُّكَ بِالدِّينِ كَانَ سَائِرُ أَحْوَالِهِمْ مَحْمُولَةً عَلَى أَنَّهُمْ تَلَقَّوْهَا مِنْهُ، أَوْ لِأَنَّ الْمَسِيح لَمْ يَنْهَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، إِذْ هَذَا مِمَّا لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ أَنْ تَتَلَبَّسَ بِهِ أُمَّةٌ مُتَدَيِّنَةٌ فَاقْتَصَرَ، فِي الرَّدِّ عَلَى الْأُمَّةِ، عَلَى أَنَّ أَنْبِيَاءَهُمْ لَمْ يَأْمُرُوهُمْ بِهِ وَلِذَلِكَ عَقَّبَ بِالِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، وَبِالظَّرْفِ الْمُفِيدِ مَزِيدَ الْإِنْكَارِ عَلَى ارْتِكَابِهِمْ هَذِهِ الْحَالَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

فَهُنَالِكَ سَبَبَانِ لِإِنْكَارِ أَنْ يَكُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُرْضِيًّا أَنْبِيَاءَهُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ، وَهُمْ لَا يَرْضَوْنَ بِالْكُفْرِ. فَمَا كَانَ مِنْ حَقِّ مَنْ يَتَّبِعُونَهُمُ التَّلَبُّسَ بِالْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا مِنْهُ.

وَالْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: **﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ﴾** الْتِفَاتٌ مِنْ طَرِيقَةِ الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: **﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** فَالْمُوَاجَهُ بِالْخِطَابِ هُمُ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ عِيسَى قَالَ لَهُمْ: **﴿كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** .

(٢٢) ذكرنا في غير ما كتاب من كُتبنا – قصَّة العتبي ... ومع أنَّ إسناد الرِّواية فيه مقال ، لكن الشَّاهد هو إيراد العديد من العلماء لها في كتبهم ، لأنَّهم فهموا من الآية أنَّ استغفار الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاصلٌ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى ، ولذلك حثُّوا على ضرورة الذَّهاب لزيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسؤاله الاستغفار ، لأنَّ الله أمره بالاستغفار لزائريه ، وأذن له في الشَّفاعة في العصاة والمذنبين ، وهذا تجده واضحاً بيِّناً في كتب المفسِّرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً**

﴿رَحِيماً﴾ [النساء : ٦٤] ، وكذا في كتب الفقه في باب زيارة قبر الرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زيارة المدينة المنوَّرة ... فجمهور أهل العلم – كما رأيت – استشهدوا بقوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء : ٦٤] ، علىٰ استحباب زيارة قبر الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والدُّعاء عنده ، والتَّوسُّل به إلىٰ الله تعالىٰ ، مستشهدين بقصَّة العتبي...انظر ذلك في : المنتقىٰ من مسموعات مرو (ص٢٣٩-٢٤٠) ، مخطوط ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة (ص١٥٨-١٦٠) ، الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٥-٢٦٦) ، المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٢-٢٧٤ باختصار) ، الأذكار (ص٣٥٢) ، الشرح الكبير علىٰ متن المقنع (٣/ ٤٩٤) ، الاختيار لتعليل المختار (١/ ١٧٦-١٧٧) ، الذخيرة (٣/ ٣٧٥-٣٧٦) ، الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق) (٣/ ٥١-٥٢) ، إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٥٤-٥٥) ، الممتع في شرح المقنع (٢/ ٢١٤) ، كفاية النبيه في شرح التنبيه (٧/ ٥٣٧-٥٣٨) ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (١/ ٣٧٠) ، نهاية الأرب في فنون الأدب (٥/ ١٦٩) ، المدخل (١/ ٢٦٠-٢٦٢) ، البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٩٣) ، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٤٦٢-٤٦٣) ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١٤/ ٦١٥) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف (ص٣٤٦-٣٤٧) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٢/ ٢٥٧) ، المبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٦) ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/ ٥٧٠-٥٧١) ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّىٰ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٣/ ١٥٥) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ (١/ ٦٦-٦٧) ، (١/ ٣٦٧-٣٧٢) ، (١/ ٤٢٥-٤٢٦) ، (١/ ٤٤٦-٤٥١) ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٨٩) ، (٣/ ٥٩٦-٥٩٧) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (١/ ٢٢٥) ، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (ص٤٩٤) ، سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (٣/ ٣١٧) ، (١٢/ ٢٨٠-٢٨٢) ، (١٢/ ٣٨٣-٣٨٤) ، (١٢/ ٣٩٠) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (٢/ ١٧٥-١٧٦) ، معونة أولىٰ النهىٰ ، شرح المنتهىٰ منتهىٰ الإرادات (٤/ ٢٤٧-٢٤٨) ، شرح الشفا (٢/ ٧٣) ، كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٢١٥) ، مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٨٤-٢٨٥) ، شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/ ١٩٩-٢٠٠) ، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثمَّ شرحه في شرح منهج الطلاب) ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٤/ ٤٥٥) ، مطالب أولي النهىٰ في شرح غاية المنتهىٰ (٢/ ٤٤١) ، نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن (ص١٢) ، إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية علىٰ فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين) (٢/ ٣٥٧) ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/ ٢٠١) ، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/ ١٥٧) ...

كما أنَّ أبيات العتبي مكتوبة علىٰ واجهة حجرة النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الشَّريفة في العمود الذي بين شباك الحجرة النَّبويَّة ، يراها القاصي والدَّاني منذ مئات السِّنين ، وهذا إن دلَّ علىٰ شيء فإنَّما يدلُّ علىٰ القبول ، ولم يعترض عليها أحد ، حتىٰ جاء من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم التي كانت بسبب الفهم السَّقيم الذي ما سبقهم إليه أحد ، والتي عادت علىٰ مجموع الأمَّة بالفُرقة والتَّفرقة ، والتَّكفير ، وعظائم الأمور...

ومن الجدير بالذِّكر هنا أنَّ علماء الأمَّة ذكروا في مصنَّفاتهم استحباب الدُّعاء عند قبور الصَّالحين بعامَّة ، ومن ذلك ما قاله الإمام أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) في ترجمة الملك العادل نور الدِّين أبو القاسم محمود بن عماد الدِّين زنكي (٥٦٩هـ) : " وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولقد جرَّبت ذلك فصحَّ ، رحمه الله تعالىٰ " . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٥/ ١٨٧) .

وفي كتابنا " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوَسُّل إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن" ذكرنا العديد من الأدلَّة علىٰ جواز واستحباب التَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بالأنبياء والصَّالحين ... ومن ذلك : روىٰ ابن أبي شيبة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَىٰ الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ قَبْرِ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَىٰ الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلام ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَىٰ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَىٰ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

فَإتيَانُ هذا الصَّحَابي الجليل لقبرِ النَّبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسَلمَ ونِدَاؤُهُ لَهُ وطَلَبهُ أنْ يستَسقي لأمَّتِهِ دَليل علىٰ أنَّ ذَلكَ جائز ، وهُوَ مَوضعُ الإستدلال بِعَمل هذا الصَّحابي علىٰ صِّحةِ التَّوسُّل بِهِ صلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآله وسَلمَ سَواء في حَيَاتِهِ أو بعد وفَاتِهِ . وقد أقرَّه عمر علىٰ صنيعه ولم يعنِّفه أو يقل له أشركت...

وقد اعترض المتسلِّفون علىٰ هذا الأثر بعدَّة اعتراضات ، هي:

جهالة السَّائل ، وكذا جهالة مالك الدَّار ، قال ابن باز في تعليقه علىٰ هذا الأثر : " ... هذا الأثر _ علىٰ فرض صحَّته كما قال الشَّارح _ ليس بحجَّة علىٰ جواز الاستسقاء بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم علىٰ خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلىٰ قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلىٰ الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم يُنكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعُلم أنَّ ذلك هو الحق ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلىٰ الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك " . انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) ، دار الفكر ، بيروت.

وذكر الألباني من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأنَّه غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّاً علىٰ جهالة مالك الدَّار . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣١) .

والردُّ على هذا سهل جداً ، ويكفي في الردِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفاً للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قد استعمله على بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلَّا الثقة أو فوق الثقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبداً أنَّه مجهول ، فها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هنيّ بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر على الحمى ، فقد روى البخاري بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلًى لَهُ يُدْعَى هُنَيّاً عَلَى الحِمَى ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " . أخرجه البخاري (٤/ ٧١ برقم ٣٠٥٩) .

قال الحافظ ابن حجر : " وهذا المولى لم أرَ من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفين مع معاوية ثُمَّ تحوَّل إلى علي لمَّا قتل عمَّار... ولولا أنَّه كان من الفضلاء النُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " . انظر : فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني (٦/ ١٧٦) .

وعليه فما ينطبق على هنيّ ينطبق على مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علة توثيق هنيّ ، هي علَّة توثيق مالك الدَّار ، بل هي أوضح وأجلّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رضي الله عنه بيت المال ، وما ولَّاه إلَّا لفرط في دينه وأمانته.

ومن جهة أخرى فقد نصَّ غير واحد من العلماء على توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حبَّان في الثقات . انظر : الثقات (٥/ ٣٨٤) .

وقال أبو يعلى الخليلي في الإرشاد : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَى عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّواية ، رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " . انظر : الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، أبو يعلى الخليلي ، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (١/ ٣١٣) .

أمَّا عن جهالة السَّائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصَّحيحين تضمَّنا السُّؤال للرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لقبره ، والسَّائل فيها مجهول...

وممَّا يردُّ افتراء وزعم ابن تيمية أنَّ الدُّعاء لا يُستجاب عند القبر الشَّريف : ما رواه الدَّارمي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّماء حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماء سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " . أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قُلْتُ : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالىٰ ... وبعد مناقشة مستفيضة مع من ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النكري ، وهو ثقة ، والله تعالىٰ أعلم بالصَّواب " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزِّيارة ، محمود سعيد ممدوح (ص٢٥٣-٢٦١) .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوىٰ ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصِّديقة هو توسُّلٌ بقبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُّقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع علىٰ وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شركاً ، فكان إجماعاً...

فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص علىٰ سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلىٰ فعل ما أشارت به ؟!!! نبِّئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين...

وعن سبب كشف قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الإمام الغماري نقلاً عن القاري في شرح المشكاة : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقىٰ بينه وبين السَّماء حجاب " . انظر : الردُّ المحكم المتين علىٰ كتاب القول المبين ، عبد الله بن الصدِّيق الغماري (ص١٩٦) .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزّين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة حتىٰ الآن ، يفتحون كوَّة في أسفل قبة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء.

قُلْتُ - أي : السَّمهُودي - : وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " . انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ ، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشَّافعي ، نور الدِّين أبو الحسن السمهودي (٢/ ١٢٣) .

واجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ما كان إلَّا للتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ به صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآله وسَلَّمَ وبِجَاهِهِ...

قُلْتُ : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة علىٰ هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف...

فقد ضعَّف الألباني هذا الأثر بثلاث علل:

١-ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر الألباني علىٰ النَّقل من بعض كتب التَّراجم . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤٠) .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيىٰ بن معين ، وقال ابن عدي هو عندي في جملة من ينسب إلىٰ الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : كان صدوقاً حافظاً . انظر : تهذيب الكمال ، المزي (١٠/ ٤٤٣) ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (٤/ ٢٩) .

وقد ذكره الذَّهبي في جزء من تكلِّم فيه وهو ثقة . انظر : جزء من تكلم فيه (ص ٨٥) .

وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن.

٢-اختلاط أبي النُّعمان . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثِّر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه ، ردَّه الذَّهبي ، فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً.

والقول فيه ما قاله الدَّارقطني ، وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب . انظر : سير أعلام النبلاء ، الذَّهبي (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال ، الذَّهبي (٤/ ٧-٨) .

٣-أنَّه موقوف علىٰ عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة ... انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

والجواب علىٰ ما ذكره الألباني بأنَّ الحديث صحيح بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين:

-أنَّ بصحَّته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهب للسيِّدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها.

-أنَّه اتِّفاق من حضر من الصَّحابة والتَّابعين علىٰ التَّوسُّل برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته . انظر : هامش ارغام المبتدع ، عبد الله الغماري (ص٢٤ بتصرُّف) .

ثمَّ إنَّ جمهور العلماء ذكروا في كتبهم أنَّ الدُّعاء عند الصَّالحين مُستجاب ، فقد جاء في كتاب الفروع للمرداوي : " قَالَ إبراهيم الْحَرْبِيُّ : الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله، شمس الدِّين المقدسي الرامينى ثُمَّ الصالحي الحنبلي (٣/ ٢٢٩) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن بن مُوسَىٰ بن أبي نصر الْكرْدِي الشّهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفِيَّة ، وقبره علىٰ الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يُزار ويُتبرَّك بِهِ ، قيل : والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٨/ ٣٢٨) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة أَحْمد بن على بن أَحْمد بن محمَّد بن الْفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ ، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٣/ ٢٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشَّافعي الفقيه ، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٨/ ٧٨٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، في ترجمة الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : " ... ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبية عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة – رحمه الله ورضي عنه " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٢/ ٢٣) .

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (١/ ١٥٥) .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفَّق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد (٥٧٨هـ) : " قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (١/ ٢٧٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثُمَّ الْمصْرِيّ الشَّافعي (٧٦٦هـ) : " ... وَيُقَال أَنَّ الدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٥/ ١٦٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي (١٠٨٩هـ) ، في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التَّميمي الأحنفي الهمذاني السّمسار (٣٨٤هـ) : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمذاني (٣٩٨هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب."

وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكي (٥٩٧هـ) : " وروي أَنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب."

فإن قلتم : فهمنا ذلك من الكتاب والسُّنَّة ، قلنا : لا عبرة بمفهومكم ، ولا يجوز لكم ولا لمسلم الأخذ بمفهومكم ، فإنَّ الأُمَّة مُجمعة – كما تقدَّم – على أنَّ الاستنباط مرتبة أهل الإجتهاد المطلق ، ومع هذا لو اجتمعت شروط الإجتهاد في رجل لم يجب على أحد الأخذ بقوله دون نظر ، قال

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصَّالحي (٨٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٧/ ٥٧) ، بالترتيب

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، في ترجمة الشَّيخ إبراهيم أبو إسحق برهان الدِّين الدِّمشقي : " ... ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشَّيخ إبراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحيَّة دمشق ، يُزار ويُتبرَّك به ، والمشهور أنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٣٣) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) في ترجمة الشَّيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الله الهزميري (٧٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٨٨) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) عن نفيسة بنت الْحسن بن زيد بن الْحسن بن عَليّ بن أبي طَالب : " ... وَلأَهل مصر بهَا اعْتِقَاد عَظِيم ، وَكَانَت وفاتها بِشَهْر رَمَضَان من سنة ثَمَان ومئتين ، وَأَرَادَ زَوجهَا أَن ينقلها إِلَى مَدِينَة يثرب ، فَتعلَّق بِهِ المصريُّون ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ أَن يقبرها مَعَهم للتبرُّك ، فأجابهم ، ودفنها بِالدَّار الَّتِي كَانَت تسكنها عِنْد الْمَشَاهد بَين الْقَاهِرَة ومصر ، وقبرها مَشْهُور يُزار كثيراً ، ويُستجاب عِنْده الدُّعاء " . انظر : السلوك في طبقات العلماء والملوك (١/ ١٦١) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام الشَّافعي : " وقبره بقرافة مصر مشهور ، والدُّعاء عنده مُستجاب ، ولمَّا زرته قُلْتُ:

زرتُ الإمام الشَّافعي   لأنَّ ذلك نافعـــي

لأنال منه شفاعــــــة   أكرم به من شـافع

انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري (٢/ ٩٦-٩٧) .

فإذا كان الدُّعاء عند قبور الصَّالحين مُستجاب كما نصَّ عليه أساطين العلم وجهابيذه ، فما بالك بقبر سيِّد الخلق ، وحبيب الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!!

الشَّيخ تقي الدِّين : من أوجب تقليد الإمام بعينه دون نظر ، أنَّه يُستتاب ، فإن تاب وإلَّا قُتل ، انتهىٰ .

وإن قُلتم: أخذنا ذلك من كلام بعض أهل العلم ، كابن تيمية وابن القيِّم ، لأنَّهم سمُّوا ذلك شركاً ، قلنا : هذا حقٌّ ، ونوافقكم علىٰ تقليد الشَّيخين أنَّ هذا شرك ، ولكن هم لم يقولوا كما قلتم أنَّ هذا شرك أكبر يُخرج من الإسلام ، وتجري علىٰ كلِّ بلد هذا فيها أحكام أهل الردَّة ، بل من لم يكفرهم عندكم فهو كافر ، تجري عليه أحكام أهل الردَّة ، ولكنهم رحمهم الله ذكروا أنَّ هذا شركٌ ، وشدَّدوا فيه ، ونهوا عنه ، ولكن ما قالوا كما قلتم ، ولا عشر معشاره ، ولكنَّكم أخذتم من قولهم ما جاز لكم دون غيره ، بل في كلامهم رحمهم الله ما يدلُّ علىٰ أنَّ هذه الأفاعيل شرك أصغر ، وعلىٰ تقدير أنَّ في بعض أفراده ما هو شرك أكبر علىٰ حسب حال قائله ونيَّته ، فهم ذكروا في بعض مواضع من كلامهم أنَّ هذا لا يكفر حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّة الذي يكفر تاركها ، كما يأتي في كلامهم إن شاء الله مفصَّلاً ، ولكنَّ المطلوب منكم هو الرُّجوع إلىٰ كلام أهل العلم ، والوقوف عند الحدود التي حدُّوا ، فإنَّ أهل العلم ذكروا في كلِّ مذهب من مذاهب الأقوال والأفعال التي يكون بها المسلم مرتدَّاً ، ولم يقولوا : من نذر لغير الله فهو مرتد ، ولم يقولوا : من طلب من غير الله فهو مرتد ، ولم يقولوا : من ذبح لغير الله فهو مرتد ، ولم يقولوا : من تمسَّح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد ، كما قلتم أنتم ، فإن كان عندكم شيء فبيِّنوه ، فإنَّه لا يجوز كتم العلم ، ولكنَّكم أخذتم هذا بمفاهيمكم ، وفارقتم الإجماع ، وكفَّرتم أمَّة محمد ﷺ كلَّهم ، حيث قلتم ، من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ، ومن لم يكفِّره فهو كافر ، ومعلوم عند الخاصِّ والعام أنَّ هذه الأمور ملأت بلاد المسلمين ، وعند أهل العلم منهم أنَّها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبعمائة عام ، وأنَّ من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم لم يُكفِّروا أهل هذه الأفاعيل ، ولم يُجروا عليهم أحكام المرتدِّين ، بل أجروا عليهم أحكام المسلمين ، بخلاف قولكم ، حيث أجر يتم الكفر والردَّة علىٰ أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين ، وجعلتم بلادهم بلاد حرب حتَّىٰ الحرمين الشَّريفين اللذين أخبر النَّبي ﷺ في الأحاديث الصَّحيحة الصَّريحة أنَّهما لا يزالان بلاد الإسلام ، وأنَّهما لا تُعبد فيهما

الأصنام ، وحتَّى أنَّ الدَّجَّال في آخر الزَّمان يطأ البلاد كلّها إلَّا الحرمين ، كما تقف على ذلك إن شاء الله في هذه الرِّسالة .

فكلُّ هذه البلاد عندكم بلاد حرب ، كفَّار أهلها ، لأنَّهم عبدوا الأصنام على قولكم ، وكلُّهم عندكم مُشركون شركاً مُخرجاً عن الملَّة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، فوالله إنَّ هذا عين المحادَّة لله ولرسوله ولعلماء المسلمين قاطبة ، فأعظم من رأينا مشدِّداً في هذه الأمور التي تكفِّرون بها الأُمَّة النُّذور وما معها : ابن تيمية وابن القيِّم ، وهما رحمهما الله قد صرَّحا في كلامهما تصريحاً واضحاً أنَّ هذا ليس من الشِّرك الذي ينقل عن الملَّة ، بل قد صرَّحوا في كلامهم أنَّ من الشِّرك ما هو أكبر من هذا بكثير كثير ، وأنَّ من هذه الأُمَّة من فَعَله وعاند فيه ، ومع هذا لم يكفِّروه ، كما يأتي كلامهم في ذلك إن شاء الله تعالى .

فأمَّا النَّذر ، فنذكر كلام الشَّيخ تقي الدِّين فيه وابن القيِّم ، وهما من أعظم من شدَّد فيه وسمَّاه شركاً ، فنقول : قال الشَّيخ تقيُّ الدِّين : النَّذْرُ لِلْقُبُورِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أهل الْقُبُورِ: كَالنَّذْرِ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ أَوْ لِلشَّيْخِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ أَوْ لِبَعْضِ أهل الْبَيْتِ أَوْ غَيْرِهِمْ: نَذْرُ مَعْصِيَةٍ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّين ... وَإِنْ تَصَدَّقَ بِمَا نَذَرَهُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ مِنْ أهل بَيْتِ النَّبي ﷺ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْفُقَرَاءِ الصَّالِحِينَ كَانَ خَيْرًا لَهُ عِنْدَ اللهَّ وَأَنْفَعَ لَهُ" . انتهى (٢٣) .

فلو كان النَّاذر كافراً عنده لم يأمره بالصَّدقة ، لأنَّ الصَّدقة لا تُقبل من الكافر ، بل يأمره بتجديد إسلامه ، ويقول له : خرجت من الإسلام بالنَّذر لغير الله .

قال الشَّيخ أيضاً : مَنْ أَسْرَجَ بِئْرًا أَوْ مَقْبَرَةً أَوْ جبَلًا أَوْ شَجَرَةً أَوْ نَذَرَ لَهَا أَوْ لِسُكَّانِهَا أَوْ الْمُصَافِّينَ إلى ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمْ يَجُزْ وَلَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ إجْمَاعًا وَيُصْرَفُ فِي الْمَصَالِحِ مَا لَمْ يَعْلَمْ رَبُّهُ " انتهى (٢٤) .

فلو كان النَّاذر كافراً لم يأمره بردِّ نذره إليه ، بل أمر بقتله .

---

(٢٣) انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٤٦) .

(٢٤) انظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٥٤) .

وقال الشَّيخ أيضاً : من نذر قنديل نقد (أي : مصباح ذهب أوفضة) للنَّبيِّ ﷺ صُرف لجيران النَّبي ﷺ . انتهىٰ . فانظر كلامه هذا وتأمَّله : هل كفَّر فاعل هذا أو كفَّر من لم يكفِّره ؟!! أو عدَّ هذا في المكفِّرات هو أو غيره من أهل العلم كما قلتم أنتم وخرقتم الإجماع ، وقد ذكر ابن مفلح في الفروع عن شيخة الشَّيخ تقي الدِّين ابن تيمية : وَنَذْرُهُ لِغَيْرِ الله تعالىٰ كَنَذْرِهِ لِشَيْخٍ مُعَيَّنٍ حَيٍّ لِلاسْتِعَانَةِ وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ مِنْهُ كَحَلِفِهِ بِغَيْرِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ . انتهىٰ (٢٥) .

فانظر إلىٰ هذا الشَّرط المذكور ، أي : نذر له لأجل الاستغاثة به ، بل جعله الشَّيخ كالحلف بغير الله ،وغيره من أهل العلم جعله نذر معصية ، هل قالوا مثل ما قلتم : من فعل هذا فهو كافر ، ومن لم يكفِّره فهو كافر ، عياذاً بك اللهمَّ من قول الزُّور . كذلك ابن القيِّم ذكر النَّذر لغير الله في فصل الشِّرك الأصغر من المدارج (٢٦) ، واستدلَّ به بالحديث الذي رواه أحمد عن النَّبي ﷺ : «النذر حلفة » .

وذكر غيره من جميع من تسمُّونه شركاً و تكفِّرون به فعل الشِّرك الأصغر .

وأمَّا الذَّبح لغير الله ، فقد ذكره في المحرَّمات ، ولم يذكره في المكفِّرات ، إلَّا إن ذبح للأصنام أو لما عُبدَ من دون الله ، كالشَّمس والكواكب ، وعدَّه الشَّيخ تقي الدِّين في المحرَّمات الملعون صاحبها ، كمن غيَّر منار الأرض أو من ضارَّ مسلماً ، كما يأتي في كلامه إن شاء الله تعالىٰ . وكذلك أهل العلم ذكروا ذلك ممَّا أهل به لغير الله ، ونهوا عن أكله ، ولم يكفِّروا صاحبه .

---

(٢٥) قال الإمام ابن مفلح – وهو من تلامذة ابن تيمية – : " وَقَالَ شَيْخُنَا فِيمَنْ نَذَرَ قِنْدِيلَ نَقْدٍ لِلنَّبِيِّ: يُصْرَفُ لِجِيرَانِ النَّبي ﷺ قِيمَتُهُ" انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي (١١/ ٧٨) .

لكن النَّصَّ أصبح في (المستدرك علىٰ مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام) (٤/ ٩٣) هكذا : " وقال الشَّيخ تقي الدِّين: لو وقف قنديل نقد للنَّبي ﷺ صرف لجيرانه قيمته" .

(٢٦) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٥٣) . والحديث المشار إليه لم أجده في أيٍّ من دواوين السُّنَّة .

وقال الشَّيخ تقيُّ الدِّين : كما يفعله الجاهلون بمكَّة شرَّفها الله تعالى وغيرها من بلاد المسلمين ، من الذَّبح للجنِّ ، ولذلك نهى النَّبي ﷺ عن ذبائح الجنِّ . انتهى (٢٧) .

ولم يقل الشَّيخ : من فعل هذا فهو كافر ، بل من لم يكفِّره فهو كافر ، كما قلتم أنتم .

وأمَّا السُّؤال من غير الله فقد فصَّله الشَّيخ تقي الدِّين رحمه الله إن كان السَّائل يسأل من المسئول مثل غفران الذُّنوب ، وإدخال الجنَّة ، والنَّجاة من النَّار ، وإنزال المطر ، وإنبات الشَّجر ، وأمثال ذلك ممَّا هو من خصائص الرُّبوبيَّة ، فهذا شركٌ وضلال ، يُستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلَّا قُتل ، ولكن الشَّخص المعيَّن الذي فعل ذلك لا يكفر حتَّى تقوم عليه الحجَّة الذي يكفر تاركها (٢٨) ، كما يأتي بيان كلامه في ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(٢٧) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٢٥٩) .

(٢٨) من المعلوم أنَّ الحُكم على شخص معيَّن بالكفر هو من الخُطورة بمكان ، وقد حذَّرنا ربُّنا في القرآن العظيم من تكفير الآخرين ، فقال سبحانه : **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** [النساء: ٩٤] ، وقال سبحانه : **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾** [الأحزاب: ٥٨] ، وأكَّد الرَّسول ﷺ على ذلك في العديد من الأحاديث ، وقد سبق ذكرُ بعضها ... وما كان ذلك إلَّا بسبب ما يترتَّب على تكفير المُعيَّن من أُمور عديدة ، وآثار جسيمة ، من أهمِّها : الحكم على المُكفَّر بالخلود في النَّار ، والطَّرد من رحمة العزيز الغفَّار ...كما تجب استتابة المُكفَّر ، فإن تاب وإلَّا ضُربت عنقه ... والمُكفَّر لا يُغسَّل ، ولا يكفَّن ، ولا يصلَّى عليه ، ولا يُدفن في مدافن المسلمين ، ولا يَرث ، ولا يُورث ، كما يجب التَّفريق بين المُكَفَّر وزوجته فوراً ...

وقد تضافرت أقوال العلماء في التَّحذير من فتنة التَّكفير ، فقال الغزالي (٥٠٥هـ) : " والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه : الاحتراز من التَّكفير ما وجد إليه سبيلاً . فإنَّ استباحة الدِّماء والأموال من المصلِّين إلى القبلة المصرِّحين بقول لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّد رسول الله خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم " . انظر : الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٣٥).

وقال الإمام ابن أبي العزِّ الحنفي (٧٩٢هـ) : " وَاعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ وَإِيَّانَا - أَنَّ بَابَ التَّكْفِيرِ وَعَدَمِ التَّكْفِيرِ، بَابٌ عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ وَالْمِحْنَةُ فِيهِ، وَكَثُرَ فِيهِ الِافْتِرَاقُ، وَتَشَتَّتَتْ فِيهِ الْأَهْوَاءُ وَالْآرَاءُ، وَتَعَارَضَتْ فِيهِ دَلَائِلُهُمْ. فَالنَّاسُ فِيهِ، فِي جِنْسِ تَكْفِيرِ أهل الْمَقَالَاتِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ، الْمُخَالِفَةِ لِلْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ فِي نفس الأمر، والمخالفة

لِذَلِكَ فِي اعْتِقَادِهِمْ، عَلَىٰ طَرَفَيْنِ وَوَسَطٍ، مِنْ جِنْسِ الِاخْتِلَافِ فِي تَكْفِيرِ أهل الْكَبَائِرِ الْعَمَلِيَّةِ ... فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْبَغْيِ أَنْ يُشْهَدَ عَلَىٰ مُعَيَّنٍ أَنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ لَهُ وَلَا يَرْحَمُهُ بَلْ يُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ، فَإِنَّ هَذَا حُكْمُ الْكَافِرِ بَعْدَ الْمَوْتِ " . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (ص٣١٦-٣١٨ باختصار) .

وقال الإمام ابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " فلعن المُسلم المُعيَّن حرَام ، وَأَشدُّ مِنْهُ رميه بالْكفْر وَخُرُوجه من الْإِسْلَام ، وَفِي ذَلِك أُمُور غير مرضيَّة ، مِنْهَا : إشمات الْأَعْدَاء بِأَهْل هَذِه المِلَّة الزكيَّة ، وتمكينهم بذلك من الْقدح فِي المُسلمين واستضعافهم لشرائع هَذَا الدِّين . وَمِنْهَا : أَنَّه رُبمَا يقْتَدىٰ بالرَّامي فِيمَا رمىٰ ، فيتضاعف وزره بِعَدَد من تبعه مأثماً ، وَقلَّ أَن يسلم من رمىٰ بِكفْر مُسلماً " . انظر : الرد الوافر (ص١١).

وقال الإمام الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) : " اعلم أنَّ الحكم علىٰ الرَّجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر ، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدم عليه إلَّا ببرهان أوضح من شمس النَّهار ، فإنَّه قد ثبت في الأحاديث الصَّحيحة المرويَّة من طريق جماعة من الصَّحابة أنَّ : " مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا " ، هكذا في الصَّحيح ، وفي لفظ آخر في الصَّحيحين ، وغيرهما : " مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهَّ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ " ، أي : رجع ، وفي لفظ في الصَّحيح : " فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا " ، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر ، وأكبر واعظ عن التَّسرُّع في التَّكفير ". انظر : السيل الجرار المتدفق علىٰ حدائق الأزهار (ص٩٧٨).

وبرغم ما جاء في الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة وفي أقوال أساطين العلم من التَّحذير من تكفير المُعيَّن ، فقد جانب مدَّعو السَّلفيَّة الصَّواب ، وحكموا بألوان عديدة من تكفيرات المعيَّن ، سواء كان المعيَّن فرْداً أو مجموعة ... ومن ذلك :

* اتَّهم أتباع مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب الإمام الحاكم ، صاحب " المستدرك علىٰ الصَّحيحين " ، بسوء العقيدة . انظر : تطهير الجنان والإيمان عن درك الشرك والكفران (ص٦٤) .

* كفَّر بعضُ أتباع مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أهل دُبي ، وأبو ظبي ، وسمُّوهم بكلاب جهنَّم . انظر : إجماع أهل السنه النبويَّة علىٰ تكفير المعطلة الجهميَّة (ص ٥١ ، ص١٠١ ، ص١٠٢ ، ص١٢٤).

* كفَّر أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب الإمـــامَ حسن البنَّا . انظر : مجلة المجلة ، عدد كانون الثاني ، (١٩٩٦) عدد (٨٣٠) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أهل الوشم بعامَّة . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٧٧) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أهل سدير بعامَّة . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٧٧) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب المتكلِّمينَ بعامَّة ، وزعم أنَّ الإجماع علىٰ ذلك . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٥٣) .

* زعم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ أهل الإحساء يعبدون الأصنام . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٥٤) .

* زعم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ أهل نجد يعبدون الشَّجر والحجر . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٥٣-٥٤)

* نصَّ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب على أنَّ إنكار الرَّب هو مذهب ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، وفئات من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١١٣) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب الإمامَ ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وصرَّح بأنَّه أكفر من فرعون ، وحكم بكفر من لم يكفِّره أو شكَّ في كفره !!! انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٢٥) .

* صرَّح عبدُ اللطيف بن عبد الرَّحمن بأنَّ ابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) من أكفر أهل الأرض . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٣٦٦) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب الإمام فخر الدِّين الرَّازي (٦٠٦هـ) صاحب التَّفسير الكبير " مفاتيح الغيب " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٧٢ ، ٢٧٣) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أهل الشَّام !!! لأنَّهم – كما يزعم – يعبدون الإمام ابن عربي . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٤٥) .

* كفر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب من شكَّ في كفر أتباع الإمام ابن عربي !!! انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٢/ ٤٥) ، (١٠/ ٢٥) .

* وجاء في الدُّرر السَّنيَّة : " ... فابن عربي (٦٣٨هـ) ، وابن سبعين (٦٦٩هـ) ، وابن الفارض (٦٣٢هـ) ، لهم عبادات ، وصدقات ، ونوع تقشُّف وتزهُّد ، وهم أكفر أهل الأرض أو من أكفر أهل الأرض !!! . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٣٦٦) .

* في حديثه عن أحد العارفين بالله ، واسمه " عبد الغني " ، قال مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وهذا اشتهر عنه أنَّه على دين ابن عربي ، الذي ذكر العلماء أنَّه أكفر من فرعون !!! حتى قال ابن المقري الشَّافعي (٨٣٧هـ) : من شكَّ في كفر طائفه ابن عربي فهو كافر " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٢٥) .

* وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " ... وتوحيدكم هو التَّعطيل ، ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الرَّب تبارك وتعالى ، كما هو مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، وفئام من النَّاس لا يحصيهم إلَّا الله !!! انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١١٣) .

* حكموا بتكفير ابن عربي في مواطن عديد من دُرَرِهم السَّنيَّة . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١١٣) ، (٢/ ٤٥) ، (٢/ ٣٠٧) ، (٣/ ٣٤٨) ، (٣/ ٣٩٤) ، (٣/ ٣٥٥) ، (٩/ ٤٢٣) ، (١٠/ ٢٥) ، (١٠/ ٥٤) ، (١٠/ ١٤٨) ، (١/ ١١٣) ، (٢/ ٤٥) ، (٢/ ٣٠٧) ، (٣/ ٣٤٨) ، (٣/ ٣٩٤) ، (٣/ ٣٥٥) ، (٩/ ٤٢٣) ، (١٠/ ٢٥) ، (١٠/ ٥٤) ، (١٠/ ١٤٨) ، (١١/ ٢٤٢) .

* زعم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ أكثر أهل نجد وأهل الحجــاز يُنكرون البعث . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٤٣) .

* ولَمَّا خالفه العالم الحنبلي أحمد بن عبد الكريم ، أرسل له رسالة جاء فيها : "... طحت على ابن غنَّام وغيره ، وتبرَّأت من ملَّة إبراهيم ، وأشهدتهم على نفسك باتِّباع المشركين " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٦٤) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أهل مكَّة ، والمدينة ، وادَّعى أنَّ دينهم هو الدِّين الذي جاء الرَّسول ﷺ للإنذار منه . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢٩١) ، (١٠/ ٨٦) .

* صرَّح أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ مكَّة والمدينة ، ديار كفر آبين عن الإسلام !!! انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢٨٥) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب البدو بالجملة . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ١١٧-١١٩) ، (١٠/ ١١٣-١١٤) .

* كفَّر أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب كلَّ من لم يكفِّر أهل مكَّة. انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢٩١) .

* صرَّحوا بأنَّه ليس عندهم من الإسلام شعرة ، وإن نطقوا بالشَّهادتين !! انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢ ، ٢٣٨) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب قبيلة عنزة ، وأنَّهم لا يؤمنون بالبعث . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ١١٣) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب قبيلتا : عنزة ، والظّفير ، فقال : " إنَّ عنزة وآل ظفير ، وأمثالهم كلّهم ، مشاهيرهم والأتباع ، أنَّهم مقرُّون بالبعث ، ولا يشكُّون فيه ، ولا يقدر أن يقول : أنَّهم يقولون : إنَّ كتاب الله عند الحضر ، وأنَّهم عائفوه ، ومتَّبعوا ما أحدث آباؤهم ، ممَّا يسمُّونه الحقّ ، ويفضِّلونه على شريعة الله ، فإن كان للوضوء ثمانية نواقض ، ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من مائة ناقض " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ١١٣) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أهل العيينة ، والدِّرعيَّة ، الذين عارضوه ، ووقفوا مع ابن سحيم . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٨/ ٥٧) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب : سليمان ابن سحيم الحنبلي كُفراً أخرجه به من الملَّة ، ونعته بالبهيم !!!... لأنَّه كان من معارضيه ... انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٤٦-٤٩) .

والبهيم هو الدَّابة ... فيا لعذوبة ونظافة الألسنة...

* صرَّح مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بكفر سليمان بن سحيم الحنبلي ... فقد جاء في رسالة أرسلها إليه : " نذكر لك أنَّك أنت وأباك ، مصرِّحون بالكفر ، والشِّرك ، والنِّفاق ، ولكن صائر لكم عند " خمامة " في معكال ، قصاصيب

وأشباههم ، يعتقدون أنَّكم علماء ، ونداريكم ، نودُّ أن الله يهديكم ويهديهم ، وأنت إلى الآن أنت وأبوك ، لا تفهمون شهادة أن لَا إِلَه إِلَّا الله ، أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة ، أنَّك لا تعرفها إلى الآن ، ولا أبوك " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٣١) .

* خاطب مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ... ابن سحيم بقوله : " وأمَّا الدَّليل على أنَّك رجلٌ معاندٌ ضالٌّ على علم ، مختار الكُفر على الإسلام فمن وجوه ... " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٣١) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب جميع بلاد المسلمين التي لم تدخل تحت طاعته ، وسمَّاها بلاد المشركين . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٦٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٦) .

* كفَّر مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب السَّواد الأعظم من المسلمين . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٨) .

* زعم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ شرك كفَّار قريش دون شرك كثير من النَّاس في زمانه . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١٢٠) .

* زعم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ أكثر النَّاس في زمانه أعظم كفراً وشركاً من المشركين الذين قاتلهم الرَّسول ﷺ . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ١٦٠) .

* كفَّر ابنُ سحمان قبيلة القحطـــان بعامَّة ، بسبب تحاكمهم إلى الأحكام القبليَّة . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٥٠٣) .

* كفَّروا أهل حايل ، وصرَّحوا بأنَّ جهادهم وقتالهم من أفضل الجهاد . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢٩١-٢٩٢) .

* كفَّر عبدُ الله بن عبد اللطيف الإباضيَّة بالجملة . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة ، علماء نجد الأعلام (١٠/ ٤٣١ ، ٤٣٨) .

* كفَّر أبناء مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، وحمد بن ناصر ، كلَّ من دخل في دعوة مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب وادَّعى أنَّ آبائه ماتوا على الإسلام ، وهنا يجب أن يُستتاب ، فإن تاب ، وإلَّا ضُربت عنقه . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ١٤٣) .

* جاء في الدُّرر السَّنيَّة : "... لما كان أهل الحرمين آبين عن الإسلام !!! وممتنعين عن الانقياد لأمر الله ورسوله ... " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (٩/ ٢٨٥) .

* كفَّر أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، النَّاس بالحرمين ، ومصر ، والشَّام ، واليمن ، والعراق ، وحضرموت ، والموصل !!! انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٣٨٠ ، ٣٨٥) .

* كفَّروا جماعةَ الإخوان المسلمين ... يقول ابن باز شيخ الوهَّابيَّة في حديث لمجلَّة " المجلَّة ": " الإخوان المسلمون لا يعتقدون العقيدة الصَّحيحة " . انظر : مجلة المجلة ، العدد ٨٠٦ بتاريخ ٢٣-٢٩ تموز ١٩٩٥م.

* كفَّر ابنُ باز الصَّحابي الجليل بلال بن الحارث المزني !!! كما في تعليقه على فتح الباري .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" (٢/ ٤٩٥) : " وروى بن أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ عَنْ مَالِكٍ الدَّارِيِّ ، وَكَانَ خَازِنُ عُمَرَ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ ..." .

وقد علَّق ابن باز على هذا الأثر ، فقال : " هذا الأثر – على فرض صحَّته كما قال الشَّارح – ليس بحجَّة على جواز الاستسقاء بالنَّبي ﷺ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم على خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعلم أنَّ ذلك هو الحقّ ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلى الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك ، وأمَّا تسمية السَّائل في رواية سيف المذكورة " بلال بن حارثة " ففي صحَّة ذلك نظر ، ولم يذكر الشَّارح سند سيف في ذلك ، وعلى تقدير صحَّته عنه لا حجَّة فيه ، لأنَّ عمل كبار الصَّحابة يخالفه ، وهم أعلم بالرَّسول ﷺ ، والله أعلم " . انظر : هامش فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني (٢/ ٤٩٥ هامش).

*حكم أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب على المعلِّمين الذين تستقدمهم وزارة المعارف من الدُّول العربيَّة بأنَّهم مُلحدون وزنادقة. انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٥ ، ١٢) .

*زعم أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ المعلِّمين القادمين من الدُّول العربيَّة ، بأنَّهم جاءوا لشجرة لَا إلَه إلَّا الله ، التي جاء بها مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب !!! ليقتلعوها من هذا الوطن... انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٨) .

*زعم أتباعُ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ المعلِّمين القادمين من الدُّول العربيَّة هم أفراخ الإفرنج ، وعبَّاد الأولياء ، ومن تاركي الصَّلاة ، وغيرها من شعائر الإسلام . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ١٠٠) .

ووصفوا بلادَ المعلِّمين الذين يدرِّسون أبنائهم بأنَّها بلادٌ منحلَّة ، أعرضت عن دين الله وشرعه !!! واشتهرت فيها شعائر الكفر !!! وأنَّ هؤلاء المعلِّمين جاءوا إلى بلادهم لاجتثاث الإسلام من أصله !!! فقد جاء في الدُّرر السَّنيَّة : " والسَّبب الأعظم لضعف العلم والإسلام ، والكسر الذي لا ينجبر ، والطامَّة الكبرى : استجلاب معلِّمين ملحدين من البلدان المنحلَّة ، لنشر الثَّقافة – يعني الغربيَّة – ورفع الأميَّة.

ويحملون معهم برنامج التَّعليم الذي يشتمل على فنون محظورة ، من تصوير ، وغيرها ممَّا له معاهد في تلك الأوطان في بلادهم ، التي أعرضت عن دين الله وشرعه ، واشتهرت فيها شعائر الكفر ، ليجتثُّوا الإسلام من أصله ، بسبب ما هم عليه من عداء ، وما في قلوبهم من حقد ...". انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٦/ ٥) .

*قال مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب واصفاً أكثر أهل أرضه وأرض الحجاز بأنَّهم ينكرون البعث : " ومعلوم : أنَّ أهل أرضنا ، وأرض الحجاز ، الذي يُنكر البعث منهم أكثر ممَّن يقرُّ به ، والذي يعرف الدِّين أقلّ ممَّن لا يعرفه " . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ٤٣) .

*ذكر أحد أتباع مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، واسمه : محمود الحدَّاد ، في تعليقه على عقيدة الرَّازيين : أبي حاتم ، وأبي زرعة ، (ص١٣١) ، عند ذكره لشرح ابن حجر العسقلاني لصحيح البخاري " فتح الباري " : يسَّرَ اللهُ مِنْ أهل السُّنَّة من يشْرَحه !!! " . أي : يشرح صحيح البخاري ، بمعنى أنَّ المومئ إليه يُنكر أن يكون أحدٌ من شرَّاح البخاري من أهل السُّنَّة ، مع العلم أنَّ صحيح البخاري قد تعاقب على شرحه عشرات العلماء على مرِّ التَّاريخ...

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدلُّ على المكانة العظيمة لـ (صحيح البخاري) عند علماء المسلمين ، وهي شروحٌ بعضها اكتمل ، والبعض الآخر لم يكتمل ، حيث عاجلت المنيَّةُ صاحبه قبل إكماله ... ومنها ما وصل إلينا ، ومنها ما لم يصل ، ومن أهم شُرَّاح صحيح البخاري:

الإمام الخطَّابي (٣٨٦هـ) ، والإمام ابن بطَّال (٤٤٩هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن سعيد بن يحيى بن الدّميثي الواسطي (٦٣٧هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك (٦٧٢هـ) ، والإمام يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، والإمام ابن المنير الإسكندراني (٦٨٣هـ) ، والإمام علي بن مُحَمَّد اليونيني (٧٠١هـ) ، والإمام عبد الكريم بن عبد النُّور بن منير الحلبي (٧٣٥هـ) ، والإمام علاء الدِّين مغلطاي (٧٦٢هـ) ، والإمام أحمد بن أحمد الكُردي (٧٦٣هـ) ، والإمام الكرماني (٧٨٦هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن بهادر الزَّركشي (٧٩٤هـ) ، والإمام ابن رجب (٧٩٥هـ) ، والإمام الفيروز آبادي (٨١٧هـ) ، والإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، والإمام العيني (٨٥٥هـ) ، والإمام عمر بن علي بن الملقِّن (٨٠٥هـ) ، والإمام عبد الرَّحمن بن عمر بن رسلان البلقيني (٨٢٤هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن أبي بكر الدَّماميني (٨٢٧هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن عبد الدَّائم بن موسى البرماوي (٨٣١هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن أحمد بن موسى الكفيري (٨٤٦هـ) ، والإمام مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن موسى الشَّافعي الحنبلي (٨٤٦هـ) ، والإمام السُّيوطي (٩١١هـ) ، والإمام القسطلاني (٩٢٣هـ) ...

فهؤلاء ليسوا من أهل السُّنَّة عند من يدَّعون السَّلفيَّة ... كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلَّا كذباً...

*صرَّح الإمام ابن تيمية بكفر الإمام الرَّازي (٦٠٦هـ) ، وفي ذلك يقول : " وكذلك ارتدَّ هذا الرَّازي حين أمر بالشِّرك وعبادة الكواكب والأصنام ، وصنَّف في ذلك كتابه المشهور ..." . انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة (٣/ ٤٧٣) .

وابنُ تيمية هنا يشير إلىٰ كتاب :" السرُّ المكتوم ، في مُخاطبة الشَّمس والقمر والنُّجوم " ، وهو كتابٌ منسوب للإمام فخر الدِّين محمود بن عمر الرَّازي ، قال الإمام ابن كثير : " وَقَدِ اسْتَقْصَىٰ فِي " كِتَابِ السِّرِّ الْمَكْتُومِ ، فِي مُخَاطَبَةِ الشَّمْسِ وَالنُّجُومِ " الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي ابْنُ خِلِّكَانَ وَغَيْرُهُ ، وَيُقَالُ : أَنَّه تَابَ مِنْهُ . وَقِيلَ : أَنَّه صَنَّفَهُ عَلَىٰ وَجْهِ إِظْهَارِ الْفَضِيلَةِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الِاعْتِقَادِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَظْنُونُ بِهِ " . انظر : تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٦٧) .

وقد ذهب العديد من العُلماء إلىٰ أنَّ الكتاب المُشار إليه موضوع علىٰ الإمام الرَّازي ، قال الإمام تاج الدِّين السُّبكي : " وأمَّا كتاب السِّرّ المكتوم فِي مُخَاطبَة النُّجُوم فَلم يَصح أَنَّه لَهُ بل قيل أَنَّه مختلق عَلَيْهِ " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٨٧) .

وقال الإمام حاجي خليفة : " قيل : أنَّه مختلق عليه ، فلم يصح أنَّه له . وقد رأيت في الكتاب أنَّه : للجوالي ، أبي الحسن : علي بن أحمد المغربي ، المتوفَّىٰ : سنة ... والله – سبحانه وتعالىٰ – أعلم ... قال التَّاج السُّبكي في : (هامشه) : هذا الكتاب المسمَّىٰ : (بالسرِّ المكتوم ، في مخاطبة النجوم) . فلم يصح أنَّه له.

وقيل : أنَّه مُختلق ، وبتقدير صحَّة نسبته إليه ليس بسحر ، فليتأمَّله من يُحسن السِّحر " . انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٩٨٩) .

وقرأت في منتدىٰ الأصلين علىٰ الشَّبكة العنكبوتيَّة بقلم الأستاذ جلال علي الجهاني : " فإنَّ من آفات العلم عدم التَّأنِّي في البحث ، واستعجال المرء الوصول إلىٰ النَّتائج والظُّهور بمظهر أهل العلم !! وقد كنتُ قرأتُ قديماً ما كتبه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في " لسان الميزان " ، عن الحافظ الذَّهبي ، عن الإمام فخر الدِّين الرَّازي ، وجاء في ضمن ذلك : وله " كتاب السرّ المكتوم في مخاطبة النُّجوم " سحر صريح ، فلعلَّه تاب من تأليفه إن شاء الله . ولم يطلع الحافظ ابن حجر علىٰ هذا الكتاب ، ولا أظنُّ الذَّهبي قد اطلع عليه أيضاً ، وإلَّا ففي دار الكتب المصريَّة عدَّة نسخ من هذا الكتاب ، اطلعتُ علىٰ إحداها ، وجاء في مقدِّمتها نصُّ الإمام الرَّازي أنَّه بريء ممَّا في هذا الكتاب !!! وأنَّه أراد فقط جمع ما كتبه أدعياء السِّحر ، وبيان حُججهم بعبارته ، حتىٰ يستطيع المناظر لهم أن يدرك مذهبهم...

فاعجب أخي بعد ذلك من بعض المعاصرين الحاقدين علىٰ أهل السُّنَّة الأشاعرة وعلىٰ أئمَّتهم ، يردِّدون هذه التُّهمة عن إمام من أئمَّة المسلمين ، فالله تعالىٰ حسيبهم ، وهو نِعْمَ الوكيل ...أ.هـ

قُلْتُ : وقد يسَّر الله تعالىٰ للعبد الفقير الاطلاع علىٰ مخطوطة الكتاب ، فوجدت ما قاله الأستاذ جلال علي الجهاني حقَّاً وصحيحاً ، فقد جاء في مقدِّمة الكتاب : " الحمدُ لله الذي أحاط بكلِّ شيء علمه ، ونفذ في كلِّ شيء حكمه ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّ الرَّحمة وشفيع الأمَّة مُحَمَّد وآله الطَّاهرين ، أمَّا بعد : فهذا كتابٌ يجمع فيه ما وصل إلينا من علم الطَّلسمات ، والسِّحريَّات ، والعزائم ، ودعوة الكواكب ، مع التَّبرِّي عن كلِّ ما يُخالف الدِّين ، وسلَّم اليقين .... " . فماذا يقول من كفَّروا الرَّازي ممَّا هو منه بري!!!...

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " قال شيخ الإسلام رحمه الله : في المحصِّل ، وسائر كتب الكلام المختلف أهلها ، مثل كتب الرَّازي ، وأمثاله ، وكتب المعتزلة ، والشِّيعة ، والفلاسفة ؛ ونحو هؤلاء ، لا يوجد فيها ما بعث الله به رسله ، في أصول الدِّين ، بل وجد فيها حقّ ملبوس بباطل ، انتهىٰ من منهاج السُّنَّة.

قال : وقد قال بعض العلماء في المحصّل:

محصّل في أصول الدِّين حاصلـهُ	أصلُ الضَّلالات والشِّرك المبـين
وما من بعد تحصيله جهل بلا دين	فيه فأكثـره وحي الشَّيــــاطيـن

وهذا من أجلِّ كتبه ، فكيف تسمح نفس عـــاقل أن يعتمد علىٰ قول مثل هؤلاء ؟ !. انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٣/ ٢٨) .

والشِّعر المذكور هو لابن تيمية ، ونصُّه الحقيقي هو:

محصّل في أصول الدِّين حاصلـــه	أصل الضَّلالات والشكِّ المبين
فما من بعد تحصيلــه أصل بلا دين	فيه فأكثره وحي الشَّيـــــاطين

قال الإمام الكوثري في " تكملة السَّيف الصَّقيل " : " هذا رأي الرَّجل في معتقد أهل السُّنَّة ، ولأهل العلم ردودٌ عليه ، وكنت قلت في معارضته:

محصّل في أصول الدِّين حصَّــله	من اهتدىٰ فغدا محصن الدِّين
أسُّ الهداية والحقّ الصُّراح فمـــــ	يرتاب فيه قفا إثر الشَّياطيـــــن

كما قلت فيما سبق في معارضة بعضهم:

إن كان تنزيه الإلـــــه تجهُّمـــاً	فالمؤمنـــــون جميعهم جهمي
جلَّ الإلـه عن الحوادث أن تحلـ	ـل به وعن جهـــة وعن كم
بخلاف زعم زعيمكـم سفهاً فإن	تابعتمــــــــوه فكلُّكم تيمـي

انظر : هامش السَّيف الصقيل في الرد علىٰ ابن زفيل للسبكي (ص١٢١-١٢٢).

فان قلت : ذكر عنه في الإقناع أنَّه قال : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم و يتوكَّل عليهم كفر إجماعاً ، قلت : هذا حقٌّ ، ولكنَّ البلاء من عدم فهْم كلام أهل العلم ، لو تأمَّلتم العبارة تأمُّلاً تامَّاً لعرفتم أنَّكم تأوَّلتم العبارة على غير تأويلها ، ولكن هذا من العجب ، تتر كون كلامه الواضح وتذهبون إلى عبارة مُجملة تستنبطون منها ضدَّ كلام أهل العلم ، وتزعمون أنَّ كلامكم ومفهومكم إجماع ، هل سبقكم إلى مفهومكم من هذه العبارة أحد ؟!!

يا سبحان الله أما تخشون الله !!!

ولكن انظر إلى لفظ العبارة وهو قوله : يدعوهم ويتوكَّل عليهم ويسألهم ، كيف جاء بواو العطف ، وقرن بين الدُّعاء والتَّوكُّل والسُّؤال، فإنَّ الدُّعاء في لغة العرب هو العبادة المطلقة ،

وفي اتِّهامه للرَّازي بالشِّرك ، قال ابن تيمية : " أبو عبد الله الرَّازي : فيه تجهُّم قويٌّ ؛ ولهذا يوجد ميله إلى الدَّهريَّة ، أكثر من ميله إلى السَّلفيَّة ، الذي يقولون : أنَّه فوق العرش ، وربَّما كان يوالي أولئك أكثر من هؤلاء ، ويُعادي هؤلاء أكثر من أولئك ؛ مع اتِّفاق المسلمين على أنَّ الدَّهريَّة كفَّار ، وأنَّ المثبتة للعلو فيهم من خيار المسلمين من لا يحصيه إلَّا الله تعالى ، وقد صنَّف على مذهب الدَّهريَّة المشركين والصَّابئين كتباً حتى قد صنَّف في السِّحر ، وعبادة الأصنام – وهو الجبت والطَّاغوت – وإن كان قد أسلم من هذا الشِّرك وتاب من هذه الأمور ، فهذه الموالاة والمعاداة لعلَّها في تلك الأوقات ... " . انظر : بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة (١/٤٠٨-٤٠٩) .

* وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة " : " ... كالفخر الرَّازي ، وأبي معشر البلخي ، ونحوهما ممَّن غلط في التَّوحيد . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١١/ ١٥٠) .

* وجاء في الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة : " ... وبسبب هذا الغلط وقع في الشِّرك من وقع ، كأبي معشر البلخي ، والفخر الرَّازي ، ومحمَّد بن النُّعمان الشِّيعي ، وثابت بن قرَّة وغيرهم ؛ وبهذا الجهل اشتدَّت غربة الإسلام ..." . انظر : الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١١/ ٥٢٠) .

* وهذا أحد غِلمان الوهَابيَّة ويُدعى خالد بن علي المرضي الغامدي يكتب كتاباً بعنوان : " تكفير الأشاعرة " !!! قال فيه : " وقد سبق وأن كتبت رسالة قريبة في موضعها من هذا الكتاب بعنوان : " القول المأمون بتحقّق ردَّة المأمون " حقَّقت فيه تكفير السَّلف للمأمون ، وفي هذا الكتاب مزيد بحث وتحقيق...

والتَّوكُّل عمل القلب ، والسُّؤال هو الطَّلب الذي تسمُّونه الآن الدُّعاء ، وهو في هذه العبارة لم يقل : أو سألهم ، بل جمع بين الدُّعاء والتَّوكُّل والسُّؤال ، والآن أنتم تكفِّرون بالسُّؤال وحده ، فأين أنتم ومفهومكم من هذه العبارة ، مع أنَّه رحمه الله بيَّن هذه العبارة وأصلها في مواضع من كلامه .

وكذلك ابن القيِّم بيَّن أصلها ، قال الشَّيخ : من الصَّابئة المشركين ممَّن يُظهر الإسلام ويعظِّم الكواكب ، ويزعم أنَّه يُخاطبها بحوائجه ، ويسجد لها ، وينحر ، ويدعو ، وقد صنَّف بعض المنتسبين إلى الإسلام في مذهب المشركين من الصَّابئة والمشركين البراهمة كتاباً في عبادة الكواكب ، وهي من السِّحر الذي عليه الكنعانيُّون الذين ملوكهم النَّماردة ، الذي بعث الله الخليل صلوات الله وسلامة عليه بالحنيفيَّة ملَّة ابراهيم وإخلاص الدِّين لله إلى هؤلاء .

وقال ابن القيِّم في مثل هؤلاء : يقرُّون أنَّ للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدَّساً عن العيوب والنَّقائص ، ولكن لا سبيل لنا إلى جلاله إلَّا بالوسائط، فالواجب علينا أن نتقرَّب إليه بتوسُّطات الرُّوحانيَّات القريبة منه ، وهم الرّوحانيُّون المقرَّبون المقدَّسون عن المواد الجسمانيَّة وعن القوى الجسدانيَّة ، فنحن نتقرَّب إليهم ونتقرَّب بهم إليه ، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند ربِّ الأرباب وإله الآلهة ، فما نعبدهم إلَّا ليقرِّبونا إلى الله زلفى ، فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ، ونعرض أحوالنا عليهم ، ونصبوا في جميع أمورنا إليهم ، فيشفعون لنا إلى إلهنا وإلههم ، وذلك لا يحصل إلَّا من جهة الاستمداد بالرُّوحانيات ، وذلك بالتَّضرُّع والابتهال من الصَّلوات والزَّكاة والذَّبائح والقرابين والبخورات ، وهؤلاء كفروا بالأصلين. اللذين جاءت بهما جميع الرُّسل ، أحدهما : عبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دونه من إله ، والثَّاني : الإيمان برسله ، وبما جاؤوا به من عند الله تصديقاً وإقراراً وانقياداً . انتهى كلام ابن القيِّم .

فانظر إلى الوسائط المذكورة في العبارة كيف تحملونها على غير محملها ، ولكن ليس هذا بأعجب من حملكم كلام الله وكلام رسوله وكلام أئمَّة الإسلام على غير المحمل الصَّحيح مع خرقكم الإجماع . وأعجب من هذا أنَّكم تستدلُّون بهذه العبارة على خلاف كلام من ذكرها ومن نقلها ،

ترون بها صريح كلامهم في عين المسألة ، وهل عملكم هذا إلَّا اتِّباع المتشابه وترك المحكم ، أنقذنا الله وإيَّاكم من متابعة الأهواء .

وأمَّا التَّبرُّك والتَّمسُّح بالقبور ، وأخذ التُّراب منه ، والطَّواف بها ، فقد ذكره أهل العلم ، فبعضُهم عدَّه في المكروهات ، وبعضُهم عدَّه في المحرَّمات ، ولم ينطق واحد منهم بأنَّ فاعل ذلك مرتدٌّ كما قلتم أنتم ، بل تكفِّرون من لم يكفِّر فاعل ذلك ، فالمسألة مذكورة في كتاب الجنائز في فصل الدِّين وزيارة الميِّت ، فإن أردت الوقوف على ما ذكرت لك ، فطالع الفروع ، والإقناع ، وغيرها من كُتُب الفقه .

فإن قدحتم فيمن صنَّف هذه الكُتُب ، فليس ذلك منكر بكثير ، ولكن ليكن معلوماً عندكم أنَّ هؤلاء لم يحكوا مذهب أنفسهم ، وانَّما حكوا مذهب أحمد بن حنبل وأحزابه من أئمَّة أهل الهدىٰ الذين أجمعت الأُمَّة علىٰ هدايتهم ودرايتهم ، فإن أبيتم إلَّا العناد وادَّعيتم المراتب العليَّة ، والأخذ من الأدلَّة من غير تقليد أئمَّة الهدىٰ ، فقد تقدَّم أنَّ هذا خرق للإجماع.

فَصْلٌ: وعلىٰ تقدير هذه الأمور التي تزعمون أنَّها كفر أعني النَّذر وما معه ، فهنا أصل آخر من أصول أهل السُّنَّة مُجمعون عليه ، كما ذكره الشَّيخ تقي الدِّين وابن القيِّم عنهم ، وهو أنَّ الجاهل والمخطئ من هذه الأُمَّة ولو عمل من الكفر والشِّرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً أنَّه يُعذر بالجهل والخطأ (٢٩) حتَّىٰ تتبيَّن له الحجَّة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً لا يلتبس علىٰ مثله ، أو ينكر

(٢٩) بلغ الوهَّابيَّة قمة الإفراط في تكفير الموحِّدين ... وهم في ذلك مقلِّدون لشيخهم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب الذي قال : " فإنَّك إذا عرفت أنَّ الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل " . انظر : كشف الشبهات (ص١١) .

مع أنَّ جمهور العلماء قال بالعذر بالجهل من غير تفريق بين الأصول والفروع ... قال الإمام الذَّهبي : " وَقَالَ شَيْخُ الإسلام عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ يُوْسُفَ الهَكَّارِيُّ ، فِي كِتَابِ (عَقِيْدَةِ الشَّافِعِيِّ) لَهُ : أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَىٰ الخَلِيْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِمِ بنُ عَلْقَمَةَ الأَبْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا يُوْنُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ صِفَاتِ اللهِ – تَعَالَىٰ - وَمَا يُؤْمِنُ بِهِ – ، فَقَالَ : للهِ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ،

جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ أمّته ، لاَ يَسَعُ أَحَداً قَامَتْ عَلَيْهِ الحجَّة رَدَّهَا ، لأَنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بِهَا ، وَصَحَّ عَنْ رَسُوْلِ الله ﷺ القَوْلَ بِهَا ، فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الحجَّة عَلَيْهِ ، فَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَّا قَبْلَ ثُبُوْتِ الحجَّة ، فَمَعْذُورٌ بِالجَهْلِ ، لأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ بِالعَقْلِ ، وَلاَ بِالرَّوِيَّةِ وَالفِكْرِ ، وَلاَ نُكَفِّرُ بِالجَهْلِ بِهَا أَحَداً ، إِلاَّ بَعْدَ انتهَاءِ الخَبَرِ إليه بِهَا " . انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٩-٨٠) .

وقال الإمام أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوري (٢٧٦هـ) في تعليقة على حديث : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ ، لِأَهْلِهِ : إذا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ، ثمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ، فلمّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، ثمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ " . أخرجه مالك في الموطإ (٢/ ٣٣٨ برقم ٨٢٢) ، مسلم (٤/ ٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦) ، واللفظ له ، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٨٠ برقم ٤١٨٣).

قال : " وَهَذَا رجل مُؤمن بِاللهِ ، مقرٌّ به ، خَائِفٌ لَهُ ، إِلَّا أَنَّه جَهِلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ ، فَظَنَّ أَنَّه إِذْ أُحرق وذري الرِّيح أَنَّه يَفُوتُ اللهَ تَعَالَى ، فَغَفَرَ الله تَعَالَى لَهُ بِمَعْرِفَتِهِ مَا بِنِيَّتِهِ وَبِمَخَافَتِهِ مِنْ عَذَابِهِ جَهْلَهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَقَدْ يَغْلَطُ فِي صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالنَّارِ ، بَلْ تُرْجَأُ أُمُورُهُمْ إلى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بهم وبنياتهم " . انظر : تأويل مختلف الحديث (ص١٨٦).

وقال الإمام أبو مُحَمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدِّمشقي ، الملقَّب بسلطـــان العلماء (٦٦٠هـ) : " كَيْفَ نُكَفِّرُ الْعَامِّيَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ النُّبُوَّةَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِ النَّبي مُخْبِراً عَنْ اللهِ ، فَلَا تَرْجِعُ النُّبُوَّةُ إلى صِفَةٍ وُجُودِيَّةٍ ، بَلْ تَكُونُ عِبَارَةٌ عَنْ نِسْبَةِ تَعَلُّقِ الْخِطَابِ بِهِ ... وَقَدْ رَجَعَ الْأَشْعَرِيُّ – رَحِمَهُ الله – عِنْدَ مَوْتِهِ عَنْ تَكْفِيرِ أهل الْقِبْلَةِ ، لِأَنَّ الْجَهْـــلَ بِالصِّفَـــاتِ لَيْسَ جَهْلاً بِالْمَوْصُوفَـــاتِ " . انظر : قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

ويقول الإمام شمس الدِّين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " واعلم أنَّ كثيراً من هذه الكبائر ، بل عامَّتها إلَّا الأقل ، يجهل خلقٌ كثيرٌ من الأُمَّة تحريمه ، وما بلغه الزَّجر عنه ولا الوعيد ، فهذا الضرب فيه تفصيل ؛ فينبغي للعالِم أن لا يستعجل على الجاهل ، بل ينبغي الترفُّق به وتعليمه ممَّا علمه الله ، ولا سيَّما إذا كان قريب العهد بجاهليَّته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة ، وأُسر وجلب لأرض الإسلام ، وقد يكون الشَّخص الذي اشترى هذا المملوكي الجاهل أميراً تركيَّاً لا علم عنده ولا فهم ، ، فبالجهد أنَّه ينطق بالشَّهادتين ، ثمَّ قد يفهم معناها بصعوبة شديدة بعد أيام ، ثمَّ قد يصلي أو لا يصلي ، وقد تبقي الفاتحة مع الطول إن كان أستاذه فيه دينٌ ما ، أمَّا إذا كان أستاذه جاهلاً مثله ، فلا تجد أحداً يعلِّم هذا المملوكي المسكين شرائع الإسلام ، والمحرَّمات واجتنابها ،

والواجبات وإتيانها ، والسَّعيد منهم من يعرف موبقات الكبائر ، والحذر منها ، وأركان الفرائض واعتقدها " . انظر : الكبائر (ص٢٨-٢٩).

وبمناسبة النَّقل عن كتاب الكبائر للإمام الذَّهبي ، فقد قام المتمسلفون بحذف وشطب الكبيرة الرَّابعة والسِّتِّين منه ، وهي بعنوان : أذيَّةُ أَوْلِيَاءِ الله...

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أهل الْحَقِّ أنَّه لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أهل الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ ، وَلَا يُكَفَّرُ أهل الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الإسلام ضَرُورَةً حُكِمَ بِرِدَّتِهِ وَكُفْرِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ فَيُعَرَّفُ ذَلِكَ ، فَإِنِ اسْتَمَرَّ حُكِمَ بِكُفْرِهِ " . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/ ١٥٠) .

وقال الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدِّين ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) : " ... وأمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلاً ، أَوْ تَأْوِيلاً يُعْذَرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهُ بِهِ ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَحْرِقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ الله لَهُ ، وَرَحِمَهُ لِجَهْلِهِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللهَّ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ عِنَاداً أَوْ تَكْذِيباً " . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٤٨) .

وعلىٰ أيَّة حال ، فإنَّ الشَّيخ ابن باز خالف جمهور الأُمَّة حين حكم بكفر المؤمن الموحِّد المتوسِّل إلىٰ الله تعالىٰ بالنَّبيِّ ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء زاعماً أنَّ هذا الصَّنيع شركٌ مُخرجٌ من الملَّة ، حتَّىٰ لو كان جاهلاً بالحكم !!! مع أنَّ التَّوسُّل حكمٌ فرعيٌّ لا أُصولي ، لم يذكره العلماء سلفاً وخلفاً إلَّا في فصل زيارة قبر الرَّسول ﷺ من كتاب الحجّ ، وهو أمرٌ مشروعٌ ، قام علىٰ العمل به السَّلف والخلف علىٰ حدٍّ سواء ، ولم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية ثمَّ تبنَّىٰ هذا الأمر ابن عبد الوهَّاب ، فكفَّر كسابقه عموم الأُمَّة ، واستحلَّ دمائهم وأموالهم وعـــاملهم معاملة الكفَّار ، والعياذ بالله تعالىٰ...

فالعذر بالجهل ثابت في كلِّ ما يدين به العبد ربَّه ، سواء في مسائل الاعتقاد والتَّوحيد والشِّرك، أو مسائل الأحكام الفقهيَّة .

ويدلُّ علىٰ عذر المسلم بالجهل في مسائل العقيدة جملة من الأدلَّة الشَّرعيَّة ، وهي:

الأَوَّلُ : النُّصوص الشَّرعيَّة الدالَّة علىٰ إعذار المخطئ ، كقوله تعالىٰ : **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة: ٢٨٦] .

وقد قال الله تعالىٰ : "قَدْ فَعَلْتُ" ، كما في "صحيح مسلم" (١٢٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥]
.

وقوله ﷺ : " إِنَّ اللهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ" . رواه ابن ماجه (٢٠٤٣) ، وحسَّنه الألباني.

فهذه النُّصوص تدلُّ علىٰ أنَّ كلّ من خالف ما كُلف به ، ناسياً أو جاهلاً فإنَّه معفو عنه ؛ فالمخطئ يشمل الجاهل ؛ لأنَّ المخطئ هو كلّ من خالف الحقّ بلا قصد.

وقال الإمام ابن العربي: " ... أنَّ الطَّاعات، كما تسمَّىٰ إيماناً، كذلك المعاصي تسمَّىٰ كفراً. لكن حيث يُطلق عليها الكفر لا يراد عليه الكفر المُخرج عن الملَّة. فالجاهل والمُخطئ من هذه الأمَّة، ولو عمل من الكفر والشِّرك ما يكون صاحبه مشركا أو كافرًا، فإنَّه يعذر بالجهل والخطأ، حتَّىٰ تتبيَّن له الحجَّة، الذي يكفر تاركها، بياناً واضحاً ما يلتبس علىٰ مثله" . انظر : محاسن التَّأويل للقاسمي (٣/ ١٦١) .

الثَّاني : النُّصوص الدالَّة علىٰ أنَّ حجَّة الله علىٰ العباد لا تقوم إلَّا بعد العلم:

كقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] .

وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]
.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥] ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالَّة علىٰ أنَّ الحجَّة لا تقوم إلَّا بعد العلم والبيان.

فهذه الآيات تدلُّ علىٰ : أنَّ المكلف ليس مطَالباً بالتَّكاليف الشَّرعية إلَّا بعد علمه بها ، وإذا لم يعلم بها ، فإنَّه يكون معذوراً.

الثَّالِثُ : النُّصوص التي فيها إعذار من وقع في الشِّرك أو الكفر ، ومن ذلك:

١ – قصَّة الرَّجل الذي أمر بإحراق نفسه وأنكر قدرة الله عليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبي ﷺ ، قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إذا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثمَّ اطْحَنُونِي ، ثمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا.

فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللهُ الأرض فَقَالَ : اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ.

فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ ؟

قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ) متَّفق عليه . أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦ برقم ٣٤٧٨) ، مسلم (٤/ ٢١١١ برقم ٢٧٥٧)

فالقول الذي صدر من هذا الرَّجل كفر أكبر مُخرجٌ من الملَّة ، لتضمُّنه إنكار قدرة الله على جمعه بعد الموت ، و"صفة القدرة" من أظهر الصِّفات وأبينها ، وهي من لوازم ربوبيَّة الله وألوهيَّته ، بل هي من أخصِّ أوصاف الرَّب ، ولكنَّه لم يكفر ؛ لأنَّه كان معذوراً بالجهل .

قال الإمام الطَّحاوي في عقيدته : " وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أهل الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ لَا يَضُرُّ مَعَ الإيمان ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ . وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الجنَّة بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ . وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ" .

وقال ابن عبد البر: " اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَقَالَ مِنْهُمْ قَائِلُونَ هَذَا رَجُلٌ جَهِلَ بَعْضَ صِفَاتِ اللهَّ عزَّ وجلَّ وَهِيَ الْقُدْرَةُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ قَالُوا وَمَنْ جَهِلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللهَّ عزَّ وجلَّ وَآمَنَ بِسَائِرِ صِفَاتِهِ وَعَرَفَهَا لَمْ يَكُنْ بِجَهْلِهِ بَعْضَ صِفَاتِ اللهَّ كَافِرًا قَالُوا وانَّما الْكَافِرُ مَنْ عائد الحق لا من جهله وهذا قول المقتدمين مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ " . انظر : التَّمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/ ٤٢).

وقال الإمام ابن حزم : " ... فصحَّ أنَّه لَا يكفر أحد حتَّى يبلغهُ أَمر النَّبي ﷺ ، فَإِن بلغه فَلم يُؤمن بِهِ فَهُوَ كَافِر ، فَإِن آمن بِهِ ثمَّ اعْتقد مَا شَاءَ الله أَن يَعْتَقِدهُ فِي نحلة أَو فتيا أَو عمل مَا شَاءَ الله تَعَالَى أَن يعمله دون أَن يبلغهُ فِي ذَلِك عَن النَّبي ﷺ حكم بِخِلَاف مَا اعتقدوا قَالَ أَو عمل ، فَلَا شَيْء عَلَيْهِ أصلاً حتَّى يبلغهُ ، فَإِن بلغه وَصَحَّ عِنْده ، فَإِن خَالفه مُجْتَهدا فِيمَا لم يبين لَهُ وَجه الْحق فِي ذَلِك ، فَهُوَ مُخطئ مَعْذُور مأجور مرَّة وَاحِدَة ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : إِذا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، كَانَ لَهُ أَجْرَانِ" . أخرجه أبو يعلى في المسند (١/ ١٩٤ برقم ٢٢٨) ، أبو عوانة في المستخرج (٤/ ١٦٨ برقم ٦٣٩٧) ، ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٥٩ برقم ٦٩٥) .

وكلُّ مُعْتَقد أَو قَائِل أَو عَامل فَهُوَ حَاكم فِي ذَلِك الشَّيْء وَإِن خَالفه بِعَمَلِهِ ، معانداً للحقِّ ، مُعْتَقدًا بِخِلَاف مَا عمل بِهِ ، فَهُوَ مُؤمن فَاسق ، وَإِن خَالفه معانداً بقوله أَو قلبه فَهُوَ كَافِر مُشْرك ، سَوَاء ذَلِك فِي المعتقدات والفتيا للنُّصوص الَّتِي أوردنا ، وَهُوَ قَول إِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَغَيره ، وَبِه نقُو ،ل وَبِاللهَّ تَعَالَى التَّوْفِيق" . انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١٤٤) .

وقال ابن تيمية : " الَّذِي فِي الصَّحيحين فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ: " إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثمَّ اسْحَقُونِي، ثمَّ ذروني فِي الْيَمِّ فَوَاللهَّ لَئِنْ قَدَرَ اللهُّ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ، فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ فَقَالَ اللهُّ لَهُ: مَا حَمَلَك عَلَى مَا فَعَلْت. قَالَ خَشْيَتُك: فَغَفَرَ لَهُ ". فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللهَّ وَفِي إعَادَتِهِ إذا ذُرِّيَ، بَلْ اعْتَقَدَ أَنَّه لَا يُعَادُ، وَهَذَا كُفْرٌ

بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ وَكَانَ مُؤْمِنًا يَخَافُ اللهَّ أَنْ يُعَاقِبَهُ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٣١) .

وقال الإمام ابن تيمية : " وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاس قَدْ يَنْشَأُ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ الَّذِي يَنْدَرِسُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ عُلُومِ النُّبُوَّاتِ حتَّى لَا يَبْقَى مَنْ يُبَلِّغُ مَا بَعَثَ اللهَّ بِهِ رَسُولَهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ فَلَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَبْعَثُ اللهَّ بِهِ رَسُولَهُ وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يُبَلِّغُهُ ذَلِكَ وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْفُرُ؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ الأئمَّة عَلَىٰ أَنَّ مَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أهل الْعِلْمِ والإيمان وَكَانَ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ فَأَنْكَرَ شيئاً مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فإنَّه لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حتَّى يَعْرِفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ" . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤٠٧) .

وقال الإمام ابن تيمية : " فَهَذَا الرجل اعْتقد أَن الله لَا يقدر علىٰ جمعه إذا فعل ذَلِك أَو شكّ وَأَنه لَا يَبْعَثهُ وكل من هذَين الاعتقادين كفر يكفر من قَامَت عَلَيْهِ الحجَّة لكنه كَانَ يجهل ذَلِك وَلم يبلغهُ الْعلم بِمَا يردهُ عَن جَهله وَكَانَ عِنْده إِيمَان بِاللهَّ وبأمره وَنَهْيه ووعده ووعيده فخاف من عِقَابه فغفر الله لَهُ بخشيته . فَمن أَخطَأ فِي بعض مسَائِل الِاعْتِقَاد من أهل الإيمان بِاللهَّ وبرسوله وباليوم الآخر وَالْعَمَل الصَّالح لم يكن أَسْوَأ حَالا من الرجل فَيغْفر الله خطأه أَو يعذبه إِن كَانَ مِنْهُ تَفْرِيط فِي اتِّبَاع الْحق علىٰ قدر دينه وَأما تَكْفِير شخص علم إيمَانه بِمُجَرَّد الْغَلَط فِي ذَلِك فعظيم" . انظر : الاستقامة (١/ ١٦٤-١٦٥) .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة : " الأصل الثاني: أنَّ العذاب يستحقّ بسببين، أحدهما: الإعراض عن الحجَّة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها. الثَّاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأوَّل كفر إعراض ، والثَّاني كفر عناد. وأمَّا كفر الجهل مع عدم قيام الحجَّة وعدم التَّمكُّن من معرفتها ، فهذا الذي نفىٰ الله التَّعذيب عنه حتَّىٰ تقوم حجَّة الرُّسل" . انظر : طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (ص٤١٤).

وقال الإمام القرطبي : " " وَلَيْسَ قَوْلُهُ:" أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" بِمُوجِبٍ أَنْ يَكْفُرَ الْإِنْسَانُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَكَمَا لَا يَكُونُ الْكَافِرُ مُؤْمِنًا إِلَّا بِاخْتِيَارِهِ الإيمان عَلَىٰ الْكُفْرِ، كَذَلِكَ لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَافِرًا مِنْ حَيْثُ لَا يَقْصِدُ إِلَىٰ الْكُفْرِ وَلَا يَخْتَارُهُ بِإِجْمَاعٍ" . انظر : الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٠٨) .

وقال الإمام الذَّهبي : "واعلم أنَّ كثيرًا من هذه الكبائر بل عامَّتها إلَّا الأقل يجهل خلقٌ كثيرٌ من الأُمَّة تحريمَه، وما بلغه الزَّجر فيه ولا الوعيد، فهذا الضّرب فيهم تفصيل، فينبغي للعالم ألَّا يستعجل علىٰ الجاهل، بل يَرفق به ويعلِّمه ممَّا علَّمه الله، ولا سيَّما إذا كان قريب العهد بجهالته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة... فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام، والكبائر واجتنابها، والواجبات وإتيانها؟ ... **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهَّ لَهُ نُوْرَاً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** [النور:٤٠] ، فلا يأثم أحد إلَّا بعد العلم ، وبعد قيام الحجَّة عليه، والله لطيف بعباده رؤوف بهم؛ قال تعالىٰ: **﴿وَمَا كُنَّا**

ما هو معلوم بالضَّرورة من دين الإسلام ممَّا أجمعوا عليه إجماعاً جليَّاً قطعيَّاً ، يعرفه كلُّ من المسلمين من غير نظر وتأمُّل ، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ ، ولم يخالف في ذلك إلَّا أهل البدع .

فان قلت: قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ**﴾ [النحل:١٠٦] الآية نزلت في المسلمين ، تكلَّموا بالكفر مكرهين عليه . قلت : هذا حقٌّ ، وهي حجَّة عليكم لا لكم ، فإنَّ الذين تكلَّموا به هو سبّ رسول الله ﷺ والتَّبرِّي من دينه ، وهذا كفر إجماعاً يعرفه كلُّ مسلم ، ومع هذا فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عذر من تكلَّم بهذا الكفر مُكرهاً ، ولم يؤاخذه ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالىٰ كفَّر من شرح بهذا الكفر صدرتً ، وهو من عرفه ورضيه واختاره علىٰ الإيمان غير جاهل به ، وهذا الكفر في الآية ممَّا أجمع عليه المسلمون ونقلوه في كُتبهم ، وكلّ من عدَّ المكفِّرات ذكره ، وأمَّا هذه الأمور التي تكفِّرون بها المسلمين ، فلم يسبقكم إلىٰ التَّكفير بها أحد من أهل العلم ، ولا عدُّوها في المكفِّرات ، بل ذكرها من ذكرها منهم في أنواع الشِّرك ، وبعضهم ذكرها في المحرَّمات ، ولم يقل أحد منهم أنَّ من فعله فهو كافر مرتدٌّ ، ولا احتجَّ عليه بهذه الآية كما احتججتم ، ولكن ليس هذا بأعجب من استدلالكم

مُعَذِّبِينَ حتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ، وقد كان سادة الصَّحابة بالحبشة، ويَنزل الواجب والتَّحريم علىٰ النَّبي ﷺ فلا يبلغهم إلَّا بعد أشهر، فهم في تلك الأمور معذورون بالجهل حتَّىٰ يبلغهم النَّص، وكذا يُعذر بالجهل كلّ من لم يعلَم حتَّىٰ يسمع النَّصَّ، والله تعالىٰ أعلم " . انظر : الكبائر (ص١٠١) .

وقال الإمام الشَّوكاني: " اعلم أنَّ الحكم علىٰ الرَّجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر، لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدِم عليه إلَّا ببرهان أوضحَ من شمس النَّهار؛ فإنَّه قد ثبت في الأحاديث الصَّحيحة المرويَّة من طريق جماعة من الصَّحابة أنَّ من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، وفي لفظ آخَر: «ومَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلَّا حار عليه»؛ أي رجع ، وفي لفظ في الصَّحيح : "فقد كفر أحدهما"، ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التَّسرُّع في التَّكفير وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً**﴾ [النحل: ١٠٦] ، فلا بدَّ من شرح الصَّدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النَّفس إليه ، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشَّر ، لا سيَّما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ، ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يُرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلىٰ ملَّة الكفر ، ولا اعتبار بلفظ تلفَّظ به المسلم يدلُّ علىٰ الكفر وهو لا يعتقد معناه " . انظر : السيل الجرار المتدفق علىٰ حدائق الأزهار (ص٩٧٨) .

بآيات نزلت في الذين **﴿إِذا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾** [الصافات:٣٥-٣٦] ، والذين يقال لهم : **﴿أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرى﴾** [الأنعام:١٩] ، والذين يقولون : **﴿اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ﴾** [الأنفال:٣٢] ، والذين يقولون : **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً وَاحِداً﴾** [ص:٥] ، ومع هذا تستدلُّون بهذه الآيات وتنزلونها على الذين يشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ، ويقولون : ما لله من شريك ، ويقولون : ما أحد يستحقُّ أن يُعبد مع الله ، فالذي يستدلُّ بهذه الآيات على من شهد له رسول الله ﷺ ، وأجمع المسلمون على إسلامه ما هو بعجيب لو استدلَّ بالآية على مذهبه ، فإن كنتم صادقين فاذكروا لنا من استدلَّ بهذه الآية على كفر من كفَّرتموه بخصوص الأفعال والأقوال التي تقولون أنَّها كفر ، ولكن والله مالكم مثل إلَّا عبد الملك بن مروان لَّما قال لابنه : ادع النَّاس إلى طاعتك ، فمن قال عنك برأسه فقل بالسَّيف على رأسه ، هكذا ، يعني : اقطعه ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فَصْلٌ: وهاهنا أصل آخر وهو أنَّ المسلم قد يجتمع فيه المادَّتان : الكفر والإسلام ، والكفر والنِّفاق ، والشِّرك والإيمان ، وأنَّها تجتمع فيه المادَّتان ولا يكفر كفراً ينقل عن الملَّة ، كما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، كما يأتي تفصيله وبيانه إن شاء الله ، ولم يخالف في ذلك إلَّا أهل البدع .

فَصْلٌ: اعلم أنَّ أوَّل فِرقة فارقت الجماعة : الخوارج الذين خرجوا في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ وأمر بقتلهم وقتالهم ، وقال : يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسلامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ " (٣٠) .

وقال فيهم : أنَّهم : " كِلاَبُ أهل النَّارِ" (٣١) .

---

(٣٠) أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٠ برقم ٣٦١١) .

(٣١) جاء وصف الخوارج بأنَّهم كلاب أهل النَّار في روايات عديدة أخرجها : ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ٣٠٩ برقم ٣٩٠٥٠) ، ابن ماجه (١/ ٦٢ برقم ١٧٦) ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٠ برقم ٣٤١) ، الآجري في الشريعة (١/ ٣٦٧ برقم ٥٩) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٨/ ٢٦٨ برقم ٨٠٣٦) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٥٦) ، الحميدي في المسند (٢/ ١٥٤ برقم ٩٣٢) .

وقال : أنَّهم : " يَقْتُلُونَ أهل الإسلام " (٣٢) .

وقال :" شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ" (٣٣) .

وقال : " يقرؤون القرآن يحسبونه لهم وهو عليهم» (٣٤) .

إلى غير ذلك مِمَّا صحَّ عن رسول الله ﷺ ، وهؤلاء خرجوا في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكفَّروا عليّاً وعثمان ومعاوية ومن معهم ، واستحلُّوا دماء المسلمين وأموالهم ، وجعلوا بلاد المسلمين بلاد حرب ، وبلادهم هي بلاد الإيمان . ويزعمون أنَّهم أهل القرآن ، ولا يقبلون من السُّنَّة إلَّا ما وافق مذهبهم ، ومن خالفهم وخرج عن ديارهم فهو كافر ، ويزعمون أنَّ عليّاً والصَّحابة رضي الله عنهم أشركوا بالله ، ولم يعملوا بما في القرآن، بل هم على زعمهم الذين عملوا به ، ويستدلُّون لمذهبهم بمتشابه القرآن ، ويُنزلون الآيات التي نزلت في المشركين المكّذبين في أهل الإسلام ، هذا وأكابر الصَّحابة عندهم ، ويدعونهم إلى الحقّ والى المناظرة ، وناظرهم ابن عبَّاس

---

(٣٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٧ برقم ٣٣٤٤) ، مسلم (٢/ ٧٤١ برقم ١٠٦٤) .

(٣٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٥٤٢ برقم ٢٢٢٠٨) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد من أجل أبي غالب البصري نزيل أصبهان، وقد توبع، وباقي رجاله ثقات. وكيع: هو ابن الجراح الرؤاسي الكوفي. وأخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٥٤٢) عن أبيه، بهذا الإسناد وأخرجه التِّرمذي (٣٠٠٠) من طريق وكيع، به. وقال: حديث حسن. وقرن بحماد بن سلمة الربيع بن صبيح. وأخرجه الطَّيالسي (١١٣٦) ، ومن طريقه البيهقي (٨/ ١٨٨) ، وأخرجه الطَّبراني في "الكبير" (٨٠٣٤) من طريق أحمد بن يحيى بن حميد الطويل وطالوت بن عباد، ثلاثتهم (الطيالسي وأحمد بن يحيى وطالوت) عن حماد بن سلمة، به. ورواية الطَّبراني أطول مما هنا، وليس في رواية الطَّيالسي تلاوة الآيتين. وقوله: ثمَّ قرأ: **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾** الآيتين: ظاهر هذه الرِّواية يحتمل أن يكون مرفوعاً إلى النَّبي ﷺ ، أو موقوفاً على أبي أمامة، لكن وقع في مواضع أخرى من هذا الوجه أنَّه مرفوع عن النَّبي ﷺ ، ولا يصح، فقد روي من طريق حسن عن أبي أمامة موقوفاً عند عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٥٤٥) ، وابن خزيمة في الجهاد كما في "إتحاف المهرة" (٦/ ٢٢٩) ، والحاكم (٢/ ١٤٩ و١٤٩-١٥٠) . وقد رجح وقفه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢/ ٧) .

(٣٤) لم أجده فيما بين يديَّ من كُتب السُّنَّة ...

رضي الله عنهما ، ورجع منهم إلىٰ الحق أربعة آلاف ، ومع هذه الأمور الهائلة والكفر الصَّريح الواضح وخروجهم عن المسلمين ، قال لهم عليٌّ رضي الله عنه : لا نبدؤكم بقتال ، ولا نمنعكم عن مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم من الفيء مادامت أيديكم معنا .

ثمَّ إنَّ الخوارج اعتزلوا وبدؤوا المسلمين الإمام ومن معه بالقتال ، فثار عليهم عليٌّ رضى الله عنه ، وجرىٰ علىٰ المسلمين منهم أمور هائلة يطول وصفها ، ومع هذا كلِّه لم تُكفِّرهم الصَّحابة ، ولا التَّابعون ، ولا أئمَّة الإسلام (٣٥) ، ولا قال لهم عليٌّ ولا غيره من الصَّحابة : قامت عليكم الحجَّة ، وبينَّا لكم الحقّ .

---

(٣٥) كفَّر إمامُ الوهَّابيَّة عبدالله ابن الشَّيْخ الخوارج ، وأفتىٰ بأنَّهم خارجون عن الدِّين . انظر: الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١٠/ ١٧٧) .

مع أنَّ الرَّاجح من أقوال العلماء أنَّ الخوارج ليسوا كفَّاراً ، فقد جاء في مصنَّف الصَّنعاني : " أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرزَّاق ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَمَّنْ سَمِعَ الْحَسَنَ ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْحَرُورِيَّةَ ، قَالُوا : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكُفَّارٌ هُمْ ؟ قَالَ : مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا ، قِيلَ : فَمُنَافِقُونَ ؟ قَالَ : إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً ، وَهَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللهَ كَثِيراً ، قِيلَ : فَمَا هُمْ ؟ قَالَ : قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ فِتْنَةٌ ، فَعَمُوا فِيهَا وَصُمُّوا" . أخرجه عبد الرزَّاق في المصنَّف (١٠/ ١٥٠ برقم ١٨٦٥٦) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي : " قَالَ أَبُو حَامِدٍ – الإسفراييني – ومتابعوه ... والخوارج ليسوا بكفَّار" . انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٤/ ٢٥٤) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي : " وَذَهَبَ أَكْثَرُ أهل الْأُصُولِ مِنْ أهل السُّنَّة إِلَىٰ أَنَّ الْخَوَارِجَ فُسَّاقٌ ، وَأَنَّ حُكْمَ الْإِسْلَام يَجْرِي عَلَيْهِمْ لِتَلَفُّظِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَمُوَاظَبَتِهِمْ عَلَىٰ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وإنَّما فُسِّقُوا بِتكْفِيرِهِمُ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَنِدِينَ إِلَىٰ تَأْوِيلٍ فَاسِدٍ ، وَجَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ اسْتِبَاحَةِ دِمَاءِ مُخَالِفِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ : أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ ضَلَالَتِهِمْ فِرْقَةٌ مِنْ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَجَازُوا مُنَاكَحَتَهُمْ ، وَأَكْلَ ذَبَائِحِهِمْ ، وأنَّهم لَا يُكَفَّرُونَ مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ عِيَاضٌ كَادَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ تَكُونُ أَشَدَّ إِشْكَالاً عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ غَيْرِهَا ، حَتَّىٰ سَأَلَ الْفَقِيهُ عَبْدُ الْحَقِّ الْإِمَامَ أَبَا الْمَعَالِي عَنْهَا فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ إِدْخَالَ كَافِرٍ فِي الْمِلَّةِ وَإِخْرَاجَ مُسْلِمٍ عَنْهَا عَظِيمٌ فِي الدِّين ، قَالَ : وَقَدْ تَوَقَّفَ قَبْلَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ ، وَقَالَ : لَمْ يُصَرِّحِ الْقَوْمُ بِالْكُفْرِ ، وإنَّما قَالُوا أَقْوَالاً تُؤَدِّي إِلَىٰ الْكُفْرِ.

قال الشَّيخ تقي الدِّين : لم يكفِّرهم عليٌّ ولا أحد من الصَّحابة ، ولا أحد من أئمَّة أهل الإسلام . انتهىٰ .

فانظر رحمك الله إلىٰ طريقة أصحاب رسول الله ﷺ في الإحجام عن تكفير من يدَّعي الإسلام ، هذا وهم الصَّحابة رضي الله عنهم الذين يروون الأحاديث عن رسول الله ﷺ فيهم .

قال الإمام أحمد : صحَّت الأحاديث عن رسول الله ﷺ من عشرة أوجه، قال أهل العلم : كلُّها خرَّجها مسلم في صحيحه ، فانظر إلىٰ هدي أصحاب رسول الله ﷺ وأئمَّة المسلمين، لعلَّ الله يهديك إلىٰ اتِّباع سبيل المؤمنين ، وينبِّهك من هذه البليَّة التي تزعمون الآن أنَّها السُّنَّة ، وهي والله طريقة القوم لا طريقة علي ومن معه ، رزقنا الله اتِّباع آثارهم .

فان قلت: عليٌّ نفسه قتل الغالية بل حرقهم بالنَّار (٣٦) ، وهم مجتهدون ، والصَّحابة قاتلوا أهل الردَّة . قلت : هذا كلُّه حقٌّ ، فأمَّا الغالية فهم مشركون زنادقة أظهروا الإسلام تلبيسًا حتَّىٰ أظهروا

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالزَّنْدَقَةِ : وَالَّذِي يَنْبَغِي الِاحْتِرَازُ عَنِ التَّكْفِيرِ مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ دِمَاءِ الْمُصَلِّينَ الْمُقِرِّينَ بِالتَّوْحِيدِ خطأٌ وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَإِ فِي سَفْكِ دَمٍ لِمُسْلِمٍ وَاحِدٍ . وَمِمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْهُمْ : قَوْلُهُ فِي ثَالِثِ أَحَادِيثِ الْبَابِ بَعْدَ وَصْفِهِمْ بِالْمُرُوقِ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ ، إِلَى أَنْ قَالَ :فَيَتَمَارَىٰ فِي الْفُوقَةِ هَلْ علق بهَا شَيْء . قَالَ ابن بَطَّالٍ : ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ غَيْرُ خَارِجِينَ عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ : يَتَمَارَىٰ فِي الْفُوقِ ، لِأَنَّ التَّمَارِي مِنَ الشَّكِّ ، وَإِذْ وَقَعَ الشَّكُّ فِي ذَلِكَ لَمْ يُقْطَعْ عَلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ بِيَقِينٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا بِيَقِينٍ ... " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٣٠٠) .

(٣٦) من المعلوم أنَّ علياً رضي الله عنه حرَّق بعض الذين ادَّعوا أُلوهيَّته ، وقد استتابهم حتَّىٰ يرجعوا عن غيِّهم وغلوِّهم وإفراطهم ، فأمر بحفر حفرة أضرمت فيها النَّار ثمَّ جعلهم فيها ، ولمَّا بلغ ذلك ابنَ عبَّاس أنكر عليه الحرق للنَّهي عنه ، ولم يُنكر عليه قتلهم ، لأنَّ حكم المرتدّ القتل...

وقصةَ تحريق علي رضي الله عنه لهم قد رواها البخاري في صحيحه في موضعين:

فقد روى البخاري (٤/ ٦١ برقم ٣٠١٧) بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَرَّقَ قَوْمًا، فَبَلَغَ ابْنَ عبَّاس فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لِأَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ» ، وَلَقَتَلْتُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِي ﷺ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» .

وروى البخاري أيضاً (٩/ ١٥ برقم ٦٩٢٢) بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ» وَلَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ» .

والحديث رواه أبو داود في السُّنن (٤/ ١٢٦ برقم ٤٣٥١) بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا، عَلَيْهِ السَّلَام أَحْرَقَ نَاسًا ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَمْ أَكُنْ لِأُحْرِقَهُمْ بِالنَّارِ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ»، وَكُنْتُ قَاتِلَهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ: وَيْحَ ابْنِ عبَّاس .

ورواه التِّرمذي (٣/ ١١١ برقم ١٤٥٨) بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّ عَلِيًّا حَرَّقَ قَوْمًا ارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَقَتَلْتُهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ. وَلَمْ أَكُنْ لأُحَرِّقَهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ : لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَقَالَ: صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أهل العِلْمِ فِي الْمُرْتَدِّ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَرْأَةِ إِذا ارْتَدَّتْ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أهل العِلْمِ: تُقْتَلُ، وَهُوَ قَوْلُ الأَوْزَاعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: تُحْبَسُ وَلاَ تُقْتَلُ، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوري، وَغَيْرِهِ مِنْ أهل الكُوفَةِ" .

وقد تكفَّل الحافظ ابن حجر العسقلاني في دفع شُبه من تكلَّم في عكرمة مولى ابن عبَّاس ... قال ابن حجر في " فتح الباري" (١/ ٤٢٥) : ... فَأَمَّا الْبِدْعَة فَإِن ثبتَتْ عَلَيْهِ فَلَا تضرّ حَدِيثه لِأَنَّهُ لم يكن دَاعِيَة مَعَ أَنَّهَا لم تثبت عَلَيْهِ" .

وذكر الحافظ في " فتح الباري" (١٢/ ٢٧٠) قصَّة تحريق علي رضي الله عنه لهم ، فقال : وَزَعَمَ أَبُو الْمُظَفَّرِ الْإِسْفَرَايِينِيُّ فِي الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ أَنَّ الَّذِينَ أَحْرَقَهُمْ عَلِيٌّ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّوَافِضِ ادَّعَوْا فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ، وَهُمُ السَّبَائِيَّةُ ، وَكَانَ كَبِيرُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبَأٍ يَهُودِيًّا ثمَّ أَظْهَرَ الإسلام وَابْتَدَعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ مَا رُوِّينَاهُ فِي الْجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَاهِرٍ الْمُخَلِّصِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَرِيكٍ الْعَامِرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قِيلَ لِعَلِيٍّ : إِنَّ هُنَا قَوْمًا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَدَّعُونَ أَنَّكَ رَبُّهُمْ ، فَدَعَاهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَيْلَكُمْ ، مَا تَقُولُونَ !!! قَالُوا : أَنْتَ رَبُّنَا ، وَخَالِقُنَا ، وَرَازِقُنَا ، فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ، انَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكُمْ ، آكُلُ الطَّعَامَ كَمَا تَأْكُلُونَ ، وَأَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُونَ ، إِنْ أَطَعْتُ اللهَ أَثَابَنِي إِنْ شَاءَ ، وَإِنْ عَصَيْتُهُ خَشِيتُ أَنْ يُعَذِّبَنِي ، فَاتَّقُوا اللهَ وَارْجِعُوا ، فَأَبَوْا ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَوْا عَلَيْهِ ، فَجَاءَ قَنْبَرٌ ، فَقَال : قَدْ

وَاللهَّ رَجَعُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ الْكَلَامَ ، فَقَالَ : أَدْخِلْهُمْ ، فَقَالُوا كَذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ الثَّالِثُ ، قَالَ : لَئِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ لَأَقْتُلَنَّكُمْ بِأَخْبَثِ قِتْلَةٍ ، فَأَبَوْا إِلَّا ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا قَنْبَرُ ائْتِنِي بِفَعْلَةٍ مَعَهُمْ مرورهم ، فَخُدَّ لَهُمْ أُخْدُودًا بَيْنَ بَابِ الْمَسْجِدِ وَالْقَصْرِ ، وَقَالَ : احْفِرُوا فَأَبْعِدُوا فِي الأرض ، وَجَاءَ بِالْحَطَبِ فَطَرَحَهُ بِالنَّارِ فِي الْأُخْدُودِ ، وَقَالَ : إِنِّي طَارِحُكُمْ فِيهَا أَوْ تَرْجِعُوا ، فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا فَقَذَفَ بِهِمْ فِيهَا حَتَّىٰ إذا احْتَرَقُوا ، قَالَ : إِنِّي إذا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا أَوْقَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا ، وَهَذَا سَنَدٌ حَسَنٌ " .

وروىٰ ابن الأعرابي في " المعجم" (١/ ٥٦ برقم ٦٧) بسنده عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: " جَاءَ نَاسٌ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الشِّيعَةِ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ هُوَ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالُوا: أَنْتَ هُوَ قَالَ: «وَيْلَكُمْ مَنْ أَنَا؟»، قَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا أَنْتَ رَبُّنَا قَالَ: «ارْجِعُوا»، فَأَبَوْا فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ثمَّ خَدَّ لَهُمْ فِي الأرض ثمَّ قَالَ: يَا قَنْبَرُ ائْتِنِي بِحُزَمِ الْحَطَبِ فَأَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ ثمَّ قَالَ:

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الأمر أَمْرًا مُنْكَرًا أَوْقَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا " .

روىٰ الطَّبراني في " الأوسط " (٧/ ١٤٠ برقم ٧١٠١) عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، أَنَّ عَلِيًّا، بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا بِالْبَصْرَةِ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ فأمالَ عَلَيْهِمُ الطَّعَامَ جُمُعَتَيْنِ، ثمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا، فَحَفَرَ عَلَيْهِمْ حُفْرَةً، ثمَّ قَامَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «لَأَمْلَأَنَّكِ شَحْمًا وَلَحْمًا» ، ثمَّ أَتَىٰ بِهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، وَأَلْقَاهُمْ فِي الْحُفْرَةِ، ثمَّ أَلْقَىٰ عَلَيْهِمُ الْحَطَبَ فَأَحْرَقَهُمْ، ثمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُّ وَرَسُولُهُ» . قَالَ سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ: فَلَمَّا انْصَرَفَ اتَّبَعْتُهُ، فَقُلْتُ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: صَدَقَ اللهُّ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّ حَوَالَيَّ قَوْمًا جُهَّالًا، وَلَكِنْ إذا سَمِعْتَنِي أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ، فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهَّ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ» . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " (٦/ ٢٦٢ برقم ١٠٥٧٩) : " رَوَاهُ الطَّبراني فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ الْحَسَنُ بْنُ زِيَادٍ اللُّؤْلُؤِيُّ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ" .

وجاء في السُّنَّة ما يؤكِّد أنَّ عليّاً رضي الله عنه كرَّر عقابه بالتَّعذيب بالنَّار لغير هؤلاء ... فقد روىٰ أحمد وغيره بسندهم عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عَلِيًّا، أُتِيَ بِأُنَاسٍ مِنَ الزُّطِّ يَعْبُدُونَ وَثَنًا، فَأَحْرَقَهُمْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: انَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ". أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١١٩ برقم ٢٩٦٦) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. عبد الصمد: هو ابن عبد الوارث، وهشام بن أبي عبد الله: هو الدستُوائي. وأخرجه النَّسائي (٧/ ١٠٥) ، وأبو يعلىٰ (٢٥٣٣) ، وابن حبَّان (٤٤٧٥) ، والطَّبراني (١٠٦٣٨) ، والبيهقي (٨/ ٢٠٢ و٢٠٤-٢٠٥) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، بهذا الإسناد. وانظر ما تقدم برقم (١٨٧١) .

الزُّط، قال السندي: بضم فتشديد: جنس من السودان والهنود. وقوله: "من بدَّل دينه"، عام عند الجمهور يشمل الذكر والأنثىٰ، وخصه الحنفية بالذكَر، وقد جاء في حديث معاذ: أن النَّبي ﷺ لَمَّا أرسله إلىٰ اليمن قال له: "أيما رجل

ارتدَّ عن الإسلام، فادعُه، فإن عاد، وإلا فاضرب عنقه، وأيما امرأةٍ ارتدت عن الإسلام، فادعها، فإن عادت، وإلا فاضرب عنقها". وسنده حسن، قاله الحافظ في "الفتح " (١٢/ ٢٨٤) ، وهو نص في موضع النزاع، فيجب المصير إليه" .

والخبر حكم الحافظ ابن حجر عليه هذا ا بالانقطاع ، فقال: " سَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ ، فَإِنْ ثَبَتَ حُمِلَ عَلَىٰ قِصَّةٍ آخرىٰ ، فقد أخرج بن أَبِي شَيْبَةَ أيضاً مِنْ طَرِيقِ أَيُّوبَ بْنِ النُّعْمَانِ شَهِدْتُ عَلِيًّا فِي الرَّحْبَةِ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : إِنَّ هُنَا أهل بَيْتٍ لَهُمْ وَثَنٌ فِي دَارٍ يَعْبُدُونَهُ ، فَقَامَ يَمْشِي إِلَى الدَّارِ ، فَأَخْرَجُوا إليه بِمِثَالِ رَجُلٍ ، قَالَ : فَأَلْهَبَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ الدَّارَ" .

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٥/ ٦) : " روىٰ أبو العبَّاس ، عن مُحَمَّد بن سليمان بن حبيب المصيصىٰ ، عن علي بن مُحَمَّد النَّوفلي ، عن أبيه ومشيخته ، أنَّ علياً مرَّ بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهاراً ، فقال : أسفر أم مرضى ؟ قالوا : ولا واحدة منهما ، قال : أفمِن أهل الكتاب أنتم ؟ قالوا : لا ، قال : فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً ! قالوا : أنت أنت ! لم يزيدوه علىٰ ذلك ، ففهم مرادهم ، فنزل عن فرسه ، فالصق خدَّه بالتُّراب ، ثمَّ قال : ويلكم ، انَّما أنا عبد من عبيد الله ، فاتَّقوا الله ، وارجعوا إلىٰ الإسلام ، فأبوا ، فدعاهم مراراً ، فأقاموا علىٰ أمرهم ، فنهض عنهم ، ثمَّ قال : شدّوهم وثاقاً ، وعليَّ بالفعلة والنَّار والحطب ، ثمَّ أمر بحفر بئرين ، فحُفرتا ، فجعل أحداهما سربًا والآخر مكشوفة ، وألقىٰ الحطب في المكشوفة ، وفتح بينهما فتحًا ، وألقىٰ النَّار في الحطب ، فدخّن عليهم ، وجعل يهتف بهم ، ويناشدهم : ارجعوا إلىٰ الإسلام ، فأبوا ، فأمر بالحطب والنَّار ، وألقىٰ عليهم ، فاحترقوا ، فقال الشَّاعر :

لترم بي المنيَّة حيث شاءت ... إذا لم ترم بي في الحفرتين
إذا ما حشتا حطباً بنـــــــار ... فذاك الموت نقـــــــداً غير دين

قال : فلم يبرح واقفاً عليهم حتَّىٰ صاروا حمماً " .

ومن المعلوم أنَّ من شذَّ في هذا الباب كان لعبد الله بن سبأ اليهودي السَّبب الأكبر فيه ، فإنَّه ما فتئ يبثُّ سمومه وفِتَنَه ومصائبه للنَّيل من الإسلام ... فتلقَّفها الهمج الرِّعاع الجهَّال والأفاكون والمتستِّرون بالإسلام بالسِّرِّ من الملاحدة والمنافقين والشُّعوبيِّين ... فطاروا بها في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها ... بلا كللٍ ولا ملل ...فاستتابهم عليٌّ رضي الله عنه غير مرَّة...

قال القاضى عبد الجبار الهمذاني في " تثبيت دلائل النُّبوَّة" (٢/ ٥٤٩-٥٥٠) : " واستتابهم أميرُ المؤمنين فما تابوا فأحرقهم، وكانوا نفيراً يسيراً، ونفىٰ عبد الله بن سبأ عن الكوفة إلىٰ المدائن، فلمَّا قُتل أمير المؤمنين عليه السَّلام قيل لابن سبأ : قد قُتل ومات ودفن ، فأين ما كنت تقول من مصيره إلىٰ الشَّام؟ فقال: سمعته يقول: لا أموت حتَّىٰ

الكفر ظهور جليّاً لا لُبس فيه على أحد ، وذلك أنَّ عليّاً رضي الله عنه لَّما خرج عليهم من باب كندة سجدوا له ، فقال لهم : ما هذا ؟!! قالوا له : أنت الله !! فقال لهم : أنا عبدٌ من عباد الله ، قالوا : بل أنت هو الله ، فاستتابهم وعرضهم على السَّيف ، فأبوا أن يتوبوا ، فأمر بخدِّ الأخاديد في الأرض ، وأضرم فيها النَّار ، وعرضهم عليها ، وقال لهم : إن لم تتوبوا قذفتكم فيها ، فأبوا أن يتوبوا ، بل يقولون له : أنت الله ، فقذفهم في النَّار ، فلمّا أحسُّوا بالنَّار تحرقهم ، قالوا : الآن تحقّقنا أنّك أنت الله ، لأنَّ ما يعذِّب بالنَّار إلَّا الله. فهذه قصَّة الزَّنادقة الذين حرقهم عليٌّ رضي الله عنه ، ذكرها العلماء في كُتُبهم ، فإن رأيتم من يقول لمخلوق هذا هو الله فحرِّقوه ، وإلَّا فاتَّقوا الله ، ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل ، وتقيسوا الكافرين على المسلمين بأرائكم الفاسدة ومفاهيمكم الواهية.

فَصْلٌ: وأمَّا قتال الصدِّيق والصَّحابة رضي الله عنهم أهل الردَّة ، فاعلم أنَّه لَّما توفِّي رسول الله ﷺ لم يبق على الإسلام إلَّا أهل المدينة وأهل مكَّة والطَّائف وجواثا - قرية من قرى البحرين - ، وأخبار الردَّة طويلة تحتمل مجلَّداً ، ولكن نذكر بعضاً من ذلك من كلام أهل العلم ، ليتبيَّن لكم ما أنتم عليه، وأنَّ استدلالكم بقصَّة أهل الردَّة كاستدلالكم الأوَّل .

قال الإمام أبو سليمان الخطَّابي رحمه الله : ممَّا يجب أن يعلم أنَّ أهل الردَّة كانوا أصنافاً : صنف ارتدُّوا عن الإسلام ، ونبذوا الملَّة ، وعادوا إلى الكفر الذي كانوا عليه من عبادة الأوثان ، وصنف ارتدُّوا عن الإسلام ، وتابعوا مسيلمة ، وهم بنو حنيفة وقبائل غيرهم صدَّقوا مسيلمة ووافقوه على

أركل برجلي من رحاب الكوفة فأستخرج منها السِّلاح وأصير إلى دمشق، فأهدم مسجدها حجراً حجراً !!! وأفعل وأفعل !!! فلو جئتمونا بدماغه مسروداً لما صَّدقنا أنَّه قد مات. ولما افتُضح بهت، وادَّعى على أمير المؤمنين ما لم يقله.

والشِّيعة الذين يقولون بقوله الآن بالكوفة كثير، وفي سوادها وفي العراق كلِّه يقولون: أمير المؤمنين كان راضياً بقوله، وبقول الذين حرقهم، وانَّما أحرقهم لأنَّهم أظهروا السِّرَّ، ثمَّ أحياهم بعد ذاك. قالوا: وإلَّا فقولوا لنا لمَ لمْ يحرّق عبد الله بن سبأ؟

قلنا: عبد الله ما أقرَّ عنده بما أقرَّ أولئك، وانَّما اتَّهمه فنفاه، ولو حرقه لما نفع ذلك معكم شيئاً، ولقلتم انَّما حرقه لأنَّه أظهر السِّرَّ" .

دعواه النُّبوَّة ، وصنف ارتدُّوا ووافقوا الأسود العنسي وما ادَّعاه من النُّبوَّة باليمن ، وصنف - صدَّقوا طليحة الأسدي وما ادَّعاه من النُّبوَّة ، وهم غطفان وفزارة ومن والاهم ، وصنف صدَّقوا سجاح ، فهؤلاء كلُّهم مرتدُّون منكرون لنبوَّة نبيِّنا ﷺ ، تاركون للزَّكاة والصَّلاة وسائر شرائع الإسلام ، ولم يبق من يسجد لله في بسيط الأرض إلَّا مسجد المدينة ومكَّة وجواثا - قرية في البحرين - ، وصنف آخر وهم الذين فرَّقوا بين الصَّلاة والزَّكاة ووجوب أدائها إلى الإمام ، وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي ، وانَّما لم يدعوا هذا الاسم في ذلك الزَّمان خصوصاً دخولهم في غمار أهل الردَّة ، فأضيف الاسم إلى الردَّة ، إذ كانت أعظم الأمرين وأهمها ، وأرخ قتال أهل البغي من زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إذ كانوا منفردين في زمانه لم يختلطوا بأهل الشِّرك ، وفي أمر هؤلاء عرضوا الخلاف ، ووقعت الشُّبهة لعمر رضي الله تعالى عنه حين راجع أبا بكر وناظره ، واحتجَّ بقوله ﷺ:" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ ... " إلى أن قال رحمه الله : وقد بينَّا أنَّ أهل الردَّة كانوا أصنافاً ، منهم من ارتدَّ عن الملَّة ودعى إلى نبوَّة مسيلمة وغيره ، ومنهم من أنكر الشَّرائع كلَّها ، وهؤلاء هم الذين سمَّتهم الصَّحابة رضي الله عنهم كفَّاراً .

وكذلك رأى أبو بكر سبي ذراريهم ، وساعده على ذلك أكثر الصَّحابة ، ثمَّ لم ينقض عصر الصَّحابة حتَّى أجمعوا على أنَّ المرتدَّ لا يسبى ، فأمَّا مانعو الزَّكاة منهم ، المقيمون على أصل الدِّين فإنَّهم أهل بغي ، ولم يسمَّون أهل شرك ، أو هم كفَّار ، وإن كانت الردَّة أُضيفت إليهم لمشاركتهم للمرتدِّين في بعض ما منعوه من حقِّ الدِّين ، وذلك أنَّ الردَّة اسم لغوي ، وكلُّ من انصرف عن أمر كان مُقبلاً عليه فقد ارتدَّ عنه ، وقد وُجد من هؤلاء القوم الانصراف عن الطَّاعة ومنع الحقّ ، وانقطع عنهم اسم الثَّناء والمدح ، وعلق عليهم الاسم القبيح لمشاركتهم القوم الذين كانوا ارتدُّوا حقَّاً ، إلى أن قال : فإن قيل : وهل إذا أنكرت طائفة في زماننا فرض الزَّكاة وامتنعوا من أدائها يكون حُكمهم حُكم أهل البغي ؟ قلنا لا ، فإنَّ من أنكر فرض الزَّكاة في هذه الأزمان كان كافراً ، بإجماع المسلمين على وجوب الزَّكاة ، فقد عرفه الخاصُّ والعامُّ ، واشترك فيه العالم والجاهل ، فلا يُعذر

منكره ، وكذلك الأمر في كلِّ من أنكر شيئاً ممَّا اجتمعت عليه الأُمَّة من أمور الدِّين ، إذا كان علمه منتشراً كالصَّلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، والاغتسال من الجنابة ، وتحريم الرِّبا ، والخمر ، ونكاح المحارم ، ونحوها من الأحكام ، إلَّا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ، ولا يَعرفُ حدوده ، فإنَّه إن أنكر شيئاً منها جاهلاً به لم يكفر ، وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء الاسم عليه .

فأمَّا ما كان الإجماع معلوماً فيه من طريق علم الخاصَّة ، كتحريم نكاح المرأة على عمَّتها وخالتها ، وأنَّ القاتل عمدًا لا يرث ، وأنَّ للجدِّ السُّدس ، وما أشبه ذلك من الأحكام ، فإنَّ من أنكرها لا يكفر ، بل يُعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامَّة . انتهى كلام الخطَّابي (٣٧) .

وقال صاحب المُفهم : قال ابنُ إسحاق: لَمَّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ارتدَّتِ العربُ إلاَّ ثلاثةَ مساجدَ: مسجدَ المدينةِ، ومسجدَ مَكَّةَ، ومسجدَ جُؤاثَا " انتهى(٣٨) .

فهذا شيء ممَّا ذكره بعضُ أهل العلم في أخبار الردَّة وتفاصيلها يطول ، ولكن قد تقدَّم أنَّ مثلكم أو من هو أجلّ منكم لا يجوز له الاستنباط ولا القياس ، ولا يجوز لأحد أن يقلّده ، بل يجب على من لم يبلغ رتبة المجتهدين أن يقلِّدهم ، وذلك بالإجماع ، ولكن ليكن عندكم معلوماً أنَّ من خرج عن طاعة أبي بكر الصدِّيق في زمانه فقد خرج عن الإجماع القطعي ، لأنَّه ومن معه هم أهل العلم وأهل الإسلام وهم المهاجرون والأنصار الذين أثني الله عليهم في كتابه ، وإمامة أبي بكر إمامةٌ حقَّةٌ ، جميع شروط الأُمَّة مجتمعة فيه ، فإن كان اليوم فيكم مثل أبي بكر والمهاجرين والأنصار والأمَّة مجتمعة على إمامة واحد منكم فقيسوا أنفسكم بهم ، وإلَّا فبالله عليكم استحيوا من الله ومن خلقه ، واعرفوا قدْر أنفسكم ، فرحم الله من عرف قدْر نفسه وأنزلها منزلتها ، وكف شرَّه عن المسلمين ، واتَّبع سبيل المؤمنين ، قال الله تعالى : **﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾** [النساء:١١٥] .

---

(٣٧) انظر : معالم السُّنن (٢/ ٩) .

(٣٨) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ١٨٥) .

فَصْلٌ: لما تقدَّم الكلام على الخوارج وذكر مذهب الصَّحابة وأهل السُّنَّة فيهم وأنَّهم لم يكفِّروهم كُفراً يُخرُج من الإسلام مع ما فيهم بأنَّهم كلاب أهل النَّار ، وأنَّهم يمرقون من الإسلام ، ومع هذا كلِّه لم تكفِّرهم الصَّحابة ، لأنَّهم منتسبون إلى الإسلام الظَّاهر ، وإن كانوا مخلِّين بكثير منه لنوع تأويل ، وأنتم اليوم تكفِّرون من ليس فيه خصلة واحدة ممَّا في أولئك ، بل الذين تكفِّرونهم اليوم وتستحلُّون دماءهم وأموالهم عقائدهم عقائد أهل السُّنَّة والجماعة الفرقة النَّاجية ، جعلنا الله منهم .

ثمَّ خرجت بدعة القدريَّة ، وذلك في آخر زمن الصَّحابة ، وذلك أنَّ القدريَّة فرقتان : فرقة أنكرت القدر رأساً ، وقالوا : أنَّ الله لم يقدِّر المعاصي على أهلها ، ولا هو يقدر على ذلك ، ولا يهدي الضَّالَّ ، ولا هو يقدر على ذلك ، والمسلم عندهم هو الذي جعل نفسه مسلماً ، وهو الذي جعل نفسه مصلِّياً ، وكذلك سائر الطَّاعات والمعاصي ، بل العبد هو الذي خلقها بنفسه ، وجعلوا العبد خالقاً مع الله ، والله سبحانه عندهم لا يقدر يهدي أحداً ، ولا يقدر يضلّ أحداً ، إلى غير ذلك من أقوالهم الكفريَّة ، تعالى الله عمَّا يقول أشباه المجوس علوَّاً كبيراً .

الفرقة الثَّانية من القدريَّة من قبيل هؤلاء ، زعمت أنَّ الله جبر الخلق على ما عملوا ، وأنَّ الكفر والمعاصي في الخلق كالبياض والسَّواد في خلق الآدمي ، ما للمخلوق في ذلك صنع ، بل جميع المعاصي عندهم تُضاف لله ، وإمامهم في ذلك إبليس حيث قال : **﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾** [الأعراف:١٦] ، وكذلك المشركون الذين قالوا : **﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾** [الأنعام:١٤٨] ، إلى غير ذلك من قبائحهم وكفريَّاتهم التي ذكرها عنهم أهل العلم في كُتبهم ، كالشَّيخ تقي الدِّين وابن القيِّم ، ومع هذا الكفر العظيم والضَّلالة خرج أوائل هؤلاء في زمن الصَّحابة رضي الله عنهم ، كابن عمر وابن عبَّاس وأجلَّاء التَّابعين ، وقاموا في وجوه هؤلاء ، وبيَّنوا لهم ضلالهم من الكتاب والسُّنَّة ، وتبرَّأ منهم من عندهم من الصَّحابة رضي الله عنهم ، وكذلك التَّابعون ، وصاحوا بهم من كلِّ فجٍّ ، ومع هذا الكفر العظيم الهائل ، لم تكفِّرهم الصَّحابة ، ولا من بعدهم من أئمَّة أهل الإسلام ، ولا أوجبوا قتلهم ، ولا أجروا عليهم أحكام أهل الردَّة ، ولا قالوا : قد كفرتم حيث خالفتمونا ، لأنَّا لا نتكلَّم إلَّا بالحقِّ ، وقد قامت عليكم الحجَّة ببياننا لكم كما قلتم أنتم هذا .

ومن الرادِّ عليهم والمبين ضلالهم : الصَّحابة والتَّابعون الذين لا يقولون إلَّا حقَّاً ، بل كبير هؤلاء من أئمَّة دعاتهم قتله الأمراء ، وذكر أهل العلم أنَّه قتل حدَّاً ، كدفع الصَّائل خوفاً من ضرره ، وبعد قتله غسِّل وصلِّي عليه ، ودفن في مقابر المسلمين ، كما يأتي إن شاء الله ذكره في كلام الشَّيخ تقي الدِّين.

فَصْلٌ: الفِرْقة الثَّالثة من أهل البدع : المعتزلة (٣٩) الذين خرجوا في زمن التَّابعين ، وأتوا من الأقوال والأفعال الكفريَّات ما هو مشهور ، منها :

---

(٣٩) المعتزلة فرقة من الفِرق الإسلاميَّة التي نشأت في أواخر العصر الأموي وتطوَّرت وازدهرت خلال العصر العبَّاسي ، وقد تضاربت الأقوال في السَّبب الذي أدَّىٰ لنشأتها ... وقد غلبت عليهم النَّزعة العقليَّة ، حيث اعتمدوا علىٰ العقل فقدَّموه علىٰ النَّقل ... وقد ذهب الجمهور علىٰ اعتبارهم من جملة المسلمين...

فالإمام الغزالي كان يعتبرهم من أهل الإجتهاد في الدِّين ، وكلُّ مجتهد مأجور ، ومنع من تكفيرهم ، وفي ذلك يقول أثناء ردِّه علىٰ الفلاسفة :" ... فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ، ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك . وقد ذكرنا في كتاب " فيصل التَّفرقة بين الإسلام والزَّندقة " ما يتبيَّن به فساد رأي من يتسارع إلىٰ التَّكفير في كل ما يخالف مذهبه " . انظر : المنقذ من الضلال (ص١٥٠) .

وقال الإمام أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيىٰ بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) : " وَقَالَ الْقَفَّالُ وَكَثِيرُونَ مِنْ الْأَصْحَابِ : يَجُوزُ الِاقْتِدَاءُ بِمَنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ أهل الْبِدَعِ . قَالَ صَاحِبُ الْعُدَّةِ : هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ ، (قُلْتُ) : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، فقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ الله : أَقْبَلُ شَهَادَةَ أهل الْأَهْوَاءِ إلَّا الْخَطَّابِيَّةَ ، لأنَّهم يَرَوْنَ الشَّهَادَةَ بِالزُّورِ لِمُوَافِقِيهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ يَرَوْنَ الصَّلاة وَرَاءَ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَنَحْوِهِمْ ، وَمُنَاكَحَتَهُمْ ، وَمُوَارَثَتُهُمْ ، وَإِجْرَاءَ سَائِرِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ تَأَوَّلَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُحَقِّقِينَ مَا نُقِلَ عَنْ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ تَكْفِيرِ الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ كُفْرَانُ النِّعمة لا كفران الْخُرُوجِ عَنْ الْمِلَّةِ ، وَحَمَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا التَّأويل مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ إجْرَاءِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ . قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : أَجَازَ الشَّافِعِيُّ الصَّلاة خَلْفَ مَنْ أَقَامَهَا يَعْنِي مِنْ أهل الْبِدَعِ ، وَإِنْ كان غير محمود في دينه أن حاله أَبْلَغُ فِي مُخَالَفَةِ حَدِّ الدِّين هَذَا لَفْظُهُ ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : إنْ كَفَرَ بِبِدْعَةٍ لَمْ تَجُزْ الصَّلاة وَرَاءَهُ وَإِلَّا فَتَجُوزُ وَغَيْرُهُ أَوْلَى " . انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) (٤/ ٢٥٤) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الفتح مُحَمَّد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد (٧٠٢هـ) : " وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي التَّكْفِيرِ وَسَبَبِهِ ، حَتَّى صُنِّفَ فِيهِ مُفْرَدًا ، وَالَّذِي يَرْجِعُ إلَيْهِ النَّظَرُ فِي هَذَا : أَنَّ مَآلَ الْمَذْهَبِ : هَلْ هُوَ مَذْهَبٌ أَوْ لَا ؟ فَمَنْ أَكْفَرَ الْمُبْتَدِعَةَ قَالَ : إنَّ مَآلَ الْمَذْهَبِ مَذْهَبٌ فَيَقُولُ : الْمُجَسِّمَةُ كُفَّارٌ؛ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا جِسْمًا، وَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُمْ عَابِدُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ كَفَرَ، وَيَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ كفار ؛ لِأَنَّهُمْ – وَإِنْ اعْتَرَفُوا بِأَحْكَامِ الصِّفَاتِ – فَقَدْ أَنْكَرُوا الصِّفَاتِ وَيَلْزَمُ مِنْ إنْكَارِ الصِّفَاتِ إنْكَارُ أَحْكَامِهَا ، وَمَنْ أَنْكَرَ أَحْكَامَهَا فَهُوَ كَافِرٌ . وَكَذَلِكَ الْمُعْتَزِلَةُ تَنْسِبُ الْكُفْرَ إلَى غَيْرِهَا بِطَرِيقِ الْمَآلِ . انظر : إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العيد (٢/ ٢١٠) ، مطبعة السنة المحمدية .

وقال الإمام أبو الحسن ، علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) : " ... وأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَمُؤَوِّلُونَ ، وَحَاصِلُ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ وُجُودَهُمَا الْآنَ فَإِنْ قَالَهُ عَنْ تَأْوِيلٍ كَالْمُعْتَزِلَةِ فَلَا يُكَفَّرُ" . انظر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ، العدوي (١/ ٨٨) .

وقال الإمام أبو الحسن ، علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) أيضاً : " وأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَلَا يَكْفُرُونَ بَلْ يُؤَدَّبُونَ " . انظر : حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ، العدوي (٢/ ٤١٦) .

وقال الإمام ابن عابدين ، مُحَمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) : " وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَمُقْتَضَى الْوَجْهِ حِلُّ مُنَاكَحَتِهِمْ ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ عَدَمُ تَكْفِيرِ أهل الْقِبْلَةِ ، وَإِنْ وَقَعَ إلْزَامًا فِي الْمَبَاحِثِ، بِخِلَافِ مَنْ خَالَفَ الْقَوَاطِعَ الْمَعْلُومَةَ بِالضَّرُورَةِ مِنْ الدِّينِ ". انظر : رد المحتار على الدر المختار (٣/ ٤٥-٤٦) .

ثم إنَّ المسلمين قَبِلُوا تفسير " الكشَّاف " للإمام الزَّمخشري ، وصوَّبوه واتَّبعوه ، واستفادوا ممَّا فيه من فوائد لغوية وبيانيَّة جمَّة ، وما يقال عن المعتزلة أنَّهم ينكرون الحديث فمُجانبٌ للصَّواب ، بل هم يرون أنَّ قول الرَّسول ﷺ حُجَّة إذا ثبت ... كما تجد ذلك في " طبقات المعتزلة " للقاضي عبد الجبَّار ، ولا يخفى على ذي لبٍّ أنَّ الشَّيخان رويا عن العديد من رجال المعتزلة ... ومع هذا وغيره الكثير ، فإنَّنا ننكر ما وقع فيه المعتزلة من جنوح عن الجادَّة ، وخطأ في المنهج الذي بنوه على أُصولهم الخمسة ، وهي :

١. التَّوحيد : قال الإمام الأشعري : " أجمعت المعتزلة على أنَّ الله واحد ليس كمثله شيء ، وهو السَّميع البصير ، وليس بجسم ، ولا شبح ، ولا جثَّة ، ولا صورة ، ولا لحم ، ولا دم ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرَض ، ولا بذي لون ، ولا طعم ، ولا رائحة ، ولا مجسَّة ، ولا بذي حرارة ، ولا برودة ، ولا رطوبة ، ولا يبوسة ، ولا طول ، ولا عرْض ، ولا عُمق ، ولا اجتماعة ، ولا افتراق ، ولا يتحرَّك ، ولا يسكن ، ولا يتبَّعض ، وليس بذي أبعاض ، وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ، ولا بذي يمين وشمال ، وأمام وخلف ، وفوق وتحت ، ولا يحيط

به مكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسَّة ، ولا العزلة ، ولا الحلول في الأماكن ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالَّة على حدثهم ، ولا يوصف بأنَّه متناه ، ولا يوصف بمساحة ، ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقدار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يُقاس بالنَّاس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجري عليه الآفات ، ولا تحلُّ به العاهات ، وكل ما خطر بالبال ، وتصوُر بالوهم ، فغير مُشبه له ، لم يزل أولاً ، سابقاً متقدِّماً للمحدثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الأوهام ..." . انظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن (ص١٥٥) .

٢ .العَدل : ويقصدون به : نفي القدر ، فهم يعتقدون بأنَّ الإنسان يخلق أفعال نفسه ... والحامل لهم على هذا الأصل : تنـزيه الله عن الظُّلم ، فالله تعالى يتنزَّه عن الظُّلم ، ومحال عندهم أن يقدِّر الله على العبد ما يعاقبه عليه ...

٣ .إنفاذ الوعيد : فهم يعتقدون أنَّ وعيد الله تعالى لا يتخلَّف ، لأنَّ إخلاف الوعيد في حقِّه تعالى قبيح...

٤ .المنزلة بين المنزلتين : ومعنى هذا الأصل عند المعتزلة : أنَّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ، ولا كافراً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، فلا يسمَّى مؤمناً ، ولا كافراً ، وإنَّما يسمَّى فاسقاً . وهو في الآخرة مخلَّد ، وعذابه أخفّ من عذاب الكافر...

٥ .الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر : ويقصدون بهذا الأصل : وجوب الخروج على الأئمَّة الظَّلمة الجائرين الفسقة بالسَّيف ، والعمل على إقصائهم عن حكم المسلمين...

ومع ذلك نعتقد أنَّ من أهمِّ الأسباب التي وصلت بهم إلى ذلكم الموصل : حرصهم على تنـزيه الله وتوحيده ، وكذا حرصهم على حماية الدِّين وردِّ كيد وشُبه الطَّاعنين والمشكِّكين...

وبناء على ما قاله المعتزلة : بأنَّ الله تعالى " لا تراه العيون ، ولا تدركه الأبصار " ، فقد كفَّر المتسلِّفون كلَّ من لم يؤمن بأنَّ الله تعالى لا يُرى الآخرة ... فقد جاء في كتاب طبقات الحنابلة : " وقال أبو بكر المروذي : سمعت أحمد يقول : من زعم أنَّ الله لا يُرى في الآخرة ، فهو كافر " . انظر: طبقات الحنابله ، القاضي أبو يعلى (١/ ٥٩) .

وجاء في طبقات الحنابلة أيضاً :

"وقال حنبل بن إسحاق : سمعت أبا عبد الله ، يقول : من زعم أنَّ الله لا يُرى في الآخرة ، فقد كفر بالله ، وكذَّب بالقرآن ، وردَّ على الله أمره ، يُستتاب فإن تاب وإلَّا قُتل ، والله تعالى لا يُرى في الدُّنيا ، ويُرى في الآخرة" . انظر : طبقات الحنابلة (١/ ١٤٥) .

وفي دُرَرهم السَّنيَّة حكموا بتكفير المعتزلة ... انظر: الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة (١/ ٣٧٥) .

ونسبوا إلى أحمد كذباً عليه أنَّه قال : علماء المعتزلة زنادقة . انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٢١٣) .

وقال ابن تيمية : " وأمَّا " الْمُعْتَزِلَةُ " فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ مُطْلَقاً ، وَيُثْبِتُونَ أَحْكَامَهَا ، وَهِيَ تَرْجِعُ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ إلَى أَنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ ، وأمَّا كَوْنُهُ مُرِيداً مُتَكَلِّماً ، فَعِنْدَهُمْ أَنَّهَا صِفَاتٌ حَادِثَةٌ أَوْ إضَافِيَّةٌ أَوْ عَدَمِيَّةٌ . وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاس إلَى " الصَّابِئِينَ الْفَلَاسِفَةِ " مِنْ الرُّومِ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ وَالْفُرْسِ حَيْثُ زَعَمُوا : أَنَّ الصِّفَاتِ كُلَّهَا تَرْجِعُ إلَى سَلْبٍ أَوْ إضَافَةٍ ؛ أَوْ مُرَكَّبٍ مِنْ سَلْبٍ وَإِضَافَةٍ ؛ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ ضُلَّالٌ مُكَذِّبُونَ لِلرُّسُلِ . وَمَنْ رَزَقَهُ الله مَعْرِفَةَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَبَصَراً نَافِذاً وَعَرَفَ حَقِيقَةَ مَأْخَذِ هَؤُلَاءِ ، عَلِمَ قَطْعاً أَنَّهم يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ ، وأنَّهم كَذَّبُوا بالرُّسُلِ وَبِالْكِتَابِ وَبِمَا أُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ ؛ وَلِهَذَا كَانُوا يَقُولُونَ : إنَّ الْبِدَعَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ الْكُفْرِ وَآيِلَةٌ إلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ : إنَّ الْمُعْتَزِلَةَ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ !!! والْأَشْعَرِيَّةُ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ !!! وَكَانَ يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ الجهميَّة الذُّكُورُ وَالْأَشْعَرِيَّةُ الجهميَّة الْإِنَاثُ " . انظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " فَالْمُعْتَزِلَةُ فِي الصِّفَاتِ مَخَانِيثُ الجهميَّة ، وأمَّا الْكُلَّابِيَة فِي الصِّفَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْأَشْعَرِيَّةُ ؛ وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو إسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ : الْأَشْعَرِيَّةُ الْإِنَاثُ هُمْ مَخَانِيثُ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَمِنْ النَّاس مَنْ يَقُولُ : الْمُعْتَزِلَةُ مَخَانِيثُ الْفَلَاسِفَةِ ؛ لأنَّه لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جَهْماً سَبَقَهُمْ إلَى هَذَا الْأَصْلِ . أَوْ لأنَّهم مَخَانِيثُهُمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ" . انظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٧) .

فابن تيمية هنا يصف المعتزلة بأنَّهم مخانيث الفلاسفة ، والمخنَّث يصفه ابن تيمية بأنَّه ملعون على لسان المصطفى ، فقد قال في كتابه " الاستقامة " :

" **الْوَجْه الْخَامِس** : تَشْبِيه الرِّجَال بِالنِّسَاء ، فَإِنَّ المغاني كَانَ السَّلف يسمُّونهم مخانيث ، لِأَنَّ الْغناء من عمل النِّسَاء ، وَلم يكن على عهد النَّبي ﷺ يُغني فِي الأعراس إِلَّا النِّسَاء ، كالإماء والجواري الحديثات السن ، فَإِذا تشبَّه بهم الرجل كَانَ مخنَّثاً ، وَقد لعن رَسُول الله ﷺ المخنَّثين من الرِّجَال والمترجِّلات من النِّسَاء ، وَهَكَذَا فِيمَن يحْضرُون فِي السَّماع من المردان الَّذين يسمُّونهم الشُّهُود ، فيهم من التخنُّث بِقدر مَا تشبَّهوا بِالنسَاء ، وَعَلَيْهِم من اللَّعْنَة بِقدر ذَلِك ، وَقد ثَبت عَن النَّبي ﷺ أَنَّه أَمر بنَفْي المخنثين ، وَقَالَ : " أخرجوهم من بُيُوتكُمْ " . انظر : الاستقامة (١/ ٣٢٠) .

فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله ...

القول بخلق القرآن (٤٠) ، ومنها : إنكار شفاعة النَّبي ﷺ لأهل المعاصي ، ومنها : القول بخلود أهل المعاصي في النَّار ، إلى غير ذلك من قبائحهم وفضائحهم التي نقلها أهل العلم عنهم ، ومع هذا .

---

(٤٠) الجواب : الكلام صفة ذاتيَّة أزليَّة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت ، منزَّهة عن التَّقدُّم والتَّأخُّر والإعراب والبناء ، ومنزَّهة عن السُّكوت والآفة ، تدلُّ على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، يعبَّر عنها عن طريق الكتابة أو الإشارة أو العبارة...

وقد جاءت الآيات القرآنية تترى تدلل على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة الكلام ، قال تعالى : **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾** [التوبة : ٦] .

وروى البخاري (٩/ ١٣٢ برقم ٧٤٤٣) بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» .

" وأجمعت الأمَّة على أنَّ الله تعالى يتكلَّم بكلام قديم أزليٍّ " . انظر : تهذيب السنوسية (ص٥٩).

ومسألة الكلام مسألة عويصة لدرجة أنَّ هذا العلم الشَّريف سُمِّي بعلم الكلام ، لأنَّ مسألة الكلام هي أعوص مسائلة ، وهي المسألة التي افترقت وتباينت فيها الأقوال ، حتى قال القائل : مسألة الكلام حيَّرت عقول الأنام...

فالكلام على الحقيقة الوجوديَّة يخرج من فم المتحدِّث نتيجة تطابق الهواء الخارج من الصَّدر من التَّلاحم الحنجري أو الفلكي أو اللساني أو الأسناني أو الشَّفهي . انظر : مختصر كتاب تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية (ص١٠٧) .

والله تعالى يتنزَّه عن ذلك كلِّه...

وقد انقسم الناس في مسألة الكلام إلى مقالات عديدة ، من أشهرها:

أَوَّلاً : المُعْتَزِلَةُ : ويرى المعتزلة أنَّ كلامه تعالى حروف وأصوات يخلقها الله تعالى في غيره كاللوح المحفوظ ، وجبريل ، والشَّجر ، وغير ذلك ، ومن ثمَّ فهي ليست قائمة في ذاته ، وبالتَّالي فليس لله تعالى صفة ذاتيَّة قديمة تسمَّى الكلام ، وإنَّما هو فعلٌ من أفعاله ، وبناء على ذلك قالوا بخلق القرآن . انظر تفصيل ذلك في : "شرح الأصول الخمسة" (ص٥٢٧ فما بعدها) ، المغني في أبواب التوحيد والعدل (٤/ ٣٣ ، ١٣٩ ، ١٧٦) .

ثَانِياً : حَشَوِيَّةُ الحَنَابِلَة : وهؤلاء قالوا : إنَّ كلام الله تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتِّبة القديمة القائمة بذاته تعالى ، حتَّى غالى بعضهم وقال بقدم الورق والحبر ... فالله تعالى – بحسب رأيهم– يتكلَّم بحروف وأصوات ، وأنَّه يوصف بالسُّكوت ، على ما ذكره ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٦/ ١٧٩) .

ويقولون بأنَّ هذه الحروف والأصوات تقوم بذاته سبحانه ، فالكلام عندهم صفة ذات باعتبار أصله وصفة فعل باعتبار تعلُّقه بالمشيئة والإرادة ، أي : أنَّ الله تعالىٰ يوجد الحروف والأصوات في ذاته بعد أن لم تكن موجودة ، فكلام الله تعالىٰ عندهم قديم النَّوع حادث الآحاد . انظر : مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٦/ ٢٩١-٢٩٢) .

ولم يقتصر الشَّيخ ابن تيمية – غفر الله له– علىٰ ذلك ، بل تعدَّاه إلىٰ تشبيه صوت الله تعالىٰ بأصوات الصواعق ، فقد قال في الموافقة المطبوع بهامش منهاج السُّنَّة له (٢/ ١٥١) : "لمَّا سمع موسىٰ كلام الله تعالىٰ قال : يا ربِّ هذا الذي أسمع هو كلامك؟ قال : نعم يا موسىٰ هو كلامي ، وإنَّما كلَّمتك علىٰ قدْر ما يُطيق بدنك ، ولو كلَّمتك بأكثر من ذلك لمتَّ . فلمَّا رجع موسىٰ إلىٰ قومه قالوا له : صف لنا كلام ربِّك ؟ فقال : سبحان الله وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا : فشبِّهه ، قال : هل سمعتم أصوات الصَّواعق التي تُقبِلُ في أحلىٰ حلاوة سمعتموها ، فكأنَّه مثله" .

ثَالِثاً : الأَشَاعِرَةُ وَالمَاتُرِيْدِيَّة : وهؤلاء يقولون بنوعين من الكلام:

أ-الكلام اللفظي الحادث ، وهو الحروف والأصوات والألفاظ ، وهو لا يقوم بالله تعالىٰ ، ويمثِّله القرآن الكريم ، والتَّوراة ، ، والزَّبور ، والإنجيل.

ب-الكلام النَّفسي ، وهو الكلام الحقيقي الذي يُعبَّرُ عنه بالألفاظ ، وهو ما ليس بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير ، ولا تقسيم ، ولا بداية ، ولا نهاية ، ولا يقبل الانفصال عنه والانتقال إلىٰ القلوب والأوراق ، فكلامه سبحانه صفة له وصفاته قائمة بذاته لا تقبل الانفصال عنه والافتراق ، يتعلَّق بما يتعلَّق به العلم ، وهو قديم وليس بمخلوق ، وهو الكلام حقيقة ، المعبَّر عنه بالألفاظ.

فالكتب السَّماويَّة دالَّة علىٰ بعض مدلول الكلام النَّفسي ، ولا يحيط بكلِّ مدلوله إلَّا هو سبحانه ... وهذه الكتب بما اشتملت عليه من عبارات تدلُّ علىٰ كلامه القديم الأزلي القائم بذاته ، وتسمَّىٰ هذه العبارات كلام الله ، وهي مُحدثة مخلوقة.

ومن الأدلَّة علىٰ إثبات الكلام النَّفسي:

قوله تعالىٰ : **﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ﴾** [آل عمران : ١٥٤] .

وقوله تعالىٰ : **﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ﴾** [الأعراف : ٢٠٥] .

وقوله تعالىٰ : **﴿قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ﴾** [يوسف: ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوى ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ وَيَتَناجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذا جاؤُكَ حَيَّوْكَ بِما لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِما نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة:٨] .

وقوله تعالى في الحديث القدسي فيما رواه البخاري (٩/ ١٢١ برقم ٧٤٠٥) ، مسلم (٤/ ٢٠٦٧ برقم ٢٦٧٥) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ..." .

وذكر ابن الأثير في "الكامل في التّاريخ " (٢/ ١٨٩) عن سيِّدنا عمر رضي الله عنه أنَّه قال يوم السَّقيفة : " وَكُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً أَقُولُهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ" .

وقد "شاع فيما بين أهل اللسان إطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القائم بالنَّفس ، يقولون : في نفسي كلام ، وزوَّرت في نفسي مقالة ، وقال الأخطل :

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنَّما　　جُعل اللسان على الفؤاد دليلاً

انظر شرح المقاصد : (٤/ ١٥٠) .

والكلام النَّفسي ليس من جنس الحروف والأصوات "لأنَّ الحروف والأصوات نعتنا وصفتنا ومنسوبة إلينا ، نقرأ بها كلام الله تعالى ونفهمه بها ، والكاف والنُّون وجميع الحروف ، القراءة والمقروء والمفهوم بها كلام الله تعالى ، أفهمنا بها كلام الله القديم الأزليّ ، كما أفهم موسى بالعبرانيَّة ، وعيسى بالسِّريانيَّة ، وداود باليونانيَّة...

ولا يقال : إنَّ كلام الله عزَّ وجلَّ لغات مختلفة ، لأنَّ اللغات صفات المخلوقين ، بل المفهوم من هذه اللغات كلام الله القديم الأزلي ... " . انظر : الإشارة إلى مذهب أهل الحق للشيرازي (ص٥١٢– ٥١٢) .

والكلام النَّفسي سابق في الوجود للكلام اللفظي المكوَّن من الحرف والصَّوت ... وهو ليس محصوراً بكمٍّ معيَّن ، بل هو لا نهاية له كعلمه ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان : ٢٧] .

وذهب جمهور العلماء إلىٰ أنَّ الله عزَّ وجلَّ متكلِّم فيما لم يزل ولا يزال ، ومنعوا إطلاق السُّكوت عليه جلَّ جلاله ، لأنَّ السُّكوت عُقيب الكلام من تغيُّر الأحوال ، والله سبحانه لا يتغيَّر ولا يحول ولا يزول" . انظر : الكتاب الأسنىٰ شرح أسماء الله الحسنىٰ للقرطبي (٢/ ١٥٥) .

وقد لخَّص الإمام القرطبي مذهب أهل الحقّ في كلام الله تعالىٰ فقال : " مذهب أهل الحقّ أنَّ كلام الله سبحانه الذي هو القرآن مكتوب في المصاحف ، محفوظ في الصُّدور ، وهو سور وآيات ، وله نصف وربع ، فنصفه آخر سورة الكهف إلىٰ آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس : ١] ، وله مع ذلك خُمس وسُبع وعُشر ، وفي الكتابة الموجودة في المصحف ، والقراءة الموجودة في الألسنة ، ستَّة آلاف آية ومئتا آية وآية ، وفيها من الحروف ثلاثمائة ألف حرف ، وأحد عشر ألف ومائتان وخمسون حرفاً ، وكلام الله القديم الذي هو صفته تعالىٰ لا نصف له ولا ربع ولا خُمس ولا سُبع ، ولا هو ألوف ولا مئون ولا آحاد ، وإنَّما هو صفة واحدة لا ينقسم ولا يتجزَّأ . وهذا ما يدلُّ علىٰ أنَّ التِّلاوة غير المتلو ، والقراءة غير المقروء.

وقال أبو المعالي : لا استنكار في تسمية عين كلام الله قرآناً ، ولا بُعد في تسمية التِّلاوة والقراءة قرآناً ، وإن لم تكن التِّلاوة عين المتلو ، ومن الدَّليل علىٰ أنَّ التِّلاوة تسمَّىٰ قرآناً قول القائل في مرثيَّة عثمان رضي الله عنه:

ضحُّوا بأشمط عنوان السُّجود به   يقطِّع الليل تسبيحاً وقرآناً

ومعناه : يقطِّع الليل تسبيحاً وقراءة ، فإنَّ الشَّاعر رام ذكر عباداته وقراءته ومجاهدته في أوقاته وساعاته ، فذكر من جملة ما ذكر تسبيحه وقرآنه وأراد قراءته للقرآن ، والقرآن القديم لا يكتسبه المكلَّف ولا يجلبه ولا يعدُّ ممَّا يتكلَّفه من المشاقّ ويعانيه من شاق الأعمال ، ويطلق القرآن والمراد به المصحف نفسه ، وإن اتَّفقت الأمَّة علىٰ أنَّ أجزاء المصحف ليس بكلام الله ، وإنَّما كلام الله المكتوب فيه.

وقال كثير من المفسِّرين في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة : ٧٧-٧٨] : أنَّه أراد بالكتاب المكنون المصحف ، ثمَّ المصحف ليس بكلام الله ، لكن المكنون فيه كلام الله تعالىٰ ، وقد قال ﷺ : "لا تسافروا بالقرآن إلىٰ أرض العدو" . (أخرجه مسلم (٣/ ١٤٩١ برقم ١٨٦٩) بلفظ : «لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُو" .

وأراد النَّهي والزَّجر عن المسافرة بالمصحف إلىٰ بلاد الكفرة ، تحذيراً من تعريض المصحف للوقوع في أيديهم ، وليس الغرض من الحديث النَّهي عن نقل كلام الله من قُطر إلىٰ قُطر ، إذ الصِّفة القديمة الأزليَّة يستحيل فيها تقدير النَّقل والتَّحويل والتَّرديد والتَّبديل ، ومن الدَّليل علىٰ ما قلناه : أنَّ الرَّب سبحانه سمَّىٰ صلاة الفجر قرآناً ، فقال عزَّ من قال : ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء : ٧٨] .

وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ المراد به صلاة الفجر ، فإنَّ ملائكة الليل في عروجهم وملائكة النَّهار في نزولهم يشهدونها ، فإذا لم يبعد تسمية صلاة مشتملة على أركان متغايرة وأفعال وأقوال وقراءة وتسبيح وتمجيد قرآناً ، لم يبق لما استبعده الخصوم وجه" . انظر : الكتاب الأسنى شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (٢/ ١٩٠-١٩٥) .

وعليه ، فإنَّ القرآن بمعنى الكلام النَّفسي الذي هو صفة الله تعالى قديم ، أمَّا القرآن بمعنى المكتوب في المصحف ، والمحفوظ في المصحف ، والمكوَّن من حروف ، وله بداية ونهاية وأبعاض ... فهذا لا شكَّ في أنَّه مخلوق...

قال الإمام البزدوي في كتابه "أصول الدِّين" (ص٦٥) : "والقرآن ذو بداءة ونهاية وذو أبعاض ، وهذا من إمارات المخلوق ، وكذا نسخ بعضه ببعض وأنَّه أنزل من اللوح إلى السَّماء ، وهذا لا يتصوَّر إلَّا فيما هو مخلوق ، وكذا هو حروف وبعضه عربي ، وبعضه عبري ، وهذا كلُّه من صفات المخلوقين ، وكذا يكتب ويقرأ ويحفظ ويسمع وينقل من موضع إلى موضع ، ويُمحى بعد ما يكتب ، وهذا كلّه من صفات المخلوقين ، وقد قال الله تعالى : **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾** [الزخرف : ٣] ، وقال : **﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾** [آل عمران : ٩٧] ، وقال : **﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾** [آل عمران : ٧] .

والمتشابه من أمارات الحدوث ، وكذلك سمَّاه ذِكراً مُحدثاً ، وذكر أنَّه جُعل قرآناً ، والجعل هو الخلق والإيجاد لغة ."

"والدَّليل على أنَّ الحروف مخلوقة : أنَّ الحروف في الحقيقة جوانب الفم ، ثمَّ الأصوات التي تقع على الجوانب تسمَّى حروفاً ، وجوانب الفم والأصوات كلُّها مخلوقة ، وما يُكتب على الكاغد (الورق) يُسمَّى حروفاً ، لأنَّها دالَّة على تلك الحروف ، وذلك حبر وهو مصنوع مخلوق ، وأمَّا العربي والعبري فذاك أيضاً صفة المنظوم لا صفة كلام الله تعالى ، فإنَّ كلام الله تعالى ليس بعربي ولا عبري ، فإنَّ العربي والعبري من جملة اللغات ، وكلام الله تعالى ليس بلغة من اللغات ، بل هذا المنظوم الذي هو دالٌّ على كلام الله تعالى عربي وهو القرآن ، والتَّوراة عبري ، وهو المنظوم ، وأمَّا النَّقل من موضع إلى موضع فهو للمنظوم أيضاً لا لكلام الله تعالى" . انظر : أصول الدِّين للبزدوي (ص٧٠) .

"والحروف في الحقيقة أصوات مختلفة ، فإنَّ الكاف صوت يقع على اللهاة ، والحاء صوت يقع في الحلق ، والباء صوت يقع على الشَّفَة ، ولهذا سُمِّيت حروفاً لأنَّ الحرف هو الجانب ، وهذه الحروف تصير حروفاً بوقوعها على حروف الفم من حيث الصَّوت ، والله تعالى مُوجد الأصوات ومُوجد كلّ حادث ، والصَّوت عَرَضٌ لا يتصوَّر بقاؤه فلا يتصوَّر الانتظام ، فكذا الأصوات لا يتصوَّر تقطيعها لأنَّها أعراض ، والتَّقطيع لا يتصوَّر إلَّا في الأجسام ، ولأنَّ الحروف هي الأصوات .." . انظر : أصول الدِّين للبزدوي (ص٦٣-٦٤).

"فإذا كانت الحروف لا تخرج إلَّا من مخارج ، والرَّبُّ عزَّ وجلَّ منزَّه عن ذلك ، لأنَّه ليس ذا ألفاظ ومخارج يتقدَّم بعضها على بعض ، فإنَّه في حال ما يتكلَّم بالكاف ، النُّون معدومة ، وفي حال ما يوجد النُّون ويتكلَّم بها ، الكاف

معدومة ، وما هذه صفته لا يكون إلَّا مخلوقاً ، ولأنَّ هذه الكاف والنُّون نشاهدهما في مصاحفنا أجساماً مخلوقة ، فتارة تكون بالحبر ، وتارة تُنقش بالجصّ والآجرّ علىٰ المساجد ، وغيرها ، فإذا قلنا بقِدَمِها ونحن لا نشاهد إلَّا هذه الأجسام والألوان المخلوقة ، فقد قلنا بقدم العالم ، لأنَّ القديم لا يحلُّ في المحدَث ، ولأنَّ القول بهذا يؤدِّي إلىٰ القول بما يعتقده النَّصارىٰ ، لأنَّهم يقولون : إنَّ كلمة الله القديمة حلَّت في عيسىٰ ، فصار عيسىٰ قديماً أزليّاً ، بل يكون هذا القول أعظم قولاً من قول النَّصارىٰ لأنَّهم لم يقولوا إلَّا بقِدَم عيسىٰ" . انظر : الإشارة إلىٰ مذهب أهل الحق لأبي إسحاق الشيرازي (ص٢١٣).

ومن الأدلَّة علىٰ أنَّ القرآن بمعنىٰ الكلام الحسِّي مخلوق هو أنَّ الله تعالىٰ أنزله إلىٰ اللوح المحفوظ ، فقال سبحانه : **﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾** [البروج : ٢١-٢٢] ، وهنا نسأل ، هل ما وضع في اللوح المحفوظ المخلوق الحادث : قديم أم حادث ، والجواب : لا شكَّ بأنه حادث مخلوق ، لأنَّ القديم لا يحلُّ في الحادث...

وإذا ما احترق القرآن أو طُمس أو مُحي ، فهل المحترق أو المطموس المُمحَي هو الصِّفة القديمة أم الحادث؟

كما ونسأل : هل القرآن هو الله ، أم قسم من الله ، أم غير ذلك ، والجواب قطعاً أنَّه غير الله ، وبديهي أنَّ كلّ ما سوىٰ الله مخلوق.

ثمَّ إنَّ القرآن العظيم هو معجزة الرَّسول ﷺ : والمعجزة كما يعرفها العلماء : أَمْرٌ خارقٌ للعادة يُحدثه الله ويجريه علىٰ يد مُدَّعي النُّبوَّة ... فالقرآن وسائر معجزات الأنبياء أمور مخلوقة حادثة...

وأخيراً فليس من شرط الكلام أن يكون بصوت وحرف ، فإن الله تعالىٰ سمَّىٰ الإشارة كلاماً فقال سبحانه مخاطباً سيدنا زكريَّا عليه الصلاة والسلام : **﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾** [آل عمران : ٤١] . فالإشارة أو الرَّمز تُعتبر كلاماً ، وقد شاع في زماننا لغة الصُّم والبُكم ، وإشارات المرور ، والرُّموز التي تدلُّك علىٰ الهيئات والمؤسَّسات العامَّة والخاصَّة والتي علىٰ ضوئها يفهم الإنسان ويعي ما تدلُّ وتُرشد إليه هذه الإشارة أو تلك ...

وبالإجمالي فلو كانت الحروف والألفاظ قديمة كما زعموا ، ما قَبِلت شيئاً من المحو والنَّسخ والإحراق ، وقد ذكر أنَّ سيِّدنا عثمان رضي الله عنه أحرق جميع المصاحف المُخالفة لمُصحفه ، فهل حين أحرقها أحرق القرآن بمعنىٰ الصِّفة القديمة؟ والجواب كلَّا ، لأنَّ القديم لا يقبل الزَّوال ، ولا المحو والتَّبديل ، ولا الانقضاء والتَّناهي ، وكلُّ ذلك من أمارات الحدث ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

وعلىٰ ضوء ما تقدَّم بيانه ، فإنَّ أساس الاختلاف بين أهل السُّنَّة والمعتزلة هو في إثبات الكلام النَّفسي ، قال الإمام التَّفتازاني في شرح المقاصد (١٤٦/٤) : "وهو – أي الخلاف في المسألة– في التَّحقيق عائد إلىٰ إثبات كلام النَّفس

ونفيه ، وأنَّ القرآن هو المتلو هذا المؤلَّف من الحروف الذي هو كلام حسِّي ، وإلَّا فلا نزاع لنا في حدوث كلام الحسّ ، ولا لهم في قِدَم النَّفس لو ثبت" .

ولذلك فلن نتوقَّف مع المعتزلة ، وإنَّما وِقفتنا مع الحشويَّة الذين قالوا بإثبات الصَّوت والحرف لله تعالىٰ...

فالنَّاظر في قولهم يجد أنَّهم ما قالوا ذلك إلَّا بسبب قياس الخالق علىٰ المخلوق ، وهو قياس فاسد ، لأنَّ الصَّوت عَرَض لا يقوم بنفسه ، كما أنَّه لا يحدُثُ إلَّا عند تضافر عدد من الأجهزة المختلفة التي تتضافر معاً لإخراج الصَّوت ، والله تعالىٰ فردٌ صمدٌ أحدٌ لم يلد ولم يكن له كُفُواً أحد ، وليس كمثله شيء ، يُضاف لذلك أنَّ اللغة العربيَّة مخلوقة كسائر اللغات ، وأنَّىٰ يكون الله تعالىٰ محلاً للحوادث!!!

والنَّاظر كذلك يجد أنَّ القوم استشهدوا علىٰ ما ذهبوا إليه من إثبات الصَّوت لله تعالىٰ بثلاثة أحاديث ضعيفة وواهية ، وقد أشار إلىٰ وهنها وقلة حيلتها الأستاذ السقَّاف في كتابه : "صحيح شرح الطَّحاويَّة" (ص٢٩٨-٢٩١) ، قال : "وقد ذهبت المبتدعة إلىٰ أنَّ كلام الله حروف وأصوات ، واستدلُّوا بثلاثة أحاديث : (الأَوَّلُ) : حديث عبد الله بن أنيس مرفوعاً : "يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ... " الحديث .

(وَالثَّانِي) : حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفُوْعَاً : " يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَىٰ بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ " رواه البخاري (١٣/ ١٥٣ فتح) .

(الثَّالِثُ) : ما علَّقه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٥٢-٤٥٣) موقوفاً علىٰ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أهل السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الحَقُّ وَنَادَوْا» : **﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ﴾** [سبأ: ٢٣] .

والجواب علىٰ ذلك:

أَمَّا الحَدِيْثُ الأَوَّل : فضعيف . رواه البخاري في كتاب "خلق أفعال العباد ، وهذا الكتاب غير كتابه الصَّحيح ، وفيه الضَّعيف والصَّحيح ، وفي سند الحديث : عبد الله بن مُحَمَّد بن عقيل ، وهو ضعيف ، كما تعرف ذلك من ترجمته في "تهذيب التَّهذيب" (٦/ ١٣) . وقال الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (٦/ ٢٠٥) : "قلت : لا يرتقي خبرُهُ إلىٰ درجة الصِّحَّة والاحتجاج" .

وفي سند هذا الحديث أيضاً القاسم بن عبد الواحد ، قال أبو حاتم ما معناه : لا يحتجُّ به . انظر كتاب "الجرح والتَّعديل" لابن أبي حاتم الرَّازي (٧/ ١١٤) .

وبذلك ثبت ضعف الحديث ، فلا حجَّة فيه وخاصَّة في أبواب العقائد التي لا يحتجُّ فيها بالآحاد ، وخاصَّة المعارض الذي ليس له شاهد من القطعيَّات.

وَأَمَّا الحَدِيْثُ الثَّانِي : فصحيحٌ ، لكن لا حجَّة فيه ، لأنَّ قوله فيه : "فينادئ بصوت" أي : ينادي أحد الملائكة بصوت ، لأنَّه جاء في هذا الحديث : "إنَّ الله يأمرك" ، فهذا يدلُّ على أنَّه لو كان المنادي هو الله تعالى لم يقل (: "إنَّ اللهَ يَأمُرُك" بل يقول مباشرة (آمُرُك) ، والدَّليل متى طرأه الاحتمال سقط به الاستدلال ، كما هو مقرَّر في علم الأصول .

وقد نصَّ على هذا الإمام الحافظ ابن حجر حيث قال في "الفتح" (١٣/ ٤٦٠) : " وَقَعَ فَيُنَادِي مَضْبُوطًا لِلْأَكْثَرِ (يعني من رواة البخاري) بِكَسْرِ الدَّالِ ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ(أحد رواة البخاري وليس الصَّحابي) بِفَتْحِهَا عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، وَلَا مَحْذُورَ فِي رِوَايَةِ الْجُمْهُورِ ، فَإِنَّ قَرِينَةَ قَوْلِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ تَدُلُّ ظَاهِرًا عَلَى أَنَّ الْمُنَادِي مَلَكٌ يَأْمُرُهُ اللهُ بِأَنْ يُنَادِي بِذَلِكَ" .

وبذلك ثبت أن لا دلالة في هذا الحديث على إثبات الصَّوت لله تعالى ، لأنَّ الصَّوت هنا لأحد الملائكة.

وَأَمَّا الحَدِيْثُ الثَّالِثُ : فلا دلالة فيه أيضاً على إثبات الصَّوت لله تعالى ، وذلك لأنَّ قوله فيه "فَإِذَا فُزِعَ عَن قُلُوْبِهِم وَسَكَنَ الصَّوْت" الصَّوت هنا للسَّماء لا لله تعالى ، والدَّليل على ذلك أنَّ باقي الرِّوايات بيَّنت ذلك ، ففي سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥ حديث رقم ٤٧٣٨) ، وغيره بإسناد صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أهل السَّماءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ " .

أقول : فتبيَّن أنَّ الصَّوت للسَّماء لا لله تعالى ، فلا دلالة في الحديث على إثبات الصَّوت لله كما توهَّم الآخرون.

والأحاديث الثَّلاثة من الآحاد أيضاً ، ولا تثبت بها عقيدة ، والحمد لله رب العالمين" .

وقد يستدلُّ البعضُ على الحرف والصَّوت بقول الله تعالى : ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً**﴾ [النساء : ١٦٤] . ويقولوا بأنَّ الفعل إذا أُكِّد بالمصدر كان كلاماً على الحقيقة ...

والحقُّ أنَّ "قَوْلُهُ : ﴿**تكْلِيماً**﴾ مَصْدَرٌ لِلتَّوكِيدِ. وَالتَّوكِيدُ بِالْمَصْدَرِ يَرْجِعُ إِلَى تَأْكِيدِ النِّسْبَةِ وَتَحْقِيقِهَا مِثْلَ (قَدْ) وَ (إِنَّ) ، وَلَا يُقْصَدُ بِهِ رَفْعُ احْتِمَالِ الْمَجَازِ، وَلِذَلِكَ أَكَّدَتِ الْعَرَبُ بِالْمَصْدَرِ أَفْعَالًا لَمْ تُسْتَعْمَلْ إِلَّا مَجَازًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ يُطَهِّرُهُمُ الطَّهَارَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ، أَيِ الْكَمَالَ النَّفْسِيَّ، فَلَمْ يُفِدِ التَّأْكِيدُ رَفْعَ الْمَجَازِ. وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ تَذُمُّ زَوْجَهَا رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ:

بَكَى الْخَزُّ مِنْ رَوْحٍ وَأَنْكَرَ جِلْدُهُ   وَعَجَّتْ عَجِيجًا مِنْ جُذَامَ الْمَطَارِفُ

وَلَيْسَ الْعَجِيجُ إِلَّا مَجَازًا، فَالْمَصْدَرُ يُؤَكِّدُ، أَيْ يُحَقِّقُ حُصُولَ الْفِعْلِ الموكّد عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى قَبْلَ التَّأْكِيدِ.

فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿تَكْلِيماً﴾ هُنَا: أَنَّ مُوسَىٰ سَمِعَ كَلَامًا مِنْ عِنْدِ اللهِ، بِحَيْثُ لَا يُحْتَمَلُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جِبْرِيلَ بِكَلَامٍ، أَوْ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ فِي نَفْسِهِ. وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ صُدُورِ هَذَا الْكَلَامِ عَنْ جَانِبِ اللهِ فَغَرَضٌ آخَرُ هُوَ مَجَالٌ لِلنَّظَرِ بَيْنَ الْفِرَقِ، وَلِذَلِكَ فَاحْتِجَاجُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى كَوْنِ الْكَلَامِ الَّذِي سَمِعَهُ مُوسَىٰ الصِّفَةَ الذَّاتِيَّةَ الْقَائِمَةَ بِاللهِ تَعَالَىٰ احْتِجَاجٌ ضَعِيفٌ" . انظر : التحرير والتنوير (٦/ ٣٨) .

والصَّحيح في هذه المسألة – والله أعلم – هو ما ذهب إليه السَّادة الماتريديَّة حيث ذهبوا إلى أنَّ الله تعالى خلق صوتاً وحرفاً دلَّ الحرف والصَّوت على معنى أدركه موسى عليه الصَّلاة والسَّلام ، والله أعلم.

وفي تعليقه على " السَّيف الصَّقيل" للسُّبكي أورد الإمام الكوثري طائفة من فتاوى العلماء التي ردَّت على القائلين بالحرف والصَّوت ، قال الكوثري : "وأرى من النُّصح للمسلمين أن أنقل هنا أجوبة الإمام العزِّ بن عبد السَّلام ، والإمام جمال الدِّين أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي ، والإمام علم الدِّين أبي الحسن علي بن مُحَمَّد السَّخاوي مؤلِّف "جمال القرَّاء وكمال الإقراء" حينما استفتوا في هذه المسألة ، ومكانتهم السَّامية في العلم معروفة.

ونصُّ السُّؤال : ما يقول السَّادة الفقهاء رضي الله عنهم في كلام الله القديم القائم بذاته؟ هل يجوز أن يقال : أنَّه عَيْن صوت القارئ وحروفه المقطَّعة ، وعَيْن الأشكال التي يصوِّرها الكاتب في المصحف؟ وهل يجوز أن يقال : إنَّ كلام الله القديم القائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الظَّاهر فيها وأنَّه عَيْن ما جعله الله معجزة لرسوله ﷺ ؟ وما الذي يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغرّ به ضعفاء المسلمين؟ وهل يحُلّ للعلماء المعتبرين إذا علموا أنَّ ذلك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحقِّ في ذلك وإظهاره والرَّد على من أظهر ذلك واعتقده ؟ أفتونا مأجورين.

صُوْرَةُ جَوَابِ الإمَامِ عِزِ الدِّيْنِ بنِ عَبدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ الله:

القرآنُ كلام الله صفة من صفاته قديم بقدمه ، ليس بحروف ولا أصوات ، ومن زعم أنَّ الوصف القديم هو عَيْن أصوات القارئين وكتابة الكاتبين فقد ألحد في الدِّين وخالف إجماع المسلمين ، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدِّين ، ولا يحُلّ للعلماء كتمان الحقّ ولا ترك البدع سارية في المسلمين ، ويجب على ولاة الأمر إعانة العلماء المنزِّهين الموحِّدين ، وقمع المبتدعة المشبهين المجسِّمين ، ومن زعم أنَّ المعجزة قديمة فقد جهل حقيقتها ، ولا يحُلّ لولاة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين !!! ويجب عليهم أن يلزموهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين ، فإن لم يفعلوا ألجئوا إلى ذلك بالحبس والضَّرب والتَّعزيز ، والله أعلم.

كتبه عبد العزيز بن عبد السَّلام.

وَصُوْرَةُ جَوَابِ الإمَامِ جَمَالِ الدِّيْنِ أَبِيْ عَمْرو عُثْمَان بِن الحَاجِبِ المَالِكِي:

من زعم أنَّ أصوات القارئ وحروفه المتقطِّعة والأشكال التي يصوِّرها الكاتب في المصحف هي نفس كلام الله تعالىٰ القديم فقد ارتكب بدعة عظيمة وخالف الضّرورة ، وسقطت مكالمته في المناظرة فيه ، ولا يستقيم أن يقال : إنَّ كلام الله تعالىٰ القائم بذاته هو الذي جعله الله معجزة لرسوله ﷺ ، فإنَّ ذلك يعلم بأدنىٰ نظر ، وإذا شاع ذلك أو سئل عنه العلماء وجب عليهم بيان الحقِّ في ذلك وإظهاره ، ويجب علىٰ من له الأمر ووفَّقه الله أخذ من يعتقد ذلك ويعزّ به ضعفاء المسلمين ، وزجره وتأديبه وحبسه عن مخالطة من يخاف منه إضلاله إلىٰ أن يظهر توبته عن اعتقاده مثل هذه الخرافات التي تأباها العقول السَّليمة ، والله أعلم.

كتبه عثمان بن أبي بكر الحاجب.

وَصُوْرَةُ جَوَابِ الإِمَامِ عَلَم الدِّيْن أَبِي الحَسَن عَلَي السَّخَاوِي:

كلامُ الله عزَّ وجلَّ قديمٌ ، صفة من صفاته ، ليس بمخلوق؛ وأصوات القرَّاء وحروف المصاحف أمرٌ خارجٌ عن ذلك ، ولهذا يقال : صوتٌ قبيحٌ ، وقراءة غير حسنة ، وخطٌّ غير جيِّد ، ولو كان ذلك كلام الله لم يجز ذمّه علىٰ ما ذكر ، لأنَّ أصوات القرَّاء به تختلف باختلاف مخارجها ، والله تعالىٰ منزَّه عن ذلك ، والقرآن عندنا مكتوب في المصاحف ، متلوٌّ في المحاريب ، محفوظ في الصُّدور ، غير حالٍّ في شيء من ذلك ، والمصحف عندنا معظَّم محترم لا يجوز للمحدِث مسّه ، ومن استخفَّ به أو ازدراه فهو كافر مُباح الدَّم ، والصِّفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالىٰ ليست المعجزة ، لأنَّ المعجزة ما تحدّىٰ به الرَّسول ﷺ وطالب بالإتيان بمثله ، ومعلوم أنَّه لم يتحداهم بصفة الباري القديمة ، ولا طالبهم بالإتيان بمثلها ، ومن اعتقد ذلك وصرَّح به أو دعا إليه فهو ضالٌّ مبتدع ، بل خارج عمَّا عليه العقلاء إلىٰ تخليط المجانين ، والواجب علىٰ علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها وتبيين الحق ، والله أعلم.

وقد أطنب الإمام الكوثري في ذكر الفتاوىٰ التي وجِّهت وقِيْلت في الرَّدِّ علىٰ الحَرْفِيَّة والصوتية ... انظر : السَّيف الصقيل في الرد علىٰ ابن زفيل (ص٤٤٦-٤٤٧) ، ضمن مجموعة رسائل للإمام الكوثري بعنوان : العقيدة وعلم الكلام.

وفي " مقالاته (ص٥٧-٥٨) ، وتحت عنوان : "بدعة الصَّوتيَّة حول القرآن" قال الإمام الكوثري : "يوجد بين البشر من يرضى لنفسه أن يقول : إنَّ القرآن كلام الله بحرف وصوت ، ومع ذلك فهو غير مخلوق ، وفي هؤلاء يقول الإمام أبو بكر الباقلاني في "النَّقض الكبير" : من زعم أنَّ السِّين من بسم الله بعد الباء ، والميم بعد السِّين الواقعة بعد الباء لا أوَّل له ، فقد خرج عن المعقول وجحد الضّرورة ، وأنكر البديهة ، فإن اعترف بوقوع شيء بعد شيء فقد اعترف بأوَّليَّته ، فإذا ادَّعىٰ أنَّه لا أوَّل له فقد سقطت محاجَّته وتعيَّن لحوقه بالسَّفسطة . وكيف يُرجىٰ أن يُرشد بالدَّليل من يتواقح في جحد الضّروري . راجع "الشامل" لإمام الحرمين ، و"نجم المهتدي" لابن المعلِّم القرشي.

وقال الحليمي في "شعب الإيمان" : ومن زعم أنَّ حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده في الورقة هو عَيّن كلام الله بذاته ، فقد زعم أن صفة الله قد حلَّت بذاته ومسَّت جوارحه وسكنت قلبه ، وأيّ فرق بين مَنّ يقول هذا وبين من يزعم من النَّصارىٰ أنَّ الكلمة اتَّحدت بعيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام!!

وبعد إحاطة القارئ علماً بهذا وذاك لينظر قول الموفَّق بين قدامة صاحب المغني – الذي يقول عنه ابن تيمية : أنَّه ما دخل دمشق مثله بعد الأوزاعي– في مناظرته مع بعض الأشاعرة في صدد نفي الكلام النَّفسي ، المسجَّلة في المجموعة المحفوظة تحت رقم (١١٦) بظاهريَّة دمشق : "قال أهل الحقّ : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقالت المعتزلة هو مخلـــوق ، ولم يكن اختلافهم إلَّا في هذا الموجود دون ما في نفس البـــاري ممَّا لا ندري ما هو ولا نعرفه" . أ.هـ . وله أيضاً "الصِّراط المستقيم في إثبات الحرف القديم" وفيه عجائب ، فيكون اعترف في أوَّل خطوة أنَّ الحقّ بيد المعتزلة وهو لا يشعر . فإذا كان حال الموفَّق هكذا فماذا يكون حال من دونه؟! نسأل الله الصَّون . وقد أجاد الآلوسي المفسِّر الرَّدَّ عليه وعلىٰ إخوانه من نفاة الكلام النَّفسي في مقدِّمة تفسيره ، فنستغني بذلك عن الإفاضة فيه هنا.

والواقع أنَّ القرار في اللوح ، وفي لسان جبريل عليه السَّلام ، وفي لسان النَّبيِّ ﷺ وألسنة التَّالين وقلوبهم وألواحهم مخلوق حادث محدث ضرورة ، ومن ينكر ذلك يكون مسفسطاً ساقطاً من مرتبة الخطاب ، وإنَّما القديم هو المعنىٰ القائم بالله سبحانه بمعنىٰ الكلام النَّفسي في علم الله جلَّ شأنه في نظر أحمد بن حنبل وابن حزم ، وقد صحَّ عند أحمد قوله في المناظرة : "القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق" أو بمعنىٰ صفة الكلام القائمة بالله سبحانه كقيام صفات العلم والقدرة ونحوهما به جلَّ شأنه علىٰ تقدير ثبوت إطلاق القرآن عليها ، فدلالة القرآن علىٰ المعنىٰ القائم بالله بالاعتبار الأوَّل دلالة اللفظ علىٰ مدلوله الوضعي ، ويشمل وجوده العلمي اللفظ والمعنىٰ في آن واحد ، لأنَّ كليهما في علم الله ، ودلالته علىٰ الصِّفة القائمة به سبحانه بالاعتبار الثَّاني تكون دلالة عقليَّة كما لا يخفي . فقولهم : "القرآن مكتوبٌ في مصاحفنا ، محفوظ في قلوبنا ، مقروء بألسنتنا ، مسموع بآذاننا" من وصف المدلول باسم الدَّال مجازاً ، كما نصَّ علىٰ ذلك السَّعد العلَّامة في " شرح المقاصد " ، بل قال في " شرح النَّسفيَّة " عند شرح قول النَّسفي "غير حالٍّ فيها" ، أي مع ذلك ليس حالّاً في المصاحف ولا في القلوب والألسنة والآذان ، بل هو معنىٰ قديم قائم بذات الله تعالىٰ ، يُلفظ ويُسمع بالنَّظم الدَّال عليه ، ويحفظ بالنَّظم المخيل ، ويكتب بنقوش وصور وأشكال موضوعة للحروف الدالَّة عليه ، كما يقال : "النَّار جوهر مُحرق ، يذكر باللفظ ويكتب بالقلم ، ولا يلزم منه كون حقيقة النَّار صوتاً وحرفاً" أ.هـ.

وقبل أن ننهي الحديث عن مسألة الكلام ، تجدر الإشارة هنا إلى مسألة شائكة كانت مثار تساؤل من الكثيرين وهي مسألة اللفظ ، وهي إحدىٰ المسائل التي اختلف فيها السَّلف الصَّالح ، ورمىٰ بعضهم بعضاً بشأنها بالضَّلال والبدعة وعظائم الأمور ، مع العلم أنَّ الباحث المستقرئ لما كان عليه الأوَّلون ، يجد أنَّهم لم يتطرَّقوا لمسألة اللفظ ، اللهمَّ إلا ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، والذي أشار إلىٰ ذلك بقوله : "ما قام بالله تعالىٰ غير مخلوق ، وما قام بالخلق مخلوق...

واستمرَّ الحال علىٰ ذلك إلىٰ أن جاء الإمام الحسين بن علي الكرابيسي (ت ٢٤٥هـ) ، وكان كما قال الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (١٢/ ٨٠) : "من بحور العلم ، ذكيَّاً فطناً فصيحاً لَسِناً ، تصانيفه في الفروع والأصول تدلُّ علىٰ تبحُّره " .

وقد أشار الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (١٢/ ٨٠-٨١) إلىٰ أن الكرابيسي هو أوَّل من فتق اللفظ ، وقال : قال حسين في القرآن : لفظي به مخلوق ، فبلغ قوله أحمد فأنكره ، وقال : هذه بدعة ، فأوضح حسين المسألة ، وقال تلفُّظك بالقرآن يعني : غير الملفوظ" .

وتابع الكرابيسي في مقالته هذه العديد من الأئمَّة ، قال الإمام ابن عبد البر في كتابه : "الانتقاء" (ص١٦٥) : أثناء كلامه عمَّن أخذ عن الشَّافعي علمه : "وكانت بينه – أي الكرابيسي- وبين أحمد بن حنبل صداقة وكيدة ، فلمَّا خالفه في القرآن ، عادت تلك الصَّداقة عداوة ، فكان كلُّ واحد منهما يطعن علىٰ صاحبه ، وذلك أنَّ أحمد بن حنبل كان يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال : القرآن كلام الله ، ولا يقول : غير مخلوق ولا مخلوق ، فهو واقفي ، ومن قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع.

وكان الكرابيسي ، وعبد الله بن كلاب ، وأبو ثور ، وداود بن علي ، وطبقاتهم يقولون : إنَّ الذي تكلَّم الله به صفة من صفاته ، ولا يجوز عليه الخلق ، وإنَّ تلاوة التَّالي وكلامه بالقرآن الذي تكلَّم إليه به كسب له وفعل له ، وذلك مخلوق ، وأنَّه حكاية عن كلام الله ، وليس هو القرآن الذي تكلَّم الله به وشبَّهوه بالحمد والشُّكر لله ، وهو غير الله ، فكما يؤجر في الحمد والشُّكر والتَّهليل والتَّكبير ، فكذلك يؤجر في التِّلاوة" .

وقال الإمام السُّبكي في " الطبقات الكبرىٰ" (١/ ٣٤٤) : " ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخاري ، والحارث بن أسد المحاسبي ، ومحمَّد بن نصر المروزي ، وغيرهم" .

وقال الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (١٢/ ٨١) : "قال حسين –الكرابيسي- في القرآن : لفظي به مخلوق ، فبلغ أحمد فأنكره ، وقال : هذه بدعة –فأوضح حسين المسألة ، وقال : تلفظك بالقرآن يعني : غير الملفوظ . وقال في أحمد : أي شيء نعمل بهذا الصَّبي؟!!! إن قلنا : مخلوق : قال : بدعة ، وإن قلنا غير مخلوق . قال : بدعة . فغضب لأحمد

أصحابه ، ونالوا من حسين ... ثمَّ قال الذَّهبي : " ولا ريب أنَّ ما ابتدعه الكرابيسي ، وحرَّره في مسألة التَّلفُّظ ، وأنَّه مخلوق هو حقّ ، لكن أباه الإمام أحمد لئلَّا يتذرَّع به إلى القول بخلق القرآن ، فسدَّ الباب ، لأنَّك لا تقدر أن تفرز التَّلفُّظ من الملفوظ الذي هو كلام الله إلَّا في ذهنك" .

ثمَّ قال الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (١١/ ٢٩٠) : "فقد كان هذا الإمام – أي أحمد- لا يرى الخوض في هذا البحث خوفاً من أن يتذرَّع به إلى القول بخلق القرآن ، والكفُّ عن هذا أولى...

ومعلوم أنَّ التَّلفُّظ شيء من كسب القارئ غير الملفوظ ، والقراءة غير الشَّيء المقروء ، والتِّلاوة وحسنها وتجويدها غير المتلو ، وصوت القارئ من كسبه فهو يُحدث التَّلفُّظ ، والصَّوت والحركة ، والنُّطق ، وإخراج الكلمات من أدواته المخلوقة ، ولم يحدث كلمات القرآن ، ولا ترتيبه ، ولا تأليفه ، ولا معانيه ..." .

وقال الذَّهبي في "سير أعلام النُّبلاء" (١٢/ ٥٧٢) : "كان مُسلم بن الحجَّاج يُظهر القول باللفظ ، ولا يكتمه ، فلمَّا استوطن البخاري نيسابور أكثر مُسلم الاختلاف إليه ، فلمَّا وقع بين البخاري والذّهلي ما وقع في مسألة اللفظ ، ونادى عليه ، ومنع النَّاس من الاختلاف إليه ، حتى هُجر ، وسافر من نيسابور ، قال : فقطعه أكثر النَّاس غير مسلم ، فبلغ مُحَمَّد بن يحيى ، فقال يوماً : ألا من قال باللفظ فلا يحُلُّ له أن يحضر مجلسنا ، فأخذ مسلمٌ رداءه فوق عمامته ، وقام على رؤوس النَّاس ، ثمَّ بعث إليه بما كتب عنه على ظهر جمَّال . قال : وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه" .

ويطيب لي هنا أن أُثبت فتوى الإمام العزّ بن عبد السَّلام في هذا الشَّأن كما جاءت في رسالته "المِلحةُ في الاعتقاد" (ص١٩-٢١) ، قال : "فكيف يظن بأحمد بن حنبل وغيره من العلماء أن يعتقدوا أنَّ وصف الله القديم بذاته هو عين لفظ اللافظين ، ومِداد الكاتبين ، مع أنَّ وصف الله قديم ، وهذه الألفاظ والأشكال حادثة بضرورة العقل وصريح النَّقل ، وقد أخبر الله تعالى عن حدوثها في ثلاثة مواضع من كتابه:

المَوْضِعُ الأَوَّلُ : قوله : ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنبياء : ٢] جعل الآتي محدثاً ، فمن زعم أنه قديم

فقد ردّ على الله سبحانه وتعالى ، وإنما هذا المحدث دليل على القديم ، كما أنا إذا كتبنا اسم الله عزّ وجلّ في ورقة لم يكن الرَّب القديم حالاً في تلك الورقة ، فكذلك الوصف القديم إذا كتب في شيء لم يحل الوصف المكتوب حيث حلّت الكتابة.

المَوْضِعُ الثَّانِي : قوله تعالىٰ : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ * وَما لا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة : ٣٨-٤٠] ، وقول الرَّسول ﷺ صفة للرَّسول ، ووصف الحادث حادث يدلُّ علىٰ الكلام القديم ، فمن زعم أنَّ قول الرَّسول ﷺ قديم فقد ردَّ علىٰ ربِّ العالمين.

ولم يقتصر سبحانه وتعالىٰ علىٰ الإخبار بذلك حتىٰ أقسم علىٰ ذلك بأتمِّ الأقسام ، فقال تعالىٰ : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ﴾ ، أي : تشاهدون ، ﴿وَما لا تُبْصِرُونَ﴾ ، أي ما لا ترونه ، فاندرج في هذا القسم ذاته وصفاته ، وغير ذلك من مخلوقاته.

المَوْضِعُ الثَّالِثُ : قوله جلَّ قوله : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير : ١٥-١٩] .

والعجب ممَّن يقول : القرآن مركَّب من حرف وصوت ، ثمَّ يزعم أنَّه في المصحف ، وليس في المصحف إلَّا حرف مجرَّد لا صوت معه ، إذ ليس فيه حرف متكوِّن من صوت ، فإن الحرف اللفظي ليس هو الشَّكل ، ولذلك يدرك الحرف اللفظي بالآذان ، ولا يشاهد بالعيان ، ويشاهد الشَّكل الكتابي بالعيان ، ولا يسمع بالآذان ، ومن توقَّف في ذلك فلا يُعدُّ من العقلاء فضلاً عن العلمــاء ، فلا أكثر الله في المسلمين من أهل البدع والأهواء والإضلال والإغواء" .

وخلاصة الكلام في هذه المسألة أنَّ القرآن بمعنىٰ الكلام النَّفسي قديم ليس بمخلوق ، ومن قال بخلقه فقد كفر ، وأمَّا القرآن بمعنىٰ اللفظ الذي نقرؤه والصَّوت الذي نسمعه ، والورق الذي نحمله فهو مخلوق ، وهو دالٌّ علىٰ معنىٰ كلام الله تعالىٰ "دلالة عقليَّة أو عرفيَّة ، لأنَّ الألفاظ مركَّبة وحادثة ، والصِّفة النَّفسيَّة التي هي الكلام لا يجوز أن تكون كذلك ، لأنَّ الحوادث لا تقوم بالخالق عزَّ وجلَّ" . انظر : تهذيب السنوسية (ص٥٧).

لكن هذا لا يقال إلَّا في مقام التَّعليم ، قال الإمام الباجوري : "وأمَّا القرآن بمعنىٰ اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق ، لكن يمتنع أن يقال : القرآن مخلوق ويُراد به اللفظ الذي نقرؤه إلَّا في مقام التعليم ، لأنَّه ربَّما أوهم أنَّ القرآن بمعنىٰ كلامه تعالىٰ مخلوق ..." . انظر : تحفة المريد (ص٥٨).

وللاستزادة في صفة الكلام انظر : أصول الدِّين للبغدادي (ص١٠٦-١٠٨) ، حاشية ابن الأمير (ص١٦٠-١٦٤) ، حاشية الدَّسوقي علىٰ أمِّ البراهين (ص١٧٥-١٨٠) ، الأربعين في أصول الدِّين للرازي (ص٢٤٤-٢٥٨) ، شرح الفقه الأكبر (ص٧٠-٧٣) ، عون المريد لشرح جوهرة التَّوحيد (ص٣٦٣-٣٧٥) ، شرح الصَّاوي علىٰ جوهرة التَّوحيد (ص١٧٧-١٨٣) ، خير القلائد شرح جواهر العقائد (ص٦٨-٧٦) ، المسامرة بشرح المسايرة (ص٧٨-٩٠) ، أصول الدِّين للغزنوي (ص١٠٠-١٠٥) ، أبكار الأفكار (١/ ٢٦٥-٣١١) ، الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٤٠-١٥٤) ، الإشارة إلىٰ مذهب أهل الحق (ص٢١١-٢٣٢) ، الإنصاف للباقلاني (ص٦٨-١٤٢) ، أصول الدِّين للبزدوي (ص٦٢-٧٦) ، المواقف (ص٢٩٣-٢٩٦) ، المختصر المفيد في شرح جوهرة التَّوحيد (ص٦٧-٧٠) .

فقد خرجوا في زمن التَّابعين ودعوا إلىٰ مذهبهم ، وقامت في وجوههم العلماء من التَّابعين ومن بعدهم ، وردُّوا عليهم ، وبيَّنوا باطلهم من الكتاب والسُّنَّة وإجماع علماء الأُمَّة ، وناظروهم أتمّ المناظرة ، ومع هذا أصرُّوا علىٰ باطلهم ، ودعوا إليه ، وفارقوا الجماعة ، فبدَّعتهم العلماء ، وصاحوا بهم ، ولكن ما كفَّروهم ، ولا أجروا عليهم أحكام أهل الردَّة ، بل أجروا عليهم هُمّ وأهل البدع قبلهم أحكام الإسلام ، من التَّوارث ، والتَّناكح ، والصَّلاة عليهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين ، ولم يقولوا لهم أهل العلم من أهل السُّنَّة : قامت عليكم الحجَّة ، حيث بيَّنَّا لكم ، لأنَّا لا نقول إلَّا حَّقاً ، حيث خالفتمونا كفرتم ، وحلَّ مالكم ودماؤكم ، وصارت بلادكم بلاد حرب ، كما هو الآن مذهبكم ، أفلا يكون لكم في هؤلاء الأئمَّة عبرة فترتدعون عن الباطل وتفيئون إلىٰ الحقّ ؟!!!

فَصْلٌ: ثمَّ خرج بعد هؤلاء المرجئة الذين يقولون : الإيمان قول بلا عمل ، فمن أقرَّ عندهم بالشَّهادتين ، فهو مؤمن كامل الإيمان ، وإن لم يصلِّ لله ركعة طول عمره ، ولا صام يوماً من رمضان ، ولا أدَّىٰ زكاة ماله ، ولا عمل شيئاً من أعمال الخير ، بل من أقرَّ بالشَّهادتين فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان ، إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء ، إلىٰ غير ذلك من أقوالهم القبيحة التي ابتدعوها في الإسلام ، ومع أنَّه صاح بهم أئَّمة أهل الإسلام ، وبدَّعوهم ، وضلَّلوهم ، وبيَّنوا لهم الحقَّ من الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل العلم من أهل السُّنَّة من الصَّحابة فمن بعدهم ، وأبوا إلَّا التَّمادي علىٰ ضلالهم ومعانتهم لأهل السُّنَّة ، متمسِّكين هم ومن قبلهم من أهل البدع بمتشابه من الكتاب والسُّنَّة ، ومع هذه الأمور الهائلة فيهم لم تكفِّرهم أهل السُّنَّة ، ولا سلكوا مسلككم فيمن خالفكم ، ولا شهدوا عليهم بالكفر ، ولا جعلوا بلادهم بلاد حرب ، بل جعلوا الأُخوَّة الإيمانيَّة ثابتة لهم ولمن قبلهم من أهل البدع ، ولا قالوا لهم : كفرتم بالله ورسوله ، لأنَّا بيَّنَّا لكم الحقَّ ، فيجب عليكم اتِّباعنا ، لأنَّا بمنزلة الرَّسول ﷺ ، من خطَّأنا فهو عدو لله ورسوله ، كما هو قولكم اليوم ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

فَصْلٌ: ثمَّ حدث بعد هؤلاء الجهميَّة الفرعونيَّة الذين يقولون : ليس علىٰ العرش إله يعبد ، ولا لله في الأرض من كلام ، ولا عُرج بمحمَّد ﷺ لربِّه ، وينكرون صفات الله سبحانه التي أثبتها

لنفسه في كتابه ، وأثبتها رسول الله ﷺ ، وأجمع علىٰ القول بها الصَّحابة فمن بعدهم ، وينكرون رؤية الله سبحانه في الآخرة ، ومن وصف الله سبحانه بما وصف به نفسه ووصف به رسوله ﷺ فهو عندهم كافر ، إلىٰ غير ذلك من أقوالهم وأفعالهم التي هي غاية الكفر ، حتَّىٰ أنَّ أهل العلم سمُّوهم الفرعونيَّة تشبيهاً لهم بفرعون ، حيث أنكر الله سبحانه ، ومع هذا فردَّت عليهم الأئمَّة ، وبيَّنوا بدعتهم وضلالهم ، وبدَّعوهم ، وفسَّقوهم ، وجعلوهم أكفر ممَّن قبلهم من أهل البدع ، وأقل تشبُّثاً بالشَّرعيَّات ، وقالوا عنهم : إنَّهم قَّدموا عقولهم علىٰ الشَّرعيات، وأمر أهل العلم بقتل بعض دعاتهم ، كالجعد بن درهم ، وجهم بن صفوان ، وبعد أن قُتلوا ، غسَّلوهم ، وصلُّوا عليهم ، ودفنوهم مع المسلمين ، كما ذكر ذلك الشَّيخ تقيُّ الدِّين ، ولم يُجروا عليهم أحكام أهل الردَّة ، كما أجريتم أحكام أهل الردَّة علىٰ من لم يقل أو يفعل عُشْر مِعشار ما قالوا هؤلاء أو فعلوا ، بل والله كفَّرتم من قال الحقَّ الصّرف ، حيث خالف أهواءكم ، وإنَّما لم أذكر فرقة الرَّافضة ، لأنَّهم معروفون عند الخاصِّ والعامّ ، وقبائحهم مشهورة ، ومن هؤلاء الفِرَق الذين ذكرنا تشعَّبت الثِّنتان والسَّبعون فرقة أهل الضَّلالة المذكورون في السُّنَّة في قوله عليه الصَّلاة والسلام : " تفترق هذه الأُمَّة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة" ، وما سوىٰ الثِّنتين والسَّبعين وهي الثَّالثة والسَّبعون هم الفرقة النَّاجية أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وإلىٰ آخر الدَّهر ، وهي التي لا تزال قائمة علىٰ الحقِّ ، رزقنا الله اتِّباعهم بحوله وقوَّته . وكلَّما ذكرت من أخبار هذه الفرقة فإنَّما أخذته من كتب أهل العلم ، وأكثر ما أنقل عن ابن تيمية وابن القيِّم.

فَصْلٌ: وها أنا أذكر لك شيئاً ممَّا ذكر أهل العلم من أنَّ مذهب السَّلف عدم القول بتكفير هؤلاء الفرق الذين تقدَّم ذكرهم .

قال الشَّيخ تقي الدِّين في كتاب الإيمان : " لم يكفِّر الإمام أحمد الخوارج ولا المرجئة ولا القدريَّة ؛ وَإِنَّما المنقول عنه وعن أمثاله تكْفِيرُ الجهميَّة ، مَعَ أَنَّ أَحْمَد لَمْ يُكَفِّرْ أَعْيَانَ الجهمية ، وَلَا كُلَّ مَنْ قَالَ أَنَّه جهمي كَفَّرَهُ ، وَلَا كُلَّ مَنْ وَافَقَ الجهمية فِي بَعْضِ بِدَعِهِمْ ؛ بَلْ صَلَّىٰ خَلْفَ الجهمية الَّذِينَ دَعَوْا إلَىٰ قَوْلِهِمْ وَامْتَحَنُوا النَّاسَ وَعَاقَبُوا مَنْ لَمْ يُوَافِقْهُمْ بِالْعُقُوبَاتِ الْغَلِيظَةِ ، لَمْ يُكَفِّرْهُمْ أَحْمَد وَأَمْثَالُهُ ؛ بَلْ

كَانَ يَعْتَقِدُ إِيمَانَهُمْ وَإِمَامَتَهُمْ ؛ وَيَدْعُو لَهُمْ ؛ وَيَرَىٰ الِائْتِمَامَ بِهِمْ فِي الصَّلَوَاتِ خَلْفَهُمْ وَالْحَجَّ وَالْغَزْوَ مَعَهُمْ وَالْمَنْعَ مِنْ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ مَا يَرَاهُ لِأَمْثَالِهِمْ مِنْ الأئمَّة . وَيُنْكِرُ مَا أَحْدَثُوا مِنْ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ عَظِيمٌ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا هُمْ أَنَّه كُفْرٌ ؛ وَكَانَ يُنْكِرُهُ وَيُجَاهِدُهُمْ عَلَىٰ رَدِّهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ ؛ فَيَجْمَعُ بَيْنَ طَاعَةِ اللهَّ وَرَسُولِهِ فِي إظْهَارِ السُّنَّةِ وَالدِّينِ وَإِنْكَارِ بِدَعِ الجهمية الْمُلْحِدِينَ ؛ وَبَيْنَ رِعَايَةِ حُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الأئمَّة وَالْأُمَّةِ ؛ وَإِنْ كَانُوا جُهَّالًا مُبْتَدِعِينَ ؛ وَظَلَمَةً فَاسِقِينَ" (٤١) .

انتهىٰ كلام الشَّيخ ، فتأمَّله تأمُّلاً خالياً عن الميل والحيف .

وقال الشَّيخ تقي الدِّين أيضاً : مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانُ بِالرَّسُولِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ وَقَدْ غَلِطَ فِي بَعْضِ مَا تَأَوَّلَهُ مِنْ الْبِدَعِ فَهَذَا لَيْسَ بِكَافِرِ أَصْلًا وَالْخَوَارِجُ كَانُوا مِنْ أَظْهَرِ النَّاسِ بِدْعَةً وَقِتَالًا لِلْأُمَّةِ وَتَكْفِيرًا لَهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُكَفِّرُهُمْ لَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَلَا غَيْرُهُ بَلْ حَكَمُوا فِيهِمْ بِحُكْمِهِمْ فِي الْمُسْلِمِينَ الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ كَمَا ذَكَرَتْ الْآثَارُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. وَكَذَلِكَ سَائِرُ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُنَافِقًا فَهُوَ كَافِرٌ فِي الْبَاطِنِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُنَافِقًا بَلْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاَللهَّ وَرَسُولِهِ فِي الْبَاطِنِ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ أَخْطَأَ فِي التَّأْويل كَائِنًا مَا كَانَ خَطَؤُهُ؛ وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِهِمْ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ النِّفَاقُ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ. وَمَنْ قَالَ: إنَّ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَكْفُرُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ فَقَدْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهَّ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بَلْ وَإِجْمَاعَ الأئمَّة الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِ الْأَرْبَعَةِ فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ كَفَّرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الثِّنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً . انتهىٰ كلامه (٤٢) .

فتأمَّله وتأمَّل حكاية الاجماع من الصَّحابة وغيرهم من أهل السُّنَّة مع ما تقدَّم لك ما في مذاهبهم من الكفر العظيم ، لعلَّك تنتبه من هذه الهوَّة التي وقعت فيها أنت وأصحابك .

وقال ابن القيِّم : في طرق أهل الْبِدَعِ الْمُوَافِقُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُمْ مُخَالِفُونَ فِي بَعْضِ الْأُصُولِ - كَالرَّافِضَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغُلَاةِ الْمُرْجِئَةِ وَنَحْوِهِمْ ، فَهَؤُلَاءِ أَقْسَامٌ:

---

(٤١) انظر : الإيمان الأوسط (ص٥٦ ، مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٠٨) ، بتصرف) .

(٤٢) انظر : مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ٢١٧-٢١٨) .

أَحَدُهَا: الْجَاهِلُ الْمُقَلِّدُ الَّذِي لَا بَصِيرَةَ لَهُ، فَهَذَا لَا يُكَفَّرُ وَلَا يُفَسَّقُ، وَلَا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَىٰ تَعَلُّمِ الْهُدَىٰ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ .

الْقِسْمُ الثَّانِي: الْمُتَمَكِّنُ مِنَ السُّؤَالِ وَطَلَبِ الْهِدَايَةِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَلَكِنْ يَتْرُكُ ذَلِكَ اشْتِغَالًا بِدُنْيَاهُ وَرِيَاسَتِهِ، وَلَذَّتِهِ وَمَعَاشِهِ ، فَهَذَا مُفَرِّطٌ مُسْتَحِقٌّ لِلْوَعِيدِ، آثِمٌ بِتَرْكِ مَا أوجَبَ عَلَيْهِ مِنْ تَقْوَىٰ اللهِ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ، فَهَذَا إِنْ غَلَبَ مَا فِيهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالْهَوَىٰ عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْهُدَىٰ: رُدَّتْ شَهَادَتُهُ، وَإِنْ غَلَبَ مَا فِيهِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْهُدَىٰ: قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَسْأَلَ وَيَطْلُبَ، وَيَتَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ، وَيَتْرُكَهُ تَعَصُّبًا، أَوْ مُعَادَاةً لِأَصْحَابِهِ، فَهَذَا أَقَلُّ دَرَجَاتِهِ: أَنْ يَكُونَ فَاسِقًا، وَتَكْفِيرُهُ مَحَلُّ اجْتِهَادٍ . انتهىٰ كلامه (٤٣) .

فانظره وتأمَّله ، فقد ذكر هذا التَّفصيل في غالب كُتبه ، وذكر أنَّ الأئمَّة وأهل السُّنَّة لا يكفِّرونهم ، هذا مع ما وصفهم به من الشِّرك الأكبر والكفر الأكبر ، وبيَّن في غالب كُتبه مخازيهم ، ولنذكر من كلامه طرفاً تصديقاً لما ذكرنا عنه ، قال رحمه الله تعالىٰ في المدارج : الْمُثْبِتُونَ لِلصَّانِعِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: أهل الْإِشْرَاكِ بِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، كَالْمَجُوسِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ مَعَ اللهِ خَالِقًا آخَرَ، والْمَجُوسِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ تُثْبِتُ مَعَ اللهِ خَالِقاً لِلْأَفْعَالِ، لَيْسَتْ أَفْعَالُهُمْ مَقْدُورَةً للهِ، وَلَا مَخْلُوقَةً لَهُمْ، وَهِيَ صَادِرَةٌ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ أَرْبَابَهَا فَاعِلِينَ لَهَا، بَلْ هُمُ الَّذِينَ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ شَائِينَ مُرِيدِينَ فَاعِلِينَ. وَحَقِيقَةُ قَوْلِ هَؤلَاءِ: أَنَّ اللهَ لَيْسَ خَالِقاً لِأَفْعَالِ الْحَيَوَانِ (٤٤) . انتهىٰ كلامه .

وقد ذكرهم بهذا الشِّرك في سائر كتبه وشبَّههم بالمجوس الذين يقولون : أنَّ للعالم خالقين ، وانظر لَمَّا تكلَّم علىٰ التَّكفير هو وشيخه كيف حكموا عدم تكفيرهم عن جميع أهل السُّنَّة ، حتَّىٰ مع معرفة الحقّ والمعاندة قال كفره محلّ اجتهاد ، كما تقدَّم كلامه قريباً .

---

(٤٣) انظر : الطرق الحكمية لابن القيِّم (ص١٤٦-١٤٧، بتصرف) .

(٤٤) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٨٥) .

وأيضاً الجهميَّة ذكرهم بأقبح الأوصاف ، وذكر أنَّ شِركهم شرك فرعون وأنَّهم معطِّلة ، وأنَّ المشركين أقلّ شركاً منهم ، وضرب لهم مثلاً في النُّونيَّة وغيرها من كُتبهم ، كالصَّواعق وغيرها ، وكذلك المعتزلة كيف وصفهم بأكبر القبائح ، وأقسم أنَّ قولهم وأحزابهم من أهل البدع لا تُبقي من الإيمان حبَّة خردل ، فلمَّا تكلَّم على تكفيرهم في النُّونيَّة لم يكفِّرهم ، بل فصَّل في موضع منها ، كما فصَّل في الطَّرف كما مرَّ .

وموضع آخر فيه عن أهل السُّنَّة مخاطبة لهؤلاء المبتدعة الذين أقسم أنَّ قولهم لا يُبقي من الإيمان حبَّة خردل ، فقال : واشهد علينا بأنَّا لا نكفِّركم بما معكم من الكُفران إذ أنتم أهل الجهالة عندنا لستم أولي كفر ولا إيمان ، ويأتي إن شاء الله تعالى لهذا مزيد من كلام الشَّيخ تقى الدِّين ، وحكاية إجماع السَّلف ، وأنَّ التَّكفير هو قول أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والرَّافضة .

وقال أبو العبَّاس بن تيمية رحمه الله في كلام له في الفرقان : ودخل بعض أهل الكلام والجدل من المنتسبين إلى الإسلام من المعتزلة ونحوهم في بعض مقالة الصابئة والمشركين ممَّن لم يهتد بهدي الله الذي أرسل به رسله ، من أهل الكلام والجدل ، صاروا يريدون أن يأخذوا مأخذهم ، كما أخبر النَّبي ﷺ بقوله «لتأخذنَّ مأخذ الأمم قبلكم " . الحديث الصَّحيح (٤٥) .

إلى أن قال : أنَّ هؤلاء المتكلِّمين أكثر حقَّاً ، وأتبع للأدلَّة لما تنوَّرت به قلوبهم من نور القرآن والإسلام ، وإن كانوا قد ضلُّوا في كثير ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ ، فوافقوا أولئك على أنَّ الله لا يتكلَّم ولا تكلَّم ،كما وافقوهم على أنَّه لا علم له ولا قدرة ولا صفة من الصِّفات ، إلى أن قال :

ولَّما رأوا أنَّ الرُّسل متَّفقة على أنَّ الله متكلِّم ، والقرآن مملوء من إثبات قوله وكلامه صاروا تارة يقولون : ليس بمتكلِّم حقيقة بل مجازًا ، وهذا قولهم الأوَّل لَّما كانوا في بدعتهم وكفرهم على الفطرة قبل أن يدخلوا في العناد والجحود.

---

(٤٥) لم أجد الحديث باللفظ المذكور ... وفي صحيحه أخرج البخاري (٤/١٦٩ برقم ٣٤٥٦) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ» ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ» .

إلىٰ أن قال : وهذا قول من يقول : القرآن مخلوق .

إلىٰ أن قال : وأنكر هؤلاء أن يكون الله متكلِّمًا أو قائلًا علىٰ الوجه الذي دلَّت عليه الكُتب الإلهيَّة ، والذي أفهمت الرُّسل لقومهم ، واتَّفق عليه أهل الفِطَر السَّليمة .

إلىٰ أن قال : ونشأ بين هؤلاء الذين هم فروع الصَّابئة وبين المسلمين المؤمنين أتباع الرسول ﷺ الخلاف ، فكفر هؤلاء ببعض ما جاءت به الرُّسل ، واختلفوا في كتاب الله ، فآمنوا ببعض ، واتَّبع المؤمنون ما أُنزل إليهم من ربِّهم ، وعلموا أنَّ قول هؤلاء أخبث من قول اليهود والنَّصارىٰ ، حتَّىٰ كان عبد الله بن المبارك ليقول : إنَّا لنحكي قول اليهود والنَّصارىٰ ولا نحكي قول الجهميَّة ، وكان قد كثر هؤلاء الذين هم فروع المشركين ومن اتَّبعهم من الصَّابئة في آخر المائة الثَّانية في إمارة المأمون ، وظهرت علوم الصَّابئين والمنجِّمين ونحوهم ، فظهرت هذه المقالة في أهل العلم وأهل السَّيف والإمارة ، وصار في أهلها من الخلفاء والأمراء والوزراء والفقهاء والقضاة وغيرهم ما امتحنوا به المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .انتهىٰ كلام الشَّيخ رحمه الله .

فانظر في هذا الكلام وتدبَّره كيف وصف هؤلاء بأعظم الكفر والشِّرك ، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه ، وأنَّهم فروع المشركين والصَّابئة ، وأنَّهم أخذوا مأخذ القرون من قبلهم أهل الكفر ، وأنَّهم خالفوا العقل والنَّقل والفطرة ، وأنَّهم خالفوا جميع الرُّسل في قولهم ، وأنَّهم عاندوا الحقّ ، وأنَّ أهل العلم يقولون : قولهم هذا أخبث من قول اليهود والنَّصارىٰ ، وأنَّهم عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات علىٰ الحقِّ ، وهؤلاء الذين عنوا بهذا الكلام هم المعتزلة والقدريَّة والجهميَّة ومن سلك سبيلهم من أهل البدع وغيرهم ، والخلفاء الذين يعنيهم : المأمون والمعتصم والواثق ووزراؤهم وقضاتهم وفقهاؤهم، وهم الذين جلدوا الإمام أحمد رحمه الله وحبسوه ، وقتلوا أحمد ابن نصير الخزاعي وغيره (٤٦) ، وعذَّبوا المؤمنين والمؤمنات بدعوتهم إلىٰ الأخذ بقولهم ، وهم الذين يعني

---

(٤٦) لعلَّ الفتنة التي تعرَّض لها الإمام أحمد هي السَّبب الرَّئيس في اشتهاره ، مع أنَّه كان مع أحمد في الفتنة غير واحد من العلماء الحفاظ ، وقد قضىٰ بعضهم تحت التَّعذيب ...مع أنَّه في الحقيقة أقلّ رتبة ممَّن سبقه من العلماء كـأبي حنيفة

بقوله فيما تقدَّم ، وما يأتي أنَّ الإمام أحمد لا يكفِّرهم ، ولا أحد من السَّلف ، وأنَّ أحمد صلَّى خلفهم ، واستغفر لهم ، ورأى الائتمام بهم ، وعدم الخروج عليهم ، وأنَّ الإمام أحمد يردُّ قولهم الذي هو كفر عظيم ، كما تقدَّم كلامه ، فراجعه .

فبالله عليك تأمَّل أي هذا وأي قولكم فيمن خالفكم فهو كافر ، ومن لم يكفِّره فهو كافر ، بالله عليكم انتهوا عن الخنا وقول الزُّور ، واقتدوا بالسَّلف الصَّالح وتجنَّبوا طريق أهل البدع ، ولا تكونوا كالذي زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً .

قال الشَّيخ تقي الدِّين رحمه الله تعالى : وَمِنْ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَةِ تَكْفِيرُ الطَّائفة غَيْرَهَا مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِحْلَالُ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ كَمَا يَقُولُونَ: هَذَا زَرْعُ الْبِدْعِيِّ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا عَظِيمٌ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ تِلْكَ الطَّائفة الْأُخْرَى قَدْ لَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ الْبِدْعَةِ أَعْظَمُ مِمَّا فِي الطَّائفة الْمُكَفِّرَةِ لَهَا؛ بَلْ تَكُونُ بِدْعَةُ الْمُكَفِّرَةِ أَغْلَظَ أَوْ نَحْوَهَا أَوْ دُونَهَا وَهَذَا حَالُ عَامَّةِ أهل الْبِدَعِ الَّذِينَ يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَإِنَّهُ إنْ قُدِّرَ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ يَكْفُرُ كُفِّرَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّه لَمْ يَكْفُرْ لَمْ يَكْفُرْ هَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ فَكَوْنُ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ تُكَفِّرُ الْأُخْرَى وَلَا تُكَفِّرُ طَائِفَتَهَا هُوَ مِنْ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] .

، ومالك ، والشَّافعي ، وغيرهم ، فلعلَّ الفتنة التي تعرَّض لها عليه رحمة الله تعالى هي السَّبب الرَّئيس في شهرته ، مع أنَّه كان مع أحمد في الفتنة غير واحد من العلماء الحفاظ ، وقد قضى بعضهم تحت التَّعذيب... ولا شكَّ في أنَّ من جاد بنفسه من أجل معتقده أفضل من غيره . ومن العلماء الذين امتحنوا في مسألة خلق القرآن : الإمام الحافظ أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغسَّاني (٢١٨هـ) ، الإمام محمَّد بن نوح العجلي (٢١٨هـ) ، الإمام الحافظ أبو نعيم الفضل بن دكين الْمُلائي (٢١٩هـ) ، الإمام الحافظ أبو عثمان عفَّان بن مسلم البصري (٢٢٠هـ) ، الإمام الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حمَّاد الخزاعي (٢٢٩هـ) ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي (٢٣١هـ) ، الإمام الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيي المصري البويطي (٢٣١هـ) ، الإمام أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن محمَّد الأذرمي (توفي ما بين ٢٤١هـ-٢٥٠هـ) .

وَالثَّانِي: أنَّه لَوْ فُرِضَ أَنَّ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ مُخْتَصَّةٌ بِالْبِدْعَةِ لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ يُكَفِّرُوا كُلَّ مَنْ قَالَ قَوْلًا أَخْطَأَ فِيهِ فَإِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ قَالَ: **﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة:٢٨٦] ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عن النَّبي ﷺ : "أَنَّ اللهَّ قَالَ: قَدْ فَعلْت" ، وَقَالَ تَعالَىٰ: **﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾** [الأحزاب:٥] ، وَرُوِيَ عَنْ النَّبي ﷺ أنَّه قَالَ: " إِنَّ اللهَّ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ" ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْن مَاجَه وَغَيْرُهُ. وَقد أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ والتَّابعون لهُم بإِحْسَان وَسَائِرُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أنَّه لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا أَخْطَأَ فِيهِ أنَّه يَكْفُرُ بِذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ مُخَالِفًا لِلسُّنَّةِ فتَكْفِيرُ كُلِّ مُخْطِئٍ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ؛ لَكِنْ لِلنَّاسِ نِزَاعٌ فِي مَسَائِلِ التَّكْفِيرِ قَدْ بُسِطَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

وقال الشَّيخ رحمه الله أيضاً : الخَوَارِج لَهُمْ خاصَّتَانِ مَشْهُورَتَانِ فَارَقُوا بِهِمَا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَأَئِمَّتَهُمْ: **أَحَدُهُمَا**: خُرُوجُهُمْ عَنْ السُّنَّةِ وَجَعْلُهُمْ مَا لَيْسَ بِسَيِّئَةٍ سَيِّئَةً أَوْ مَا لَيْسَ بِحَسَنَةٍ حَسَنَةً .

الثَّانية : فِي الْخَوَارِجِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ: أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ. وَيَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ اسْتِحْلَالُ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَأَنَّ دَارَ الْإِسْلَامِ دَارُ حَرْبٍ ، وَدَارَهُمْ هِيَ دَارُ الْإِيمَانِ. وَكَذَلِكَ يَقُولُ جُمْهُورُ الرَّافِضَةِ؛ وَجُمْهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ؛ وَالْجَهْمِيَّة؛ وَطَائِفَةٌ مِنْ غُلَاةِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَىٰ أهل الْحَدِيثِ .

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ الْخَبِيثَيْنِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُمَا مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ وَذَمِّهِمْ وَلَعْنِهِمْ وَاسْتِحْلَال دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

وَعَامَّةُ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَشِبْهُ التَّأْويل الْفَاسِدِ: إِمَّا حَدِيثٌ بَلَغَهُ غير صحيح أَوْ عَنْ غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ قَلَّدَ قائله فيه وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْقَائِلُ مُصِيبًا أَوْ تَأْوِيلُ تَأَوَّلَهُ مِنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهَّ وَلَمْ يَكُنْ التَّأْويل صَحِيحًا وَإِمَّا قِيَاسٌ فَاسِدٌ أَوْ رَأْيٌ رَآهُ اعْتَقَدَهُ صَوَابًا وَهُوَ خَطَأٌ.

إِلىٰ أن قال : قالَ أَحْمَد : أَكْثَرُ مَا يُخْطِئُ النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّأْويل وَالْقِيَاسِ.

وقال الشَّيخ : أهل الْبِدَعِ صَارُوا يَبْنُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ مُقَدِّمَاتٍ يَظُنُّونَ صِحَّتَهَا. إمَّا فِي دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ. وَإِمَّا فِي الْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ. وَلَا يَتَأَمَّلُونَ بَيَانَ اللهَّ وَرَسُولِهِ وَكُلُّ مُقَدِّمَاتٍ تُخَالِفُ بَيَانَ اللهَّ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهَا تَكُونُ ضَلَالًا ، وَلِهَذَا تَكَلَّمَ أَحْمَد فِي رِسَالَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِمَا يَظْهَرُ

لَهُ مِنْ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ بِبَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ وَهَذِهِ طَرِيقَةُ سَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. لَا يَعْدِلُونَ عَنْ بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا وَجَدُوا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

وقال الشَّيخ أيضاً : أَنِّي دَائِمًا وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي: أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إِلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ، إِلَّا إِذَا عُلِمَ أَنَّه قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً وَفَاسِقًا أُخْرَى وَعَاصِيًا أُخْرَى ، وَإِنِّي أُقَرِّرُ أَنَّ اللهَّ قَدْ غَفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَطَأَهَا: وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ. وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرٍ وَلَا بِفِسْقٍ وَلَا مَعْصِيَةٍ كَمَا أَنْكَرَ شريح قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**﴾ [الصافات:١٢] ، وَقَالَ: إِنَّ اللهَّ لَا يَعْجَبُ .

إِلَى أن قال : وَقَدْ آلَ الشَّرُّ بَيْنَ السَّلَفِ إِلَى الِاقْتِتَالِ. مَعَ اتِّفَاقِ أهل السُّنَّة عَلَى أَنَّ الطَّائِفَتَيْنِ جَمِيعًا مُؤْمِنَتَانِ (٤٧) ، وَأَنَّ الِاقْتِتَالَ لَا يَمْنَعُ الْعَدَالَةَ الثَّابِتَةَ لَهُمْ، لِأَنَّ الْمُقَاتِلَ وَإِنْ كَانَ بَاغِيًا فَهُوَ مُتَأَوِّلٌ

---

(٤٧) قال الإمام القرطبي في " الجامع لأحكام القرآن" (١٦/ ٣١٧) : " قَالَ الْعُلَمَاءُ: لَا تَخْلُو الْفِئَتَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي اقْتِتَالِهِمَا، إِمَّا أَنْ يَقْتَتِلَا عَلَى سبيل البغي منهما جميعا أولا. فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فَالْوَاجِبُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُمْشَى بَيْنَهُمَا بِمَا يُصْلِحُ ذَاتَ الْبَيْنِ وَيُثْمِرُ الْمُكَافَّةَ وَالْمُوَادَعَةَ. فَإِنْ لَمْ يَتَحَاجَزَا وَلَمْ يَصْطَلِحَا وَأَقَامَتَا عَلَى الْبَغْيِ صِيرَ إِلَى مُقَاتَلَتِهِمَا. وَأَمَّا إِنْ كَانَ الثَّانِي وَهُوَ أَنْ تَكُونَ إِحْدَاهُمَا بَاغِيَةً عَلَى الْأُخْرَى، فَالْوَاجِبُ أَنْ تُقَاتَلَ فِئَةُ الْبَغْيِ إِلَى أَنْ تَكُفَّ وَتَتُوبَ، فَإِنْ فَعَلَتْ أُصْلِحَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَبْغِيِّ عَلَيْهَا بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ. فَإِنِ الْتَحَمَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمَا لِشُبْهَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا وَكِلْتَاهُمَا عِنْدَ أَنْفُسِهِمَا مُحِقَّةٌ، فَالْوَاجِبُ إِزَالَةُ الشُّبْهَةِ بِالْحُجَّةِ النَّيِّرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْقَاطِعَةِ عَلَى مَرَاشِدِ الْحَقِّ. فَإِنْ رَكِبَتَا مَتْنَ اللَّجَاجِ وَلَمْ تَعْمَلَا عَلَى شَاكِلَةِ مَا هُدِيَتَا إِلَيْهِ وَنُصِحَتَا بِهِ مِنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ بَعْدَ وُضُوحِهِ لَهُمَا فَقَدْ لَحِقَتَا بالفئتين الباغيتين. والله أعلم.

الثَّالثة : فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ قِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ الْمَعْلُومِ بَغْيُهَا عَلَى الْإِمَامِ أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَعَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ مَنَعَ مِنْ قِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "قِتَالُ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ ".

وَلَوْ كَانَ قِتَالُ الْمُؤْمِنِ الْبَاغِي كُفْرًا لَكَانَ اللهَّ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِالْكُفْرِ، تَعَالَى اللهَّ عَنْ ذَلِكَ! وَقَدْ قَاتَلَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْإِسْلَامِ وَامْتَنَعَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَأَمَرَ أَلَّا يُتْبَعَ مُوَلٍّ، وَلَا يُجْهَزَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَمْ تُحَلَّ أَمْوَالُهُمْ، بِخِلَافِ الْوَاجِبِ فِي الْكُفَّارِ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: لَوْ كَانَ الْوَاجِبُ فِي كُلِّ اخْتِلَافٍ يَكُونُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ الْهَرَبُ مِنْهُ وَلُزُومُ الْمَنَازِلِ لَمَا أُقِيمَ حَدٌّ وَلَا أُبْطِلَ بَاطِلٌ، وَلَوَجَدَ أهل النِّفَاقِ وَالْفُجُورِ سَبِيلًا إِلَى اسْتِحْلَالِ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللهَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ

وَالتَّأْوِيلُ يَمْنَعُ الْفُسُوقَ. وَكُنْت أُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّمَا نُقِلَ لَهُمْ عَنْ السَّلَفِ والأئمّة مِنْ إطْلَاقِ الْقَوْلِ بِتَكْفِيرِ مَنْ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ أيضاً حَقٌّ، لَكِنْ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّعْيِينِ. وَهَذِهِ أَوَّلُ مَسْأَلَةٍ تَنَازَعَتْ فِيهَا الْأُمَّةُ مِنْ مَسَائِلِ الْأُصُولِ الْكِبَارِ وَهِيَ مَسْأَلَةُ " الْوَعِيدِ " فَإِنَّ نُصُوصَ الْقُرْآنِ فِي الْوَعِيدِ مُطْلَقَةٌ كَقَوْلِهِ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا**﴾ [النساء:١٠] الْآيَةَ وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا وَرَدَ: مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا. فَإِنَّ هَذِهِ مُطْلَقَةٌ عَامَّةٌ. وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ مَنْ قَالَ كَذَا: فَهُوَ كَذَا.

إلى أن قال : وَالتَّكْفِيرُ هُوَ مِنْ الْوَعِيدِ. فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةِ بَعِيدَةٍ. وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْفُرُ بِجَحْدِ مَا يَجْحَدُهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ لَا يَسْمَعُ تِلْكَ النُّصُوصَ أَوْ سَمِعَهَا وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ أَوْ عَارَضَهَا عِنْدَهُ مُعَارِضٌ آخَرُ أَوْجَبَ تَأْوِيلَهَا، وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا، وَكُنْت دَائِمًا أَذْكُرُ الْحَدِيثَ الَّذِي فِي الصَّحِيحين فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ: " إذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي " الحديث .

فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَفِي إعَادَتِهِ إذَا ذُرِّيَ، بَلْ اعْتَقَدَ أنّه لَا يُعَادُ، وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ وَكَانَ مُؤْمِنًا يَخَافُ اللَّهَ أَنْ يُعَاقِبَهُ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ. وَالْمُتَأَوِّلُ مِنْ أهل الإجتهاد الْحَرِيصُ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْلَى بِالْمَغْفِرَةِ مِنْ مِثْلِ هَذَا. انتهى .

الْمُسْلِمِينَ وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ وَسَفْكِ دِمَائِهِمْ، بِأَنْ يَتَحَزَّبُوا عَلَيْهِمْ، وَيَكُفَّ الْمُسْلِمُونَ أَيْدِيَهُمْ عَنْهُمْ، وَذَلِكَ مُخَالِفٌ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " خُذُوا عَلَى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ " .

الرَّابِعَةُ : قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُمْدَةُ فِي حَرْبِ الْمُتَأَوِّلِينَ، وَعَلَيْهَا عَوَّلَ الصَّحَابَةُ، وإليها لَجَأَ الْأَعْيَانُ مِنْ أهل الْمِلَّةِ، وَإِيَّاهَا عَنَى النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: " تَقْتُلُ عَمَّارًا الْفِئَةُ الباغية " وقوله عليه السَّلام في شأن الْخَوَارِجِ: " يَخْرُجُونَ عَلَى خَيْرِ فُرْقَةٍ أَوْ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ " ، والرِّواية الْأُولَى أَصَحُّ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " تَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ " .

وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ".

وقال الشَّيخ رحمه الله ، وقد سُئل عن رجلين تكلَّما في مسألة التَّكفير فأجاب وأطال ، وقال في آخر الجواب :

لَوْ فُرِضَ أَنَّ دَفْعَ التَّكْفِيرِ عَنْ الْقَائِلِ يَعْتَقِدُ أَنَّه لَيْسَ بِكَافِرٍ حِمَايَةً لَهُ، وَنَصْرًا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، لَكَانَ هَذَا غَرَضًا شَرْعِيًّا حَسَنًا، وَهُوَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ اجْتَهَدَ فِيهِ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ " (٤٨) .

وقال رحمه الله : وَالْكُفْرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عُلِمَ مِنْ الدِّين ضَرُورَةً أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجْمَعِ عَلَيْهَا . انتهى (٤٩) .

فانظر إلى هذا الكلام وتأمَّله ، وهل هذا كقولكم : هذا كافر ومن لم بكفره فهو كافر ؟!! وهو قال : إن دفع عنه التَّكفير وهو مخطئ فله أجر ، وانظر وتأمَّل كلامه الأوَّل ، وهو أنَّ القول قد يكون كفراً ، ولكن القائل أو الفاعل لا يكفر لاحتمال أمور ، منها : عدم بلوغ العلم على الوجه الذي يكفر به : إمَّا لم يبلغه ، وإمَّا بلغه ولكن ما فهمه أو فهمه ولكن قام عنده معارض أوجب تأويله ، إلى غير ذلك ممَّا ذكره ، فيا عباد الله تنبَّهوا وارجعوا إلى الحقِّ ، وامشوا حيث مشى السَّلف الصَّالح ، وقفوا حيث وقفوا ، ولا يستفزَّكم الشَّيطان ويزيِّن لكم تكفير أهل الإسلام ، وتجعلون ميزان كفر النَّاس مخالفتكم ، وميزان الإسلام موافقتكم ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وعلى مراد رسوله ، أنقذنا الله وإيَّاكم من متابعة الأهواء .

قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى لمَّا ذكر أنواع الكفر : وكفر الجحود نوعان : كفرٌ مطلقٌ عامٌّ ، وكفر مقيَّد خاصٌّ ، فالمطلق : أن يجحد جملة ما أنزل الله ورسالة رسول الله ﷺ ، والخاصُّ المقيَّد : أن يجحد فرضاً من فروض الإسلام أو محرَّماً من محرَّماته أو صفة وصف الله بها نفسه أو خبراً أخبر الله به عمدًا أو تقديماً لقول من خالفه ، عالماً عمداً لغرض من الأغراض ، وأمَّا ذلك جهلاً أو تأويلاً

(٤٨) انظر : مجموع الفتاوى (٣/ ٤٧٧) .

(٤٩) انظر : مجموع الفتاوى (١/ ١٠٦) .

يعذر فيه فلا يكفر صاحبه ، لما في الصَّحيحين والسُّنن والمسانيد عن أبي هريرة ، قال : قال النَّبيُّ ﷺ : " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ، لِأَهْلِهِ " (٥٠) .

وفي رواية : أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ، فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عُذِّبَهُ أَحَدٌ "، قَالَ: " فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ. فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ، أَوْ مَخَافَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ " (٥١) .

---

(٥٠) أخرجه البخاري (٩/ ١٤٥ برقم) ، مسلم (٤/ ٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦) .

(٥١) أخرجه أحمد في المسند (١٣/ ٨٥ برقم ٧٦٤٧) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في "مصنف عبد الرزاق" (٢٠٥٤٨) ، ومن طريقه أخرجه مسلم (٢٧٥٦) (٢٥) ، وابن ماجه (٤٢٥٥) ، وأبو عوانة في الطب كما في "إتحاف المهرة" (٥/ ورقة ١٢٦) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص ٥١٠) ، وفي "الشعب" (١٠٤٧) ، والبغوي (٤١٨٤) . وأخرجه البخاري (٣٤٨١) من طريق هشام بن يوسف الصنعاني، وأبو عوانة في التوبة كما في "إتحاف المهرة" (٥/ورقة ١٢٦) من طريق رباح بن زيد، كلاهما عن معمر بن راشد، به. وأخرجه مسلم (٢٧٥٦) (٢٦) ، والنَّسائي في "المجتبى" (٤/ ١١٢) ، وأبو عوانة في التوبة كما في "إتحاف المهرة" (٥/ورقة ١٢٦) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٦٢) من طريق مُحَمَّد بن الوليد الزُّبيدي، والطحاوي أيضاً (٥٦١) من طريق يونس بن يزيد، كلاهما عن الزُّهري، به. وأخرجه مالك في "الموطأ" (١/ ٢٤٠) ، والبخاري (٧٥٠٦) ، ومسلم (٢٧٥٦) (٢٤) ، والنَّسائي في الرقائق من "الكبرى" كما في "تحفة الأشراف" (١٠/ ١٩٠) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٦٣) و (٥٦٤) و (٥٦٥) ، والبغوي (٤١٨٣) من طريق عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة بنحوه. وأخرجه الطحاوي (٥٦٠) من طريق مُحَمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة بنحوه.. قوله: "اسحقوني" قال السندي: قيل: روي: اسحكوني واسهكوني، والكل بمعنى، وهو الدق والطحن.

"ثم اذروني": من ذرى يذروه، وقال تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ ، أي: فرِّقوني . "في الرِّيح"، أي: في يوم تشتدُّ فيه الرِّيحُ في البحر لتتفرَّق الأجزاءُ بحيث لا يكون هناك سبيلٌ إلى جمعها، فيحتمل أنَّه رأى أنَّ جمعه يكونُ حينئذٍ مستحيلاً، والقدرة لا تتعلَّق بالمستحيل، فلذلك قال: "فوالله لئن قدر عليَّ ربِّي" ، فلا يلزم أنَّه نفى القُدرة، فصار بذلك كافراً، فكيف يُغفر له، وذلك لأنَّه ما نفى القدرة على ممكن، وإنَّما فرض غيرَ المستحيل مستحيلاً فيما لم يثبت عنده أنَّه ممكن من الدِّين بالضَّرورة، والكفر هو الأوَّل لا الثَّاني. ويحتمل أنَّ شدَّة الخوف طيَّرت عقله، فلا يلتفت إلى

فهذا منكرٌ لقدرة الله عليه ، ومنكر للبعث والمعاد ، ومع هذا غفر الله له وعذره بجهله ، لأنَّ ذلك مبلغ علمه لم ينكر ذلك عناداً ، وهذا فصل النِّزاع في بطلان قول من يقول : إنَّ الله لا يعذر العباد بالجهل في سقوط العذاب إذا كان ذلك مبلغ علمه .انتهى .

وقد سئل شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله عن التَّكفير الواقع في هذه الأمَّة : مَنْ أوَّل من أحدثه وابتدعه ، فأجاب : أوَّل من أحدثه في الإسلام المعتزلة ، وعنهم تلقَّاه من تلقَّاه ، وكذلك الخوارج هم أوَّل من أظهره واضطرب النَّاس في ذلك ، فمن النَّاس من يحكي عن مالك فيه قولين ، وعن الشَّافعي كذلك ، وعن أحمد روايتان ، وأبو الحسن الأشعري وأصحابه لهم قولان ، وحقيقة الأمر في ذلك أنَّ القول قد يكون كفراً ، فيطلق القول تكفير قائله ، ويقال : من قال كذا فهو كافر ، لكن الشَّخص المعيَّن الذي قاله لا يكفر حتَّى تقوم عليه الحجَّة التي يكفر تاركها من تعريف الحكم الشَّرعي من سلطان أو أمير مطاع، كما هو المنصوص عليه في كتب الأحكام ، فإذا عرفه الحكم وزالت عنه الجهالة قامت عليه الحجَّة ، وهذا كما هو في نصوص الوعيد من الكتاب والسُّنَّة ، وهي كثيرة جدّاً ، والقول بموجبها واجب على وجه العموم والإطلاق من غير أن يعيِّن شخص من الأشخاص ، فيقال : هذا كافر أو فاسق أو ملعون أو مغضوب عليه أو مستحقٌّ للنَّار ، لا سيَّما إن كان للشَّخص فضائل وحسنات ، فإنَّ ما سوى الأنبياء يجوز عليهم الصَّغائر والكبائر مع إمكان أن يكون ذلك الشَّخص صديقاً أو شهيداً أو صالحاً ، كما قد بُسط في غير هذا الموضع من أنَّ موجب الذُّنوب تتخلَّف عنه بتوبة أو باستغفار أو حسنات ماحية أو مصائب مكفِّرة أو شفاعة مقبولة أو لمحض مشيئة الله ورحمته.

ما يقولُ وما يفعل، وأنَّه هل ينفعه أم لا، كما هو الشَّاهد في الواقع في مهلكة، فإنَّه قد يتمسَّك بأدنى شيءٍ لاحتمال أنَّه لعلَّه ينفعُه، فهو فيما قالَ وفعلَ في حكم المجنون. وأجاب بعضٌ بأنَّ هذا رجلٌ لم تبلغه الدَّعوةُ وهذا بعيد. قوله: "ما عذّبه أحد" قال السِّندي بالرَّفع فاعل "ما عذّب" أي: ما عذَّبه أحدٌ غير الله، ويحتمل أنَّه بالنَّصب على أنَّه مفعول، وإن لم يكتب الألف معه، والفاعل ضمير يرجع إلى الله تعالى، أي: لم يعذبِ الله تعالى ذلك العذاب أحداً من خلقه" .

فإذا قلنا بموجب قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾ [النساء:٩٣] الآية ، وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النساء:١٠] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:١٤] ، وقوله : ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨] ، إلى غير ذلك من آيات الوعيد .

قلنا : بموجب قوله ﷺ : لعن الله من شرب الخمر (٥٢) .

أو من عق والديه ، أو من غيَّر منار الأرض ، أو من ذبح لغير الله ، أو لعن الله السَّارق ، أو لعن الله آكل الرِّبا وموكله وشاهده وكاتبه ، أو لعن الله لأوى الصدقة والمتعدي فيها أو من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين (٥٣) .

إلى غير ذلك من أحاديث الوعيد لم يجز أن تعيِّن شخصًا ممَّن فعل بعض هذه الأفعال ، وتقول : هذا المعيَّن قد صابه هذا الوعيد لإمكان التَّوبة وغيرها من مسقِطات العقوبة ، إلى أن قال : ففعل هذه الأمور من يحسب أنَّها مباحة باجتهاد أو تقليد ونحو ذلك ، وغايته أنَّه معذور من لحوق الوعيد به لمانع ، كما امتنع لحوق الوعيد بهم لتوبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفِّرة أو غير ذلك ، وهذه السَّبيل هي التي يجب اتِّباعها ، فإنَّ ما سواها طريقان خبيثان ، أحدهما : القول بلحوق

---

(٥٢) الحديث بهذا اللفظ لم أجده في أيٍّ من كتب السنَّة . وقد روى أحمد في المسند (٥/ ٧٤ برقم ٢٨٩٧) بسنده مَالِكَ بْنَ سَعْدٍ التُّجِيبِيَّ، حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَنَ الْخَمْرَ، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَمُسْتَقِيَهَا " .

(٥٣) روى الطَّبراني في الأوسط (٨/ ٢٣٤ برقم ٨٤٩٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٣٠ برقم ٥٠٨٩) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ سَبْعَةً مِنْ خَلْقِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتِهِ، وَرَدَّدَ اللَّعْنَةَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَلَاثًا، وَلَعَنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَعْنَةً تَكْفِيهِ، فَقَالَ: مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى شَيْئًا مِنَ الْبَهَائِمِ، مَلْعُونٌ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، مَلْعُونٌ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ ابْنَتِهَا، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ حُدُودَ الْأَرْضِ، مَلْعُونٌ مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ».

الوعيد بكلِّ فرد من الأفرادبعينه ، ودعوىٰ أنَّها عمل بموجب النُّصوص ، وهذا أقبح من قول الخوارج المكفِّرين بالذُّنوب ، والمعتزلة ، وغيرهم ، وفساده معلوم بالاضطرار ، وأدلَّته معلومة في غير هذا الموضع ، فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حقٌّ ، لكنَّ الشَّخص المعيَّن الذي فعله لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد علىٰ معيَّن من أهل القبلة بالَّنار لفوات شرط أو لحصول مانع ، وهكذا الأقوال الذي يكفر قائلها ، قد يكون القائل لها لم تبلغه النُّصوص الموجبة لمعرفة الحقّ ، وقد تكون بَلَغته ولم تثبت عنده أو لم يتمَّكن من معرفتها وفهمها ، أو قد عرضت له شُبهات يعذره الله بها (٥٤)

---

(٥٤) مسألة التَّكفير مسألة عويصة ، وهي من الخطورة بمكان ... طالما تعثَّرت بها أقدام ، وزلَّت فيها أقلام ، وضلَّت فيها أفهام ، تشتَّت فيها الآراء ، وتناوشتها الأهواء ، لأنَّ التَّكفير حكم شرعي مردُّه إلىٰ الله ورسوله ، فلا يجوز للمسلم أن يكفِّر أحداً إلَّا ببيِّنة وبرهان قطعي لا تحوم حوله الشُّبهات ، فقد يكون المُكفَّر مُكرهاً ، والله تعالىٰ يقول : **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِّ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَلكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِّ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾** [النحل: ١٠٦] .

وقد يكون المُكَفَّر غير قاصد الكفر ، بل صدر منه ما به كُفْر سبق لسان ، فمن لم يقصد الكفر لا يكفر ولو صدر عنه ما يوجب الكفر ، فإن غلط لسانه ونطق بالكفر من غير قصد فإنَّه لا يكفر بذلك ، لما ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : " للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْهَا ، فَأَتَىٰ شَجَرَةً ، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ" . أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٤ برقم ٢٧٤٧) .

وقد يكون جاهلاً ، فيُعذر ، لما رواه أبو وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِحُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، فَمَرَرْنَا عَلَىٰ شَجَرَةٍ يَضَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ : اللهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ كَمَا قَالَ أهل الْكِتَابِ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : **﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨] ، ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : إِنَّكُمْ سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ " . أخرجه الطَّيالسي في المسند (٢/ ٦٨٢ برقم ١٤٤٣) ، أحمد في المسند (٥/ ٢١٨ برقم ٢٢٢٤٢) ، الحميدي في المسند (٢/ ٣٧٥ برقم ٨٤٨) ، ابن أبي شيبة في المُصنف (١٥/ ١٠١ برقم ٣٨٥٣٠) ، التِّرمذي (٤/ ٤٥ برقم ٢١٨٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، ابن أبي عاصم في

السنة (١/ ٣٧ برقم ٧٦) ، مُحَمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في السنة (١/ ١٧ برقم ٣٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٥/ ٩٤ برقم ٦٧٠٢) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٤٤ برقم ٣٢٩١) ، أبو يعلى في المسند (٣/ ٣٠ برقم ١٤٤١) .

وقد يكون المُكَفَّر في حالة وَجَلٍ وخَوفٍ وغيبوبةٍ فتفوَّه بما لم يرده ، بدليل ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبي ﷺ ، قَالَ : " كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَىٰ نَفْسِهِ فلمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثمَّ اطْحَنُونِي ، ثمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحَداً ، فلمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ : اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ ، فَغَفَرَ لَهُ " وَقَالَ غَيْرُهُ : " مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ" . أخرجه البخاري (٤/ ١٧٦ برقم ٣٤٨١) ، مسلم (٤/ ٢١١٠ برقم ٢٧٥٦) .

وقد يكون المُكَفَّر ممَّن لم تقم عليهم الحجَّة ، فمن لم تقم عليه الحجَّة ويثبت موجب الكفر عليه ، فلا يجوز تكفيره ، لقول الله تعالى : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾** [الإسراء: ١٥] .

وقد دلَّت آيات الكتاب العزيز ، وكذا أحاديث الرَّسول ﷺ على خطورة التَّكفير ، من ذلك:

قوله تعالى : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهَّ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا فَعِنْدَ اللهَّ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُّ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَّ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** [النساء: ٩٤] ، قال الإمام الرَّازي : " ... ثمَّ قَالَ تَعَالَىٰ : **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾** . أَرَادَ الِانْقِيَادَ وَالِاسْتِسْلَامَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : **﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِّ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾** [النحل: ٨٧] ، أَيِ اسْتَسْلَمُوا لِلْأَمْرِ ، وَمَنْ قَرَأَ السَّلام بِالْأَلِفِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ :

أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ السَّلام الَّذِي يَكُونُ هُوَ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْ : لَا تَقُولُوا لِمَنْ حَيَّاكُمْ بِهَذِهِ التَّحِيَّةِ أَنَّه إِنَّما قَالَهَا تَعَوُّذاً فَتُقْدِمُوا عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ لِتَأْخُذُوا مَالَهُ ، وَلَكِنْ كُفُّوا وَاقْبَلُوا مِنْهُ مَا أَظْهَرَهُ .

وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَىٰ : لَا تَقُولُوا لِمَنِ اعْتَزَلَكُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْكُمْ لَسْتَ مُؤْمِناً ، وَأَصْلُ هَذَا مِنَ السَّلَامَةِ لِأَنَّ الْمُعْتَزِلَ طَالِبٌ لِلسَّلَامَةِ " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٠/ ١٨٩) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ شَيْئاً مِنْ عَلَامَاتِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَحِلَّ دَمُهُ حَتَّىٰ يُخْتَبَرَ أَمْرُهُ ، لِأَنَّ السَّلام تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ هَذِهِ عَلَامَةً " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٥٩) .

وقد جاءت السُّنَّة المطهَّرة بالوعيد الشَّديد لمن تجرَّأ على التَّكفير ، ومن ذلك قوله ﷺ : " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ " . أخرجه مسلم (١/ ٧٩ برقم ٦٠) ، أحمد في المسند (٢/ ٦٠ برقم ٥٢٥٩) .

، فمن كان مؤمناً بالله وبرسوله ، مظهراً للإسلام ، محبّاً لله ورسوله ، فإنَّ الله يغفر له ، ولو قارف بعض الذُّنوب القوليَّة أو العمليَّة سواء أطلق عليه لفظ الشِّرك أو لفظ المعاصي، هذا الذي عليه

وقوله ﷺ : " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا " . أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٣) ، الطَّيالسي في المسند (٣/ ٣٧٥ برقم ١٩٥٢) ، ابن المقرئ في المعجم (ص٩٩ برقم ٢٣٢) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٦٤٠ برقم ٥٩٤) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١١٠١ برقم ١٨٩٦) .

وقوله ﷺ : " لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ " . أخرجه البخاري (٨/ ١٥ برقم ٦٠٤٥) ، الأدب المفرد (ص٢٠١ برقم ٤٣٢) ، البغوي في شرح السنة (١٣/ ١٣٢ برقم ٣٥٥٢) .

وقوله ﷺ : " ... وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ" . أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٥) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٣ برقم ١٦٤٣٢) ، الرُّوياني في المسند (٢/ ٤٣١ برقم ١٤٥٠) ، الطَّبراني في المعجم الكبير (٢/ ٧٢ برقم ١٣٢٦) ، البيهقي في السُّنن الكبرىٰ (٨/ ٤٣ برقم ١٥٨٧٦) ، شعب الإيمان (٩/ ٤٥ برقم ٦٢٣٨) .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا سِتْرٌ مِنَ اللهِ ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ هُجْراً هَتَكَ سِتْرَهُ ، وَإِذَا قَالَ : يَا كَـــافِرُ ، فَقَدْ كَفَرَ أَحَدُهُمَا " . أخرجه الطَّبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٢٤ برقم ١٠٥٤٤) ، البزَّار في المسند (٥/ ٢٥٣ برقم ١٨٦٩) ، البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦٩ برقم ٤٦٦٢ ، وقال : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : " وَنا مَرَّةً أُخْرَىٰ مَوْقُوفاً " قَالَ الشَّيْخ أَحْمَدُ : الصَّوَابُ مَوْقُوفٌ كَمَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٧٣٢ برقم ١٠٠١) .

وَعَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ : سَأَلْتُ جَابِراً وَهُوَ مُجَاوِرٌ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ نَازِلٌ فِي بَنِي فِهْرٍ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَداً مِنْ أهل الْقِبْلَةِ مُشْرِكاً ؟ قَالَ : مَعَاذَ اللهِ ، فَفَزِعَ لِذَلِكَ . قَالَ : هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَداً مِنْهُمْ كَافِراً ؟ قَالَ : لَا . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٠٧ برقم ٤٠٨ ، وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ والطَّبراني فِي الْكَبِيرِ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ) .

ومع كلِّ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة من التَّحذير من المجازفة في التَّكفير الذي لا يلج بابه ويُسارع فيه إلَّا من لا عنده مسْكَة من ورعٍ ومخافة ... وذلك لما يترتَّب عليه من أحكام عديدة ...

فقد رأينا أقواماً ابتُليت الأمَّة بهم قديماً وحديثاً لا همَّ لهم إلَّا تكفير المخالفين ، ولو كان المُخالف لهم جمهور الأُمَّة ، علىٰ ما ستریٰ في هذا الكتاب ... والغريب في الأمر : أنَّك إن حاورت بعضهم في هذه المسألة أنكر واستكبر ، وعبس وبسر ، وقال : نحن لا نكفِّر ... والمخالفون هم من يكفِّروننا ، ويتَّهموننا بالتَّكفير ...

أصحاب رسول الله ﷺ وجماهير أئمَّة الإسلام ، لكن المقصود أنَّ مذاهب الأئمَّة مبنيَّة على هذا التَّفصيل بالفرق بين النَّوع والعين ، بل لا يختلف القول عن الإمام أحمد وسائر أئمَّة الإسلام ، كمالك وأبي حنيفة والشَّافعي ، أنَّهم لا يكفِّرون المرجئة الذين يقولون : الإيمان قولٌ بلا عمل ، ونصوصهم صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدريَّة وغيرهم ، وإنَّما كان الإمام أحمد يُطلق القول بتكفير الجهميَّة ، لأنَّه ابتلي بهم حتَّى عرف حقيقة أمرهم ، وأنَّه يدور على التَّعطيل .

وتكفير الجهميَّة مشهور عن السَّلف والأئمَّة ، لكن ما كانوا يكفِّرون أعيانهم ، فإنَّ الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقوله ولا يدعو إليه ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، والذي يكفِّر مخالفه أعظم من الذي يعاقب ، ومع هذا فالذين من ولاة الأمور يقولون بقول الجهميَّة : أنَّ القرآن مخلوق ، وأن الله لا يُرى في الآخرة ، وأنَّ ظاهر القرآن لا يحتجُّ به في معرفة الله ، ولا الأحاديث الصَّحيحة ، وأنَّ الدِّين لا يتمُّ إلَّا بما زخرفوه من الآراء والخيالات الباطلة والعقول الفاسدة، وأنَّ خيالاتهم وجهالاتهم أحكم في دين الله من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وإجماع الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان ، وأنَّ أقوال الجهميَّة والمعطِّلة من النَّفي والإثبات أحكم في دين الله ، بسبب ذلك امتحنوا المسلمين ، وسجنوا الإمام أحمد وجلدوه ، وقتلوا جماعة ، وصلبوا آخرين ، ومع ذلك لا يطلقون أسيراً ، ولا يعطون من بيت المال إلَّا من وافقهم ويقُّر بقولهم ، وجرى على الإسلام منهم أمور مبسوطة في غير هذا الموضع .

ومع هذا التَّعطيل الذي هو شرٌّ من الشِّرك فالإمام أحمد ترحَّم عليهم واستغفر لهم ، وقال : ما علمت أنَّهم مكذِّبون للرَّسول ﷺ ، ولا جاحدون لما جاء به ، لكنَّهم تأوَّلوا فأخطأوا أو قلدوا من قال ذلك . والإمام الشَّافعي لمَّا ناظر حفص الفرد (٥٥) من أئمَّة المعطِّلة في مسألة القرآن ، وقال

---

(٥٥) جاء في " الإبانة الكبرى لابن بطة" (٦/ ٥١ برقم ٢٤٩) حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، وَذُكِرَ الْقُرْآنَ، وَمَا يَقُولُ حَفْصٌ الْفَرْدُ وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ: حَفْصٌ الْمُنْفَرِدُ، وَنَاظَرَهُ بِحَضْرَةِ وَالٍ كَانَ بِمِصْرَ فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: «كَفَرْتَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» ثمَّ قَامُوا فَانْصَرَفُوا فَسَمِعْتُ حَفْصًا يَقُولُ: أَشَاطَ وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الشَّافِعِيُّ بِدَمِي .

وقال الإمام اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة" (٢/ ٢٨٠ برقم ٤٢٤) أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بُنْدَارٍ ، ومحمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ بِشْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ الْإِسْتِرَابَاذِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: أَتَيْتُ الشَّافِعِيَّ يَوْمًا فَوَافَقْتُ حَفْصًا الْفَرْدَ خَارِجًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ: كَادَ وَاللَّهِ الشَّافِعِيُّ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي ، فَدَخَلْتُ فَقَالَ لِي إِسْمَاعِيلُ ، رَجُلٌ ذَكَرَهُ الرَّبِيعُ: نَاظَرَ الشَّافِعِيَّ حَفْصٌ الْفَرْدُ فَبَلَغَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، فَقَالَ لَهُ الشَّافِعِيُّ: وَاللَّهِ كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. قَالَ: وَكَانَ الشَّافِعِيُّ لَا يَقُولُ: حَفْصٌ الْفَرْدُ ، وَكَانَ يَقُولُ: حَفْصٌ الْمُتَفَرِّدُ. أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ آدَمَ الْمِصْرِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا شُعَيْبٍ قَالَ: حَضَرْتُ الشَّافِعِيَّ وَحَفْصٌ الْفَرْدُ يَسْأَلُ الشَّافِعِيَّ ، فَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَكَفَّرَ حَفْصًا الْمُنْفَرِدَ. قَالَ الرَّبِيعُ: فَلَقِيتُهُ فَقَالَ: أَرَادَ الشَّافِعِيُّ قَتْلِي .

وجاء في "مناقب الشَّافعي "(١/ ٤٥٣ -٤٥٦) للبيهقي : " أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرني أبو الحسن: مُحَمَّد بن عبد الله ابن مُحَمَّد العمري، قال: حدَّثنا أبو بكر: مُحَمَّد بن إسحاق قال:سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: أتيت الشَّافعي بعد ما كلَّم حفص الفرد فقال: غبت عنَّا يا أبا موسى، لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهَّمته قط، ولأن يُبْتَلَى المرءُ بجميع ما نهى الله عنه خلا الشِّرك بالله، خير من أن يبتليه الله بالكلام.

قلت: إنَّما أراد الشَّافعي، رحمه الله، بهذا الكلام حفصاً وأمثاله من أهل البدع . وهذا مراده بكلِّ ما حكي عنه في ذمِّ الكلام وذمِّ أهله، غير أنَّ بعض الرُّواة أطلقه، وبعضهم قيَّده، وفي تقييد من قيَّده دليل على مراده:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدَّثنا عبد الله بن مُحَمَّد بن حبَّان، قال: حدَّثنا مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن بن زياد، قال: سمعت أبا الوليد بن الجارود يقول: دخل «حفص الفرد» على «الشَّافعي» فكلَّمه، ثمَّ خرج إلينا الشَّافعي ، فقال لنا: لأن يلقى اللهَ العبدُ بذنوب مثل جبال تِهَامَة خير له من أن يلقاه باعتقاد حرف ممَّا عليه هذا الرَّجل وأصحابه. وكان يقول بخلق القرآن.

وهذه الرِّوايات تدلُّ على مراده بما أطلق عنه فيما تقدم وفيما لم يذكر هاهنا .

وكيف يكون كلام أهل السُّنَّة والجماعة مذموماً عنده وقد تكلَّم فيه،وناظر من ناظره فيه، وكشف عن تمويه من ألقى إلى سمع بعض أصحابه من أهل الأهواء شيئاً ممَّا هم فيه؟

أخبرنا بصحَّة ذلك أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرني أبو أحمد ابن أبي الحسن، قال: حدَّثنا عبد الرَّحمن – يعني ابن مُحَمَّد – قال في كتابي عن الرَّبيع بن سليمان قال:حضرت الشَّافعي – أو حدَّثني أبو شعيب إلَّا أنِّي أعلم أنَّه حضر عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو بن يزيد وحفص الفرد – وكان الشَّافعي يسميه المنفرد – فسأل حفص عبد الله بن عبد الحكم فقال: ما تقول في القرآن؟ فأبى أن يجيبه، فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه. وكلاهما أشار إلى

القرآن مخلوق ، قال له الإمام الشَّافعي : كفرت بالله العظيم فكفَّره ولم يحكم بردَّته بمجرَّد ذلك ، ولو اعتقد ردَّته وكفره لسعىٰ في قتله . وأفتىٰ العلماء بقتل دعاتهم ، مثل : غيلان القدري (٥٦) ،

الشَّافعي. فسأل الشَّافعيَّ، فاحتجَّ الشافعيّ، وطالت المناظرة، وغلب الشَّافعي بالحجَّة عليه: بأنَّ القرآن كلام الله تعالىٰ غير مخلوق، وكفَّر حفصاً الفرد.

قال الرَّبيع: فلقيت حفصاً الفرد فقال: أراد الشافعي قتلي .

وقرأت في كتاب أبي يحيىٰ: زكريَّا بن يحيىٰ السَّاجي، فيما رواه الشَّيخ أبو الفضل الجارودي الحافظ، عن أبي إسحاق القزَّاز ، قال: حدَّثنا زكريَّا، قال: سمعت أبا شعيب المصري - شيخ من أصحاب الحديث - يقول: حضرت الشَّافعي: مُحَمَّد بن إدريس، وعنده يوسف بن عمرو بن يزيد، وعبد الله بن عبد الحكم، في منزله فدخل عليهم حفصٌ الفرد، وكان متكلِّماً مُناظراً، فقال ليوسف: ما تقول في القرآن؟ فقال : كلام الله، ليس عندي غير هذا. وجعلوا يُحيلون علىٰ الشَّافعي ، فأقبل حفص الفرد علىٰ الشَّافعي فقال: إنَّهم يُحيلون عليك. فقال له الشَّافعي: دع هذا عنك. فلم يزل به، فقال له الشَّافعي: ما تقول أنت في القرآن؟

قال: أقول: إنَّه مخلوق.

قال: من أين قُلْتَ؟

قال: فلم يزل يحتجّ عليه حفصٌ الفرد بأنَّه مخلوق، ويحتجُّ الشَّافعي، رضي الله عنه، بأنَّه كلام الله غير مخلوق، حَّتىٰ كَفَّره الشافعي وقطعه.

قال أبو شعيب: وحججهما عندي في كتاب . قال أبو شعيب: فلمَّا كان من الغد لقيني حفصٌ الفرد في سوق الزُّجاج فقال: أما رأيت ما صنع بي الشَّافعي؟ أحبَّ أن يريهم أنَّه عالم. ثمَّ أقبل عليَّ فقال: مع أنَّه ما تكلَّم أحد في هذا مثله ولا أقدر منه علىٰ هذا" .

(٥٦) هو غيلان بن أبي غيلان. المقتول في القدر. ضالٌّ مسكين. حدَّث عنه يعقوب بن عتبة وهو: غيلان بن مسلم ، كان من بلغاء الكتاب. انتهىٰ. وقال ابن المبارك: كان من أصحاب الحارث الكذَّاب ، وممَّن آمن بنبوَّته ، فلمَّا قُتل الحارث قام غيلان إلىٰ مقامه . وقال له خالد بن اللجلاج: ويلك ، ألم تك في شبيبتك ترامي النِّساء بالتُّفَّاح في شهر رمضان ، ثمَّ صرت خادماً تخدم امرأة الحارث الكذَّاب المتنبِّي ، وتزعم أنَّها أمّ المؤمنين ، ثمَّ تحوَّلت فصرت قدريَّاً زنديقاً ؟! ما أراك تخرج من هوىٰ إلَّا إلىٰ شرٍّ منه. وقال له مكحول: لا تجالسني. وقال السَّاجِي: كان قدريَّاً داعية ، دعا عليه عمر بن عبد العزيز ، فقُتل وصُلب ، وكان غير ثقة، وَلا مأمون ، كان مالك ينهىٰ عن مجالسته.

قلت: وكان الأوزاعي هو الذي ناظره وأفتىٰ بقتله.

والجعد بن درهم (٥٧) ، وجهم بن صفوان (٥٨) إمام الجهميَّة ، وغيرهم ، وصلَّىٰ الَّناس عليهم ودفنوهم مع المسلمين ، وصار قتلهم من باب قتل الصَّائل ، لكفِّ ضررهم لا لردَّتهم ، ولو كانوا كفَّاراً لرآهم المسلمون كغيرهم ، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع . انتهىٰ كلام الشَّيخ رحمه الله .

وإنَّما سُقته بطوله لبيان ما تقدَّم ممَّا أشرت إليه ، ولما فيه من إجماع الصَّحابة والسَّلف ، وغير ذلك ممَّا فصّل ، فإذا كان هذا كفر هؤلاء وهو أعظم من الشِّرك كما تقدَّم بيانه مراراً من كلام الشَّيخين ، مع أنَّ أهل العلم من الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم إلىٰ زمن أحمد بن حنبل هم المناظرون والمبيِّنون لهم ، مع أنَّ قولهم هذا خلاف الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمَّة من الصَّحابة فمن بعدهم ، وهو

وقال رجاء بن حيوة: قتله أفضل من قتل ألفين من الرُّوم.

أخرج ذلك العقيلي في ترجمة غيلان بسنده إلىٰ رجاء بن حيوة أنَّه كتب بذلك إلىٰ هشام بن عبد الملك بعد قتل غيلان.

وذكره ابن عَدِي وقال: لا أعلم له من المسند شيئاً.

وأخرج ابن حبَّان بسند صحيح إلىٰ إبراهيم بن أبي عبلة ، قال: كنت عند عبادة بن نُسي فأتاه آت أنَّ هشاماً قطع يدي غيلان ورجليه وصلبه ، فقال: أصاب والله فيه القضاء والسُّنَّة ، ولأكتبنَّ إلىٰ أمير المؤمنين / ولأحسننَّ له رأيه. وأخباره طويلة. انظر : لسان الميزان (٦/ ٣١٤) .

(٥٧) هو الجعد بن درهم، عداده في التَّابعين. مبتدع ضال. زعم أنَّ الله لم يتَّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلِّم موسىٰ، فقتل علىٰ ذلك بالعراق يوم النَّحر. والقصَّة مشهورة. انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١/ ٣٩٩) .

(٥٨) هو جهم بن صفوان أبو محرز السَّمرقندي الضَّال المبتدع رأس الجهميَّة.

هلك في زمان صغار التَّابعين ، وما علمته روىٰ شيئًا ، لكنَّه زرع شرَّاً عظيماً، انتهىٰ. وكان قتل جهم بن صفوان سنة ٢٨ ، وسببه أنَّه كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج علىٰ أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيَّار ، فقال له: استبقني ، فقال: لو ملأت هذا الملاءة كواكب وأنزلت إليَّ عيسىٰ بن مريم ما نجوت ، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتىٰ أقتلك، وَلا تقوم علينا مع اليمانيَّة أكثر ممَّا قمت وأمر بقتله. وكان جهم من موالي بني راسب ، وكتب للحارث. انظر : لسان الميزان (٢/ ٥٠٠) .

خلاف العقل والنَّقل ، مع البيان التَّام من أهل العلم ، ومع هذا لم يكفِّروهم ، حتَّىٰ دعاتهم الذين قتلوا لم يكفِّرهم المسلمون ، أما في هذا عبرة لكم ؟!!! تكفِّرون عوامَّ المسلمين ، وتستبيحون دماءهم وأموالهم ، وتجعلون بلادهم بلاد حرب ، ولم يوجد منهم عُشر معشار ما وُجد من هؤلاء ، وإن وجد منهم شيء من أنواع الشِّرك، سواء شرك أصغر أو أكبر ، فهم جُهَّال لم تقم عليهم الحجَّة التي يكفر تاركها ، أتظنُّون أنَّ أولئك السَّادة أئمَّة أهل الإسلام ما قامت الحجَّة بكلامهم ، وأنتم قامت الحجَّة بكم ، بل والله تكفِّرون من لا يكفِّر مَنْ كفَّرتم ، وإن لم يوجد منه شيء من الشِّرك والكفر ، الله أكبر **﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا﴾** [مريم:٨٩] .

يا عباد الله: اتَّقوا الله ، خافوا ذا البطش الشَّديد ، لقد آذيتم المؤمنين والمؤمنات **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾** [الأحزاب:٥٨] ، والله ما لعباد الله عند الله ذنب إلَّا أنَّهم لم يتَّبعوكم علىٰ تكفير من شهدت النُّصوص الصَّحيحة بإسلامه ، وأجمع المسلمون علىٰ إسلامه ، فإن اتَّبعوكم أغضبوا الله تعالىٰ ورسوله ﷺ ، وإن عصوا آراءكم حكمتم بكفرهم وردَّتهم ، وقد روي عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : "لسْتُ أخَافُ عَلَىٰ أُمَّتي غَوْغَاءَ تقْتُلُهُم، ولا عَدُوًا يجْتَاحُهُم، وَلَكِنِّي أخَافُ عَلَىٰ أُمَّتي أئِمَّةً مُضِلِّين، إنْ أطَاعُوهُمْ فَتَنوهُمْ، وإنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ". رواه الطَّبراني من حديث أبي أمامة (٥٩) .

(٥٩) جاء في هامش جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» : " الحديث في المعجم الكبير للطَّبراني في ترجمة مريح بن مسروق (ج ٨ ص ١٧٦ برقم ٧٦٥٣) بلفظ: حدَّثنا يحيىٰ بن عبد الباقي الأذنىٰ المصيصىٰ، ثنا مُحَمَّد بن عوف الحمصىٰ ثنا أبو المغيرة، ثنا عبد الله بن رجاء الشَّيبانىٰ، قال: سمعت شيخًا يكنىٰ أبا عبد الله مريح يحدث أنَّه سمع أبا أمامة يحدِّث أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَسْتُ أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي جُوعًا يَقْتُلُهُمْ، وَلَا عَدُوًّا يَجْتَاحُهُمْ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ، إِنْ أَطَاعُوهُمْ فَتَنُوهُمْ، وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوهُمْ». والحديث في الصغير برقم (٧٢٣٨) من رواية الطَّبراني عن أبي أمامة ، ورمز له السُّيوطي بالضَّعف. ولفظه كما في الأصل (غوغاء) ، ولعلَّ ما في المعجم تصحيف" .

وكان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول : أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَّ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُم (٦٠)، ويقول : أنا أخطئ وأصيب ، وإذا ضربه أمر جمع الصَّحابة واستشارهم .

وعمر يقول مثل ما قال أبو بكر ، و يفعل مثل ما يفعل ، وكذلك عثمان وعلي رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين ، وأئمَّة أهل العلم لا يُلزمون أحداً أن يأخذ بقولهم ، بل لَّما عزم الرَّشيد بحمل النَّاس علىٰ الأخذ بموطَّأ الإمام مالك رضي الله عنه ، قال له مالك : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإنَّ العلم انتشر عند غيري ، أو كلاماً هذا معناه (٦١) ، وكذلك جميع العلماء أهل السُّنَّة لم يلزم أحد منهم النَّاس الأخذ بقوله ، وأنتم تكفِّرون من لا يقول بقولكم أو يرىٰ رأيكم ، سألتك بالله أنتم معصومون فيجب الأخذ بقولكم ؟!!! فإن قلت : لا، فَلِمَ تُوجبون علىٰ الأمَّة الأخذ بقولكم ؟!!

---

(٦٠) أخرجه معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي في الجامع (١١/ ٣٣٦ برقم ٢٠٧٠٢) ، (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) .

(٦١) جاء أنَّ أبا جعفر قال لمالك: ضَعْ للناس كتاباً أَحمِلُهم عليه، فكَلَّمه مالك في ذلك - أي مانَعَه مالك في حملِ الناس علىٰ كتابة -، فقال ضَعْهُ فما أحدٌ اليومَ أعلمَ منك، فوضع "الموطأ"، فلم يَفرُغ منه حتىٰ مات أبو جعفر.

وفي روايةٍ: قال مالك: دخلت علىٰ أبي جعفر بالغداة حين وقعت الشمسُ بالأرض، وقد نزل عن سريره إلىٰ بساطه، فقال لي: حقيقٌ أنت بكل خير، وحقيقٌ بكل إكرام، فلم يزل يسألني حتىٰ أتاه المؤذِّن بالظهر، فقال لي: أنت أعلمُ الناس، فقلت: لا واللهِ يا أمير المؤمنين، قال: بلىٰ، ولكنك تكتمُ ذلك، فما أحدٌ أعلمَ منك اليومَ بعدَ أمير المؤمنين.

يا أبا عبد الله - كنية الإمام مالك -، ضَعْ للناس كُتُباً، وجنِّب فيها شدائدَ عبد الله بن عُمَر، ورُخَصَ ابن عباس، وشواذَّ ابن مسعود، واقصِد أوسط الأمور، وما اجتمع عليه الأَمَّةُ والصحابة، ولئن بقيتُ لأكتبنَّ كتبك بماء الذهب، فأحمِلُ الناسَ عليها.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورَوَوْا روايات، وأخذ كلُّ قوم بما سَبَقَ إليهم، وعملوا به، ودانوا له، من اختلاف أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وغيرهِم، وإنَّ رَدَّهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناسَ وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال: "لَعَمْري لو طاوعتني علىٰ ذلك لأمرتُ به . انظر : التعليق الممجد علىٰ موطأ محمد (شرح لموطأ مالك برواية محمد بن الحسن) (١/ ١٣) .

أم تزعمون أنَّكم أئمَّة تجب طاعتكم ، فأنا أسألك بالله : هل اجتمع في رجلٍ منكم شروط الإمامة التي ذكرها أهل العلم أو حتى خصلة واحدة من شروط الإمامة ؟!!! بالله عليكم انتهوا واتركوا التَّعصُّب ، هبنا عذرنا العامِّي الجاهل الذي لم يمارس شيئاً من كلام أهل العلم ، فأنت ما عذرك عند الله إذا لقيته ؟!! بالله عليك تنبَّه واحذر عقوبة جبَّار السَّماوات والأرض ، فقد نقلنا لك كلام أهل العلم وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة الفرقة النَّاجية ، وسيأتيك إن شاء الله ما يصير سبباً لهداية من أراد الله هدايته .

فَصْلٌ: قال ابن القيِّم في شرح المنازل : أهل السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ يَكُونُ فِيهِ وَلَايَةٌ للهِ وَعَدَاوَةٌ مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَيَكُونُ مَحْبُوبًا للهِ مَبْغُوضًا لَهُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَيْضًا، بَلْ يَكُونُ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، وَإِيمَانٌ وَكُفْرٌ، وَيَكُونُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى الْآخَرِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: **﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾** [آل عمران: ١٦٧] . وَقَالَ: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** [يوسف: ١٠٦] أَثْبَتَ لَهُمُ الْإِيمَانَ بِهِ مَعَ مُقَارَنَةِ الشِّرْكِ، فَإِنْ كَانَ مَعَ هَذَا الشِّرْكِ تَكْذِيبٌ لِرُسُلِهِ لَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ تَصْدِيقٌ لِرُسُلِهِ، وَهُمْ مُرْتَكِبُونَ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لَا تُخْرِجُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَهَؤُلَاءِ مُسْتَحِقُّونَ لِلْوَعِيدِ أَعْظَمَ مِنِ اسْتِحْقَاقِ أَرْبَابِ الْكَبَائِرِ.

وَبِهَذَا الْأَصْلِ أَثْبَتَ أهل السُّنَّةِ دُخُولَ أهل الْكَبَائِرِ النَّارَ ثمَّ خُرُوجَهُمْ مِنْهَا وَدُخُولَهُمُ الْجَنَّةَ، لِمَا قَامَ بِهِمْ مِنَ السَّبَبَيْنِ.

فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَمُعَاوِدُ الذَّنْبِ مَبْغُوضٌ للهِ مِنْ جِهَةِ مُعَاوَدَةِ الذَّنْبِ، مَحْبُوبٌ لَهُ مِنْ جِهَةِ تَوْبَتِهِ وَحَسَنَاتِهِ السَّابِقَةِ، فَيُرَتِّبُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ سَبَبٍ أَثَرَهُ وَمُسَبَّبَهُ بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [فصلت: ٤٦] (٦٢) .

---

(٦٢) انظر : مدارج السالكين (١/ ٢٩٢ باختصار) .

قال : وَقَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُسٌ وَعَطَاءٌ (٦٣) . انتهى كلامه .

وقال الشَّيخ تقيُّ الدِّين : كَانَ الصَّحَابَةُ وَالسَّلَفُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ فِي الْعَبْدِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ. وَهَذَا يدلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران:١٦٧] ، وَلهَذَا قال النَّبي ﷺ: وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ" ، فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ أَقَلُّ الْقَلِيلِ لَمْ يَخْلُدْ فِي النَّارِ ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ النِّفَاقِ ، فَهُوَ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ، ثمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ(٦٤) .

إلى أن قال : وَتَمَامُ هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَشُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ؛ وَقَدْ يَكُونُ مُسْلِمًا وَفِيهِ كُفْرٌ دُونَ الْكُفْرِ الَّذِي يَنْقُلُ عَنْ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا قَالَ الصَّحَابَةُ: ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ. وَهَذَا قَوْلُ عَامَّةِ السَّلَفِ ". انتهى (٦٥) .

فتأمَّل هذا الفصل ، وانظر حكايتهم الإجماع من السَّلف ، ولا تظنّ أنَّ هذا في المخطئ ، فإنَّ ذلك مرفوع عنه إثم خطئه كما تقدَّم مرارا عديدة ، فأنتم الآن تكفِّرون بأقلِّ القليل من الكفر ، بل تكفِّرون بما تظنُّون أنتم أنَّه كفر ، بل تكفِّرون بصريح الإسلام ، فإنَّ عندكم أنَّ من توقَّف عن تكفير من كفَّرتموه خائفاً من الله تعالىٰ في تكفير من رأىٰ عليه علامات الإسلام ، فهو عندكم كافر ، نسأل الله العظيم أن يخرجكم من الظُّلمات إلى النُّور ، وأن يهدينا وإيَّاكم صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين .

فَصْلٌ: قال الشَّيخ تقي الدِّين في كتاب الإيمان : الإيمان الظَّاهِرَ الَّذِي تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ فِي الدُّنْيَا لَا يَسْتَلْزِمُ الإيمان فِي الْبَاطِنِ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ مِنْ أهل السَّعَادَةِ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْمُنَافِقِينَ

---

(٦٣) انظر : مدارج السالكين (١/ ٣٤٥) .

(٦٤) انظر : مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ٣٠٣ فما بعدها) باختصار .

(٦٥) انظر : مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ٣٥٠) باختصار .

الَّذِينَ قَالُوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هُمْ فِي الظَّاهِرِ مُؤْمِنُونَ يُصَلُّونَ مَعَ النَّاسِ. وَيَصُومُونَ وَيَحُجُّونَ وَيَغْزُونَ وَالْمُسْلِمُونَ يُنَاكِحُونَهُمْ ويوارثونهم كَمَا كَانَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَحْكُمْ النَّبِي ﷺ فِي الْمُنَافِقِينَ بِحُكْمِ الْكُفَّارِ الْمُظْهِرِينَ لِلْكُفْرِ لَا فِي مُنَاكَحَتِهِمْ وَلَا موارثتهم وَلَا نَحْوِ ذَلِكَ؛ بَلْ لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أبي ابْنُ سلول - وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ النَّاسِ بِالنِّفَاقِ - وَرِثَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ مِنْ خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَنْ كَانَ يَمُوتُ مِنْهُمْ يَرِثُهُ وَرَثَتُهُ الْمُؤْمِنُونَ؛ وَإِذَا مَاتَ لِأَحَدِهِمْ. وَارِثٌ وَرِثُوهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ... وَإِنْ عُلِمَ فِي الْبَاطِنِ أَنَّه مُنَافِقٌ .

وَكَذَلِكَ كَانُوا فِي الْحُقُوقِ وَالْحُدُودِ كَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ وَيُزَكُّونَ وَمَعَ هَذَا ، وَكَانُوا يَغزُوْن مَعَ النَّبي ﷺ وَمِنهُم مَنْ هَمَّ بقَتل النَّبي ﷺ في غزوة تبوك ، وَمَعَ هَذَا فَفِي الظَّاهِرِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ أهل الْإِيمَانِ.

إلى أن قال : فَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي عَلَيْهِمْ وَلَا يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَلَكِنْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ مَعْصُومَةٌ ، لَا يَسْتَحِلُّ مِنْهُمْ مَا يَسْتَحِلُّهُ مِنْ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بَلْ يُظْهِرُونَ الْكُفْرَ دُونَ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ" .

وَلَمَّا قَالَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَقَتَلْته بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: إنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا. قَالَ: هَلَّا شَقَقْت عَنْ قَلْبِهِ؟ وَقَالَ. إنِّي لَمْ أومر أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ " . وَكَانَ إذَا اُسْتُؤْذِنَ فِي قَتْلِ رَجُلٍ يَقُولُ: أَلَيْسَ يُصَلِّي أَلَيْسَ يَتَشَهَّدُ؟ فَإِذَا قِيلَ لَهُ: إنَّهُ مُنَافِقٌ. قَالَ: ذَاكَ ". فَكَانَ حُكْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ كَحُكْمِهِ فِي دِمَاءِ غَيْرِهِمْ لَا يَسْتَحِلُّ مِنْهَا شَيْئًا إلَّا بِأَمْرِ ظَاهِرٍ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ نِفَاقَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ" . انتهى كلام الشَّيخ (٦٦) .

(قال) ابن القيِّم في اعلام الموقعين : قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ طَاعَةَ نَبِيِّهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ الْأَمْرِ شَيْئًا، فَأَوْلَى أَلَّا يَتَعَاطَوْا حُكْمًا عَلَى غَيْبِ أَحَدٍ بِدَلَالَةٍ وَلَا ظَنٍّ؛ لِقُصُورِ عِلْمِهِمْ مِنْ عُلُومِ أَنْبِيَائِهِ الَّذِينَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ الْوُقُوفَ عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُهُ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى ظَاهَرَ

---

(٦٦) انظر : مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٠ فما بعدها باختصار) .

عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ، فَمَا جعَلَ إِلَيْهِمُ الْحُكْمَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِمَا ظَهَرَ مِنَ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ، فَفَرَضَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ أَنْ يُقَاتِلَ أهل الْأَوْثَانِ حَتَّىٰ يُسْلِمُوا فَتُحْقَنَ دِمَاؤُهُمْ إِذَا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ، وَأُعْلِمَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ صِدْقَهُمْ بِالْإِسْلَامِ إِلَّا اللهُ؛ ثُمَّ أَطْلَعَ اللهُ رَسُولَهُ عَلَىٰ قَوْمٍ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُسِرُّونَ غَيْرَهُ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِمْ بِخِلَافِ حُكْمِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا بِخِلَافِ مَا أَظْهَرُوا؛ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ: **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾** [الحجرات: ١٤] يَعْنِي أَسْلَمْنَا بِالْقَوْلِ مَخَافَةَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يَجْزِيهِمْ إِنْ أَطَاعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، يَعْنِي إِنْ أَحْدَثُوا طَاعَةَ اللهَ وَرَسُولِهِ، وَقَالَ فِي الْمُنَافِقِينَ وَهُمْ صِنْفٌ ثَانٍ: **﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾** [المنافقون: ١] إِلَىٰ قَوْلِهِ: **﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾** [المنافقون: ٢] يَعْنِي جُنَّةً مِنَ الْقَتْلِ، وَقَالَ: **﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهَّ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾** [التوبة: ٩٥] فَأَمَرَ بِقَبُولِ مَا أَظْهَرُوا، وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَبِيِّهِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِمْ بِخِلَافِ حُكْمِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ أَعْلَمَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ؛ فَجَعَلَ حُكْمَهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ سَرَائِرِهِمْ، وَحُكْمَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ عَلَانِيَتِهِمْ بِإِظْهَارِ التَّوْبَةِ ...

إلىٰ أن قال : وَقَدْ كَذَّبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ: أَنَّ «رَجُلًا سَارَّ النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمْ يَدْرِ مَا سَارَّهُ حَتَّىٰ جَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يُشَاوِرُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ يُصَلِّي؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللهُ عَنْ قَتْلِهِمْ» (٦٧) .

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ: «أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ» ثُمَّ قَالَ: فَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهَّ بِصِدْقِهِمْ وَكَذِبِهِمْ، وَسَرَائِرُهُمْ إِلَىٰ اللهَّ الْعَالِمِ بِسَرَائِرِهِمْ الْمُتَوَلِّي الْحُكْمَ عَلَيْهِمْ دُونَ أَنْبِيَائِهِ وَحُكَّامِ خَلْقِهِ.

وَبِذَلِكَ مَضَتْ أَحْكَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْحُدُودِ وَجَمِيعِ الْحُقُوقِ، أَعْلَمَهُمْ أَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ عَلَىٰ مَا يُظْهِرُونَ، وَاللهُ يُدِينُ بِالسَّرَائِرِ ... فَمَنْ حَكَمَ عَلَىٰ النَّاسِ بِخِلَافِ مَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ

---

(٦٧) أخرجه الشافعي في المسند (ص٣٢٠) .

اسْتِدْلَالًا عَلَىٰ أَنَّ مَا أَظْهَرُوا خِلَافُ مَا أَبْطَنُوا بِدَلَالَةٍ مِنْهُمْ أَوْ غَيْرِ دَلَالَةٍ لَمْ يَسْلَمْ عِنْدِي مِنْ خِلَافِ التَّنزِيلِ وَالسُّنَّةِ (٦٨) .

إلىٰ أن قال : ومن أظهر كلمة الإسلام بأن شهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ قُبِلَ ذلك منه ، ولم يُسأل عن كشف حاله أو عن باطنه وعن معنىٰ ما لفظ به ، وباطنه وسريرته إلىٰ الله لا إلىٰ غيره من نبيٍّ أو غيره ، فهذا حكم الله ودينه الذي أجمعت عليه علماء الأُمَّة . انتهىٰ كلام الشَّافعي رحمه الله .

قال ابن القيِّم بعد ماحكي كلام الشَّافعي : وهذه الأحكام جارية منه ﷺ ثمَّ هي التي مشىٰ عليها الصَّحابة والتَّابعون لهم باحسان والأئمَّة وسائر المتَّبعين له من علماء أمَّته إلىٰ يوم القيامة . انتهىٰ (٦٩) .

فَصْلٌ: قد تقدَّم لك من كلام أهل العلم وإجماعهم أنَّه لا يجوز أن يقلَّد ويؤتم به في الدِّين إلَّا من جمع شروط الإجتهاد إجماعاً ، وتقدَّم أنَّ من لم يجمع شروط الإجتهاد أنَّه يجب عليه التَّقليد ، وأنَّ هذا لا خلاف فيه ، وتقدَّم أيضاً إجماع أهل السُّنَّة ، وأنَّ من كان مقرّاً بما جاء به الرَّسول ﷺ ملتزماً له أنَّه وإن كان فيه خصلة من الكفر الأكبر أو الشِّرك أن لا يكفَّر حتَّىٰ تُقام عليه الحجَّة الذي يكفر تاركها ، وأنَّ الحجَّة لا تقوم إلَّا بالإجماع القطعي لا الظَّنِّي ، وأنَّ الذي يقيم الحجَّة الإمام أو نائبه ، وأن الكفر لا يكون إلَّا بإنكار الضَّروريَّات من دين الإسلام ، كالوجود ، والوحدانيَّة ، والرِّسالة ، أو بإنكار الأمور الظَّاهرة كوجود الصَّلاة ، وأنَّ المسلم المقرّ بالرَّسول ﷺ إذا استند إلىٰ نوع شبهة تخفىٰ علىٰ مثله لا يكفر ، وأنَّ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة التَّحاشي عن تكفير من انتسب إلىٰ الإسلام حتَّىٰ أنَّهم يقفون عن تكفير أئمَّة أهل البدع مع الأمر بقتلهم دفعة لضررهم لا لكفرهم ، وأنَّ الشَّخص الواحد يجتمع فيه الكفر والإيمان ، والنِّفاق والشِّرك ، ولا يكفر كلّ الكفر ، وأنَّ مَنْ

---

(٦٨) انظر : إعلام الموقعين (٣/ ٨٢-٨٤) باختصار .

(٦٩) لم أجد هذا الكلام في أيٍّ من مصنَّفات الإمام ابن القيِّم ... فالظَّاهر أنَّ الكلام هو من كلام الإمام سليمان بن عبد الوهَّاب ... أخطأ النَّاسخ في عزوه لابن القيِّم ، والله أعلم .

أقرَّ بالإسلام قُبل منه ، سواء كان صادقاً أو كاذباً ، ولو ظهرت منه بعض علامات النِّفاق ، وأنَّ المكفّرين هم أهل الأهواء والبدع ، وأنَّ الجهل عذرٌ عن الكفر ، وكذلك الشُّبهة ولو كانت ضعيفة ، وغير ذلك ممَّا تقدَّم ، فإن وفّقت ففي هذا كفـــاية للزَّجر عن بدعتكم هذه التي فارقتم بها جماعة المسلمين وأئمَّتهم ، ونحن لم نستنبط ، ولكن حكينـــا كلام العلماء ونقلهم عن أهل الإجتهاد الكامل .

فلنرجع إلى ذكر وجوه تدلُّ على عدم صحَّة ما ذهبتم إليه من تكفير المسلم وإخراجه من الإسلام إذا دعى غير الله أو نذر لغير الله أو ذبح لغير الله أو تبرَّك بقبر أو تمسَّح به ، إلى غير ذلك مّما تكِّفرون به المسلم ، بل تكفِّرون من لا يكفِّر من فعل ذلك ، حتَّى جعلتم بلاد الإسلام كفراً وحرباً ، فنقول : عمدتكم في ذلك ما استنبطتم من القرآن ، فقد تقدَّم الإجماع على أنَّه لا يجوز لمثلكم الاستنباط ، ولا يحلُّ لكم أن تعتمدوا على ما فهمتم من غير الاقتداء بأهل العلم ، ولا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقلَّدكم ، فيما فهمتم من غير اقتداء بأئمَّة الإسلام (٧٠) ، فان قلتم مقتدون ببعض أهل العلم في أنَّ هذه الافعال شرك ، قلنا : نعم ، ونحن نوافقكم على أنَّ من هذه

---

(٧٠) جاء في الدُّرر السَّنيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة (ص٤٤-٤٥) لشيخ علماء الحجاز في عصره الإمام أحمد زيني دحلان في كلامه عن مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب: " وكان يمنع أتباعه من مطالعة كُتب الفقه والتَّفسير والحديث ، وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلِّ من اتَّبعه أن يفسِّر القرآن بحسب فهمه ، حتَّى همج الهمج من أتباعه ، فكان كلُّ واحد منهم يفعل ذلك ، ولو كان لا يحفظ القرآن ، ولا شيئاً منه ، فيقول الذي لا يقرأ منهم لآخر يقرأ : اقرأ عليَّ حتَّى أفسِّر ل ،ك فإذا قرأ عليه يفسِّره له برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدَّماً على كُتب العلم ونصوص العلماء ، وكان يقول في كثير من أقوال الأئمَّة الأربعة : ليست بشيء ، وتارة يتستَّر ويقول : إنَّ الأئمَّة على حقٍّ ، ويقدح في أتباعهم من العلماء الذين ألَّفوا في المذاهب الأربعة وحرَّروها ، ويقول : إنَّهم ضلوا وأضُّلوا ، وتارة يقول : إنَّ الشَّريعة واحد ،ة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة ؟!! هذا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لا نعمل إلَّا بهما ، ولا نقتدي بقول مصري وشامي وهندي ، يعني بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممَّن لهم تأليف في الرَّد عليه ، فكان ضابط الحقِّ عنده ما وافق هواه وإن خالف النُّصوص الشَّرعيَّة وإجماع الأمَّة ، وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه ، وإن كان على نصٍّ جليٍّ أجمعت عليه الأمَّة" .

الأفعال ما يكون شركاً ، ولكن من أين أخذتم من كلام أهل العلم أنَّ هذا هو الشِّرك الأكبر الذي ذكر الله سبحانه في القرآن ، والذي يحلّ مال صاحبه ، ودمه وتجرىٰ عليه أحكام المرتدِّين ، وأنَّ من شكَّ في كفره فهو كافر ؟!! بيِّنوا لنا من قال ذلك من أئمَّة المسلمين ، وانقلوا لنا كلامهم ، واذكروا مواضعه !! هل أجمعوا عليه ؟! أم اختلفوا فيه ؟!! فنحن طالعنا بعض كلام أهل العلم ، ولم نجد كلامكم هذا ، بل وجد ممَّا يدلُّ علىٰ خلافه ، وأنَّ الكفر بإنكار الضَّروريَّات كالوجود ، والوحدانيَّة ، والرِّسالة ، وما أشبه ذلك ، أو بإنكار الأحكام المُجمع عليها إجماعاً ظاهرًا قطعيَّاً ، كوجوب أركان الإسلام الخمسة ، وما أشبهها ، مع أنَّ من أنكر ذلك جاهلاً لم يكفر حتَّىٰ يعرَّف تعريفاً تزول معه الجهالة ، وحينئذ يكون مكذِّباً لله تعالىٰ ورسوله ﷺ .

فهذه الأمور التي يكفِّرون بها ليست ضروريَّات ، وإن قلتم مُجمع عليها إجماعًا ظاهراً يعرفه الخاصُّ والعامُّ ، قلنا لكم : بيِّنوا لنا كلام العلماء في ذلك ، وإلَّا فبيِّنوا كلام ألف منهم ، وحتَّىٰ مائة أو عشرة أو واحد فضلاً أن يكون إجماعاً ظاهراً كالصَّلاة ، فإن لم تجدوا إلَّا العبارة التي في الإقناع منسوبة إلىٰ الشَّيخ ، وهي : من جعل بينه وبين الله وسائط إلىٰ آخره ، فهذه عبارة مُجملة ، ونطلب منكم تفصيلها من كلام أهل العلم لتزول عنَّا الجهالة ، ولكن من أعجب العجب أنَّكم تستدلُّون بها علىٰ خلاف كلام صاحبها ، وعلىٰ خلاف كلام من أوردها ونقلها في كتبه علىٰ خصوصيَّات كلامهم في هذه الأشياء التي تكفِّرون بها ، بل ذكروا النَّذر والذَّبح و بعض الدُّعاء ، وبعضها عدُّوه في المكروهات ، كالتَّبرُّك ، والتَّمسُّح وأخذ تراب القبور للتَّبرُّك والطَّواف بها ، وقد ذكر العلماء في كُتبهم ، منهم صاحب الإقناع واللفظ له ، قال : وَيُكْرَهُ الْمَبِيتُ عِنْدَهُ - أَيْ الْقَبْرِ- وَتَجْصِيصُهُ وَتَزْوِيقُهُ، وَتَخْلِيقُهُ وَتَقْبِيلُهُ وَالطَّوَافُ بِهِ وَتَبْخِيرُهُ وَكِتَابَةُ الرِّقَاعِ إلَيْهِ، وَدَسَّهَا فِي الْأَنْقَابِ وَالِاسْتِشْفَاءُ بِالتُّرْبَةِ مِنْ الْأَسْقَامِ) لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ الْبِدَعِ" (٧١) . انتهىٰ .

وأنتم تكفِّرون بهذه الأمور .

---

(٧١) انظر : الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢٣٣) .

فاذا قلتم : صاحب الإقناع وغيره من علماء الحنابلة كصاحب الفروع جهَّال لا يعرفون الضَّروريَّات ، بل عندكم على لازم مذهبكم كفَّار .

قلت : هؤلاء لم يحكوا من مذهب أنفسهم لاهم ولا أجلَّ منهم ، بل ينقلون ويحكون مذهب أحمد بن حنبل ، أحد أئمَّة الإسلام الذي أجمعت الأُمَّة على إمامته !! أتظنُّون أنَّ الجاهل يجب عليه أن يقلِّدكم و يترك تقليد أئمَّة أهل العلم ؟!! بل أجمع أئمَّة أهل العلم كما تقدَّم أنَّه لا يجوز إلَّا تقليد الأئمَّة المجتهدين ، وكلُّ من لم يبلغ رتبة الإجتهاد أن يحكي ويفتي بمذاهب أهل الإجتهاد ، وانَّما رخَّصوا للمستفتي أن يستفتي مثل هؤلاء لأنَّهم حاكين مذاهب أهل الإجتهاد والتَّقليد للمجتهد لا للحاكي ، هذا صرَّح به عامَّة أهل العلم أنَّ طلبته من مكانه وجدته ، وقد تقدَّم لك ما فيه كفاية .

وإنَّما المقصود أنَّ العبارة التي تستدلُّون بها على تكفير المسلمين لا تدلُّ لمرادكم ، وأنَّ من نقل هذه العبارة واستدلَّ بها هم الذين ذكروا النَّذر والدُّعاء والذَّبح وغيره ، ذكروا ذلك كلّه في مواضعه ، ولم يجعلوه كفراً مُخرجاً عن الملَّة سوى ما ذكره الشَّيخ في بعض المواضع في نوع من الدُّعاء ، كمغفرة الذُّنوب ، وانزال المطر ، وإنبات النَّبات ، ونحو ذلك ممَّا أنَّه ذكر أنَّ هذا وإن كان كفراً ، فلا يكفر صاحبه حتَّى تقوم عليه الحجَّة الذي يكفر تاركها ، وتزول عنه الشُّبهة ، ولم يحكه عن قوله ، أي : التَّكفير بالدُّعاء المذكور إجماعاً حتَّى تستدلُّون أنتم عليه بالعبارة ، بل والله لازم قولكم تكفير الشَّيخ بعينه وأحزابه ، نسأل الله العافية .

وممَّا يدلُّ على أنَّ ما فهمتم من العبارة غير صواب : أنَّهم عدُّوا الأمور المكفِّرات فرداً فرداً في كتاب الرِّدَّة في كلِّ مذهب من مذاهب الأئمَّة ، ولم يقولوا أو واحد منهم : مَنْ نَذَرَ لغير الله كفر ، بل الشَّيخ نفسه الذي تستدلُّون بعبارته ذكر أنَّ النَّذر للمشايخ لأجل الاستغاثة بهم ، كالحلف بالمخلوق كما تقدَّم كلامه .

والحلف بالمخلوق ليس شركاً أكبر ، بل قال الشَّيخ : مَنْ قال : أنذروا لي تُقضى حوائجكم ، يُستتاب ، فإن تاب وإلَّا قُتل لسعيه في الأرض بالفساد ، فيجعل الشَّيخ قتله حدَّاً لا كفراً ، وكذلك تقدَّم عنه من كلامه في خصوص النُّذور ما فيه كفاية ، ولم يقولوا أيضاً : مَنْ طلب غير الله كفر ، بل

يأتي إن شاء الله تعالىٰ ما يدلُّ علىٰ أنَّه ليس بكفر ، ولم يقولوا : من ذبح لغير الله كفر ، أتظنّهم يحكون العبارة ولا عرفوا معناها ؟! أم هم أوهموا النَّاس إرادة لإغوائهم أم أحالوا النَّاس علىٰ مفهومكم منها الذي ما فهمه منها من أوردها ولا من حكيها عمَّن أوردها ؟ أم عرفتم من كلامهم ما أن جهلوا هم أم تركوا الكفر الصُّراح الذي يكفر به المسلم ويحلّ ماله ودمه وهو يعمل عندهم ليلاً ونهاراً جهاراً غير خفي ، وتركوا ذلك ما بيَّنوه ، بل بيَّنوا خلافه حتَّىٰ جئتم أنتم فاستنبطتموه من كلامهم ، لا والله بل ماراد واما اردتم وأنَّهم في واد وأنتم في واد

وممَّا يدلُّ علىٰ أن كلامكم وتكفير كم ليس بصواب أنَّ الصَّلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ومع هذا ذكروا أنَّ من صلَّاها رياء النَّاس ردَّها الله عليه ، ولم يقبلها منه ، بل يقول اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" (٧٢) . ويقول له يوم القيامة اطلب ثوابك من الذي عملت لاجله (٧٣) . فذكر وأنَّ ذلك يُبطل العمل ، ولم يقولوا : أنَّ فاعل ذلك كافر ، حلال المال والدَّم ، بل من لم يكفره كما هو مذهبكم فيما أخف من ذلك بكثير . وكذلك السَّجود الذي هو أعظم هيئات الصَّلاة الذي هو أعظم من النَّذر والدُّعاء وغيره ، فرقوا فيه ، وقالوا : من سجد لشمس وقمر أو كوكب أو صنم كفر ، وأمَّا السُّجود لغير ما ذكر فلم يكفروا به ، بل عدُّوه في كبائر المحرَّمات ، ولكن حقيقة الأمر أنَّكم ما قلَّدتم أهل العلم ولا عباراتهم ، وأنَّما عمدتكم مفهومكم واستنباطكم الذي تزعمون أنَّه الحق ، من أنكره أنكر الضَّروريَّات ، وأمَّا استدلالاتكم بمشتبه العبارات فتلبيس ، ولكن المقصود إنَّما نطلب منكم أن تبيِّنوا لنا وللنَّاس كلام أئمَّة أهل العلم موافقة مذهبكم هذا ، وتنقلون كلامهم إزاحة للشُّبهة وإن لم يكن عندكم إلَّا القذف والشَّتم والرَّمي بالعزلة والكفر ، فالله المستعان لآخر هذه الأُمَّة أسوة بأوَّلها الذين أنزل الله عليهم لم يسلموا من ذلك.

---

(٧٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩ برقم ٢٩٨٥) .

(٧٣) انظر : التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٢/ ٦١ برقم ٤٢٥٦) .

فَصْلٌ : وما يدلُّ علىٰ عدم صوابكم في تكفير من كفَّرتموه ، وأنَّ الدُّعاء والنَّذر ليسا بكفر ينقل عن الملَّة ، وذلك أنَّ النَّبي ﷺ أمر في الحديث الصَّحيح أن تُدرأ الحدود بالشُّبهات . وقد روىٰ الحاكم في صحيحه وأبو عوانة والبزَّار بسند صحيح وابن السنّي عن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال : « " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا، فَإِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ » (٧٤) .

(٧٤) روىٰ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قال : .... " إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ : يَا عِبَادَ اللهِ ، احْبِسُوا عَلَيَّ ، يَا عِبَادَ اللهِ احْبِسُوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ للهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ عَلَيْكُمْ " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢١٧ برقم ١٠٥١٨) ، ابن السني في عمل اليوم والليلة سلوك النَّبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد (ص٤٥٥ برقم ٥٠٨) ، أبو يعلىٰ في المسند (٩/ ١٧٧ برقم ٥٢٦٩) .

قال الإمام محمَّد بن الرَّامينى ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْت أَبِي يَقُولُ : حَجَجْت خَمْسَ حِجَجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثاً مَاشِياً ، فَجَعَلْت أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهِ دُلُّونَا عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ وَقَعْت عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " . انظر : الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤٢٩) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " حكىٰ لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنَّه انفلتت له دابّة أظنُّها بغلة ، وكان يَعرفُ هذا الحديث ، فقاله : فحبسَها الله عليهم في الحال ؛ وكنتُ أنا مرَّةً مع جماعة فانفلتت منها بهيمةٌ ، وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغيرِ سببٍ سوىٰ هذا الكلام " . انظر : الأذكار (ص٣٧٨) .

وروىٰ الطَّبراني بسنده عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ " . وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠) .

فَفي هَذا الحَديث نِداء وطَلَبُ نِعَم التَسبُب في ذلكَ من عِبَاد الله تعالىٰ الَّذين لَمْ يُشَاهدهُم . وقال الطَّبراني : " حدَّثنا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ الصُّوفِيّ ، ثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ سَهْلٍ ، حدَّثني أَبِي ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عِيسَىٰ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ : " إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئاً أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْناً وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، يَا عِبَادَ اللهِ أَغِيثُونِي ، فَإِنَّ للهِ عِبَاداً لَا نَرَاهُمْ " وَقَدْ جُرِّبَ ذَلِكَ . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ١١٧ برقم ٢٩٠) ، الهيثمي في مجمع الزوائد

وقدروىٰ الطَّبرانى : إن أراد عوناً فليقل : يا عباد الله أغيثوني» . ذكر هذا الحديث الأئمَّة في كتبهم ، ونقلوه إشاعة وحفظاً للأمَّة ، ولم ينكروه ، منهم : النَّووي في الأذكار ، وابن القيِّم في كتابه : الكَلِم الطيِّب ، وابن مفلح في الآداب ، قال في الآداب بعد أن ذكر هذا الأثر : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْت أَبِي يَقُولُ: حَجَجْت خَمْسَ حِجَجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِبًا وَثَلَاثًا مَاشِيًا ، فَجَعَلْت أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهِ دُلُّونَا عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ وَقَعْت عَلَىٰ الطَّرِيقِ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " (٧٥) . انتهىٰ .

أقول : حيث كفَّرتم من سأل غائباً أو ميِّتاً ، بل زعمتم أنَّ المشركين الكفَّار الذين كذَّبوا الله ورسوله ﷺ أخفّ شركاً ممَّن سأل غير الله في برٍّ أو بحر ، واستدللتم علىٰ ذلك بمفهومكم الذي لا يجوز لكم ولا لغيركم الاعتماد عليه ، هل جعلتم هذا الحديث وعمل العلماء بمضمونه شبهة لمن فعل شيئاً ممَّا تزعمون أنَّه شرك أكبر ؟!! فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

قال في مختصر الرَّوضة : الصَّحيح أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنَّهُ لَا يُكَفَّرُ بِبِدْعَةٍ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ، مَا اسْتَنَدَ فِيهَا إِلَىٰ تَأْوِيلٍ يَلْتَبِسُ بِهِ الْأَمْرُ عَلَىٰ مِثْلِهِ ، وهو الذي رجَّحه شيخنا أبو العبَّاس ابن تيمية (٧٦) . انتهىٰ .

ومنبع الفوائد (١٠/ ١٨٨ برقم ١٧١٠٣) ، وقال : رواه الطبراني ورجاله وثقوا علىٰ ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة .

وفي الحديث دلاله علىٰ الاستغاثة وطلب العون والمساعدة من مخلوقات لا نراها ، وفيه نوع من أنواع التَّوسُّل وطلب العون من تلك المخلوقات فيما يقدرون عليه ، مع الإيمان المطلق بأن لا غياث ولا مغيث حقَّاً إلَّا الله تعالىٰ ، فالغوث ليس إلَّا منه تعالىٰ ، وإن كان سبحانه أجرىٰ بفضله وكرمه ومنَّته الإغاثة علىٰ يد بعض خلقه علىٰ سبيل الكسب ...

(٧٥) انظر : الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤٢٩) .

(٧٦) انظر : شرح مختصر الروضة للطوفي (٣/ ٤٤) .

أتظنُّ دعاء الغائب كفراً بالضَّرورة ، ولم يعرفه أئمَّة الإسلام ؟!! أتظنُّ أنَّ على تقدير أنَّ قولكم صواب تقوم الحجَّة على النَّاس بكلامكم ، ونحن نذكر كلام الشَّيخ تقي الدِّين الذي استدللتم بعبارته على تكفير المسلمين بالدُّعاء والنَّذر ؟!! وإلَّا ففي ما تقدَّم كفاية ، ولكن في زيادته فائدة .

قال الشَّيخ رحمه الله تعالى في " اقتضاء الصراط المستقيم " : " من قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحبّه الشَّريعة ، فهو من المنكرات ، وبعضه أشدُّ من بعض ، سواء كان شجرة أو عيناً أو قناة أو جبلاً أو مفازة ، وأقبح أن ينذر لتلك البقعة ، ويقال : أنَّها تقبل النَّذر ، كما يقوله بعض الضَّالِّين ، فإنَّ هذا النَّذر نذر معصية باتِّفاق العلماء ، لا يجوز الوفاء به . ثمَّ ذكر رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة موجود في أكثر البلاد في الحجاز منها مواضع كثيرة ، وقال في مواضع أخر من الكتاب المذكور : والسَّائلون قد يدعون دعاء محرَّماً حصل معه ذلك الغرض ، ويحصل لهم ضرر أعظم منه ، ثمَّ ذكر أنَّه يكون له حسنات تربو على ذلك ، فيعفو الله بها عنه .

قال : وحكي لنا أنَّ بعض المجاورين بالمدينة إلى قبر النَّبي ﷺ أشتهي عليه نوعاً من الأطعمة ، فجاء بعض الهاشميِّين إليه ، فقال : أنَّ النَّبي ﷺ بعث لك هذا ، وقال : أخرج من عندنا فإنَّ من يكون عندنا لا يشتهي مثل هذا . قال الشَّيخ : وآخرون قضيت حوائجهم ولم يقل لهم مثل ذلك لاجتهادهم أو تقليدهم أو قصورهم في العلم ، فإنَّه يغفر للجاهل مالا يغفر لغيره ، وهذا عامَّة ما حُكي في هذا الباب ، إنَّما هو عن قاصري المعرفة ، ولو كان هذا شرعاً أو ديناً لكان أهل المعرفة أولى به ، ففرق بين العفو عن الفاعل والمغفرة له ، وبين إباحة فعله ، وقد علمت جماعة ممَّن سأل حاجته لبعض المقبورين من الأنبياء والصَّالحين فقُضيت حاجته ، وهؤلاء يخرج ممَّا ذكرته ، وليس ذلك بشرع فيتَّبع ، وانَّما يثبت استحباب الأفعال وكونها سُنَّة بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، وما كان عليه السَّابقون الأوَّلون ، وما سوى هذا من الأمور المحدثة فلا تُستحبُّ ، وان اشتملت أحياناً على فوائد .

وقال أيضاً : صارت النُّذور المحرَّمة في الشَّرع مأكلاً للسَّدنة والمجاورين العاكفين على بعض المشاهد وغيرها ، وأولئك النَّاذرون يقول أحدهم : مرضتُ فنذرتُ ، ويقول الآخر : خرج عليَّ

المحاربون فنذرتُ ، ويقول الآخر : ركبتُ البحرَ فنذرت ، ويقول الآخر : حُبست فنذرت ، وقد قام في نفوسهم أنَّ هذه النُّذور هي السَّبب في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم ، وقد أخبر الصَّادق المصدوق ﷺ أنَّ نذر طاعة الله فضلاً عن معصيته ليس سبباً للخير ، بل تجد كثيراً من النَّاس يقول : أنَّ المشهد الفلاني والمكان الفلاني يقبل النَّذر ، بمعنىٰ أنَّهم نذروا له نذورًا إن قُضيت حاجتهم فقُضيت إلىٰ أن قال : وما يروىٰ أنَّ رجلاً جاء إلىٰ قبر النَّبي ﷺ فشكىٰ إليه الجدب عام الرَّمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستقي بالنَّاس ، قال : مثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النَّبي ﷺ ، وأعرف من هذا وقائع ، وكذلك سؤال بعضهم للنَّبي ﷺ أو غيره من أمَّته حاجته فتقضىٰ له ، فإنَّ هذا وقع كثيراً ، ولكن عليك أن تعلم أنَّ إجابة النَّبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السَّائلين لا يدلُّ علىٰ استحباب السُّؤال ، وأكثر هؤلاء السَّائلين الملحِّين لما هم فيه من الحال ، لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم ، كما أنَّ السَّائلين له في الحياة كانوا كذلك .

وقال رحمه الله أيضاً : حتَّىٰ أنَّ بعض القبور يجتمع عندها في اليوم من السَّنة ويسافر إليها من الأمصار في المحرَّم أو في صفر أو عاشوراء أو غير ذلك ، تُقصد ويجتمع عندها فيه كما تقصد عرفة ومزدفة في أيَّام معلومة من السَّنة ، وربَّما كان الاهتمام بهذه الاجتماعات في الدِّين والدُّنيا أشد منكرًا ، حتَّىٰ أنَّ بعضهم يقول : نريد الحجَّ إلىٰ قبر فلان وفلان .

وبالجملة هذا الذي يفعل عند هذه القبور هو بعينه نهىٰ عنه النَّبي ﷺ ، وهذا هو الذي أنكره أحمد بن حنبل رحمه الله ، وقال : قد أفرط الناس في هذا جدا وأكثروا " وذكر ما يفعل عند قبر الحسين ، رضي الله عنه . قال الشَّيخ : ويدخل في هذا: ما يفعل بمصر، عند قبر نفيسة وغيرها. وما يفعل بالعراق عند القبر الذي يقال أنَّه قبر علي رضي الله عنه (٧٧) ، وقبر الحسين، إلىٰ قبور كثيرة في بلاد الإسلام لا يمكن حصرها . انتهىٰ كلام الشَّيخ .

---

(٧٧) من المعلوم أنَّ أولَ من زعم أنَّ قبر علي رضي الله عنه موجود في النَّجف هو عضُدُ الدَّوْلَةِ فَنَّاخُسْرُو بنُ حَسَنِ بنِ بُوَيْه الدَّيْلَمِيُّ ، قال الإمام الذَّهبي في ترجمة عضُدُ الدَّوْلَةِ فَنَّاخُسْرُو بنُ حَسَنِ بنِ بُوَيْه الدَّيْلَمِيُّ في " سير أعلام النُّبلاء" (١٦/ ٢٥٠) : " نُقِلَ أَنَّهُ لَمَّا احتُضرَ مَا انطلقَ لسانُهُ إِلاَّ بِقولِهِ تَعَالَى: **﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه، هَلَكَ عَنِّي**

﴿سُلْطَانِيَه﴾ [الحَاقَّة:٢٨ - ٢٩] . وَمَاتَ بعلَّةِ الصَّرَعِ، وَكَانَ شِيْعِيّاً جَلِداً أظهرَ بِالنَّجفِ قَبْراً زَعَمَ أَنَّهُ قَبْرُ الإِمَامِ عَلِيٍّ، وَبنَىٰ عَلَيْهِ المَشْهَدَ، وَأَقَامَ شعَارَ الرَّفْضِ، وَمأْتم عَاشُورَاءَ " .

ومعلوم لدىٰ الجميع أنَّ العلماء وأهل التَّاريخ اختلفوا في المكان الذي يوجد فيه قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعلىٰ أقوال ، أشهرها:

قال الإمام الخطيب البغدادي في " تاريخ بغداد" (١/ ٤٦٣-٤٦٤) : " قَالَ مُحَمَّد بْن سعد: ودفن علي بالكوفة عند مسجد الجامع في قصر الإمارة.

أَخْبَرَنَا ابْنُ رِزْقٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَىٰ الْكُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْمُرَادِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، يَعْنِي: أَحْمَدَ بْنَ عِيسَىٰ الْعُلَوِيَّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: دَفَنْتُ أَبِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي حَجَلَةٍ، أَوْ قَالَ فِي حُجْرَةٍ، مِنْ دُورِ آلِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ.

أَخْبَرَنَا حمزة بْن مُحَمَّد بْن طاهر الدقَّاق، قَالَ: أخبرنا الوليد بْن بكر الأندلسي، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن أَحْمَد بْن زكريا الهاشمي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مسلم صالح بْن أَحْمَد بْن عَبْدِ اللهَّ العجلي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: وعلي بْن أَبِي طالب، قتل بالكوفة قتله عَبْد الرَّحْمَنِ بْن ملجم المرادي، وقتله الْحَسَن بْن عَلِيّ، بعد موت أبيه، ودفن عَلِيّ بالكوفة فلا يعلم أين موضع قبره.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن الحسين القطَّان، قَالَ: أخبرنا عَبْد الله بْن إِسْحَاقَ الخراساني، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زَيْد بْن طريف، قَالَ: حَدَّثَنَا إسماعيل بْن مُوسَىٰ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو المحياة، عَنْ عَبْد الملك بْن عمير، قَالَ: لَمَّا حفر خالد بْن عَبْدِ اللهَّ أساس دار يزيد ابنه، استخرجوا شيخاً مدفونا أبيض الرَّأس واللحية، فقال: أتحب أن أُريك عَلِيّ بْن أَبِي طالب؟ فكشف لي فإذا بشيخ أبيض الرَّأس واللحية، كأنَّما دفن بالأمس طري" .

وقال الإمام ابن أبي يعلىٰ في " طبقات الحنابلة" (١/ ٩٣) : " وقال إِبْرَاهِيم الحربي قبر عَلِيّ بْن أبي طالب رضي اللهَّ عنه لا يدري أين هو" .

قال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ " (٤/ ٤٩٩-٥٠٠) : " وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي " مَوْضِعِ قَبْرِهِ ". وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ دُفِنَ بِقَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ؛ وَأَنَّهُ أُخْفِيَ قَبْرُهُ لِئَلَّا يَنْبُشَهُ " الْخَوَارِجُ " الَّذِينَ كَانُوا يُكَفِّرُونَهُ وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَهُ؛ فَإِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْخَوَارِجِ وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجِمٍ المرادي وَكَانَ قَدْ تَعَاهَدَ هُوَ وَآخَرَانِ عَلَىٰ قَتْلِ عَلِيٍّ وَقَتْلِ مُعَاوِيَةَ وَقَتْلِ عَمْرِو بْنِ العاص؛ فَإِنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ وَكُلَّ مَنْ لَا يُوَافِقُهُمْ عَلَىٰ أَهْوَائِهِمْ" .

وقال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ " (٤/ ٥٠٢) : " فَعَلِيٌّ دُفِنَ هُنَاكَ وَعَفَا قَبْرُهُ فَلِذَلِكَ لَمْ يَظْهَرْ قَبْرُهُ. وَأَمَّا الْمَشْهَدُ الَّذِي بِالنَّجفِ فَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّهُ لَيْسَ بِقَبْرِ عَلِيٍّ بَلْ قِيلَ إنَّهُ قَبْرُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَذْكُرُ

أَنَّ هَذَا قَبْرُ عَلِيٍّ وَلَا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ؛ مَعَ كَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ: مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالشِّيعَةِ وَغَيْرِهِمْ وَحُكْمِهِمْ بِالْكُوفَةِ. وَإِنَّمَا اتَّخَذُوا ذَلِكَ مَشْهَدًا فِي مُلْكِ بَنِي بويه - الْأَعَاجِمِ - بَعْدَ مَوْتِ عَلِيٍّ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ وَرَوَوْا حِكَايَةً فِيهَا: أَنَّ الرَّشِيدَ كَانَ يَأْتِي إِلَى تِلْكَ وَأَشْيَاءَ لَا تَقُومُ بِهَا حُجَّةٌ" .

قال الإمام ابن تيمية في (٧/ ٤٣) : " منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة " : " وَمِثْلَ مَنْ يَظُنُّ مِنَ الْجُهَّالِ أَنَّ قَبْرَ عَلِيٍّ بِبَاطِنِ النَّجَفِ. وَأَهْلُ الْعِلْمِ - بِالْكُوفَةِ وَغَيْرِهَا - يَعْلَمُونَ بُطْلَانَ هَذَا، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ كُلٌّ مِنْهُمْ دُفِنَ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِبَلَدِهِ، خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنْ يَنْبُشُوهُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا تَحَالَفُوا عَلَى قَتْلِ الثَّلَاثَةِ، فَقَتَلُوا عَلِيًّا وَجَرَحُوا مُعَاوِيَةَ" .

وقال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ " (٢٧/ ٤٤٦-٤٤٥) : " وَأَمَّا " مَشْهَدُ عَلِيٍّ " فَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ قَبْرَهُ؛ بَلْ قَدْ قِيلَ: إنَّهُ قَبْرُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَذَلِكَ أَنَّهُ إنَّمَا أُظْهِرَ بَعْدَ نَحْوِ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ مِنْ مَوْتِ عَلِيٍّ فِي إمَارَةِ بَنِي بويه وَذَكَرُوا أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ حِكَايَةٌ بَلَغَتْهُمْ عَنْ الرَّشِيدِ أَنَّهُ أَتَى إلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ وَجَعَلَ يَعْتَذِرُ إلَى مَنْ فِيهِ مِمَّا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ وَبِمِثْلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ لَا يَقُومُ شَيْءٌ. فَالرَّشِيدُ أَيْضًا لَا عِلْمَ لَهُ بِذَلِكَ. وَلَعَلَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ إنْ صَحَّتْ عَنْهُ فَقَدْ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ كَمَا قِيلَ لِغَيْرِهِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ يَقُولُونَ: إنَّ عَلِيًّا إنَّمَا دُفِنَ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ. وَهَكَذَا هُوَ السُّنَّةُ؛ فَإِنَّ حَمْلَ مَيِّتٍ مِنْ الْكُوفَةِ إلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ لَيْسَ فِيهِ فَضِيلَةُ أَمْرٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ؛ فَلَا يُظَنُّ بِآلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُمْ فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ وَلَا يَظُنُّهُ أَيْضًا أَنَّ ذَلِكَ خَفِيَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ حَتَّى أَظْهَرَهُ قَوْمٌ مِنْ الْأَعَاجِمِ الْجُهَّالِ ذَوِي الْأَهْوَاءِ" .

وقال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (٧/ ٣٦٥-٣٦٦) : " وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا مَاتَ صَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْحَسَنُ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ تِسْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَدُفِنَ بِدَارِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنْ يَنْبُشُوا عَنْ جُثَّتِهِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ حُمِلَ عَلَى راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهب فقد أخطأ وتكلف مالا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلَا يُسِيغُهُ عَقْلٌ وَلَا شَرْعٌ، وَمَا يَعْتَقِدُهُ كَثِيرٌ مِنْ جَهَلَةِ الرَّوَافِضِ مِنْ أَنَّ قَبْرَهُ بِمَشْهَدِ النَّجَفِ فَلَا دَلِيلَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَصْلَ لَهُ، وَيُقَالُ إِنَّمَا ذَاكَ قَبْرُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، حَكَاهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ الْحَافِظِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الطَّلْحِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الحضرمي الحافظ، عن مطر أَنَّهُ قَالَ: لَوْ عَلِمَتِ الشِّيعَةُ قَبْرَ هَذَا الَّذِي يُعَظِّمُونَهُ بِالنَّجَفِ لَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، هَذَا قَبْرُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الله بن أَبِي سَبْرَةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرَ كَمْ كَانَ سِنُّ عَلِيٍّ يَوْمَ قُتِلَ؟ قَالَ: ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً.

قُلْتُ: أَيْنَ دُفِنَ؟ قَالَ: دُفِنَ

بِالْكُوفَةِ لَيْلًا وَقَدْ غُبِّيَ عن دَفْنُهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أَنَّهُ كان عمره ثمان وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَلِيًّا دُفِنَ قِبْلِيَّ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الْكُوفَةِ.

قَالَهُ الْوَاقِدِيُّ، والمشهور بدار الإمارة.

وَقَدْ حَكَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ الْفَضْلِ بْنِ دُكَيْنٍ، أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ حَوَّلَاهُ فَنَقَلَاهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَفَنَاهُ بِالْبَقِيعِ عِنْدَ قَبْرِ فاطمة، وَقِيلَ إِنَّهُمْ لَمَّا حَمَلُوهُ عَلَى الْبَعِيرِ ضَلَّ منهم فأخذته طيء يَظُنُّونَهُ مَالًا فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الَّذِي فِي الصندوق ميت ولم يعرفوه دَفَنُوا الصُّنْدُوقَ بِمَا فِيهِ فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ قَبْرُهُ، حَكَاهُ الْخَطِيبُ أَيْضًا.

وَرَوَى الْحَافِظُ ابن عساكر عن الحسن قَالَ: دَفَنْتُ عَلِيًّا فِي حُجْرَةٍ مِنْ دُورِ آلِ جَعْدَةَ.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: لَمَّا حَفَرَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أساس دار ابنه يزيد

اسْتَخْرَجُوا شَيْخًا مَدْفُونًا أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ كَأَنَّمَا دُفِنَ بِالْأَمْسِ فَهَمَّ بِإِحْرَاقِهِ ثُمَّ صَرَفَهُ اللَّهُ عن ذلك فَاسْتَدْعَى بِقَبَاطِيَّ فَلَفَّهُ فِيهَا وَطَيَّبَهُ وَتَرَكَهُ مَكَانَهُ.

قَالُوا وَذَلِكَ الْمَكَانُ بِحِذَاءِ بَابِ الْوَرَّاقِينَ مِمَّا يَلِي قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ فِي بَيْتِ إِسْكَافٍ وَمَا يَكَادُ يَقِرُّ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَحَدٌ إِلَّا انْتَقَلَ مِنْهُ.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ: قَالَ: صُلِّيَ عَلَى عَلِيٍّ لَيْلًا وَدُفِنَ بِالْكُوفَةِ وعميَ مَوْضِعُ قَبْرِهِ وَلَكِنَّهُ عِنْدَ قَصْرِ الْإِمَارَةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: شَهِدَ دَفْنَهُ فِي اللَّيْلِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِمْ فَدَفَنُوهُ فِي ظَاهِرِ الْكُوفَةِ وَعَمُّوا قَبْرَهُ خِيفَةً عَلَيْهِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي في " النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة " (١/ ١٢٠) : " وقال جعفر بن محمَّد عن أبيه قال : صلَّى الحسن على عليٍّ رضي الله عنه ، ودُفن بالكوفة عند قصر الإمارة ، وعمِّي قبره لئلَّا تنبشه الخوارج . وقال شريك وغيره: نقله الحسن إلى المدينة . وذكر المبرد عن محمَّد بن حبيب، قال : أوَّل من حوِّل من قبر إلى قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه" .

وقال الإمام الذَّهبي في " تاريخ الإسلام " (٢/ ٣٧١) : " وقال جَعْفَر بْن مُحَمَّد، عن أَبِيهِ قَالَ: صلَّى الحَسَن على عليّ، وَدُفِنَ بالكوفة، عند قصر الإمارة، وَعُمِّيَ قبرهُ.

وعن أبي بَكْر بْن عيّاش قَالَ: عَمُّوه لئلّا تَنْبُشَه الخوارج.

وقال شَريك، وغيره: نقله الحَسَن بْن عليّ إِلَى المدينة.

وذكر المُبَرّد عن مُحَمَّد بْن حبيب ، قَالَ: أوّل من حُوِّلَ من قبرٍ إِلَى قبرٍ عليّ.

فيا عباد الله : تأمَّلوا كم في كلام الشَّيخ هذا من موضع يرد مفهومكم من العبارة التي تستدلُّون بها من كلامه ، ويردّ تكفيركم للمسلمين ، ونحن نذكر بعض ما في ذلك تتميماً الفائدة ، منها :

قوله في قصد البقعة والنَّذر في العيون والشَّجر والمغارات ، وما ذكره أنَّه من المنكرات ، ولم يجب الوفاء به ، ولم يقل أنَّ فاعل ذلك كافر مرتدٌّ حلال المال والدَّم كما قلتم .

ومنها : أنَّ من النَّاس من يأمر بالنَّذر والقصد لهذه الأشياء التي ذكرها وسمَّاه ضالّاً ، ولم يكفِّره كما قلتم .

ومنها : أنَّ هذه المواضع ، وهذه القبور ، وهذه الأفاعيل ملأت بلاد الإسلام قديماً ، ولم يقل لا هو ولا أحد من أهل العلم أنَّها بلاد كفر ، كما كفرتم أهلها ، بل كفَّرتم من لم يكفِّرهم .

ومنها : أنَّه ذكر طلب أهل القبور ، وأنَّه كثر وشاع ، وغاية ذلك أنَّه حرَّمه ، بل رفع الخطأ عن المجتهد في ذلك أو المقلِّد أو الجاهل ، وأنتم تجعلونهم بهذه الأفاعيل أكفر ممَّن كذَّب رسول الله ﷺ من كفَّار قريش .

وقال صالح بْن أحمد النَّحوي: حدَّثنا صالح بْن شُعيب، عن الحَسَن بْن شُعَيب الفروي، أنَّ عليّاً- رضي الله عنه – صير في صندوق، وكثروا عليه الكافور، وَحُمِلَ علىٰ بعير، يريدون به المدينة، فَلَمَّا كان ببلاد طيّء، أضلُّوا البعير ليلًا، فأخذته طيء وهم يظنُّون أنّ فِي الصُّندوق مالاً، فلمّا رأوه خافوا أن يطلبوا ، فدفنوه ونحروا البعير فأكلوه.

وقال مُطَيَّن: لو عَلِمَتِ الرَّافضة قبرَ مَن هَذَا الَّذِي يُزار بظاهر الكوفة لَرَجَمَتْهُ، هَذَا قبر الْمُغيرة بْن شُعْبَة" .

وقال الإمام الدَّميري في " حياة الحيوان الكبرىٰ " (٢/٣٠٨) : " وعضد الدَّولة هو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب رضي الله تعالىٰ عنه ، وعمَّر المشهد هناك ، وأوصىٰ أن يُدفن فيه، وللنَّاس في هذا القبر اختلاف متباين حتىٰ قيل : إنَّه قبر المغيرة بن شعبة الثَّقفي رضي الله تعالىٰ عنه. وأصحُّ ما قيل : إنَّه مدفون بقصر الإمارة بالكوفة ،انتهىٰ.

قلت: وعلي رضي الله تعالىٰ عنه لا يُعرف قبره علىٰ الحقيقة" .

والخلاصة ... أنَّ أقرب الأقوال إلىٰ الصَّواب هو أنَّه رضي الله عنه دُفن في قصر الإمارة في الكوفة ، ولا يُدرىٰ علىٰ الحقيقة البقعة التي دُفن فيها في القصر ؛ وقد عملوا علىٰ تعمية مكان القبر كي لا ينبشه الخوارج فيعرضونه للمهانة ... والله أعلم .

ومنها : أنَّ غاية أن يعلم المسلم أنَّ هذا لم يشرعه الله ، وأنتم تقولون : هذا يعلم بالضَّرورة أنَّه كفر ، حتَّىٰ اليهود والنَّصارىٰ يعرفون ذلك ، ومن لم يكفِّر فاعله فهو كافر، فيا عباد الله انتبهوا .

ومنها : أنَّه قال : جابة النَّبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السَّائلين الملحِّين لو لم يُجابوا لاضطرب إيمانهم جعلهم مؤمنين ، وجعل إجابة دعائهم رحمة من الله تعالىٰ لهم ، لئلَّا يضطرب إيمانهم ، وأنتم تقولون : من فعل فهو كافر ، ومن لم يكفِّره فهو كافر .

ومنها : أنَّ هذه الأمور ، وهي سؤال النَّبي ﷺ حدثت في زمن الصَّحابة ، كالذي شكىٰ للنَّبي ﷺ القحط ، ورآه في النَّوم ، فأمره أن يأتي عمر ، ولا ذكر أنَّ عمر أنكر ذلك ، وأنتم تجعلون مثل هذا كافراً .

ومنها : أنَّ هذه الأمور حدثت من قبل زمن الإمام أحمد في زمان أئمة الإسلام ، وأنكرها من أنكرها منهم ، ولا زالت حتَّىٰ ملأت بلاد الإسلام كلّها ، وفعلت هذه الأفاعيل كلّها التي تكفِّرون بها ، ولم يرو عن أحد من أئمَّة المسلمين أنَّهم كفَّروا بذلك ، ولا قالوا : هؤلاء مرتدُّون ، ولا أمروا بجهادهم ، ولا سمُّوا بلاد المسلمين بلاد شرك وحرب ، كما قلتم أنتم ، بل كفَّرتم من لم يكفِّر بهذه الأفاعيل ، وإن لم يفعلها ، أيظنُّون أنَّ هذه الأمور من الوسائط التي في العبارة الذي يكفر فاعلها إجماعاً ، وتمضىٰ قرون الأئمَّة من تمام مائة عام ، ومع هذا لم يرو عن عالم من علماء المسلمين أنَّها كفر ، بل ما يظنُّ هذا عاقل ، بل والله لازم قولكم أنَّ جميع الأئمَّة بعد زمان الامام أحمد رحمه الله تعالىٰ علماؤها وأمراؤها وعامَّتها كلُّهم كفَّار مرتدُّون ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، واغوثاه إلىٰ الله ثمَّ واغوثاه ، أم تقولون كما يقول بعض عامَّتكم : أنَّ الحجَّة ما قامت إلَّا بكم ، والا قبلكم لم يعرف دين الإسلام ، ياعباد الله انتهوا ، ولكن بكلام الشَّيخ هذا يستدلّ عليكم علىٰ أنَّ مفهومكم أنَّ هذه الأفاعيل من الشِّرك الأكبر خطأ ، وأيضاً فإنَّ مفهومكم أنَّ هذه الأفاعيل داخلة في معنىٰ عبارة من جعل بينه وبين الله وسائط إلىٰ آخره ، نبَّهنا الله وإيَّاكم من الضَّلال.

فَصْلٌ : وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان قولكم هذا : ما روىٰ مسلم في صحيحه عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ

مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا " (٧٨) .

وجه الدَّليل من هذا الحديث أنَّ النَّبي ﷺ أخبر أنَّه لا يسلّط علىٰ هذه الأُمَّة عدوّاً من سوىٰ أنفسهم ، بل يسلِّط بعضهم علىٰ بعض . ومعلوم عند الخاصِّ والعامِّ ممَّن له معرفة بالأخبار أنَّ هذه الأمور التي تكفِّرون بها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبع مائة عام كما تقدَّم نقله ، ولو كانت هذه عبادة الأصنام الكبرىٰ وأنَّها الوسائط كما زعمتم ، فكان أهلها كفَّار أو من لم يكفِّرهم فهو كافر كما قلتم أنتم الآن ، ومعلوم أنَّ العلماء والأمراء لم يكفِّروهم ، ولم يجروا عليهم أحكام أهل الردَّة ، مع أنَّ هذه الأمور تفعل في غالب بلاد الإسلام ظاهرة غير خفيَّة ، بل كما قال الشَّيخ صارت مأكلاً لكثير من النَّاس ، وأيضاً يسافرون إليها من جميع الأمصار أعظم ما يسافرون إلىٰ الحجّ ، ومع هذا كلّه فأخبرونا برجل واحد من أهل العلم أو أهل السَّيف قال مقالتكم هذه ؟!! بل أجروا عليهم أحكام أهل الإسلام ، فاذا كانوا كفَّاراً عبَّاد أصنام بهذه الأفاعيل والعلماء والأمراء أجروا عليهم أحكام الإسلام ، فهم بهذا الصَّنيع أي العلماء والأمراء كفَّار ، لأنَّ من لم يكفر أهل الشِّرك الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فهو كافر ، فحينئذ ليسوا من هذه الأُمَّة، بل كفَّار سلَّطهم الله علىٰ هذه الأُمَّة ، فاستباحوا بيضتهم ، وهذا يردّ بهذا الحديث ، وهو ظاهر من الحديث لمن تدبَّره ، والله الموفِّق لا ربَّ غيره .

فان قلت : روىٰ هذا الحديث بعينه البرقاني وزاد فيه :" إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ فِي أُمَّتِي السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي

(٧٨) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٥ برقم) .

بِالْمُشْرِكِينَ، حَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ " (٧٩) .

---

(٧٩) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٧٩ برقم ٢٢٣٩٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح على شرط مسلم . وأخرجه مطولاً ومختصراً أبو داود (٤٢٥٢) ، وأبو عوانة في "الجهاد" (٧٥٠٩) ، وفي الفتن كما في "إتحاف المهرة" (٣/ ٤٨) ، وأبو عمرو الداني في "الفتن" (٤) و (٥٥) و (٣٦١) ، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (٤٦٤) ، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١١١٣) من طريق سليمان بن حرب، بهذا الإسناد ، وأخرجه مطولاً ومختصراً أيضاً الطَّيالسي (٩٩١) ، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٥٨) ، ومسلم (١٩٢٠) و (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والتِّرمذي (٢١٧٦) و (٢٢٠٢) و (٢٢١٩) و (٢٢٢٩) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢٨٧) ، وفي "الآحاد والمثاني" (٤٥٦) و (٤٥٧) ، وأبو عوانة في الجهاد (٧٥٠٩) ، وفي الفتن، وابن حبَّان (٧٢٣٨) ، وأبو نعيم في "الدلائل" (٤٦٤) ، وأبو عمرو الداني (٣٦٠) ، والقضاعي (٩١٤) و (١١٦٦) ، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦/ ٥٢٦-٥٢٧) ، والبغوي (٤٠١٥) من طرق عن حماد بن زيد، به. وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٤٨) من طريق عباد بن منصور، عن أيوب، به. مختصراً بقوله: "لن تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان". وأخرجه مطولاً ومختصراً مسلم (٢٨٨٩) ، وابن ماجه (١٠) و (٣٩٥٢) ، وبحشل في "تاريخ واسط" (ص١٦٤) ، وأبو عوانة، وابن حبَّان (٦٧١٤) ، والطبراني في "الأوسط" (٨٣٩٢) ، وفي "الشاميين" (٢٦٩٠) ، والبيهقي (٩/ ١٨١) من طريق قتادة، والحاكم (٤/ ٤٤٩-٤٥٠) من طريق يحيى بن أبي كثير، كلاهما عن أبي قلابة، به. وسيأتي الحديث عن عفان عن حماد بن زيد برقم (٢٢٤٥٢) . وسيأتي قوله: "لا تزال طائفة من أمتي ... " مختصراً برقم (٢٢٤٠٣) . وانظر شواهده هناك. وقوله: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" سلف برقم (٢٢٣٩٣) و (٢٢٣٩٤) . وقد سلف هذا الحديث بتمامه في مسند شداد بن أوس برقم (١٧١١٥) من طريق معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث، عن أبي أسماء، عن شداد، فجعله من حديث شداد، وهو خطأ من معمر، وقد سلف الكلام على هذا الإسناد وشرحه هناك وفي باب قوله: "لا يهلكوا بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدواً" عن أنس، سلف برقم (١٢٤٨٦) ، وذكرت شواهده هناك وقوله: "سيكون كذابون ثلاثون" عن ابن عمر، سلف برقم (٥٦٩٤) ، وعن أبي هريرة، سلف برقم (٧٢٢٨) ، وذكرت شواهده عندهما قال السندي: قوله: "زوى لي الأرض" كرَمَى، أي: ضم زواياها، وهو يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أنه خلق له الإدراك فيكون مجازاً، فإنه لما أدرك جميعها صار كأنه جمعت له حتى رآها، والمراد من الأرض ما سيبلغها ملك الأمة لا كلها،

قلت : وهذا أيضاً حجّة عليكم يوافق الكلام الأوّل ، أنَّ قوله ﷺ : " وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ " ، فهذا يدلُّ علىٰ أنَّه ما خاف عليهم الكفر والشِّرك الأكبر ، وانَّما يخاف عليهم الأئمَّة المُضلِّين ، كما وقع ، وما هو الواقع ، ولو كانوا يكفرون بعده لودَّ أن يسلِّط عليهم من يُهلكهم ، وما خاف عليهم أيضاً وضع السَّيف ، وأخبر أنَّه إذا وُضع لا يُرفع ، وكذلك وقع ، وهذا من آيات نبوَّته ﷺ ، فإنَّه وقع كما أخبر .

وقوله : " وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ" ، وهذا أيضاً وقع ، وقوله : " وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ " ، فهذا حقٌّ ، وقوله : " وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ " إلىٰ آخره ، يدلُّ علىٰ أنَّ هذه الأمور التي ملأت بلاد الإسلام ليست بعبادة الأوثان ، فلو كانت هذه الأمور عبادة الأصنام لقاتلتهم الطَّائفة المنصورة ، ولم يعهد ولم يذكر أنَّ أحداً من هذه الأُمَّة قاتل علىٰ ذلك ، وكفَّر من فعله ، واستحلَّ ماله ودمه قبلكم ، فإن وجدتم ذلك في قديم الدَّهر أو حديثه فبيِّنوه ، وأنَّىٰ لكم بذلك ، وهذا الذي ذكرناه واضح من أوَّل الحديث وآخره ، والحمد لله ربّ العالمين .

فَصْلٌ : وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم في تكفير من كفَّرتموه : ما روىٰ البخاري في صحيحه عن مُعَاوِيَة بِن أَبِيْ سُفْيَان ، قَال : سَمِعْتُ النَّبي ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وانَّما أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ» انتهىٰ (٨٠) .

وجه الدَّليل منه أنَّ النَّبي ﷺ أخبر أنَّ أمر هذه الأُمَّة لا يزال مستقيماً إلىٰ آخر الدَّهر ، ومعلوم أنَّ هذه الأمور التي تكفِّرون بها ما زالت قديماً ظاهرة ملأت البلاد ما تقدَّم ، فلو كانت هي الأصنام

كما يدل عليه ما بعده .مشارقها" أي البلاد الشرقية منها، وكذا مغاربها .الأحمر": الذهب، و"الأبيض": الفضة. "بسنة": بقحط. "بعامة": يعم الكل، وهو بدل .من سوىٰ أنفسهم" أي: من غيرهم من الكفرة "يستبيح بيضتهم" البيضة: الجماعة، وقيل: الدار، ومعناه في الأصل: تستبيح أصلهم، وذلك لأن البيضة أصل الحيوان.

(٨٠) أخرجه البخاري (١/ ٢٥ برقم ٧١) .

الكبرىٰ ومن فعل شيئاً من تلك الأفاعيل عابد للأوثان ، لم يكن أمر هذه الأُمَّة مستقيماً ، بل منعكسة بلدهم بلاد كُفر ، تُعبد فيها الأصنام ظاهراً ، وتجري علىٰ عبدة الأصنام فيها أحكام الإسلام ، فأين الاستقامة ، وهذا واضحٌ جلي .

فإن قلت : ورد عن النَّبي ﷺ في الأحاديث الصَّحيحة ما يعارض هذا ، وقوله ﷺ : «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ...» (٨١) ، وما في معناه ، وقوله ﷺ: « سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً – يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ –، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً » (٨٢) .

قلت : هذا حقٌّ ، ولا تعارض والحمد لله ، وقد بيَّن العلماء ذلك ووضَّحوه ، وأنَّ قوله : تفترق هذه الأُمَّة" الحديث ، فهؤلاء أهل الأهواء كما تقدَّم ذكرهم ، ولم يكونوا كافرين ، بل كلُّهم مسلمون ، إلَّا من أسرَّ تكذيب الرَّسول ﷺ ، فهو منافق ، كما تقدَّم في كلام الشَّيخ من حكاية مذهب أهل السُّنَّة في ذلك ، وقوله ﷺ: " كلُّها في النَّار إلَّا واحدة "، فهو وعيد مثل وعيد أهل الكبائر ، مثل قاتل النفس ، وآكل مال اليتيم ، وآكل الرِّبا ، وغير ذلك . وأمَّا الفرقة النَّاجية فهي السَّالمة من جميع البدع المتَّبعة لهدىٰ رسول الله ﷺ ، كما بيَّنه أهل العلم ، وهذا اجماع من أهل العلم كما تقدَّم لك .

وأمَّا قوله ﷺ: « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » الحديث ، قال الشَّيخ رحمه الله : ليس هذا إخباراً عن جميع الأُمَّة ، فقد تواتر عنه ﷺ أنَّه لا تزال من أمَّته طائفة ظاهرة علىٰ الحقّ حتَّىٰ تقوم السَّاعة ، وأخبر أنَّه لا تجتمع علىٰ ضلالة ، وأنَّه لا يزال يغرس في هذا الدِّين غرساً يستعملهم بطاعته ، فعلم بخبره الصِّدق أنَّه يكون في أمَّته قوم متمسِّكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً ، وقوم منحرفون إلىٰ شعبة من شُعب اليهود أو شعبة من شُعب النَّصارىٰ ، وإن كان الرَّجل لا يكفر بكلِّ الانحراف ، بل وقد لا يفسق .

---

(٨١) أخرجه البخاري (١٠٣/٩ برقم ٧٣٢٠) .

(٨٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ١٣٥ برقم ١٦٩٣٧) ، وحسنه الأرنؤوط .

وقال رحمه الله : النَّاس في مَبعث رسول الله ﷺ في جاهليَّة ، فأمَّا مبعث رسول الله ﷺ فلا جاهليَّة مُطلقة ، فإنَّه لا تزال من أمَّته طائفة ظاهرين إلىٰ قيام السَّاعة ، وأمَّا الجاهليَّة المقيَّدة ، فقد تكون في بعض بلاد المسلمين أو في بعض الأشخاص ، كقوله ﷺ : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ » (٨٣) ، فدين الجاهليَّة لا يعود إلىٰ آخر الدَّهر عند اخترام أنفس جميع المؤمنين عموماً . انتهىٰ كلام الشَّيخ رحمه الله تعالىٰ .

فقد تبيَّن لك أنَّ دين الإسلام ملأ بلاد الإسلام بنصِّ أحاديث رسول الله ﷺ ، وبما فسَّره به العلماء الأعلام ، أوأنَّ كلّ الفِرق علىٰ الإسلام بخلاف قولكم هذا ، فإن صحَّ مذهبكم فلم يبق علىٰ الأرض مسلم من ثمان مائة سنة إلَّا أنتم ، والعجب كلّ العجب أنَّ الفرقة النَّاجية وصفها رسول الله ﷺ بأوصاف ، وكذلك وصفها أهل العلم ، وليس فيكم خصلة واحدة منها (٨٤) ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

---

(٨٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤٤ برقم ٩٣٤) .

(٨٤) من المعلوم أنَّ الوهَّابيِّين كانوا – وما زالوا - يعتقدون أنَّهم وحدهم فقط المسلمون ، وأنَّهم الفِرقة النَّاجية ، ومن عداهم كافرٌ مشركٌ حلال الدَّم ... وسطَّروا ذلك في كُتبهم ، وترجموه إلىٰ عمل بذبحهم عشرات الآلاف من الموحِّدين الذين اتَّهموهم بالشِّرك لأنَّهم يتوسَّلون إلىٰ الله تعالىٰ بالأنبياء والصَّالحين ... بحجَّة الدِّفاع عن التَّوحيد ...ولا حول ولا قوَّة لإلَّا بالله ...

وقد أرَّخ ذلك وسطَّره إمامُهم ومؤرِّخ حركتهم : عثمان بن عبد الله بن عثمان بن البشر المشهور باسم ابن بشر في كتابه : " عنوان المجد في تاريخ نجد " - وللعلم فقد تمَّت إزالة الكتاب المذكور من المكتبة الشَّاملة لاشتماله علىٰ فضائحهم ومصائبهم- الذي أودعه ما يندىٰ له الجبين من الفضائع والفضائح والجرائم والمجازر وإراقة الدِّماء بحقِّ الإسلام المسلمين ، والمقدَّسات الإسلاميَّة ...

قال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) ، صاحب حاشية " ردّ المحتار علىٰ الدُّرِّ المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة " ، في حاشيته عنهم : " مَطْلَبٌ فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّد ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِنَا.

(قَوْلُهُ : وَيُكَفِّرُونَ أَصْحَابَ نَبِيِّنَا ﷺ) عَلِمْت أَنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ فِي مُسَمَّىٰ الْخَوَارِجِ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَنْ خَرَجُوا عَلَىٰ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَإِلَّا فَيَكْفِي فِيهِمْ اعْتِقَادُهُمْ كُفْرَ مَنْ خَرَجُوا عَلَيْهِ ، كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ مُحَمَّد

ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أنَّهم هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أهل السُّنَّةِ ، وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ ، وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ ، وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة ، ابن عابدين (٤/ ٢٦٢) .

قلتُ : قام الوهَّابيَّة بحذف هذه الفقرة وشطبها من حاشية الإمام ابن عابدين من النُّسخة التي طُبعت على نفقة الوليد بن طلال ، كما تمَّ حذف كتاب " البُغاة " كاملاً من النُّسخة نفسها ... فإلى الله المشتكى ... وفي النُّسخة التي طبعتها دار الفكر ببيروت ، شطبوا اسم مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ...للإيهام ...واكتفوا باسم أبيه ، فقالوا : " ... كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْحَرَمَيْنِ وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أنَّهم هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أهل السُّنَّةِ وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّى كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَوْكَتَهُمْ وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين (٤/ ٢٦٢) ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م.

وهذا هو ديدنهم ، وصنيعهم مع كلِّ ما لا يتوافق مع منهجهم وفِكرهم ومعتقدهم...

وقال الإمام الصَّاوي المالكي في " حاشية الصَّاوي على الجلالين " (٥/ ٧٨) عند تفسير قول الله تعالى : **﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾** [فاطر : ٦] : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، **﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾** [المجادلة:١٨-١٩] ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم ".

قلتُ : وقد عَمَدَ المتسلِّفون أدعياء السَّلفيَّة إلى شطب هذه الفقرة من " حاشية الصَّاوي على الجلالين " ، من طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى ، (١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! مُحَمَّد عبد السَّلام شاهين ، حيث حرَّفوا النصَّ ليُصبح كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيخ علي مُحَمَّد الضبَّاع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : " وهم فرقة بأرض الحجاز ... يحسبون أنَّهم "

فَصْلٌ : وممَّا يدلُّ علىٰ عدم صحَّة مذهبكم : ما رواه البيهقي وابن عدي وغيرهم عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ» (٨٥) .

قال في الآداب : قال هنا : سألت أحمد عن هذا الحديث ، قال : صحيح . انتهىٰ .

قال ابن القيِّم : هذا حديث روي من وجوه يشدُّ بعضها بعضاً ، ووجه الدَّليل منه أنَّ النَّبي ﷺ وصف حَمَلَة علمه الذي بعثه الله به أنَّهم عدول ، كلُّ طبقة من طبقات الأُمَّة ، وقد تقدَّم مراراً أنَّ هذه الأفاعيل التي تجعلون من فَعَلها كَافراً موجودة في الأُمَّة وجوداً ظاهراً من أكثر من سبعمائة عام ، بل قد ذكر ابن القيِّم أنَّها ملأت الأرض ، وأخبر أنَّ في الشَّام وغيره من بلاد المسلمين ، بل في كلِّ بلد منها عدّة ، وأخبر بأمور عظيمة هائلة تعمل عندها من السُّجود للقبور ، والذَّبح لها ، وطلب تفريج الكُرُبات ، وإغاثة اللهفان من أهلها ، والنُّذور ، وغير ذلك ، ثمَّ أقسم أنَّه مقتصر فيما حكىٰ عنهم ، وأنَّ فعلهم أعظم وأكثر ممَّا ذكره ، وقال : لم نستقص ذكر بدعتهم وشركهم ، ومع هذا لم يجر عليهم ولا أحد من أهل العلم من طبقة ولا الطَّبقات قبله ولا بعده من جميع أهل العلم الذين

، فقد وضعوا مكان الكلام المحذوف نُقطاً ، فإلىٰ الله المُشتكىٰ من قوم لا يستحون ولا يرعوون ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ... وأخيراً فإنَّه يجدر بنا الإشارة إلىٰ الأسباب التي أدَّت إلىٰ انتشار هذا الفكر المتطرِّف الدَّخيل ، ومن أشهرها : الإعلام بكلِّ صنوفه وألوانه ، والأموال التي تغدق علىٰ الأتباع بلا عدٍّ ولا حدّ ، والتَّعليم المتمثِّل بتخريج الدَّكاترة وحملة الشِّهادات العليا الذين رجعوا إلىٰ بلدانهم كنائبين عمَّن اتَّبعوا في نشر باطلهم ، وتطرُّفهم ، وتكفيرهم لمجموع الأُمَّة ، بالإضافة إلىٰ ملايين الكُتُب التي تُهدىٰ ولا تُباع ... فتحقَّق الضَّياع ، وخربت الضِّياع ...!!!

فالفكر الوهَّابي عمل وبشكل مُريع في تشويه سُمعة الإسلام وتعاليمه السَّمحة ، من خلال الممارسات الخاطئة ... فمن رَحِمِ الوهَّابيَّة خرجت : طالبان ، والقاعدة ، وداعش ، والنُّصرة ، وغيرها من التَّنظيمات التي تُلصق أفعالها المشينة بالإسلام العظيم ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ...

(٨٥) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٢٦٩) ، البيهقي في السُّنن الكبرىٰ (١٠/ ٣٥٣ برقم ٢٠٩١١) ، ابن عبد البر في التَّمهيد (١/ ٥٩) .

وصفهم ﷺ بالعدالة وبحفظ الدِّين عن غلوِّ الغالين ، وتأوُّل الجاهلين ، وانتحال المُبطلين ، لم يجر عليهم أحد منهم الكفر الظَّاهر ، ولم يسمُّوا بلاد المسلمين بلاد كفَّار ، ولا غزوا البلاد والعباد وسمُّوهم مشركين ، هذا وهم القائمون بنصرة الحقّ ، وهم الطَّائفة المنصورة إلىٰ قيام السَّاعة ، بل ذكر ابن القيِّم أنَّ هذه الأفاعيل التي تكفِّرون بها بل تكفِّرون من لا يكفِّر بها ، بل تزعمون أنَّها عبادة الأصنام الكبرىٰ ، كثرت في بلاد الإسلام حتَّىٰ قال : فما أعز من تخلَّص من هذا ، بل أعزَّ من لا يعادي من أنكره ، فذكر أنَّ غالب الأُمَّة تفعله ، والذي لا يفعله ينكر علىٰ ما أنكره ويعاديه إذا أنكره ، فلو كان ما ذهبت إليه حقّاً لكانت جميع الأُمَّة والعياذ بالله كلُّها أشركت بالله الشِّرك الأكبر ، وحسَّنت فعله ، وأنكرت علىٰ من أنكره من قبل زمن ابن القيِّم ، فحينئذ يرد قولكم هذا الحديث والحديث الذي قبله والأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالىٰ. هذا بيِّنٌ واضح لمن وفّق ، والحمد لله .

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم : ما ورد في الصَّحيحين عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ» (٨٦) .

قال الشَّيخ تقي الدِّين لمَّا ذكر هذا الحديث : كَانَت هَذِهِ الْأُمَّةَ – وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ – لَمْ يَزَلْ فِيهَا طَائِفَةٌ ظَاهِرَةٌ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالسَّيْفِ، لَمْ يُصِبْهَا مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ كَانُوا مَقْهُورِينَ مَعَ الْأَعْدَاءِ، بَلْ إِنْ غُلِبَتْ طَائِفَةٌ فِي قُطْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، كَانَتْ فِي الْقُطْرِ الْآخَرِ أُمَّةٌ ظَاهِرَةٌ مَنْصُورَةٌ، وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَىٰ مَجْمُوعِهَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَكِنْ وَقَعَ بَيْنَهُمُ اخْتِلَافٌ وَفِتَنٌ.

قال : ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة ظاهرون أهله إلىٰ يوم القيامة ، وهم الذين قال فيهم النَّبي ﷺ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي " الحديث . انتهىٰ .

أقول : وجه الدّلالة من هذا الحديث أنَّ هذه الطَّائفة التي ذكرها رسول الله ﷺ ظاهرة ليست بخفيَّة ، كما يزعم عندكم ، وأيضاً منصورة ليسوا بأذلَّاء مختفين ، وأيضاً ما خلت بلاد الإسلام منهم يوماً ، وأيضاً كما قال الشَّيخ : لم يسلّط عليهم الأعداء وتقهرهم ، فاذا كانت هذه أوصافهم

---

(٨٦) أخرجه البخاري (٩/ ١٠١ برقم ٧٣١١) ، مسلم (٣/ ١٥٢٣ برقم ١٩٢٠) .

بنصِّ الصَّادق المصدوق ، وهذه الأمور التي تكفِّرون بها ملأت بلاد الإسلام من أكثر من سبعمائة عام ، وأنتم تزعمون أنَّ هذه عبادة غير الله ، وأنَّ هذه الوسائط المذكورة في القرآن ، ومع هذا لم يذكر في زمن من الأزمان أنَّ أحداً قال ما قلتم ، أو عمل ما عملتم ، بل ما تجدون ما تحتجُّون لشبهتكم إلَّا أنَّ عليّاً قتل من قال : أنت الله ، وأنَّ الصِّدِّيق قاتلَ أهل الرِّدَّة ، أو بعبارة مُجملة: يعرفُ كُلُّ من له ممارسة في العلم أنَّ مفهومكم هذا منها ضحكة ، فالحمد لله علىٰ زوال الالتباس والاشتباه ، أما والله أنَّ هذا الحديث وحده يكفي في بطلان قولكم لو كان ثمَّ أذنٌ واعية ، نسأل الله أن ينقذكم من الهلكة ، إنَّه جواد كريم.

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم : ما في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضيٰ الله تعالىٰ عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : « رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ » (٨٧) .

وفي رواية : «الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِتْنَةُ هَا هُنَا، هَا هُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» (٨٨) .

---

(٨٧) أخرجه البخاري (٤/ ١٢٧ برقم ٣٣٠١) .

(٨٨) أخرجه البخاري (٥/ ١٧٤ برقم ٤٣٨٩) .

قلت : رَوَىٰ أَحمَدُ فِي المُسْنَدِ (١٠/ ١٩٣ برقم ٥٩٨٧) بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: " اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا "، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا ! قَالَ: " اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا "، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا قَالَ: " هُنَالِكَ الزَّلَازِلُ، وَالْفِتَنُ مِنْهَا أَوْ قَالَ: بِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان " . قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشَّيخين. وأخرجه البخاري (٧٠٩٤) ، والتِّرمذي (٣٩٥٣) ، وابن حبَّان (٧٣٠١) ، والبغوي (٤٠٠٦) من طريق أزهر بن سعد السَّمان، بهذا الإسناد. وقال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديثَ ابن عون. وأخرجه الطَّبراني (١٣٤٢٢) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عون، عن ابن عون، به. وفيه:"عراقنا" بدلًا من:"نجدنا"، وعبيد الله بن عبد الله بن عون، قال ابو حاتم: صالح الحديث. واخرجه موقوفاً البخاري (١٠٣٧) من طريق حسن بن الحسن، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، قال الحافظ في"الفتح" (٢/ ٥٢٢) : هكذا وقع في هذه الرِّوايات التي اتَّصلت لنا بصورة الموقوف عن ابن عمر، وقال القابسي: سقط ذكر النَّبي ﷺ من النُّسخة، ولا بدَّ منه، لأنَّ مثله لا يُقال بالرَّأي. انتهىٰ " .

وروىٰ البخاري (٥/ ١٧٠ برقم ٤٣٧٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِي ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إليه النَّبي ﷺ ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حتَّىٰ كَانَ الغَدُ، ثمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَىٰ الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَىٰ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مكَّة قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّد رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلاَ وَاللهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا النَّبي ﷺ " .

وجاء في رواية أحمد في " المسند" (١٢/ ٣١٨ برقم ٧٣٦١) : " فَأَتَىٰ الْيَمَامَةَ، حَبَسَ عَنْهُمْ، فَضَجُّوا وَضَجِرُوا" . قال الأرنؤوط : " إسناده قوي. وأخرجه بنحوه عبد الرزَّاق (٩٨٣٤) من طريق عبيد الله وعبد الله ابني عمر، عن سعيد المقبري، بهذا الإسناد. ومن طريق عبد الرزَّاق أخرجه ابن الجارود (١٥) ، وابن خزيمة (٢٥٣) ، وأبو عوانة (٤/ ١٦١-١٦٢) ، وابن حبَّان (١٢٣٨) ، والبيهقي في "السُّنن" (١/ ١٧١) . وأخرجه مسلم (١٧٦٤) (٦٠) ، وأبو عوانة (٤/ ١٥٧-١٥٩) من طريق عبد الحميد بن جعفر، والبيهقي في "دلائل النُّبوَّة" (٤/ ٧٩-٨٠) من طريق يونس بن بكير، عن مُحَمَّد بن إسحاق، كلاهما عن سعيد المقبري، به - وبعضهم يزيد فيه علىٰ بعض. وسيأتي برقم (٩٨٣٣) من طريق الليث بن سعد، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، وسيأتي مختصراً بقصة غسله فقط برقم (٨٠٣٧) من طريق عبد الله بن عمر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة. وأخرجه البيهقي في "الدَّلائل" (٤/ ٨١) من طريق مُحَمَّد بن سلمة، عن مُحَمَّد بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة.

ثمامة بن أثال - بضم الهمزة وفتح الثاء-: سيِّد من سادات بني حنيفة قوم مسيلمة الكذَّاب، ولَّما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام، لم يرتد ثمامة وثبت علىٰ إسلامه، وكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه، ولَّما مرَّ العلاء بن الحضرمي ومن معه علىٰ جانب اليمامة يريدون البحرين لقتال المرتدِّين فيها، لحق به ثمامة ومن ثبت معه من قومه علىٰ الإسلام، فقاتلوا المرتدِّين من أهل البحرين، وقتل بعد ذلك رضي الله عنه. انظر "أسد الغابة" (١/ ٢٩٤-٢٩٥) ، و"الإصابة" (١/ ٤١٠-٤١٢) .

قوله: "إن تقتل تقتل ذا دم"، قال السِّندي: المعنى: ذا دم عظيم لا يهدر، بل يؤخذ ثأره، ففيه الإشارة إلى رياسته في قومه، وقيل: ذا دم، أي: من أصاب دماً، فاستحقَّ به القتل، أي: إن قتلت، فلا عليك، لاستحقاقي القتل، وإن تركت، فهو منك إحسان أشكره. وقوله: "وقذف الله عزَّ وجلَّ في قلبه"، قال: أي: ألقى في قلبه الإسلام. وقوله: "حبس عنهم"، قال: أي: فحين أتى اليمامة حبس الطَّعام عن قريش. وقوله: "فكتبوا"، قال: أي: إلى النَّبي ﷺ. وقوله: "تأمر الصِّلة" قال: بالنَّصب على نزع الخافض، وهو استفهام في مقام الأمر. وقوله: "وكتب إليه"، قال: أي: كتب النَّبي ﷺ إلى ثمامة بأن لا يحبس عنه".

وروى البخاري (٥/ ١١٤ برقم ٤١٣٢) بسنده عَن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَا لَهُمْ».

قال الإمام علي بن سلطان القاري في " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (٣/ ١٠٥١) : " قَالَ الْأَبْهَرِيُّ: وَالْمُرَادُ هُنَا نَجْدُ الْحِجَازِ لَا نَجْدُ الْيَمَنِ".

قال الإمام العيني في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (٦/ ٢٥٥) : " وَهَذِه الْغَزْوَة هِيَ غَزْوَة ذَات الرّقاع. وَقَالَ ابْن إِسْحَاق: أَقَامَ رَسُول الله ﷺ بِالْمَدِينَةِ بعد غَزْوَة بني النَّضِير شَهْري ربيع وَبَعض جُمَادَى، ثمَّ غزا نجدا يُرِيد بني محَارب وَبني ثَعْلَبَة من غطفان، وَاسْتعْمل على الْمَدِينَة أَبَا ذَر، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، قَالَ ابْن هِشَام: وَيُقَال: عُثْمَان بن عَفَّان، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ. قَالَ ابْن إِسْحَاق: فَسَار حَتَّى نزل نجدا وَهِي غَزْوَة ذَات الرّقاع".

ومن المعلوم أنَّ غزوة ذات الرِّقاع هي التي قام بها الرَّسول ﷺ في السَّنة الرَّابعة ضدَّ بني ثعلبة وبني محارب من غطفان بعد أن بلغته أخبارٌ عن نيَّتهم غزو المدينة المنوَّرة ، وهما من العرب ، وكانوا يسكنون نجْد الحجاز ، وقد سار الرَّسول ﷺ بالمسلمين حتَّى وصل بهم إلى موضعٍ يُقالُ له " نَخْل" ، وفيه لقي الرَّسول ﷺ جمعاً من غطفان ، وفيه صلَّى عليه الصَّلاة والسَّلام بالمسلمين صلاة الخوف ، فهربت غطفان ولم يحدث قتالٌ بين الطَّرفين ...

قال الإمام ياقوت الحموي في " معجم البلدان" (٥/ ٢٧٦) في تعريفه بـ " نخل" : " موضع بنجد من أرض غطفان ، مذكور في غزاة ذات الرِّقاع".

ومن المعلوم أنَّ الرَّسول ﷺ لم يخرج غازياً البتَّة خارج الجزيرة العربيَّة ، فلم يغزُ العراق التي كانت تحت حُكم الفرس ، ولم يغزُ الرُّوم إلَّا في مؤتة ، وتحت قيادة القادة الثَّلاثة ، رضي الله عنهم ...

وعلى كلِّ حالٍ ، فإنَّ الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة حدَّدت جهة مشرق المدينة المنوَّرة كمنطلق لقرن الشَّيطان ، قال الإمام ابن حبَّان (٣٥٤هـ) في " الصَّحيح " (١٥/ ٢٥-٢٦) في تحديده لمشرق المدينة المنوَّرة : " مَشْرِقُ الْمَدِينَةِ هُوَ: الْبَحْرَيْنِ، وَمُسَيْلِمَةُ مِنْهَا، وَخُرُوجُهُ كَانَ أَوَّل حادث حدث في الإسلام".

ذِكْرُ خَبَرٍ ثَانٍ يُصَرِّحُ بِصِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْمَقَابِرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ أَنَّه سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَيَقُولُ: "إِنَّ الْفِتْنَةَ هُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشيطان" .

ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُ ﷺ مِنْ وُقُوعِ الْفِتَنِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ :

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ منبِّه .

ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُ ﷺ مِنْ وُقُوعِ الْفِتَنِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ :

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ منبِّه .

ذكر الْإِخْبَارِ عَنْ وَصْفِ مَا كَانَ يَتَوَقَّعُ ﷺ مِنْ وُقُوعِ الْفِتَنِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرَيْنِ :

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبي ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعة كَذَّابِينَ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ الْعَنْسِيُّ، وَمِنْهُمْ صَاحِبُ حِمْيَرَ، وَمِنْهُمُ الدَّجَّالُ، وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً" . قَالَ: وَقَالَ أَصْحَابِي: قَالَ: "هُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا" .

وروى البخاري (٥/ ١٧٣ برقم ٤٣٨٧) بسنده عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبي ﷺ ، قَالَ: «الإِيمَانُ هَا هُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اليَمَنِ، وَالجَفَاءُ وَغِلَظُ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الإِبِلِ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيطان رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ» .

قال الإمام القاضي عياض (٥٤٤هـ) في " شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المسمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم " (١/ ٢٩٦) في شرحه للحديث السَّابق : " فالفدَّادون إذاً الذين عنى النَّبي ﷺ بهذا الحديث وصفهم بهذه الأوصاف من الجفاء والقسوة وغلظ القلوب والفخر والخيلاء ه، م كما فسرَّهم في الحديث أهل نجد، وأهل الخيل، والإبل، والوبر ومن ربيعة ومضر ، وهو نحو ما قال مالك وأبو عبيد ، ولا يبعد منه قول الأصمعي والقتبي من أنَّ الفدَّادين أصحاب الأصوات المرتفعة في حروثهم وأمواهم ومواشيهم؛ لأنَّ فيه الرِّياء والخيلاء، ولا يبعد أيضاً قول أبي عَمرو لما ذكره من الجفاء والتَّبدِّي، وبالجملة ففي هؤلاء كلّهم من الخيلاء والكبر ما قال بسبب كثرة المال، ومن الجفاء والغلظة والقسوة بسبب التبدِّي ، والاشتغال بأمواهم وحبِّها والإقبال عليها عن التَّفقُّه في دين الله تعالى، والاهتبال بمصالح

دنياهم وأخراهم. وقد يكون القسوة والجفاء من طبيعة هؤلاء الذين أشار النَّبي ﷺ إليهم، ويكون وصفهم بكونهم أصحاب إبل للتَّعريف بهم والتَّعيين لهم.

وقوله فيهم: " من حيث يطلع قرنا الشَّيطان ورأس الكفر قبل المشرق " إشارة إلى ما نبَّه عليه من أهل نجد وربيعة ومضر؛ لأنَّهم الذين عاندوا النُّبوَّة ، وقسَوا عن إجابة الحقِّ وقبول الدَّعوة، وهم بالصِّفة التي وصف أهل خيل وإبل وأصحاب وبر" .

وبرغم وضوح المَسْأَلَة وأنَّ المقصود بنجْد : نجْد الحجاز ... رأينا بعض من أكلوا الدُّنيا بالدِّين يتأوَّلون أحاديث ذمّ نجد ، بأنَّ المراد نجد العراق !!! تماماً كما فعل بعض المتفعين الذين أوَّلوا الوهَّابيَّة المذمومة بوهَّابيَّة المغرب التي لا يكاد يسمع بها أحد ... كلُّ ذلك بسبب سُحتٍ يأكلوه أو دنيا يصيبونها ، وهذه خسَّة وقلَّة دين ... مِنْ أولئك الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم ... روى البيهقي في " شعب الإيمان" (٣/ ٣٠٠ برقم ١٧٠٦) بسنده عَنِ الْحَسَنَ بْنَ عِيسَى مَوْلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: " انَّما النَّاسُ الْعُلَمَاءُ وَالْمُلُوكُ والزُّهَّادُ وَالسِّفْلَةُ الَّذِين يَأْكُلونُ بِدِينِهم أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، ثمَّ قَرَأَ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾** [التوبة: ٣٤] ، قَالَ: " يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ " قَالَ: فَبَكَى فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ بُكَاءًا شَدِيدًا، ثمَّ قَالَ: " كَذَبَ مَنْ قَالَ: أَنَّه لَا يَأْكُلُ بِدِينِهِ ، أَنَا – وَالله – آكُلُ بِدِينِي " .

ومن أولئك الذين عملوا على قلب الحقائق : المدعو مُحَمَّد أشرف سندهو الذي كتب كتاباً بعنوان " أكمل البيان في شرح حديث نجْد قرن الشَّيطان" ، حاول من خلاله صرف الأنظار عن نجْد الحجاز ، وأنَّها ليست المكان الذي سيخرج منه قرْنُ الشَّيطان ، وذلك من خلال ليِّه لأعناق النُّصوص النَّبويَّة الشَّريفة التي جاءت في المَسْأَلَة ، حيث أوَّل نجْداً الواردة في الأحاديث ، وجعل المقصود منها نجْد العراق ... وصنيعه قبيحٌ ، وفاسدٌ ، وبعيدٌ عن كبد الحقِّ والحقيقة ، لأنَّ نجداً مذكورة في مؤلَّفاتهم بل ذكروها في عناوين بعض كُتُبهم ... وكذا يتفاخرون بنسبتهم إلى نجْد ، في الوقت الذي لم نسمع أو نرى عراقيَّاً فَعَل ذلك ...

ومن العلماء المنتسبين لـ : نجْد الحجاز ، وكذا الكتب التي تكلَّمت عن نجد الحجاز ...

(١) مسائل وفتاوى نجْديَّة (طبع ضمن الرَّسائل والمسائل النَّجْديَّة، الجزء الرَّابع، القسم الأوَّل) ، المؤلِّف: عبد الرَّحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي .

(٢) مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجديَّة لبعض علماء نجد الأعلام (الجزء الثَّالث) ، المؤلِّف: عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب آل الشَّيخ .

(٣) إجازتان للمحدِّث العلَّامة سعد بن حمد بن عتيق النَّجْدي (إجازته للشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الوهَّاب – وإجازته للشَّيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري) ، المؤلِّف: سعد بن حمد بن عتيق النَّجْدي .

(٤) الدُّرر السَّنيَّة في الكتب النَّجديَّة ، تأليف: علماء نجْد الأعلام من عصر الشَّيخ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب إلى عصرنا هذا .

(٥) الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة ، المؤلِّف: علماء نجْد الأعلام .

(٦) مجموعة الرَّسائل والمسائل النَّجديَّة (الجزء الأوَّل) ، المؤلِّف: بعض علماء نجْد الأعلام .

(٧) مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب وأئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة وموقفهم من آل البيت عليهم السَّلام ، بقلم :خالد بن أحمد الزَّهراني .

(٨) البيان المفيد فيما اتَّفق عليه علماء مكَّة و نجْد من عقائد التَّوحيد ، المؤلِّف : مجموعة علماء

(٩) جهود أئمَّة الدَّعوة السَّلفيَّة بنجْد في التَّصدِّي للعنف والإرهاب من خلال الدَّعوة إلى فقه إنكار المنكر ، المؤلِّف: صالح بن عبد الله الفريح .

(١٠) مشاهير علماء نجْد وغيرهم ، المؤلِّف: عبد الرَّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوَّهاب .

(١١) الدَّعوة الإصلاحيَّة في بلاد نجد على يد الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب وأعلامها من بعده ، المؤلِّف: عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد المحسن المطوع .

(١٢) المؤلَّفات الفقهيَّة في نجْد قبل نهاية القرن الثَّاني عشر الهجري ، المؤلَّف : منصور بن عبد العزيز الرَّشيد .

(١٣) تاريخ نجْد ، ابن غنَّام .

(١٤) في قلب نجْد والحجاز ، مُحَمَّد شفيق مصطفى .

(١٥) عنوان المجْد في تاريخ نجْد ، عثمان بن عبد الله ابن بشر .

(١٦) تاريخ نجْد الحديث وملحقاته ، أمين الرِّيحاني ...

وممَّا يؤكِّدُ ذلك أيضاً أنَّ الرَّسول ﷺ جعل ميقاتاً خاصَّاً لأهل نجْد هو " قرن المنازل" وهو جبل يقع شرقي مكَّة يُطلُّ على عرفات ... بينما جعل " ذات عِرق" ميقاتاً لأهل العراق ، وذات عِرق يقع شمال شرق مكَّة ، ولو استعرضنا الخريطة وأخذنا خطَّاً مستقيماً يبدأ من المدينة المنوَّرة باتِّجاه الشَّرق لرأينا أنَّ الخطَّ سيمرُّ في قلب نجْد الحجاز !!!

فنجْد واقعة إلىٰ الشَّرق من المدينة المنوَّرة ، وليس العراق الواقع إلىٰ الشَّمال الشَّرقي للمدينة ... ومن المعلوم تاريخيّاً أنَّ نجْد الحجاز هي موطن البلايا والرَّزايا والمصائب والفتن والإحن والمحن ... وليس نجْد العراق ، وقد شهد بذلك مُؤرخ الوهَّابيَّة : عثمان بن بِشْر الذي قال في " عنوان المجد في تاريخ نجْد" (٢/٨) : " واعلم رحمك الله أنَّ هذه الجزيرة النَّجديَّة هي موضع الاختلاف والفتن ، ومأوىٰ الشُّرور والمحن ، والقتل والنَّهب والعدوان ، بين أهل القرىٰ والبلدان ، ونخوة الجاهليَّة بين قبائل العُربان ..." .

وقال ابن تيمية الذي لا ينعتونه إلَّا بـ شيخ الإسلام في " بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة " (١/ ١٧-٢٤) : " تواتر عن النَّبي ﷺ إخباره بأنَّ الفتنة ورأس الكفر من المشرق، الذي هو مشرق مدينته كنجْد وما يشرق عنها، كما في الصَّحيحين عَنِ الزُّهري، قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ: «أَلاَ إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . أخرجه البخاري (٤/ ١٨١ برقم ٣٥١١) ، مسلم (٤/ ٢٢٢٩ برقم ٢٩٠٥) .

وفي رواية «قال – وهو مستقبل المشرق–: إنَّ الفتنة ههنا ثلاثًا» ، وذكر في رواية لمسلم: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة، قال: «رأس الكُفر من ههنا ومن حيث يطلع قَرْنُ الشَّيطان» ، وأخرجاه من حديث نافع عن ابن عمر أنَّه سمع النَّبي ﷺ وهو مُستقبل المشْرق يقول: « «أَلاَ إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . أخرجه البخاري (٩/ ٥٩ برقم ٧٠٩٣) ، مسلم (٤/ ٢٢٢٨ برقم ٢٩٠٥) .

ورواه البخاري من حديث عبد الله ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . أخرجه البخاري (٢/ ٣٣ برقم ١٠٣٧) .

وفي الصَّحيحين من حديث الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَتَاكُمْ أهل الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الإيمان يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ». أخرجه البخاري (٥/ ١٧٤ برقم ٤٣٩٠) ، مسلم (١/ ٧٣ برقم ٥٢ ، واللفظ له) ، وفي رواية: « وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أهل الغَنَمِ » . أخرجه البخاري (٥/ ١٧٣ برقم ٤٣٨٨) .

ورواه البخاري (٥/ ١٧٤ برقم ٤٣٨٩) من حديث أبي الغيث، عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِتْنَةُ هَا هُنَا، هَا هُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . ورواه مسلم (١/ ٧٢ برقم ٥٢) من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرَّحمن عن أبيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْكُفْرُ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أهل الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالرِّيَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أهل الْخَيْلِ وَالْوَبَرِ» . ورواه مسلم (١/ ٧٣ برقم ٥٢) أيضاً من حديث الزُّهري،

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقُولُ: «جَاءَ أهل الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَضْعَفُ قُلُوبًا، الإيمان يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، السَّكِينَةُ فِي أهل الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ، أهل الْوَبَرِ، قِبَلَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ» . ولا ريب أنَّه من هؤلاء ظهرت الردَّة وغيرها من ألوان الكفر، من جهة : «مسيلمة الكذَّاب» وأتباعه، و «طليحة الأسدي» وأتباعه، و «سجاح» وأتباعها، حتَّى قاتلهم «أبو بكر الصدِّيق» ومن معه من المؤمنين" .

وعلىٰ كلِّ حالٍ فإنَّ الرَّسول ﷺ حدَّد نَجْد الحجاز بأنَّها منطلق لخروج قرن الشَّيطان ، ومن يستقرئ أحداث التَّاريخ يجد أنَّ أعظم الرَّزايا والبلايا والمصاعب والمتاعب التي ألَمَّت بالأمَّة كان مصدرها ومنبعُها نَجْد الحجاز ... فمنها ظهرت ونبعت الفتن والمحن والبلايا العِظام ...

ومن الفتن العِظَام التي خرجت من نَجْد الجزيرة العربيَّة :

أوَّلاً : فتنة المرتدِّين من بني حنيفة قوم مسيلمة الكذَّاب ، ومعهم غطفان ، وقُضاعة ، وكندة ، وبني أسد ، والغوث وهوازن ، وبني تميم ، وبني تغلب ، وغيرهم من قبائل نجد ... وهم الذين قاتلهم أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ...

قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (٩/ ٤٣٧ فما بعدها) : " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا تُوُفِّيَ ارْتَدَتْ أَحْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ بِالْمَدِينَةِ، وَانْحَازَ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ بَنُو حَنِيفَةَ وَخَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْيَمَامَةِ، وَالْتَفَتَ عَلَىٰ طُلَيْحَةَ الْأَسَدِيِّ بَنُو أَسَدٍ وَطَيِّئٌ، وَبَشَرٌ كَثِيرٌ أَيْضًا، وَادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ أيضاً كَمَا ادَّعَاهَا مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، وَعَظُمَ الْخَطْبُ وَاشْتَدَّتِ الْحَالُ، وَنَفَّذَ الصِّدِّيقُ جَيْشَ أُسَامَةَ، فَقَلَّ الْجُنْدُ عِنْدَ الصِّدِّيقِ، فَطَمِعَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي الْمَدِينَةِ، وَرَامُوا أَنْ يَهْجُمُوا عَلَيْهَا، فَجَعَلَ الصِّدِّيقُ عَلَىٰ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ حُرَّاسًا يَبِيتُونَ بِالْجُيُوشِ حَوْلَهَا ؛ فَمِنْ أُمَرَاءِ الْحَرَسِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَجَعَلَتْ وُفُودُ الْعَرَبِ تَقْدَمُ الْمَدِينَةَ، يُقِرُّونَ بِالصَّلَاةِ وَيَمْتَنِعُونَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَمِنْهُمْ مَنِ امْتَنَعَ مِنْ دَفْعِهَا إِلَىٰ الصِّدِّيقِ، وَذَكَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنِ احْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾** [التوبة: ١٠٣] . قَالُوا: فَلَسْنَا نَدْفَعُ زَكَاتَنَا إِلَّا إِلَىٰ مَنْ صَلَاتُهُ سَكَنٌ لَنَا. وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا   فَوَاعَجَبًا مَا بَالُ مُلْكِ أَبِي بَكْرِ

وَقَدْ تَكَلَّمَ الصَّحابة مَعَ الصِّدِّيقِ فِي أَنْ يَتْرُكَهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ الزَّكاة وَيَتَأَلَّفَهُمْ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنَ الإيمان فِي قُلُوبِهِمْ، ثمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يُزَكُّونَ، فَامْتَنَعَ الصِّدِّيقُ مِنْ ذَلِكَ وَأَبَاهُ.

وَقَدْ رَوَىٰ الْجَمَاعَةُ فِي كُتُبِهِمْ سِوَىٰ ابْنُ مَاجَهْ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: عَلَامَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا

عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا» "؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِنَاقًا - وَفِي رِوَايَةٍ: عِقَالًا - كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا، إِنَّ الزَّكَاة حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ. قَالَ عُمَرُ: فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّه الْحَقُّ.

قُلْتُ: وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: **﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاة فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾** [التوبة: ٥] . وَثَبَتَ فِي " الصَّحِيح ": «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ» . وَفِي " الصَّحِيحين ": «بُنِي الإسلام عَلَىٰ خَمْسٍ ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» .

وَقَدْ رَوَىٰ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقٍ، عَنْ شَبَابَةَ بْنِ سَوَّارٍ، ثَنَا عِيسَىٰ بْنُ يَزِيدَ الْمَدِينِيُّ، حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الردَّة قَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَىٰ فَكَفَىٰ، وَأَعْطَىٰ فَأَغْنَىٰ، إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْعِلْمُ شَرِيدٌ، والإسلام غَرِيبٌ طَرِيدٌ، قَدْ رَثَّ حَبْلُهُ، وَخَلُقَ عَهْدُهُ، وَضَلَّ أَهْلُهُ مِنْهُ، وَمَقَتَ اللهُ أهل الْكِتَابِ فَلَا يُعْطِيهِمْ خَيْرًا لِخَيْرٍ عِنْدَهُمْ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ شَرًّا لِشَرٍّ عِنْدَهُمْ، قَدْ غَيَّرُوا كِتَابَهُمْ، وَأَلْحَقُوا فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَالْعَرَبُ الْأُمِّيُّونَ صِفْرٌ مِنَ اللهِ لَا يَعْبُدُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ، فَأَجْهَدَهُمْ عَيْشًا، وَأَضَلَّهُمْ دِينًا، فِي ظَلَفٍ مِنَ الأرض مَعَ مَا فِيهِ مِنَ السَّحَابِ، فَجَمَعَهُمُ اللهُ بِمُحَمَّدٍ وَجَعَلَهُمُ الْأُمَّةَ الْوُسْطَىٰ، نَصَرَهُمْ بِمَنِ اتَّبَعَهُمْ، وَنَصَرَهُمْ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، حَتَّىٰ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ ، فَرَكِبَ مِنْهُمُ الشَّيطان مَرْكَبَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ، وَبَغَىٰ هَلَكَتَهُمْ **﴿وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤٤] .

إِنَّ مَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ مَنَعُوا شَاتَهُمْ وَبَعِيرَهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي دِينِهِمْ - وَإِنْ رَجَعُوا إليه - أَزْهَدَ مِنْهُمْ يَوْمَهُمْ هَذَا، وَلَمْ تَكُونُوا فِي دِينِكُمْ أَقْوَىٰ مِنْكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا، عَلَىٰ مَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ بَرَكَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ ، وَقَدْ وَكَلَكُمْ إِلَىٰ الْمَوْلَىٰ الْكَافِي، الَّذِي وَجَدَهُ ضَالًّا فَهَدَاهُ، وَعَائِلًا فَأَغْنَاهُ **﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾** [آل عمران: ١٠٣] . وَاللهِ لَا أَدَعُ أَنْ أُقَاتِلَ عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ حَتَّىٰ يُنْجِزَ اللهُ وَعْدَهُ، وَيُوفِيَ لَنَا عَهْدَهُ، وَيُقْتَلَ مَنْ قُتِلَ مِنَّا شَهِيدًا مِنْ أهل الْجَنَّةِ، وَيَبْقِيَ مَنْ بَقِيَ مِنَّا خَلِيفَتَهُ وَوَرَثَتَهُ فِي أَرْضِهِ، قَضَاءُ اللهِ الْحَقُّ، وَقَوْلُهُ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ **﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾** [النور: ٥٥] الْآيَةَ. ثمَّ نَزَلَ، رَحِمَهُ اللهُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** [المائدة: ٥٤] الْآيَةَ. قَالُوا: الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَأَصْحَابُهُ فِي قِتَالِهِمُ الْمُرْتَدِّينَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ.

وَقَالَ مُحَمَّد بْنُ إِسْحَاقَ: وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا خَلَا أهل الْمَسْجِدَيْنِ ؛ مكَّة وَالْمَدِينَةِ وَارْتَدَّتْ أَسَدٌ وَغَطَفَانُ، وَعَلَيْهِمْ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيُّ الْكَاهِنُ، وَارْتَدَّتْ كِنْدَةُ وَمَنْ يَلِيهَا، وَعَلَيْهِمُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ، وَارْتَدَّتْ مَذْحِجٌ وَمَنْ يَلِيهَا، وَعَلَيْهِمُ الْأَسْوَدُ بْنُ كَعْبٍ الْعَنْسِيُّ الْكَاهِنُ وَارْتَدَّتْ رَبِيعَةُ مَعَ الْمَعْرُورِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَتْ بَنُو حَنِيفَةَ مُقِيمَةً عَلَىٰ أَمْرِهَا مَعَ مُسَيْلِمَةَ بْنِ حَبِيبٍ الْكَذَّابِ، وَارْتَدَّتْ سُلَيْمٌ مَعَ الْفُجَاءَةِ، وَاسْمُهُ أَنَسُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلَ، وَارْتَدَّتْ بَنُو تَمِيمٍ مَعَ سَجَاحِ الْكَاهِنَةِ.

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: اجْتَمَعَتْ أَسَدٌ وَغَطَفَانُ وَطَيِّئٌ عَلَىٰ طُلَيْحَةَ الْأَسَدِيِّ، وَبَعَثُوا وُفُودًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ وُجُوهِ النَّاسِ، فَأَنْزَلُوهُمْ إِلَّا الْعَبَّاسَ، فَحَمَلُوا بِهِمْ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ عَلَىٰ أَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَلَا يُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَعَزَمَ اللهُ لِأَبِي بَكْرٍ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَقَالَ: لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا لَجَاهَدْتُهُمْ. فَرَدَّهُمْ فَرَجَعُوا إِلَىٰ عَشَائِرِهِمْ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِقِلَّةِ أهل الْمَدِينَةِ، وَطَمَّعُوهُمْ فِيهَا، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الْحَرَسَ عَلَىٰ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَلْزَمَ أهل الْمَدِينَةِ بِحُضُورِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: إِنَّ الأرض كَافِرَةٌ، وَقَدْ رَأَىٰ وَفْدُهُمْ مِنْكُمْ قِلَّةً، وأنّكم لا تَدْرُونَ ليلاً تُؤْتَوْنَ أَمْ نَهَارًا، وَأَدْنَاهُمْ مِنْكُمْ عَلَىٰ بَرِيدٍ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ يُؤَمِّلُونَ أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُمْ وَنُوَادِعَهُمْ، وَقَدْ أَبَيْنَا عَلَيْهِمْ فَاسْتَعِدُّوا وَأَعِدُّوا. فَمَا لَبِثُوا إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّىٰ طَرَقُوا الْمَدِينَةَ غَارَةً، وَخَلَّفُوا نِصْفَهُمْ بِذِي حُسًىٰ لِيَكُونُوا رِدْءًا لَهُمْ، وَأَرْسَلَ الْحَرَسُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ يُخْبِرُونَهُ بِالْغَارَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنِ الْزَمُوا مَكَانَكُمْ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي أهل الْمَسْجِدِ عَلَىٰ النَّوَاضِحِ إِلَيْهِمْ، فَانْقَشَعَ الْعَدُوُّ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ إِبِلِهِمْ، حَتَّىٰ بَلَغُوا ذَا حُسًىٰ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الرِّدْءُ، فَالْتَقَوْا مَعَ الْجَمِيعِ فَكَانَ الْفَتْحُ، وَقَدْ قَالَ الْخُطَيْلُ بْنُ أَوْسٍ - وَيُقَالُ: الْحُطَيْئَةُ - فِي ذَلِكَ:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللهَّ مَا كَانَ وَسطَنَا ... فَيَالَعِبَادِ اللهَّ مَا لِأَبِي بَكْرِ
أَيُورِثُنَا بَكْرًا إذا كَانَ بَعْدَهُ ... وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهَّ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
فَهَلَّا رَدَدْتُم وَفْدَنَا بِزَمَانِهِ ... وَهَلَّا خَشِيتُمْ حِسَّ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ
وَإِنَّ الَّذِي سَالُوكُمُ فَمَنَعْتُمُ ... لَكَ التَّمْرِ أَوْ أَحْلَىٰ إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ

وَفِي جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ رَكِبَ الصِّدِّيقُ فِي أهل الْمَدِينَةِ وَأُمَرَاءَ الْأَنْقَابِ إِلَىٰ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ أَغَارُوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا تَوَاجَهَ هُوَ وَأَعْدَاؤُهُ مِنْ بَنِي عَبْسٍ، وَبَنِي مُرَّةَ، وَذُبْيَانَ، وَمَنْ نَاصَبَ مَعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَأَمَدَّهُمْ طُلَيْحَةَ بِابْنِهِ حِبَالٍ، فَلَمَّا تَوَاجَهَ الْقَوْمُ كَانُوا قَدْ صَنَعُوا مَكِيدَةً، وَهِيَ أَنَّهم عَمَدُوا إِلَىٰ أَنْحَاءٍ فَنَفَخُوهَا ثُمَّ أَرْسَلُوهَا مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ، فَلَمَّا رَأَتْهَا إِبِلُ أَصْحَابِ الصِّدِّيقِ نَفَرَتْ وَذَهَبَتْ كُلَّ مَذْهَبٍ، فَلَمْ يَمْلِكُوا مِنْ أَمْرِهَا شيئاً إِلَىٰ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ رَجَعَتْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْخُطَيْلُ بْنُ أَوْسٍ:

فِدًىٰ لِبَنِي ذُبْيَانَ رَحْلِي وَنَاقَتِي عَشِيَّةَ يُحْذَىٰ بِالرِّمَاحِ أَبُو بَكْرِ
وَلَكِنْ يُدَهْدَىٰ بِالرِّجَالِ فَهِبْنَهُ إِلَىٰ قَدَرٍ مَا إِنْ تُقِيمُ وَلَا تَسْرِي
وَللهِ أَجْنَادٌ تُذَاقُ مَذَاقَهُ لِتُحْسَبَ فِيمَا عُدَّ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ
أَطَعْنَا رَسُولَ اللهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَيَالَعِبَادِ اللهِ مَا لِأَبِي بَكْرِ

فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ ظَنَّ الْقَوْمُ بِالْمُسْلِمِينَ الْوَهَنَ، وَبَعَثُوا إِلَىٰ عَشَائِرِهِمْ مِنْ نَوَاحِي أُخَرَ، فَاجْتَمَعُوا، وَبَاتَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَائِمًا لَيْلَهُ يَتَهَيَّأُ يُعَبِّئُ النَّاسَ، ثمَّ خَرَجَ عَلَىٰ تَعْبِئَةٍ مِنْ آخَرِ اللَّيْلِ، وَعَلَىٰ مَيْمَنَتِهِ النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ، وَعَلَىٰ الْمَيْسَرَةِ أَخُوهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُقَرِّنٍ، وَعَلَىٰ السَّاقَةِ أَخُوهُمَا سُوَيْدُ بْنُ مُقَرِّنٍ، فَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ إِلَّا وَهُمْ وَالْعَدُوُّ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَمَا سَمِعُوا لِلْمُسْلِمِينَ حِسًّا وَلَا هَمْسًا، حَتَّىٰ وَضَعُوا فِيهِمُ السُّيُوفَ، فَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ وَلَّوْهُمُ الْأَدْبَارَ، وَغَلَبُوهُمْ عَلَىٰ عَامَّةِ ظَهْرِهِمْ، وَقُتِلَ حِبَالٌ، وَاتَّبَعَهُمْ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ نَزَلَ بِذِي الْقَصَّةِ، وَكَانَ أَوَّلَ الْفَتْحِ، وَذَلَّ بِهَا الْمُشْرِكُونَ، وَعَزَّ بِهَا الْمُسْلِمُونَ، وَوَثَبَ بَنُو ذُبْيَانَ وَعَبْسٌ عَلَىٰ مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوهُمْ، وَفَعَلَ مَنْ وَرَاءَهُمْ كَفِعْلِهِمْ، فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لَيَقْتُلَنَّ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ بِمَنْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَزِيَادَةً، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ زِيَادُ بْنُ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيُّ:

غَدَاةَ سَعَىٰ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِمْ كَمَا يَسْعَىٰ لِمَوْتَتِهِ جُلَالُ
أَرَاحَ عَلَىٰ نَوَاهِقِهَا عَلِيًّا وَمَجَّ لَهُنَّ مُهْجَتَهُ حِبَالُ

وَقَالَ أَيْضًا:

أَقَمْنَا لَهُمْ عُرْضَ الشِّمَالِ فَكُبْكِبُوا كَكَبْكَبَةِ الْغُزَّىٰ أَنَاخُوا عَلَىٰ الْوَفْرِ
فَمَا صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِهَا صَبِيحَةَ يَسْمُو بِالرِّجَالِ أَبُو بَكْرِ
طَرَقْنَا بَنِي عَبْسٍ بِأَدْنَىٰ نِبَاجِهَا وَذُبْيَانَ نَهْنَهْنَا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

فَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَىٰ نَصْرِ الإسلام وَأَهْلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّه عَزَّ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَذَلَّ الْكُفَّارُ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَرَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، سَالِمًا غَانِمًا ... " .

ثَانِياً : ومن الفتن التي خرجت من نَجْد الجزيرة العربيَّة : فتنة القرامطة التي قادها ملك البحرين أبو طاهر القرمطي ... أولئك الكفرة الفجرة الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد ، فقتلوا الحجيج ، وسرقوا الحجر الأسود ، قال الإمام الذَّهبي في " سِيَر أعلام النُّبلاء" (١٥/ ٣٢٠-٣٢١) في ترجمته لأبي طاهر القرمطي : " عَدُوُّ اللهِ، مَلِكُ البَحْرين، أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بنُ حَسَنٍ القِرْمِطِيُّ ، الجَنَّابِيُّ ، الأَعْرَابِيُّ، الزِّنديقُ، الَّذِي سَارَ إِلَىٰ مكَّة فِي سَبْعِ مائَة

فَارس، فَاسْتَبَاح الْحَجِيج كلّهُم فِي الحَرَمِ، وَاقْتَلَعَ الحجَرَ الأَسود، وَرَدَمَ زَمْزَمَ بِالقَتْلَىٰ، وَصَعِد عَلَىٰ عتبَةِ الكَعْبَة، يَصيح:

أَنَا بِالله وَبَالله أَنَا   يخلق الْخلق وَأُفْنيهم أَنَا

فَقتل فِي سِكَكِ مكَّة وَمَا حولهَا زُهَاءَ ثَلاثِيْنَ أَلْفاً، وَسَبَىٰ الذُّرِّيَّةَ، وَأَقَامَ بِالحرم سِتَّة أَيَّام، بذَلَ السَّيف فِي سَابع ذِي الحِجَّةِ، وَلَمْ يعرِّفْ أَحَدٌ تِلْكَ السَّنَة ، فَللَّه الأَمْر.

وَقَتَل أَمِيْرَ مكَّة ابْنَ مُحَارِب، وَعَرَّىٰ البَيْتَ، وَأَخَذَ بَابه، وَرَجَعَ إِلىٰ بلاَد هَجَر .

وَقِيْلَ: دَخَلَ قِرْمِطِيٌّ سكرَان عَلَىٰ فَرَسٍ، فصَفَّر لَهُ، فَبَالَ عِنْد البَيْتِ، وَضَرَبَ الْحجر بدُبوس هشَّمه ثمَّ اقتلَعَه، وَأَقَامُوا بِمَكَّةَ أَحَدَ عشرَ يَوْماً.

وَبَقِيَ الْحجر الأَسودُ عِنْدَهُم نَيِّفاً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً" .

وقال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (١٥/ ٣٧ فما بعدها) في حوادث سنة (٣١٧هـ) : " ذِكْرُ أَخْذِ الْقَرَامِطَةِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ إِلىٰ بِلَادِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلىٰ الْحَجِيجِ، لَعَنَ اللهُ الْقَرَامِطَةَ

فِيهَا خَرَجَ رَكْبُ الْعِرَاقِ وَأَمِيرُهُمْ مَنْصُورٌ الدَّيْلَمِيُّ، فَوَصَلُوا إِلىٰ مكَّة سَالِمِينَ، وَتَوَافَتِ الرُّكُوبُ هُنَاكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَا شَعَرُوا إِلَّا بِالْقِرْمِطِيِّ قَدْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي جَمَاعَتِهِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَانْتَهَبَ أَمْوَالَهُمْ، وَاسْتَبَاحَ قِتَالَهُمْ، فَقَتَلَ النَّاسَ فِي رِحَابِ مكَّة وَشِعَابِهَا حتَّىٰ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَجَلَسَ أَمِيرُهُمْ أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْجَنَّابِيُّ - لَعَنَهُ اللهُ - عَلَىٰ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَالرِّجَالُ تُصْرَعُ حَوْلَهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، ثمَّ فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَشْرَفِ الْأَيَّامِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا بِاللهِ وَبِاللهِ أَنَا   يَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأُفْنِيهِمْ أَنَا

فَكَانَ النَّاسُ يَفِرُّونَ فَيَتَعَلَّقُونَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَلَا يُجْدِي ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا، بَلْ يُقْتَلُونَ وَهُمْ كَذَلِكَ، وَيَطُوفُونَ فَيُقْتَلُونَ فِي الطَّوَافِ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أهل الْحَدِيثِ يَوْمَئِذٍ يَطُوفُ، فَلَمَّا قَضَىٰ طَوَافَهُ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ، فَلَمَّا وَجَبَ، أَنْشَدَ وَهُوَ كَذَلِكَ:

تَرَىٰ الْمُحِبِّينَ صَرْعَىٰ فِي دِيَارِهِمُ   كَفِتْيَةِ الْكَهْفِ لَا يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

ثُمَّ أَمَرَ الْقِرْمِطِيُّ - لَعَنَهُ اللهُ - أَنْ تُدْفَنَ الْقَتْلَىٰ بِبِئْرِ زَمْزَمَ، وَدَفَنَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ وحتَّىٰ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - وَيَا حَبَّذَا تِلْكَ الْقِتْلَةُ وَتِلْكَ الضِّجْعَةُ - وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُكَفَّنُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ ؛ لأنَّهم شُهَدَاءُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، بَلْ مِنْ خِيَارِ الشُّهَدَاءِ، وَهَدَمَ قُبَّةَ زَمْزَمَ، وَأَمَرَ بِقَلْعِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَنَزَعَ كُسْوَتَهَا عَنْهَا، وَشَقَّقَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَ رَجُلًا أَنْ يَصْعَدَ إِلىٰ مِيزَابِ الْكَعْبَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْتَلِعَهُ، فَسَقَطَ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ، فَمَاتَ لَعَنَهُ اللهُ وَصَارَ إِلىٰ أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، فَانْكَفَّ

اللَّعِينُ عِنْدَ ذَلِكَ عَنِ الْمِيزَابِ، ثمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُقْلَعَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَضَرَبَ الْحَجَرَ بِمُثْقَلٍ فِي يَدِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ؟

أَيْنَ الْحِجَارَةُ مِنْ سِجِّيلٍ؟ ثمَّ قَلَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ - شَرَّفَهُ اللهُ وَكَرَّمَهُ وَعَظَّمَهُ - وَأَخَذُوهُ مَعَهُمْ حِينَ رَاحُوا إِلَى بِلَادِهِمْ، فَكَانَ عِنْدَهُمْ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حتَّى رَدُّوهُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِي مَوْضِعِهِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إليه رَاجِعُونَ.

وَلَمَّا رَجَعَ الْقِرْمِطِيُّ إِلَى بِلَادِهِ، تَبِعَهُ أَمِيرُ مكَّة هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَجُنْدُهُ وَسَأَلَهُ وَتَشَفَّعَ إليه فِي أَنْ يَرُدَّ الْحَجَرَ لِيُوضَعَ فِي مَكَانِهِ، وَبَذَلَ لَهُ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، فَلَمْ يَفْعَلْ - لَعَنَهُ اللهُ - فَقَاتَلَهُ أَمِيرُ مكَّة فَقَتَلَهُ الْقِرْمِطِيُّ، وَقَتَلَ أَكْثَرَ أَهْلِهِ وَجُنْدِهِ، وَاسْتَمَرَّ ذَاهِبًا إِلَى بِلَادِهِ وَمَعَهُ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ وَأَمْوَالُ الْحَجِيجِ.

وَقَدْ أَلْحَدَ هَذَا اللَّعِينُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلْحَادًا لَمْ يَسْبِقْهُ إليه أَحَدٌ وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ الَّذِي لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ وِثَاقَهُ أَحَدٌ، وانَّما حَمَلَ هَؤُلَاءِ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ ؛ أنَّهم كَانُوا كفَّاراً زَنَادِقَةً، وَقَدْ كَانُوا مُمَالِئِينَ لِلْفَاطِمِيِّينَ الَّذِينَ نَبَغُوا فِي هَذِهِ السِّنِينَ بِبِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ، وَيُلَقَّبُ أَمِيرُهُمْ بِالْمَهْدِيِّ، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّد عَبِيدُ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَّاحُ، وَقَدْ كَانَ صَبَّاغًا بِسَلَمْيَةَ يَهُودِيًّا، فَادَّعَى أنَّه أَسْلَمَ، ثمَّ سَارَ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَادَّعَى أنَّه شَرِيفٌ فَاطِمِيٌّ، فَصَدَّقَهُ عَلَى ذَلِكَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْجَهَلَةِ، وَصَارَتْ لَهُ دَوْلَةٌ فَمَلَكَ مَدِينَةَ سِجِلْمَاسَةَ ثمَّ ابْتَنَى مَدِينَةً وَسَمَّاهَا الْمَهْدِيَّةَ وَكَانَ قَرَارُ مُلْكِهِ بِهَا، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَرَامِطَةُ يُرَاسِلُونَهُ وَيَدْعُونَ إليه وَيَتَرَامَوْنَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ: انَّما كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ سِيَاسَةً وَدَوْلَةً لَا حَقِيقَةَ لَهُ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّ الْمَهْدِيَّ هَذَا كَتَبَ إِلَى أَبِي طَاهِرٍ الْقِرْمِطِيِّ يَلُومُهُ عَلَى فِعْلِهِ بِمَكَّةَ، حَيْثُ سَلَّطَ النَّاسَ عَلَى الْكَلَامِ فِي عِرْضِهِمْ، وَانْكَشَفَتْ أَسْرَارُهُمُ الَّتِي كَانُوا يُبْطِنُونَهَا بِمَا ظَهَرَ مِنْ صَنِيعِهِمْ هَذَا الْقَبِيحِ، وَأَمَرَهُ بِرَدِّ مَا أَخَذَهُ مِنْهَا، وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا، فَكَتَبَ إليه بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ مَا أَشَارَ إليه مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ أُسِرَ بَعْضُ أهل الْحَدِيثِ فِي أَيْدِي الْقَرَامِطَةِ، فَمَكَثَ فِي أَيْدِيهِمْ مُدَّةً، ثمَّ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ يَحْكِي أَنَّ الَّذِي أَسَرَهُ كَانَ يَسْتَخْدِمُهُ فِي أَشَقِّ الْخِدْمَةِ وَأَشَدِّهَا، وَكَانَ يُعَرْبِدُ عَلَيْهِ إذا سَكِرَ، فَقَالَ لِي ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ سَكْرَانُ: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدِكُمْ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي. فَقَالَ: كَانَ رَجُلًا سَائِسًا. ثمَّ قَالَ: مَا تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ: كَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا، وَكَانَ عُمَرُ فَظًّا غَلِيظًا، وَكَانَ عُثْمَانُ جَاهِلًا أَحْمَقَ، وَكَانَ عَلِيٌّ مُمَخْرِقًا، أَلَيْسَ كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ يُعَلِّمُهُ مَا ادَّعَى أَنَّهُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْعِلْمِ؟ أَمَا كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُعَلِّمَ هَذَا كَلِمَةً وَهَذَا كَلِمَةً؟ ثمَّ قَالَ: هَذَا كُلُّهُ مَخْرَقَةٌ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ لِي: لَا تُخْبِرْ بِهَذَا الَّذِي قُلْتُهُ لَكَ أَحَدًا. رَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي " مُنْتَظَمِهِ ".

وَرَوَىٰ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّه قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يَوْمَ اقْتُلِعَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ، إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ وَهُوَ سَكْرَانُ، رَاكِبٌ عَلَىٰ فَرَسِهِ، فَصَفَّرَ لَهَا حتَّىٰ بَالَتْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي مَكَانِ الطَّوَافِ، ثمَّ حَمَلَ عَلَىٰ رَجُلٍ كَانَ إِلىٰ جَانِبِي فَقَتَلَهُ ثمَّ نَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يَا حَمِيرُ، أَلَيْسَ قُلْتُمْ فِي بَيْتِكُمْ هَذَا **﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾** [آل عمران: ٩٧] فَأَيْنَ الْأَمْنُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَتَسْمَعُ جَوَابًا؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: انَّمَا أَرَادَ اللهُ: فَأَمِّنُوهُ. قَالَ: فَثَنَىٰ رَأْسَ فَرَسِهِ وَانْصَرَفَ.

وَقَدْ سَأَلَ بَعْضُهُمْ هَاهُنَا سُؤَالًا فَقَالَ: قَدْ أَحَلَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ – وَكَانُوا نَصَارَىٰ، وَهَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْهُمْ – مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حَيْثُ يَقُولُ: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾** [الفيل: ١–٥] وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَرَامِطَةَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسِ، بَلْ وَمِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، فَهَلَّا عُوجِلُوا بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا عُوجِلَ أَصْحَابُ الْفِيلِ؟ وَقَدْ أُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ انَّمَا عُوقِبُوا إِظْهَارًا لِشَرَفِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَلِمَا يُرَادُ بِهِ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ بِإِرْسَالِ النَّبِي الْكَرِيمِ ﷺ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي كَانَ هَذَا الْبَيْتُ فِيهِ ؛ لِيُعْلَمَ شَرَفُ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ الَّذِي هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ هَؤُلَاءِ إِهَانَةَ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي يُرَادُ تَشْرِيفُهَا عَمَّا قَرِيبٍ، أَهْلَكَهُمْ سَرِيعًا عَاجِلًا، غَيْرَ آجِلٍ، كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا كَانَ بَعْدَ تَقْرِيرِ الشَّرَائِعِ وَتَمْهِيدِ الْقَوَاعِدِ، وَالْعِلْمِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ اللهِ بِشَرَفِ مكَّة وَالْكَعْبَةِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَكْبَرِ الْمُلْحِدِينَ الْكَافِرِينَ ؛ بِمَا تَبَيَّنَ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، فَلِهَذَا لَمْ يَحْتَجِ الْحَالُ إِلىٰ مُعَاجَلَتِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، بَلْ أَخَّرَهُمُ الرَّب جَلَّ جَلَالُهُ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُمْهِلُ وَيُمْلِي وَيَسْتَدْرِجُ، ثمَّ يَأْخُذُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِيَ لِلظَّالِمِ حتَّىٰ إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثمَّ قَرَأَ **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** [هود: ١٠٢] . أخرجه البخاري (٦/ ٧٤ برقم ٤٦٨٦) .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ ؛ أَنَّهم يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ» وَقَالَ تَعَالَىٰ: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ انَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾** [إبراهيم: ٤٢] ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: **﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** [آل عمران: ١٩٦] ، وَقَالَ: **﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾** [يونس: ٧٠] .

ثَالِثًا : ومن الفتن التي خرجت من نَجْد الحجاز : فتنة المتنبِّئين الذين ادَّعوا النُّبُوَّة ، وهم :

(١) طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ابْنُ نَوْفَلِ بْنِ نَضْلَةَ بْنِ الْأَشْتَرِ بْنِ حَجْوَانَ بْنِ فَقْعَسِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُعَيْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، الْأَسَدِيُّ الْفَقْعَسِيُّ : كَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْخَنْدَقَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُشْرِكِينَ، ثمَّ أَسْلَمَ سَنَةَ تِسْعٍ، وَوَفَدَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، إِلىٰ الْمَدِينَةِ، ثمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فِي أَيَّامِ الصِّدِّيقِ، وَادَّعَىٰ

النُّبُوَّةَ كَمَا تَقَدَّمَ. وَرَوَىٰ ابْنُ عَسَاكِرَ أَنَّه ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ ابْنَهُ حِبَالًا قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ: " مَا اسْمُ الَّذِي يَأْتِي إِلَىٰ أَبِيكَ؟ ". فَقَالَ: ذُو النُّونِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَلَا يَخُونُ، وَلَا يَكُونُ كَمَا يَكُونُ. فَقَالَ: " لَقَدْ سَمَّىٰ مَلَكًا عَظِيمَ الشَّأْنِ ". ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ: " قَتَلَكَ اللهُ وَحَرَمَكَ الشَّهَادَةَ ". وَرَدَّهُ كَمَا جَاءَ، فَقُتِلَ حِبَالٌ فِي الردَّة فِي بَعْضِ الْوَقَائِعِ، قَتَلَهُ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ثمَّ قَتَلَ طُلَيْحَةُ عُكَّاشَةَ، وَلَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَقَائِعُ. ثمَّ خَذَلَهُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَتَفَرَّقَ جُنْدُهُ، فَهَرَبَ حتَّىٰ دَخَلَ الشَّامَ، فَنَزَلَ عَلَىٰ آلِ جَفْنَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ حتَّىٰ مَاتَ الصِّدِّيقُ - حَيَاءً مِنْهُ - ثمَّ رَجَعَ إِلَىٰ الإسلام وَاعْتَمَرَ، ثمَّ جَاءَ يُسَلِّمُ عَلَىٰ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: اغْرُبْ عَنِّي فَإِنَّكَ قَاتِلُ الرَّجُلَيْنِ الصَّالِحَيْنِ؛ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ وَثَابِتِ بْنِ أَقْرَمَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُمَا رَجُلَانِ أَكْرَمَهُمَا اللهُ عَلَىٰ يَدَيَّ وَلَمْ يُهِنِّي بِأَيْدِيهِمَا. فَأَعْجَبَ عُمَرَ كَلَامُهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، وَكَتَبَ لَهُ بِالْوَصَاةِ إِلَىٰ الْأُمَرَاءِ أَنْ يُشَاوَرَ وَلَا يُوَلَّىٰ شيئاً مِنَ الْأَمْرِ، ثمَّ عَادَ إِلَىٰ الشَّامِ مُجَاهِدًا، فَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ وَبَعْضَ حُرُوبٍ، كَالْقَادِسِيَّةِ وَنَهَاوَنْدَ الْفُرْسِ، وَكَانَ مِنَ الشُّجْعَانِ الْمَذْكُورِينَ، وَالْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ، وَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ.

وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَالَ: كَانَ يُعَدُّ بِأَلْفِ فَارِسٍ؛ لِشِدَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَبَصَرِهِ بِالْحَرْبِ. وَقَالَ أَبُو نَصْرِ بْنُ مَاكُولَا: أَسْلَمَ ثمَّ ارْتَدَّ ثمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَكَانَ يُعْدَلُ بِأَلْفِ فَارِسٍ". انظر: البداية والنِّهاية (١٠/ ١٤٣-١٤٤).

(٢) مُسَيْلِمَةُ بْنُ ثُمَامَةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ هِفَّانَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ الدُّوَلِ بْنِ حَنِيفَةَ، وَيُكَنَّىٰ أَبَا ثُمَامَةَ، وَقِيلَ أَبَا هَارُونَ:

قال الإمام ابن الأثير في " الكامل في التَّاريخ " (٢/ ١٦٢- ١٦٤ باختصار) في أحداث سنة (١٠هـ): " وَفِيهَا قَدِمَ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ وَفِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ، امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَاجْتَمَعَ مُسَيْلِمَةُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ثمَّ عَادَ إِلَىٰ الْيَمَامَةِ وَتَنَبَّأَ، وَتَكَذَّبَ لَهُمْ، وَادَّعَىٰ أَنَّه شَرِيكُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي النُّبُوَّةِ، فَاتَّبَعَهُ بَنُو حَنِيفَةَ... وَفِيهَا كَتَبَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ أَنَّه شَرِيكُهُ فِي النُّبُوَّةِ، وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ رَسُولَيْنِ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهُ فَصَدَّقَاهُ. فَقَالَ لَهُمَا: لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكُمَا.

وَكَانَ كِتَابُ مُسَيْلِمَةَ: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ مَعَكَ فِي الْأَمْرِ، وَإِنَّ لَنَا نِصْفَ الأرض وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَهَا، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ.

فَكَتَبَ إِليه رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، أَمَّا بَعْدُ، فَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، فَإِنَّ الأرض للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

وَقِيلَ: إِنَّ دَعْوَىٰ مُسَيْلِمَةَ وَغَيْرِهِ النُّبُوَّةَ كَانَتْ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَمَرْضَتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا".

(٣) سَجَاحُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ عُقْفَانَ التَّمِيمِيَّةُ : قال الإمام ابن الأثير في " الكامل في التَّاريخ" (٢/ ٢١٠-٢١٢ ببعض الاختصار) : " ... فَبَيْنَمَا النَّاسُ بِبِلَادِ تَمِيمٍ مُسْلِمِهِمْ بِإِزَاءِ مَنْ أَرَادَ الردَّة وَارْتَابَ - إِذْ جَاءَتْهُمْ سَجَاحُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ عُقْفَانَ التَّمِيمِيَّةُ، قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَادَّعَتِ النُّبُوَّةَ، وَكَانَ وَرَهْطُهَا فِي أَخْوَالِهَا مِنْ تَغْلِبَ تَقُودُ أَفْنَاءَ رَبِيعَةَ، مَعَهَا الْهُذَيْلُ بْنُ عِمْرَانَ فِي بَنِي تَغْلِبَ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَتَرَكَ دِينَهُ وَتَبِعَهَا، وَعَقَّةُ بْنُ هِلَالٍ فِي النَّمِرِ، وَتَادُ بْنُ فُلَانٍ فِي إِيَادٍ، وَالسَّلِيلُ بْنُ قَيْسٍ فِي شَيْبَانَ، فَأَتَاهُمْ أَمْرٌ أَعْظَمُ مِمَّا هُمْ فِيهِ لِاخْتِلَافِهِمْ.

وَكَانَتْ سَجَاحُ تُرِيدُ غَزْوَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَىٰ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ تَطْلُبُ الْمُوَادَعَةَ، فَأَجَابَهَا وَرَدَّهَا عَنْ غَزْوِهَا، وَحَمَلَهَا عَلَىٰ أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَأَجَابَتْهُ وَقَالَتْ: أَنَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ، فَإِنْ كَانَ مُلْكٌ فَهُوَ لَكُمْ. وَهَرَبَ مِنْهَا عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ، وَسَادَةُ بَنِي مَالِكٍ، وَحَنْظَلَةُ - إِلَىٰ بَنِي الْعَنْبَرِ، وَكَرِهُوا مَا صَنَعَ وَكِيعٌ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَهَا، وَهَرَبَ مِنْهَا أَشْبَاهُهُمْ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ، وَكَرِهُوا مَا صَنَعَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ، وَاجْتَمَعَ مَالِكٌ وَوَكِيعٌ وَسَجَاحُ فَسَجَعَتْ لَهُمْ سَجَاحُ وَقَالَتْ: " أَعِدُّوا الرِّكَابَ، وَاسْتَعِدُّوا لِلنِّهَابِ، ثمَّ أَغِيرُوا عَلَىٰ الرِّبَابِ، فَلَيْسَ دُونَهُمْ حِجَابٌ ". فَسَارُوا إِلَيْهِمْ، فَلَقِيَهُمْ ضَبَّةُ وَعَبْدُ مَنَاةٍ، فَقُتِلَ بَيْنَهُمْ قَتْلَىٰ كَثِيرَةٌ، وَأُسِرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، ثمَّ تَصَالَحُوا، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ شِعْرًا ظَهَرَ فِيهِ نَدَمُهُ عَلَىٰ تَخَلُّفِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بِصَدَقَتِهِ.

ثُمَّ سَارَتْ سَجَاحُ فِي جُنُودِ الْجَزِيرَةِ حتَّىٰ بَلَغَتِ النِّبَاجَ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ أَوْسُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْهُجَيْمِيُّ فِي بَنِي عَمْرٍو، فَأَسَرَ الْهُذَيْلَ وَعَقَّةَ، ثمَّ اتَّفَقُوا عَلَىٰ أَنْ يُطْلِقَ أَسْرَىٰ سَجَاحَ، وَلَا يَطَأَ أَرْضَ أَوْسٍ وَمَنْ مَعَهُ.

ثُمَّ خَرَجَتْ سَجَاحُ فِي الْجُنُودِ وَقَصَدَتِ الْيَمَامَةَ، وَقَالَتْ: عَلَيْكُمْ بِالْيَمَامَهْ، وَدُفُّوا دَفِيفَ الْحَمَامَهْ، فَإِنَّهَا غَزْوَةٌ صَرَّامَهْ، لَا يَلْحَقُكُمْ بَعْدَهَا مَلَامَهْ. فَقَصَدَتْ بَنِي حَنِيفَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُسَيْلِمَةَ، فَخَافَ إِنْ هُوَ شُغِلَ بِهَا أَنْ يَغْلِبَ ثُمَامَةُ وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَالْقَبَائِلُ التي حَوْلَهُمْ عَلَىٰ حَجْرٍ، وَهِيَ الْيَمَامَةُ، فَأَهْدَىٰ لَهَا، ثمَّ أَرْسَلَ يَسْتَأْمِنُهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ حتَّىٰ يَأْتِيَهَا، فَآمَنَتْهُ، فَجَاءَهَا فِي أَرْبَعِينَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ: لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ، وَكَانَ لِقُرَيْشٍ نِصْفُهَا لَوْ عَدَلَتْ، وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْكِ النِّصْفَ الَّذِي رَدَّتْ قُرَيْشٌ.

وَكَانَ مِمَّا شَرَعَ لَهُمْ أَنَّ مَنْ أَصَابَ وَلَدًا وَاحِدًا ذَكَرًا لَا يَأْتِي النِّسَاءَ حتَّىٰ يَمُوتَ ذَلِكَ الْوَلَدُ، فَيَطْلُبُ الْوَلَدَ حتَّىٰ يُصِيبَ ابْنًا ثمَّ يُمْسِكُ.

وَقِيلَ: بَلْ تَحَصَّنَ مِنْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: انْزِلْ، فَقَالَ لَهَا: أَبْعِدِي أَصْحَابَكِ. فَفَعَلَتْ، وَقَدْ ضَرَبَ لَهَا قُبَّةً وَجَمَّرَهَا لِتَذْكُرَ بِطِيبِ الرِّيحِ الْجِمَاعَ، وَاجْتَمَعَ بِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ فَعَلَ بِالْحُبْلَىٰ. أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَىٰ، بَيْنَ صِفَاقٍ وَحَشًىٰ؟ قَالَتْ: وَمَاذَا أَيْضًا؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ النِّسَاءَ أَفْرَاجًا، وَجَعَلَ الرِّجَالَ لَهُنَّ أَزْوَاجًا، فَتُولِجُ فِيهِنَّ قُعْسًا إِيلَاجًا، ثمَّ تُخْرِجُهَا إِذْ تَشَاءُ إِخْرَاجًا، فَيُنْتِجْنَ لَنَا سِخَالًا إِنْتَاجًا. قَالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ.

قَالَ: هَلْ لَكِ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ وَآكُلَ بِقَوْمِي وَقَوْمِكِ الْعَرَبَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ... فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ انْصَرَفَتْ إِلَىٰ قَوْمِهَا، فَقَالُوا لَهَا: مَا عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ عَلَىٰ الْحَقِّ فَتَبِعْتُهُ وَتَزَوَّجْتُهُ. قَالُوا: هَلْ أَصْدَقَكِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا. قَالُوا: فَارْجِعِي فَاطْلُبِي الصَّدَاقَ، فَرَجَعَتْ. فَلَمَّا رَآهَا أَغْلَقَ بَابَ الْحِصْنِ وَقَالَ: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: أَصْدِقْنِي. قَالَ: مَنْ مُؤَذِّنُكِ؟ قَالَتْ: شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ، فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: نَادِ فِي أَصْحَابِكَ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولَ اللهِ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ صَلَاتَيْنِ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ: صَلَاةَ الْفَجْرِ وَصَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ. فَانْصَرَفَتْ وَمَعَهَا أَصْحَابُهَا، مِنْهُمْ: عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ، وَغَيْلَانُ بْنُ خَرَشَةَ، وَشَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، فَقَالَ عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ:

أَمْسَتْ نَبِيَّتُنَا أُنْثَىٰ نَطُوفُ بِهَا ... وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا

وَصَالَحَهَا مُسَيْلِمَةُ عَلَىٰ غَلَّاتِ الْيَمَامَةِ، سَنَةً تَأْخُذُ النِّصْفَ وَتَتْرُكُ عِنْدَهُ مَنْ يَأْخُذُ النِّصْفَ، فَأَخَذَتِ النِّصْفَ وَانْصَرَفَتْ إِلَىٰ الْجَزِيرَةِ، وَخَلَّفَتِ الْهُذَيْلَ وَعَقَّةَ وَزِيَادًا لِأَخْذِ النِّصْفِ الْبَاقِي، فَلَمْ يُفَاجِئْهُمْ إِلَّا دُنُوُّ خَالِدٍ إِلَيْهِمْ فَارْفَضُّوا.

فَلَمْ تَزَلْ سَجَاحُ فِي تَغْلِبَ حَتَّىٰ نَقَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَامَ الْجَمَاعَةِ، وَجَاءَتْ مَعَهُمْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وَإِسْلَامُهَا، وَانْتَقَلَتْ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ وَمَاتَتْ بِهَا، وَصَلَّىٰ عَلَيْهَا سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ وَهُوَ عَلَىٰ الْبَصْرَةِ لِمُعَاوِيَةَ، قَبْلَ قُدُومِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ مِنْ خُرَاسَانَ وَوِلَايَتِهِ الْبَصْرَةَ.

وَقِيلَ: أَنَّهَا لَمَّا قُتِلَ مُسَيْلِمَةُ سَارَتْ إِلَىٰ أَخْوَالِهَا تَغْلِبَ بِالْجَزِيرَةِ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يُسْمَعْ لَهَا بِذِكْرٍ" .

رَابِعاً : ومن الفتن التي خرجت من نَجْد الحجاز : الفتنة الوهَّابيَّة التي خرجت من الدِّرعيَّة ، وهي في نجْد ، ومن منطقة العارض ، وهي في نجْد ، ومن بني حنيفة ، وديارهم نجْد ... على يد مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب ، فأراقت الدِّماء ، وكفَّرت المؤمنين ، وأفتت باستباحة دمائهم وأموالهم وديارهم ، بحجَّة الشِّرك المتمثِّل بالتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بالأنبياء والصَّلحين ...

وقد أكَّد الإمام سليمان بن عبد الوهَّاب شقيق مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب علىٰ أنَّ شقيقه مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب هو قَرْن الشَّيطان ، وذلك من خلال استشهاده بالأحاديث التي حذَّر الرَّسول ﷺ من خلالها من فتنته ، فقد حدَّدت مكان خروجه ... وهو نجْد الحجاز ، فقال في " الصَّواعق الإلهيَّة في الرَّدِّ علىٰ الوهَّابيَّة" (ص٤٤-٤٥) في ردِّه علىٰ أخيه مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب : " وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم ما في الصَّحيحين ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ ... " . أخرجه البخاري (٢/ ١٢٧ برقم ٣٣٠١) ، مسلم (١/ ٧٢ برقم ٥٢) .

وفي رواية : " «الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِتْنَةُ هَا هُنَا، هَا هُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . أخرجه البخاري (٥/ ١٧٤ برقم ٤٣٨٩) .

وفي الصَّحيحين أيضاً عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ المَشْرِقِ يَقُولُ: «أَلاَ إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . أخرجه البخاري (٩/ ٥٣ برقم ٧٠٩٣) ، مسلم (٤/ ٢٢٢٨ برقم ٢٩٠٥)

.

وللبخاري عنه مرفوعاً : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» . أخرجه البخاري (٢/ ٣٣ برقم ١٠٣٧) .

ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً : اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي صَاعِنَا ، وَمُدِّنَا، وَيَمَنِنَا، وَشَامِنَا، ثمَّ اسْتَقْبَلَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ " فَقَالَ: " مِنْ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، مِنْ هَاهُنَا الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ " . أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ٢٥٩ برقم ٦٠٩١) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصَّحيح غير بشر بن حرب، فقد روىٰ له النَّسائي وابن ماجه، وفيه ضعف، لكن يعتبر به في الشواهد والمتابعات" .

أقول-القائل هو سليمان بن عبد الوهَّاب- : أشهد أنَّ رسول الله ﷺ لصادق ، فصلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، لقد أدَّىٰ الأمانة ، وبلَّغ الرِّسالة .

قال الشَّيخ تقيُّ الدِّين – يقصد ابن تيمية – : " فَالْمَشْرِقُ عَنْ مَدِينَتِهِ فِيهِ الْبَحْرَيْنُ، وَمِنْهَا خَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ الَّذِي ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ حَادِثٍ حَدَثَ بَعْدَهُ، وَاتَّبَعَهُ خَلَائِقُ، وَقَاتَلَهُ خَلِيفَتُهُ الصِّدِّيقُ ". انظر كلام ابن تيمية في : الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ١٢٧-١٢٨) .

وجه الدّلالة من هذا الحديث من وجوه كثيرة نذكر بعضها منها:

أنَّ النَّبي ﷺ ذكر أنَّ الإيمان يماني ، والفتنة تخرج من المشرق ، ذكرها مراراً .

أنَّ النَّبي ﷺ دعا للحجاز وأهله مراراً ، وأبىٰ أن يدعو لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً نجد .

أنَّ أوَّل فتنة وقعت بعده ﷺ وقعت بأرضنا -القائل هو سليمان بن عبد الوهَّاب- هذه، فنقول: هذه الأمور التي تجعلون المسلم بها كافراً بل تكفِّرون من لم يكفره !!! ملأت مكَّة والمدينة واليمن من سنين متطاولة ، بل وبلغنا أنَّ ما في الأرض أكثر من هذه الأمور في اليمن والحرمين، وبلدنا هذه هي أوَّل من ظهر فيها الفتن ، ولا نعلم في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديماً وحديثاً ، وأنتم الآن مذهبكم أنَّه يجب علىٰ العامَّة اتباع مذهبكم ، وأنَّ من اتبعه ولم يقدر علىٰ إظهاره في بلده وجب عليه الهجرة إليكم ، وأنَّكم الطَّائفة المنصورة ، وهذا خلاف هذا الحديث .

فإنَّ رسول الله ﷺ أخبره الله بما هو كائن علىٰ أمَّته ومنهم إلىٰ يوم القيامة ، وهو ﷺ أخبر بما يجري عليهم ومنهم ، فلو علم أنَّ بلاد المشرق خصوصاً نجد بلاد مسيلمة أنَّها تصير دار الإيمان ، وأنَّ الطَّائفة المنصورة تكون بها ، وأنَّها

بلاد يظهر فيها الإيمان ولا يخفىٰ في غيرها، وأنَّ الحرمين الشَّريفين واليمن بلاد كُفر تُعبد فيها الأوثان وتجب الهجرة منها لأخبر بذلك ، ولدعىٰ لأهل المشرق خصوصاً نجّد ، ولدعىٰ علىٰ الحرمين واليمن ، وأخبر أنَّهم يعبدون الأصنام وتبرَّأ منهم ، إذ لم يكن إلَّا ضدّ ذلك .

فإنَّه ﷺ عمّ المشرق وخصَّ نجْداً بأنَّ منها يطلع قرْن الشَّيطان ، وأنَّ منها وفيها الفتن ، وامتنع من الدُّعاء لها وهذا خلاف زعمكم ، وأنَّ اليوم عندكم الذين دعا لهم رسول الله ﷺ كفَّار !!!

والذين أبىٰ أن يدعو لهم وأخبر أنَّ منها يطلع قرن الشَّيطان ، وأنَّ منها الفتن هي بلاد الإيمان تجب الهجرة إليها، وهذا بيِّنٌ واضحٌ من الأحاديث إن شاء الله " .

فهذه شهادة حقّ من شقيق مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بأنَّ شقيقه هو قرن الشَّيطان !!! فهل بعد هذا البيان بيان ؟!!! وأهل مكَّة أدرىٰ بشعابها !!! ألا فلتخرس الألسنة التي اعتادت واستمرأت علىٰ تغيير الشَّكل لأجل الأكل ... أولئك النَّفر الذين أطمعهم في هواهم حلواهم !!! فقد أكلوا الدُّنيا بالدِّين من خلال لَيِّ أعناق النُّصوص الشَّرعيَّة لإرضاء أولياء نعمتهم من العلماء الذين تنكَّبوا السَّبيل ، وابتعدوا عن المنهج القويم ... ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ...

فالمشرق الذي عناه رسول الله ﷺ هو ما جاء فيما رواه أحمد وغيره بسندهم عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَشَارَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ، فَقَالَ: " الإيمان هَاهُنَا " قَالَ: " أَلَا وَإِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَصْحَابِ الْإِبِلِ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ " قَالَ مُحَمَّدٌ: " عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ " . أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٢٩٨ برقم ١٧٠٦٦) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. مُحَمَّد بن عبيد: هو الطنافسي، ويزيد: هو ابن هارون . وأخرجه أبو عوانة (١/ ٥٨-٥٩) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٨٠٣) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وأخرجه الحميدي (٤٥٨) ، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٨٢) ، والبخاري (٤٣٨٧) ، ومسلم (٥١) ، وأبو عوانة (١/ ٥٩) ، والطَّبراني في "الكبير" (١٧/ (٥٦٤-٥٦٩) ، وابن منده في "الإيمان " (٤٢٦) و (٤٢٧) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، به. وبعضهم رواه بزيادة مُحَمَّد بن عبيد. وأخرجه البخاري (٣٤٩٨) من طريق سفيان بن عيينة، عن إسماعيل ابن أبي خالد، به. بلفظ: "من هاهنا جاءت الفتن نحو المشرق، والجفاء وغلظ القلوب في الفدّادين أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل والبقر في ربيعة ومضر" .

والحديثُ نصٌّ واضحٌ وصريحٌ في أنَّ قرن الشَّيطان سيخرج من مساكن ربيعة ومضر ... ومساكنهم في نَجْد الحجاز ... فنجْد الحجاز هي منبعُ وموطنُ الشُّرور والفتن والبلايا العِظام ...

وفي الصَّحيحين أيضاً عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنه عن النَّبي ﷺ أنَّه قال وهو مستقبل المشرق «إنَّ الفِتْنَةَ هَاهُنَا » ، وللبخاري عنه مرفوعاً : «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» (٨٩) .

ولأحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً : اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي صَاعِنَا ، وَمُدِّنَا، وَيَمَنِنَا، وَشَامِنَا، ثمَّ اسْتَقْبَلَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ " فَقَالَ: "مِنْ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان " انتهىٰ (٩٠) .

أقول : أشهد أنَّ رسول الله ﷺ لصادق ، فصلوات الله وسلامه و بركاته عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، لقد أدَّىٰ الأمانة ، وبلَّغ الرِّسالة ، قال الشَّيخ تقي الدِّين : فَالْمَشْرِقُ عَنْ مَدِينَتِهِ فِيهِ الْبَحْرَيْنُ، وَمِنْهَا خَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ الَّذِي ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ، وَهُوَ أَوَّلُ حَادِثٍ حَدَثَ بَعْدَهُ، وَاتَّبَعَهُ خَلَائِقُ، وَقَاتَلَهُ خَلِيفَتُهُ الصِّدِّيقُ" انتهىٰ(٩١) .

وجه الدّلالة من هذا الحديث من وجوه كثيرة ، نذكر بعضها ، منها :

أنَّ النَّبي ﷺ ذكر أنَّ الإيمان يماني ، والفتنة تخرج من المشرق ذكرها مراراً .

ومنها : أنَّ النَّبي ﷺ دعىٰ للحجاز وأهله مراراً ، وأبىٰ أن يدعو لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً نجد .

ومنها : أنَّ أوَّل فتنة وقعت بعده ﷺ وقعت بأرضنا هذه ، فنقول : هذه الأمور التي تجعلون المسلم بها كافراً بل تكفِّرون من لم يكفره ملأت مكَّة والمدينة واليمن من سنين متطاولة ، بل بلغنا أنَّ ما في الأرض أكثر من هذه الأمور في اليمن والحرمين ، وبلدنا هذه هي أوَّل من ظهر فيها الفتن ، ولا نعلم في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديماً وحديثاً ، وأنتم الآن مذهبكم أنَّه يجب علىٰ العامَّة

---

(٨٩) أخرجه البخاري (٢/ ٣٣ برقم ١٠٣٧) .

(٩٠) أخرجه أحمد (١٠/ ٢٦٠ برقم ٦٠٩١) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصَّحيح غير بشر بن حرب، فقد روىٰ له النَّسائي وابن ماجه، وفيه ضعف، لكن يعتبر به في الشواهد والمتابعات" .

(٩١) انظر : الجواب الصَّحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ١٢٧-١٢٨) .

اتِّباع مذهبكم ، وأنَّ من اتَّبعه ولم يقدر علىَ إظهاره في بلده وتكفير أهل بلده وجب عليه الهجرة إليكم ، وأنَّكم الطَّائفة المنصورة ، وهذا خلاف هذا الحديث ، فإنَّ رسول الله ﷺ أخبره الله بما هو كائن علىٰ أمَّته إلىٰ يوم القيامة ، وهو ﷺ أخبر بما يجري عليهم ومنهم ، فلو علم أنَّ بلاد المشرق خصوصاً نجد بلاد مسيلمة أنَّها تصير دار الإيمان ، وأنَّ الطَّائفة المنصورة تكون منها ، وأنَّها بلاد يظهر فيها الإيمان ، ولا يخفىٰ في غيرها ، وأن الحرمين الشَّريفين واليمن تكون بلاد كفر تُعبد فيها الأوثان ، وتجب الهجرة منها ، لأخبر بذلك ، ودعىٰ لأهل المشرق خصوصاً نجد ، ولدعىٰ علىٰ الحرمين واليمن ، وأخبر أنَّهم يعبدون الأصنام ، وتبرَّأ منهم ، إذ لم يكن إلَّا ضدّ ذلك ، فإنَّه ﷺ عمَّ المشرق ، وخصَّ نجداً بأنَّ منها يطلع قرن الشَّيطان ، وأنَّ منها وفيها الفتن ، وامتنع من الدُّعاء لها ، وهذا خلاف زعمكم ، وأنَّ اليوم عندكم الذين دعىٰ لهم رسول الله ﷺ كفَّار ، والذين أبىٰ أن يدعولهم وأخبر أنَّ منها يطلع قرنُ الشَّيطان ، وأنَّ منها الفتن في بلاد الإيمان تجب الهجرة إليها ، وهذا بيِّنٌ واضح من الأحاديث إن شاء الله .

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ علىٰ بُطلان مذهبكم : ما في الصَّحيحين عن عقبة بن عامر أنَّ النَّبي ﷺ صعد المنبر ، فقال : «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَىٰ الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ» انتهىٰ (٩٢) .

وجه الدّلالة منه أنَّ النَّبي ﷺ أخبر بجميع ما يقع علىٰ أمَّته ومنهم إلىٰ يوم القيامة ، قال عقبة : فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَر " ، كما ذكر في أحاديث أُخر ليس هذا موضعها ، وممَّا أخبر به هذا الحديث الصَّحيح : أنَّه أمنَ أنَّ أمَّته تَعبد الأوثان ، ولم يخافه عليهم ، وأخبرهم بذلك ، وأمَّا الذي يخافه عليهم فأخبرهم به ، وحذَّرهم منه ، ومع هذا فوقع ما خافه عليهم ، وهذا خلاف مذهبكم ، فإنَّ أمَّته علىٰ قولكم عبدوا الأصنام كلُّهم ، وملأت الأوثان بلادهم ، إلَّا إن كان أحد

---

(٩٢) أخرجه البخاري (٥/ ٩٤ برقم ٤٠٤٢) ، مسلم (٤/ ١٧٩٦ برقم ٢٢٩٦) ، واللفظ له .

في أطراف الأرض ما يلحق له خبر ، وإلَّا فمن أطراف الشَّرق إلىٰ أطراف الغرب ، إلىٰ الرُّوم إلىٰ اليمن ، كلُّ هذا ممتلىء ممَّا زعمتم أنَّه الأصنام ، وقلتم : من لم يكفِّر من فعل هذه الأمور والأفعال فهو كافر ، ومعلوم أنَّ المسلمين كلّهم أجروا الإسلام علىٰ من انتسب إليه ، ولم يكفِّروا من فعل هذا ، فعلىٰ قولكم جميع بلاد المسلمين كفَّار إلَّا بلدكم ، والعجب أنَّ هذا ما حدث في بلدكم إلَّا من قريب عشر سنين ، فبان بهذا الحديث خطؤكم ، والحمد لله ربِّ العالمين .

فان قلت : ورد عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ" (٩٣) .

قلت : هذا حقٌّ ، وأحاديث الرَّسول ﷺ لا تتعارض ، ولكن كلُّ حديث ورد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه يخاف علىٰ أمَّته الشِّرك قيَّده بالشِّرك الأصغر ، كحديث شدَّاد بن أوس ، وحديث أبي هريرة ،

---

(٩٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٩ برقم ٢٣٦٣٠) ، قال الأرنؤوط : " حديث حسن، رجاله رجال الصَّحيح إلا أنه منقطع، عمرو -وهو ابن أبي عمرو مولىٰ المطَّلب- لم يسمعه من محمود بن لبيد، بينهما فيه عاصم بن عمر بن قتادة، وهو ثقة، وعمرو صدوق. يونس: هو ابن مُحَمَّد المؤدِّب، وليث: هو ابن سعد، ويزيد بن الهاد: هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد. وأخرجه البغوي في "شرح السنة" (٤١٣٥) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولىٰ المطلب، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد. وأخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٨١) عن أبي خالد الأحمر، وابن خزيمة (٩٣٧) من طريق أبي خالد الأحمر وعيسىٰ بن يونس، كلاهما عن سعد بن إسحاق بن كعب ابن عُجْرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: خرج النَّبي ﷺ ، فقال: "أيها الناس، إياكم وشركَ السَّرائر" قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: "يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته جاهداً، يرىٰ من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر". هذا لفظ ابن خزيمة، ورجاله ثقات. وأخرجه بهذا اللفظ البيهقي (٢/ ٢٩٠-٢٩١) من طريق مُحَمَّد بن سعيد الأصبهاني، عن أبي خالد الأحمر، بهذا الإسناد، لكن جعله من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله، ومحمَّد بن سعيد ثقة. وأخرجه كلفظ رواية المصنِّف الطَّبراني في "الكبير" (٤٣٠١) من طريق إسماعيل بن أبي أُويس، عن عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خَديج، عن النَّبي ﷺ . وإسماعيل بن أبي أويس كان يخطىء، في حفظه شيءٌ، وقد جوَّد الحافظ المنذري إسناده في "الترغيب والترهيب" (١/ ٦٩) ، وقال: قيل: إن حديث محمود هو الصواب دون ذِكْر رافع بن خديج فيه، والله أعلم" .

وحديث محمود بن لبيد ، فكلُّها مقيَّدة ومبيِّنة إنَّما خاف رسول الله ﷺ منه على أمَّته الشِّرك الأصغر ، وكذلك وقع ، فإنَّه ملأ الأرض ، كما أنَّه خاف عليهم الافتتان والقتال على الدُّنيا فوقع ، وهو ، أي : الشِّرك الأصغر والذي تسمُّونه الآن الشِّرك الأكبر ، وتكفِّرون المسلمين به ، بل تكفِّرون من لم يكفِّرهم ، فاتَّفقت الأحاديث ، وبان الحقُّ ووضح ، والحمد لله.

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ على بُطلان مذهبكم : ما روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : «إِنَّ الشَّيطان قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (٩٤) .

وروى الحاكم وصحَّحه ، وأبو يعلى ، والبيهقي عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الشَّيطان قَدْ يَئِسَ أَنْ تُعْبَدَ الأصنام فِي أَرْضِ العَرَبِ، وَلَكِنَّهُ سَيَرْضَى مِنْكُمْ بِدُونِ ذَلِكَ بِالْمُحَقِّرَاتِ، وَهِيَ: الْمُوبِقَاتُ » (٩٥) .

وروى الامام أحمد والحاكم وصحَّحه وابن ماجه عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عن شدَّاد بن أوس ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ؟ " قَالَ: " نَعَمْ. قال : أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا حَجَرًا وَلَا وَثَنًا، وَلَكِنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ" (٩٦) . انتهى .

---

(٩٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٦ برقم ٢٨١٢) .

(٩٥) أخرجه أبو يعلى في المسند (٩/ ٥٧ برقم ٥١٢٢) ، الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين (٢/ ٣٢ برقم ٢٢٢١) ، البيهقي في الآداب (١/ ٣٣٨ برقم ٨٤٠) .

(٩٦) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٣٤٦ برقم ١٧١٢٠) ، ابن ماجه (٥/ ٢٩٢ برقم ٤٢٠٥) ، الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين (٤/ ٣٦٦ برقم ٧٩٤٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، وقال الذهبي في التلخيص : عبد الواحد بن زيد متروك) . قال الأرنؤوط في هامش مسند أحمد : " إسناده ضعيف جداً، عبد الواحد بن زيد- وهو أبو عبيدة البصري القاص- قال البخاري: تركوه، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال الفلاس: كان قاصاً متروك الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابنُ عبد البر: اجمعوا على ضعفه، قلنا: وهو من رجال "التعجيل"، وبقية رجال الإسناد ثقات. وقد رُوي موقوفاً وهو الصحيح، كما سيرد. وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٦٨٣٠) من طريق زيد بن

أقول : وجه الدّلالة منه كما تقدَّم أنَّ الله سبحانه أعلمَ نبيَّه من غيبه بما شاء وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأخبر ﷺ أنَّ الشَّيطان في قد أيس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب .

وفي حديث ابن مسعود : إِنَّ الشَّيطان قَدْ يَئِسَ أَنْ تُعْبَدَ الأصنام بِأَرْضِ الْعَرَبِ " (٩٧) .

وفي حديث شدَّاد : أنَّهم لا يعبدون وثناً ، وهذا خلاف في مذهبكم ، فإنَّ البصرة وما حولها والعراق من دون دجلة الموضع الذي فيه قبر علي وقبر الحسين رضي الله تعالى عنهما ، وكذلك اليمن كلّها والحجاز ، كلُّ ذلك من أرض العرب ، ومذهبكم أنَّ هذه المواضع كلّها عُبدَ الشَّيطان فيها ، وعُبدت الأصنام ، وكلُّهم كفَّار ، ومن لم يكفِّرهم فهو عندكم كافر .

الحباب، بهذا الإسناد. وأخرجه الطَّبراني في "الكبير" (٧١٤٤) و (٧١٤٥) ، وفي "مسند الشاميين" (٢٢٣٦) ، والحاكم (٤/ ٣٣٠) ، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ٢٦٨) ، من طرق عن عبد الواحد بن زيد، به، وصحح إسناده الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: عبد الواحد متروك. وأخرجه ابنُ ماجه (٤٢٠٥) من طريق روّاد بن الجراح، عن عامر بن عبد الله، عن الحسن بن ذكوان، عن عبادة بن نسي، به. وروّاد بن الجراح قال الحافظ في "التقريب": صدوق اختلط بأخرة فتُرك، وعامر بن عبد الله شيخه مجهول. وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٢٦٨) من طريق عطاء بن. عجلان، عن خالد بن محمود بن الربيع، عن شداد، به. وعطاء بن عجلان متروك الحديث. وأخرجه موقوفاً أبو نعيم في "الحلية" (١/ ٢٦٨) من طريق سفيان بن عيينة، عن الزُّهري، عن محمود بن الربيع، عن شداد بن أوس قوله. ولفظه: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية، وإسناده صحيح. وأخرجه موقوفاً كذلك في "الحلية" (١/ ٢٦٩- ٢٧٠) من طريق الليث بن سعد، عن ابن عجلان، عن رجاء بن حيوة، عن محمود بن الربيع، عن شداد ابن أوس ... قال: أخاف عليكم الشرك والشهوة الخفية. وإسناده حسن من أجل ابن عجلان، وهو محمد. وأخرجه موقوفاً أيضاً يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" (١/ ٣٥٦) عن أبي صالح- وهو عبد الله بن صالح المصري كاتب الليث-، عن عبد العزيز بن أبي سلمة- وهو الماجشون-، عن الزُّهري، عن محمود بن لبيد، عن شداد، قوله. وعبد الله بن صالح في حفظه شيء، وقد أخطأ في اسم محمود بن الربيع، فقال: محمود بن لبيد" .

(٩٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٤٠٤ برقم ٦٨٧٧) ، الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين (٢/ ٣٢ برقم ٢٢٢١ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الذهبي) .

وهذه الأحاديث تردُّ مذهبكم ، وهذا لا يقال أنَّه قد وجد بعض الشِّرك بأرض العرب زمن الردَّة ، فإنَّ ذلك زال في آن يسير ، فهو كالأمر الذي عرض لا يعتدُّ به ، كما أنَّ رجلاً أو أكثر من أهل الكفر دخل أرض العرب وعبد غير الله في موضع خال أو خفية ، فأمَّا هذه الأمور التي تجعلونها شركاً أكبر وعبادة الأصنام ، فهي ملأت بلاد العرب من قرون متداولة ، فتبيَّن بهذه الأحاديث فساد قولكم أنَّ هذه الأمور هي عبادة الأوثان الكبرىٰ ، وتبيَّن أيضاً بطلان قولكم أنَّ الفرقة النَّاجية قد تكون في بعض أطراف الأرض ، ولا يأتي لها خبر ، فلو كانت هذه عبادة الأصنام والشِّرك الأكبر لقاتل أهله الفرقة النَّاجية المنصورون الظَّاهرون إلىٰ قيام السَّاعة، وهذا الذي ذكرناه واضح جليٌّ ، والحمد لله ربّ العالمين .

ومن العجب أنَّكم تزعمون أنَّ هذه الأمور ، أي : القبور وما يعمل عندها ، والنُّذور هي عبادة الأصنام الكبرىٰ ، وتقولون : أنَّ هذا أمر واضح جلِّي يُعرف بالضَّرورة ، حتَّىٰ اليهود والنَّصارىٰ يعرفونه ، فأقول جواباً لكم عن هذا الزَّعم الفاسد : سبحانك هذا بهتان عظيم ، قد تقدَّم مراراً عديدة أنَّ الأُمَّة بأجمعها علىٰ طبقاتها من قرب ثمانمائة سنة ملأت هذه القبور بلادها ، ولم يقولوا : هذه عبادة الأصنام الكبرىٰ ، ولم يقولوا : أنَّ من فعل شيئاً من هذه الأمور فقد جعل مع الله إلهاً آخر ، ولم يُجروا علىٰ أهلها حكم عبَّاد الأصنا م، ولا حكم المرتدِّين ، أي : ردَّة كانت . فلو أنَّكم قلتم : إنَّ اليهود لأنَّهم قوم بُهت وكذلك النَّصارىٰ ومن ضاهاهم في بهت هذه الأُمَّة من مبتدعة الأُمَّة يقولون : أنَّ هذه عبادة الأصنام الكبرىٰ ، لقلنا : صدقتم ، فما ذلك من بهتهم وحسدهم وغلوِّهم ورميهم الأُمَّة بالعظائم بكثير، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ مخزيهم ، ومظهر دينه علىٰ جميع الأديان بوعده : **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْن كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**

[التوبة:٣٣] ، ولكن أقول : صدق رسول الله ﷺ حيث دعىٰ للمدينة وما حولها ، ولليمن ، وقال له من حضره : ونجد ، فقال : " هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ" (٩٨) .

أما والله لفتنة الشَّهوات فتنة والظلمة التي يعرف كلّ خاصّ وعام من أهلها أنَّها من الظُّلم والتَّعدِّي ، وأنَّها خلاف دين الإسلام ، وأنَّه يجب التَّوبة منها أنَّها أخفُّ بكثير من فتنة الشَّهوات التي تضلُّ عن دين الإسلام ، و يكون صاحبها من ﴿**الْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] .

وفي الحديث الصَّحيح : «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا (٩٩) .

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، أنقذنا الله وإيَّاكم من الهلكة إنَّه رحيم .

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم : ما أخرجه الإمام أحمد والتِّرمذي وصَّححه والنَّسائي وابن ماجه من حديث عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: " أَلَا إِنَّ الشَّيطان قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا، وَلَكِنْ سَتكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَيَرْضَى بِهَا" (١٠٠) .

وفي صحيح الحاكم عن ابن عبَّاس أنَّ النَّبي ﷺ خطب في حجَّة الوداع ، فقال : قَدْ يَئِسَ الشَّيطان بِأَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهَّ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ " . انتهىٰ (١٠١) .

---

(٩٨) قلت : الحديث أخرجه البخاري (٢/ ٣٣ برقم ١٠٣٧) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

(٩٩) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٥ برقم ٢٦٧٠) .

(١٠٠) أخرجه ابن ماجه (٤/ ٢٤٣ برقم ٣٠٥٥) ، واللفظ له ، التِّرمذي (٤/ ٣١ ، وقال : وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، النَّسائي في السُّنن الكبرىٰ (١٠/ ١١١ برقم ١١١٤٩) .

(١٠١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧١ برقم ٣١٨) ، وقال : قَدِ احْتَجَّ الْبُخَارِيُّ بِأَحَادِيثِ عِكْرِمَةَ وَاحْتَجَّ مُسْلِمٌ بِأَبِي أُوَيْسٍ، وَسَائِرُ رُوَاتِهِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا الْحَدِيثُ لِخُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ مُتَّفَقٌ عَلَى إِخْرَاجِهِ فِي الصَّحِيحِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ

وجه الدّلالة أنَّ رسول الله ﷺ أخبر في هذا الحديث الصَّحيح أنَّ الشَّيطان يئس أن يُعبد في بلد مكَّة ، وكذلك بقوله : " أبداً " لئلَّا يتوهَّم متوهِّم أنَّه حدّ ثمَّ يزول ، وهذا خبر منه ﷺ ، وهو لا يخبر بخلاف ما يقع ، وأيضاً بشرىٰ منه ﷺ لأُمَّته ، وهو لا يبشِّرهم إلَّا بالِّصدق ، ولكنَّه حذَّرهم ما سوىٰ عبادة الأصنام لا ما يحتقرون ، وهذا بيِّنٌ واضح من الحديث، وهذه الأمور التي تجعلونها الشِّرك الأكبر ، وتُسمَّون أهلها عُبَّاد الأصنام أكثر ما تكون بمكَّة المشرَّفة ، وأهل مكَّة المشرَّفة أمراؤها وعلماؤها وعامَّتها علىٰ هذا من مدَّة طويلة ، أكثر من ستمائة عام ، ومع هذا هم الآن أعداؤكم ، يسبُّونكم ويلعنونكم لأجل مذهبكم هذا ، وأحكامهم وحكَّامهم جارية ، وعلماؤها وأمراؤها علىٰ إجراء أحكام الإسلام علىٰ أهل هذه الأمور التي تجعلونها الشِّرك الأكبر ، فإن كان ما زعمتم حقَّاً فهم كُفَّار كُفراً ظاهراً ، وهذه الأحاديث تَرُدُّ زعمكم ، وتبيِّن بطلان مذهبكم ، هذا وقد قال ﷺ في الأحاديث التي في الصَّحيحين وغيرها بعد فتح مكَّة وهو بها : «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ» (١٠٢) .

وقد بيَّن أهل العلم أنَّ المراد : لا هجرة من مكَّة ، وبيَّنوا أيضاً أنَّ هذا الكلام منه ﷺ يدلُّ علىٰ أنَّ مكَّة لا تزال دار إيمان ، بخلاف مذهبكم ، فإنَّكم تُوجبون الهجرة منها إلىٰ بلاد الإيمان بزعمكم التي سمَّاها رسول الله ﷺ بلاد الفتن، وهذا واضح جليٌّ صريح لمن وفَّقه الله وترك التَّعصَّب والتَّمادي علىٰ الباطل ، والله المستعان وعليه التّكلان.

تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» وَذِكْرُ الِاعْتِصَامِ بِالسُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ غَرِيبٌ وَيَحْتَاجُ إليها ". وَقَدْ وَجَدْتُ لَهُ شَاهِدًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وقال الذَّهبي : احتجَّ البخاري بعكرمة واحتجَّ مسلم بأبي أويس عبد الله وله أصل في الصَّحيح) .

(١٠٢) أخرجه البزَّار (١١/ ١٢٢ برقم ٤٨٤٥) .

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم : ما روىٰ مسلم في صحيحه عن سعد عن النَّبي ﷺ أنَّه قال : «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَىٰ لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٠٣) .

وروىٰ أيضاً مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا يَصْبِرُ عَلَىٰ لَأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيدًا» (١٠٤) .

وفي الصَّحيحين من حديث جابر مرفوعاً : «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا» .

أخرجه البخاري (٩/ ٧٩ برقم ٧٢١١) ، مسلم (٢/ ١٠٠٦ برقم ١٣٨٣) .

وفي الصَّحيحين أيضاً عن النَّبي ﷺ : «عَلَىٰ أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلاَئِكَةٌ لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلاَ الدَّجَّالُ» (١٠٥) .

وفي الصَّحيحين أيضاً من حديث أنس عن النَّبي ﷺ : «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ» الحديث (١٠٦) .

وفي الصَّحيحين من حديث أبي سعد مرفوعاً : «لاَ يَكِيدُ أهل الْمَدِينَةِ أَحَدٌ، إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ" (١٠٧) .

وفي التِّرمذي من حديث أبي هريرة يرفعه : « آخِرُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَىٰ الإِسْلاَمِ خَرَابًا الْمَدِينَةُ» (١٠٨) .

وجه الدّلالة من هذه الأحاديث من وجوه كثيرة ، نذكر بعضها :

---

(١٠٣) أخرجه مسلم (٢/ ٩٩٢ برقم ١٣٦٣) .

(١٠٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٠٤ برقم ١٣٧٨) .

(١٠٥) أخرجه البخاري (٢/ ٢٢ برقم ١٨٨٠) ، مسلم (٢/ ١٠٠٥ برقم ١٣٧٩) .

(١٠٦) أخرجه البخاري (٣/ ٢٢ برقم ١٨٨١) ، مسلم (٤/ ٢٢٦٥) .

(١٠٧) أخرجه البخاري (٣/ ٢١ برقم ١٨٧٧) ، مسلم (٢/ ٩٩٢ برقم ١٣٦٣) .

(١٠٨) أخرجه التِّرمذي (٦/ ٢٠٣ برقم ٣٩١٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) .

أحدها : أنَّ النَّبي ﷺ حثَّ علىٰ سُكنىٰ المدينة ، وأخبر أنَّها خيرٌ من غيرها ، وأنَّ أحداً لا يدعها رغبة عنها ألا أبدلها الله بخير منه ، وأخبر أنَّه ﷺ شفيع لمن سكنها ، وشهيد له يوم القيامة ، وذكر أنَّ ذلك لأمَّته ليس لقرن دون قرن ، وأنَّ أحداً لا يدعها إلَّا لعدم علمه ، وأنَّها كالكير تنفي خبثها ، وأنَّها محروسة بالملائكة ، لا يدخلها الطَّاعون ولا الدَّجَّال آخر الدَّهر ، وأنَّ أحدًا لا يكيدها إلَّا انماع كالملح في الماء ، وقال : من استطاع أن يموت فيها فليمت ، وأخبر أنَّها آخر قرية من قرىٰ الإسلام خراباً ، وكلُّ لفظ من هذه الألفاظ يدلُّ علىٰ خلاف قولكم : أنَّ هذه الأمور التي تكفِّرون بها وتسمُّونها أصناماً ، ومن فعل شيئاً منها فهو مشرك الشِّرك الأكبر عابد وثن ، ومن لم يكفِّره فهو عندكم كافر ، معلوم عند كلِّ من عرف المدينة وأهلها أنَّ هذه الأمور فيها كثير وأكثر منه في الزُّبير ، وفي جميع قرىٰ الإسلام ، وذلك فيها من قرون متطاولة تزيد علىٰ أكثر من ستمائة سنة ، وأنَّ جميع أهلها رؤساؤها وعلماؤها وأمراؤها يُجرون علىٰ أهلها أحكام الإسلام ، وأنَّهم أعداؤكم يسبُّونكم ويسبُّون مذهكم الذي هو التَّكفير وتسميته هذه أصناماً وآلهة مع الله ، فعلىٰ مذهبكم أنَّهم كفَّار ، فهذه الأحاديث تردُّ مذهبكم ، وعلىٰ مذهبكم أنَّه يجب علىٰ المسلم الخروج منها ، وهذه الأحاديث تردُّ مذهبكم ، وعلىٰ زعمكم أنَّها تُعبد فيها الأصنام الكبرىٰ ، وهذه الأحاديث تردُّ زعمكم ، وعلىٰ مذهبكم أنَّ الخروج إليكم خيرٌ لهم ، وهذه الأحاديث تردُّ زعمكم ، وعلىٰ مذهبكم أنَّ أهلها لا يشفع لهم رسول الله ﷺ ، لأنَّ من جعل مع الله إلهاً آخر فبالإجماع هو شفيع يُطاع ، وهذه الأحاديث تردُّ زعمكم .

وممَّا يزيد الأمر وضوحاً أنَّ ممَّا بشَّر به النَّبي ﷺ : أنَّ الدَّجَّال الذي يأتي آخر الزَّمان لا يدخلها ، والدَّجَّال لا فتنة أكبر من فتنته ، وغاية ما يطلب من النَّاس عبادة غير الله ، فإذا كانت هذه الأمور التي تسمُّون من فعلها جاعلاً مع الله إلهاً آخر عابد صنم مشركاً بالله الشِّرك الأكبر ملأت المدينة من ستمائة أو سبعمائة سنة أو أكثر أو أقل ، حتَّىٰ أنَّ جميع أهلها يعادون وينكرون علىٰ ما أنكره ، فما فائدة عدم دخول الدَّجَّال ، وهو ما يطلب من النَّاس إلَّا الشِّرك ؟!! وما فائدة بُشرىٰ النَّبي ﷺ بعدم دخوله علىٰ المشركين ؟!! فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

لو تعرفون لازم مذهبكم بل صريح قولكم لاستحييتم من النَّاس إن لم تستحيوا من الله ، ومن تأمَّل هذه الأحاديث وجد فيها أكثر ما ذكرنا يدلُّ علىٰ بطلان قولكم هذا ، ولكن لا حياة لمن تُنادي ، أسأل الله لي ولكم العافية والسَّلامة من الفتن .

فَصْلٌ: وممَّا يدلُّ علىٰ بطلان مذهبكم : ما روىٰ مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة: ٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَىٰ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ» (١٠٩) .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّال " (١١٠) .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّين قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ» . رواه مسلم (١١١) .

وَعَن عُقْبَة بِن عَامِرقال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ:: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ أَمْرِ الله، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ الله: أَجَلْ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» . رواه مسلم (١١٢) .

---

(١٠٩) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٣٠ برقم ٢٩٠٧) .

(١١٠) أخرجه أحمد في المسند (٣٣/ ١٤٩ برقم ١٩٩٢٠) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم " .

(١١١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٤ برقم ١٩٢٢) .

(١١٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٤ برقم ١٩٢٤) .

وروىٰ مسلم أيضاً عن عبد الله بن عمر قال : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " يَخْرُجُ الدَّجَّال فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ" ، وذكر الحديث ، وفيه : أنَّ عيسىٰ يقتل الدَّجَّال ، وذكر الرِّيح ، وقبض أرواح المؤمنين ، ويبقىٰ شِرَارُ النَّاسِ" إلىٰ أن قال : ويَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ" ، وذكر الحديث .

أقول: في هذه الأحاديث الصَّحيحة أبين دلالة علىٰ بطلان مذهبكم ، وهي أنَّ جميع هذه الأحاديث مصرِّحة بأنَّ الأصنام لا تُعبد في هذه الأُمَّة إلَّا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين آخر الدَّهر ، وذلك أنَّ النَّبي ﷺ ذكر عبادة الأوثان ، وأنَّها كائنة، فعرضت عليه الصِّدِّيقة مفهومها من الآية الكريمة أنَّ دين محمَّد ﷺ لا يزال ظاهراً علىٰ الدِّين كلِّه ، وذلك أنَّ عبادة الأصنام لا تكون مع ظهور الدِّين ، فبيَّن لها ﷺ مُراده في ذلك ، وأخبرها أنَّ مفهومها من الآية حقٌّ ، وأنَّ عبادة الأصنام لا تكون إلَّا بعد انخرام أنفس جميع المؤمنين ، وأمَّا قبل ذلك فلا ، وهذا بخلاف مذهبكم ، فإنَّ اللات والعزَّىٰ عُبدت علىٰ قولكم في جميع بلاء المسلمين من قرون متطاولة ، ولم يبق إلَّا بلادكم من أن ظهر قولكم هذا من قريب ثمان سنين ، فزعمتم أنَّ من وافقكم علىٰ جميع قولكم فهو المسلم ، ومن خالفكم فهو الكافر ، وهذا الحديث الصَّحيح وهو يبيِّن بطلان ما ذهبتم إليه لمن له أُذن واعية .

وأيضا في حديث عمران : أنَّ الطَّائفة المنصورة لا تزال تقاتل علىٰ الحقِّ حتىٰ يقاتل آخرهم المسيح الدَّجَّال ، وكذلك حديث عقبة : أنَّ العصابة يقاتلون علىٰ الحقِّ ، وأنَّهم لا يزالون قاهرين لعدوِّهم حتَّىٰ تأتيهم السَّاعة وهم علىٰ ذلك ، ومعلوم أنَّ الدَّجَّال غاية ما يدعوهم إليه عبادة غير الله تعالىٰ ، فإذا كان عبادة غير الله تعالىٰ ظاهرة في جميع بلاد المسلمين ، فما فائدة فتنة الدَّجَّال التي حذَّر عنها جميع الأنبياء أممهم ، وكذلك نبيّنا ﷺ حذَّر من فتنته ، وأين العصابة الذين يقاتلون علىٰ الحقِّ الذين آخرهم يقاتل الدَّجَّال عن قتال هؤلاء المشركين علىٰ زعمكم الذين يجعلون مع الله آلهة أخرىٰ ، أتقولون خفيُّون .

ففي هذه الأحاديث أنَّهم ظاهرين ، أتقولون مستضعفون ، ففي هذه الأحاديث أنَّهم قاهرين لعدوِّهم ، أتقولون يأتون زمن الدَّجَّال ، ففي هذه الأحاديث أنَّهم ما زالوا ولا يزالون ، أتقولون أنَّهم أنتم ، فأنتم مدَّتكم من ثمان سنين ، أخبرونا من قال هذا القول قبلكم حتَّىٰ نصدِّقكم وإلَّا فلستم هم . ففي هذا والله أعظم الرَّد عليكم ، والبيان لفساد أقوالكم ، فصلوات الله وسلامه علىٰ من أتىٰ بالشَّريعة الكاملة التي فيها بيان ضلال كلّ ضالّ .

وكذلك في حديث عبدالله بن عمرو : أنَّ الشَّيطان بعد انخرام أنفس المؤمنين ، يتمثَّل للنَّاس يدعوهم إلىٰ الاستجابة، فيقولون له : فماذا تأمرنا ؟!! فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فإذا كان بلاد المسلمين حجازاً ويمناً وشاماً وشرقاً وغرباً امتلأت من الأصنام وعبادتها علىٰ زعمكم ، فما فائدة الإخبار بهذه الأحاديث أنَّ الأوثان لا تُعبد إلَّا بعد أن يتوفَّىٰ اللهُ سبحانه وتعالىٰ كلَّ من في قلبه حبَّة خردل من إيمان ؟؟ وما فائدة قتال الدَّجَّال آخر الزَّمان ، وفي هذه الأزمان المتطاولة من قريب ستمائة سنة أو سبعمائة سنة ما يقاتلون أهل الأوثان والأصنام علىٰ زعمكم ، والله كما قال تبارك وتعالىٰ : **﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** [الحج:٤٦] ، وفي هذه الوجوه التي ذكرنا من السُّنَّة كفاية لمن قصده اتِّباع الحقّ وسلوك الصِّراط المستقيم ، وأمَّا من أعماه الهوىٰ ورؤية النَّفس ، فهو كما قال جلَّ وعلا : **﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾** [الأنعام:١١١] ، ونحن نعرض علىٰ من خالف الشَّرع ، ونسأله بالله الذي لا إله إلَّا هو أن يعطونا من أنفسهم شرع الله الذي أنزل علىٰ رسوله ، وبيننا وبينهم من أرادوا من علماء الأُمَّة ، ولهم علينا عهد الله وميثاقه إن كان الحق معهم لنتَّبعهم ، ولكن من أعجب العجاب استدلال بعضكم بقصَّة قدامة بن مظعون ومن معه ، حيث استحلُّوا الخمر متأوِّلين قوله : **﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا﴾** [المائدة:٩٣] الآية ، وأنَّ عمر مع جميع الصَّحابة أجمعوا أنَّهم إن رجعوا واقرُّوا بالتَّحريم وإلَّا قتلوا ، فأقول: تحريم الخمر معلوم بالضَّرورة من دين الإسلام من الكتاب والسُّنَّة وجميع علماء الأُمَّة ، ومع هذا أجمع المهاجرون والأنصار وكلُّ مسلم في زمنهم علىٰ تحريمه ، والإمام ذلك الوقت لجميع الأُمَّة إمام

واحد ، والدِّين في نهاية الظُّهور ، وكلُّ هذا والذين استحلُّوا الخمر لم يكفِّرهم عمر ولا أحد من الصَّحابة إلَّا إن عاندوا بعد أن يدعوهم الإمام ويبيِّن لهم بيانًا واضحاً لا لُبس فيه ، فإن عاندوا بعد إقامة الحجَّة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة الإجماع القطعي والإمام العدل الذي أجمعت على إمامته جميع الأُمَّة ، فإن عاندوا بعد ذلك أقيم عليهم حدُّ القتل ، ومع هذا كلِّه تجعلون من خالفكم في مفاهيمكم الفاسدة التي لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتبعكم عليها ويقلِّدكم فيها كافراً ، وتحتجُّون بهذه القصَّة ، بل والله لو احتجَّ بها محتجٌّ عليكم وجعل سبيلكم سبيل الذين استحلُّوا الخمر لكان أقرب إلى الصَّواب من احتجاجكم بها على من خالفكم ، جعلتم أنفسكم كعمر في جميع المهاجرين والأنصار ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، ما أطمّها من بليَّة .

ومن العجايب أيضاً : احتجاجكم بعبارة الشَّيخ التي في الإقناع : أنَّ من قال أنَّ عليَّاً إله ، وأنَّ جبريل غلط ، فهذا كافر ، ومن لم يكفِّره فهو كافر ، فيا عجب العجب ، وهل يشكُّ مسلم أنَّ من قال مع الله إلهاً آخر لا علي ولا غيره أنَّه مسلم ؟ وهل يشكُّ مسلم أنَّ من قال أنَّ الرُّوح الأمين صرف النُّبوَّة عن عليٍّ إلى محمَّد ﷺ أنَّ هذا مسلم ؟ ولكن أنتم تنقلون أنَّ من قال علي إله إلى من سمَّيتم أنتم أنَّه إله ، ومن فعل كذا وكذا فهو وجاعله إلهاً أو من نذر له أو من فعل كذا وكذا ، ولكن هذه تسميتكم التي اخترعتموها من بين سائر أهل العلم ، وحملتم كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وكلام أهل العلم رحمهم الله على مفاهيمكم الفاسدة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

فَصْلٌ: ولنذكر شيئاً ممَّا ذكره بعض أهل العلم في صفة مذهب المشر كين الذين كذَّبوا الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم . قال ابن القيِّم : كان النَّاس على الهدى ودين الحق فكان أوَّل من كادهم الشَّيطان بعبادة الأصنام وإنكار البعث ، وكان أوَّل من كادهم من جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها كما قصَّه الله عنهم في كتابه بقوله : ﴿**وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾ [نوح:٢٣] ، قَالَ ابْن عَبَّاس كَانَ هَؤُلَاءِ رجَالًا صالحين من قوم نوح فَلَمَّا

هَلَكُوا أُوحِي الشَّيَاطِين إِلَى قَومِهِمْ أَن انصبوا علىٰ مجَالِسهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا أنصابا وسموها بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلم تعبد حَتَّىٰ إِذا هلك أُولَئِكَ وَنسخ الْعلم عبدت" (١١٣) . انتهىٰ .

فأرسل الله لهم نوحاً بعبادة الله وحده ، فكذَّبوه فأهلكهم الله بالطُّوفان ، ثمَّ إنَّ عمر بن عامر بن لحي أوَّل من غيَّر دين ابراهيم عليه السَّلام ، واستخرج أصنام قوم أو نوح من شاطئ البحر ، ودعىٰ العرب إلىٰ عبادتها ففعلوا ، ثمَّ إن العرب بعد ذلك بمدَّة عبدوا ما استحسنوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم عبادة الأوثان ، وبقي فيهم من دين ابراهيم تعظيم البيت والحيج ، وكانت نزار تقول في تلبيتها : لبَّيك لا شريك لك إلَّا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، إلىٰ أن قال : وكان لأهل كل واد صنم يعبدونه ثمَّ بعث الله محمداً ﷺ بالتَّوحيد قالت قريش : **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾** [ص:٥] ، وكان الرَّجل إذا سافر، فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلىٰ أحسنها، فاتخذه ربَّاً، وجعل الثَّلاثة أثافي لقدره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

وروىٰ حنبل عن أبي رجاء العُطارِدىٰ قال : كنَّا نعبد الحجر فىٰ الجاهليَّة، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقي ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثمَّ جئنا بغنم فحلبناها عليه، ثمَّ طفنا به.

وعن أبي عثمان النَّهدي، قال : كنَّا فىٰ الجاهليَّة نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل الرِّحال، إنَّ ربَّكم قد هلك، فالتمسوا ربَّاً، قال: فخرجنا علىٰ كلِّ صعب وذلول، فبينا نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادي: إنَّا قد وجدنا ربَّكم، أو شبهه، فإذا حجر، فنحرنا عليه الجزر.

ولمَّا فتح رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم مكَّة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعن بسية قوسه في وجوهها، وعيونها، ويقول: **﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلَ إن الباطلَ كَانَ زَهُوقاً﴾** [الإسراء: ٨١] ، وهي تتساقط علىٰ رؤوسها، ثمَّ أمر بها، فأُخرجت من المسجد وحرقت.

---

(١١٣) انظر : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ١٩٧) .

قال : وتلاعبُ الشَّيطان بالمشركين فى عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكلِّ قوم على قدر عقولهم. فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى، الذين صوَّروا تلك الأصنام على صورهم، كما تقدَّم عن قوم نوح عليه السَّلام، وبعضهم اتَّخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثِّرة فى العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسدنة، وحجَّاباً، وحجَّاً وقرباناً .

ومن عبادة الأصنام : عبادة الشَّمس، زعموا أنَّها مَلك من الملائكة، لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السُّفليَّة كلّها عندهم، منها، من عندهم ملك الفلك، فيستحقُّ التَّعظيم والسُّجود..

ومن شريعتهم فى عبادتها: أنَّهم اَتخذوا لها صنماً بيده جوهرة على لون النَّار. وله بيت خاصٌّ قد بنوه باسمه، وجعلوا له الوقوف الكثيرة، من القرى والضِّياع، وله سدنة وقوام وحَجَبة، يأتون البيت ويصلُّون فيه لها ثلاث كرَّات فى اليوم. ويأتيه أصحاب العاهات ، فيصومون لذلك الصَّنم ويصلُّون، ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشَّمس سجدوا كلُّهم لها، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك.

وطائفة أخرى اتَّخذت للقمر صنماً، وزعموا أنَّه يستحقُّ التَّعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السُّفلي.

ويعبدونه، ويسجدون له ويصومون له أيَّاما معلومة من كلِّ شهر، ثمَّ يأتون إليه بالطَّعام والشَّراب، والفرح .

ومنهم من يعبد أصناما اتَّخذوها على صورة الكواكب ، وبنوا لها هياكل، ومتعبَّدات، لكلِّ كوكب منها هيكل يخصُّه، وصنم يخُّصه، وعبادة تخصُّه.

وكلُّ هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنَّهم لا تستمُّر لهم طريقة إلَّا بشخص خاص على شكلٍ خاصٍّ، ينظرون إليه، ويعكفون عليه.

إلى أن قال : ومنهم من عبَدَ النَّار حتَّى اتَّخذوها آلهة معبودة ، وبنوا لها بيوتاً كثيرة ، وجعلوا لها الحجاب والخزنة ، حتَّى لا يدعوها تخمد لحظة ، ومن عبادتهم لها أنَّهم يطوفون بها ، ومنهم من

يُلقي نفسه فيها تقرُّباً إليها ، ومنهم من يلقي ولده فيها متقرِّبا إليها ، ومنهم عبَّاد زهَّاد عاكفين صائمين لها ، ولهم في عبادتها أوضاع لا يخلُّون بها ، ومن النَّاس طائفة تعبد الماء وتزعم أنَّه أصل كلِّ شيء ، ولهم في عبادته أمور كثيرة ، منها : تسبيحه ، وتحميده ، والسُّجود له ، ومن النَّاس طائفة عبدت الحيوان ، منهم من عبدَ البقر ، ومنهم من عبدَ الخيل ، ومنهم عن عبدَ البشر ومنهم من عبد الشَّجر ، ومنهم من عبد الشَّيطان ، قال تعالىٰ : **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾** [يس:٦٠] ، الآيتين ، قال : ومنهم من يقرُّ أنَّ للعالِم صانعًا فاضلاً حكيماً مقدَّساً عن العيوب والنَّقائص ، قالوا : ولا سبيل لنا إلىٰ الوصول إليه إلَّا بالوسائط ، فالواجب علينا أن نتقرَّب إليه بتوسُّطات الرَّوحانيَّات القريبة منه ، فنحن نتقرَّب إليهم ونتقرَّب بهم إليه ، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند ربِّ الأرباب وإله الآلهة ، فما نعبدهم إلَّا ليقرِّبونا إلىٰ الله زُلفىٰ ، فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم ، ونعرض أحوالنا عليهم ، ونصبوا في جميع أمورنا ، فيشفعون إلىٰ إلهنا وإلههم ، وذلك لا يحصل إلَّا باستمداد من جهة الرّوحانيات ، وذلك بالتَّضرُّع والابتهال من الصَّلوات لهم ، والزَّكاة ، وذبح القرابين ، والبخورات ، وهؤلاء كفروا بالأصلين الَّذين جاءت بها جميع الرُّسل ، أحدهما : عبادة الله وحده لا شريك له ، والثَّاني : الإيمان برسله وما جاءوا به من عند الله تصديقاً وإقراراً وانقياداً ، وهذا مذهب المشركين من سائر الأمم .

قال : والقرآن والكُتب الإلهيَّة مصرِّحة ببطلان هذا الدِّين ، وكفر أهله ، قال : فإنَّ الله سبحانه ينهىٰ أن يجعل غيره مثْلاً له وندًّا له وشبَهاً ، فإنَّ أهل الشِّرك شبَّهوا من يعظِّمونه ويعبدونه بالخالق ، وأعطوه خصائص الإلهيَّة ، وصرَّحوا أنَّه أنَّه إله ، وأنكروا جعل الإلهيَّة إلهاً واحداً ، وقالوا : اصبروا علىٰ آلهتكم ، وصرَّحوا بأنَّه إله معبود ، يُرجىٰ ويُخاف ويعظَّم ويُسجد له ، وتُقرَّب له القرابين ، إلىٰ غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلَّا لله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ : **﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾** [البقرة:٢٢] ، وقال : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً﴾** [البقرة:١٦٥] الآية ، فهؤلاء جعلوا المخلوقين مثْلاً للخالق ، والنِّد : الشِّبه ، يقال : فلان ندُّ فلان وندُّ ندِّه ، أي : مثْله وشبهه ، قال ابن زيد : الآلهة التي جعلوها معه ، وقال الزجَّاج : أي : لا تجعلوا لله أمثالاً ونظراء ، ومنه قوله

عزَّ وجلَّ : ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] ، أي : يعدلون به غيره ، فيجعلون له من خلقه عدلاً وشبهاً .

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما : يريد يعدلوا بي من خلقى الأصنام والحجارة بعد أن أقرُّوا بنعمتي وربوبيَّتي . قال الزَّجَّاج: اعلم أنَّه خالق ما ذكره في هذه الآية ، وأنَّ خالقها لا شيء مثله ـ واعلم أنَّ الكفَّار يجعلون له عدلاً ، والعدل : التَّسوية ، يقال : عدل الشَّيء بالشَّيء إذا ساواه ، قال تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] ، قال ابن عبَّاس رضى الله تعالى عنهما : شبهاً ومثْلاً هو ومن يساميه ، وذلك نفي للمخلوق أن يكون مشابهاً للخالق ومماثلاً له ، بحيث يستحقُّ العبادة والتَّعظيم ، ومن هذا قوله : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] ، وقوله : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] الآية ، أنَّما قصد به نفي أن يكون له شريك أو معبود يستحقُّ العبادة والتَّعظيم ، وهذا الشَّبيه هو الذي أبطل نفياً ونهياً هو أصل شرك العالم وعبادة الأصنام ، ولهذا نهى النَّبي ﷺ أن يسجد لمخلوق مثله أو يحلف أو يقول : ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك حذراً من هذا التَّشبيه الذي أصل شرك العالم . انتهى كلام ابن القيِّم ملخَّصاً.

وإنَّما نقلنا هذا لتعلموا صفة شرك المشركين ، ولتعلموا أنَّ هذه الأمور التي تكفِّرون بها ، وتُخرجون المسلم بها من الإسلام ، ليست كما زعمتم أنَّه الشِّرك الأكبر شرك المشركين الذين كذَّبوا جميع الرُّسل في الأصلين ، وانَّما هذه الأفعال التي تكفِّرون بها من فروع هذا الشِّرك ، ولهذا قال من قال من العلماء أنَّها شرك ، وسمَّاها شركاً ، وعدَّها في الشِّرك الأصغر ، ومنهم من لم يسمِّها شركاً ، وذكرها في المحرَّمات ، ومنهم من عدَّ بعضها في المكروهات ، كما هو مذكور في مواضعه من كتب أهل العلم من طلبه وجده ، والله سبحانه يجنِّبنا وجميع المسلمين جميع ما يغضبه آمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

فَصْلٌ: ولنختم هذه الرِّسالة بشيء ممَّا ذكره النَّبي ﷺ في حقيقة الإسلام وصفة المسلم .

الحَدِيْثُ الأوَّلُ: حديث عمر أنَّ جبريل عليه السَّلام سأل النَّبي ﷺ عن الإسلام ،قال «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ

رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إليه سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، إلى آخر الحديث ، وفيه : «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» . رواه مسلم ، ورواه البخاري بمعناه (١١٤) .

الحَدِيْثُ الثَّانِي: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (١١٥) . رواه البخاري ومسلم .

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ: في الصَّحيحين عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، قال : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوُا النَّبي ﷺ فَقَالَ: «مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ» قَالُوا: رَبِيعَةُ فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى» قَالُوا: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كفَّار مُضَرَ، وَلاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ» وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالحَنْتَمِ وَالمُزَفَّتِ " قَالَ شُعْبَةُ: رُبَّمَا قَالَ: «النَّقِيرِ» وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» قَالَ: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ» (١١٦) .

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ: عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال : «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أهل الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ،

---

(١١٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٦ برقم ٨) .

(١١٥) أخرجه البخاري (١/ ١١ برقم ٨) ، مسلم (١/ ٤٥ برقم ١٦) .

(١١٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٩ برقم ٨٧) ، مسلم (١/ ٤٧ برقم ١٧) .

فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ ... » . رواه البخاري (١١٧) .

الحَدِيثُ الخَامِسُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ» . رواه البخاري ومسلم (١١٨) .

الحَدِيْثُ السَّادِسُ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ " . رواه البخاري ومسلم ، ورواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة بزيادة : وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، ثُمَّ قَدْ حُرِّمَ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " (١١٩) .

الحَدِيْثُ السَّابِعُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ» رواه مسلم (١٢٠) .

الحَدِيْثُ الثَّامِنُ: حديث بريدة بن الحصيب كَانَ النَّبِي ﷺ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا « وذكر الحديث وفيه ، إِذَا حَاصَرْتُمْ أهل مَدِينَةٍ، أَوْ أهل حِصْنٍ، فَادْعُوهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَإِنْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَلَهُمْ مَا لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ ... » الحديث رواه مسلم (١٢١) .

---

(١١٧) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٤ برقم ١٣٩٥) ، مسلم (١/ ٥٠ برقم ١٩) ، واللفظ له .

(١١٨) أخرجه البخاري (١/ ١٤ برقم ٢٥) ، مسلم (١/ ٥٣ برقم ٢٢) .

(١١٩) أخرجه البخاري (٩/ ١٥ برقم ٦٩٢٤) ، مسلم (١/ ٥٢ برقم ٢١) ، أحمد في المسند (١٤/ ٢٢٢ برقم ٨٥٤٤) ، ابن خزيمة في الصَّحيح (٤/ ٨ برقم ٢٢٤٨) ، ابن ماجه (٢/ ١٢٩٥ برقم ٣٩٢٩) .

(١٢٠) أخرجه مسلم (١/ ٥٢ برقم ٢١) .

(١٢١) الحديث لم أجده في صحيح مسلم ، وأخرجه البغوي في شرح السنة (١١/ ١١ برقم ٢٦٦٩) .

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ: عن المقداد بن الأسود أنّه قال : « يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَىٰ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ للهَّ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ الله، بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنَّه قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا تَقْتُلْهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ» رواه البخاري ومسلم (١٢٢) .

الحَدِيْثُ العَاشِرُ: حديث أُسامة وقتله الرَّجل بعد ما قال : لَا إِلَهَ إِلَّا الله : فكيف تصنع بلا إله إلَّا الله يوم القيامة فقال: يا رسول الله إنَّما قالها تعوذاً ، قال هلَّا شققت عن قلبه ، وجعل يكرِّر عليه : من لك بلا إله إلَّا الله يوم القيامة ، قال اسامة حتَّىٰ تمنَّيت أن لم أكن أسلمت يومئذ» والحديث في الصَّحيح حديث أُسامة في الصَّحيحين(١٢٣) .

لفظه عن أُسامة ، قال : « بَعَثَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّىٰ قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِي ﷺ ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ" (١٢٤) .

وفي رواية أنَّه قال : « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ » (١٢٥) .

وروىٰ ابن مردويه عن ابراهيم التَّيمي عن أبيه عن أُسامة ، قال : لا أقتل رجلاً يقول : لَا إِلَهَ إِلَّا الله أبداً ، قال : فقال سعد بن مالك : وأنا والله لا أقتل رجلاً يقول : لَا إِلَهَ إِلَّا الله أبداً» .

---

(١٢٢) أخرجه البخاري (٥/ ٨٥ برقم ٤٠١٩) ، مسلم (١/ ٩٥ برقم ٩٥) ، واللفظ له .

(١٢٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٤٤ برقم ٤٢٦٩) ، مسلم (١/ ٩٦ برقم ٩٦) .

(١٢٤) أخرجه البخاري (٩/ ٤ برقم ٦٨٧٢) .

(١٢٥) أخرجه مسلم (١/ ٩٦ برقم ٩٦) .

الحَدِيْثُ الحَادِيْ عَشَر: بَعَثَ النَّبي ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَىٰ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ النَّبي ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبي ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ» . رواه أحمد والبخاري (١٢٦) .

الحَدِيْثُ الثَّانِي عَشَر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَىٰ الْفِطْرَةِ» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ» فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًىٰ . رواه مسلم (١٢٧) .

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ عَشَر: عَنْ عِصَام المُزَنِي ، قَالَ: كَانَ النَّبي ﷺ إِذَا بَعَثَ السَّرِيَّةَ يَقُولُ: " إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمْ مُنَادِيًا، فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا» رواه أحمد وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجه (١٢٨) .

---

(١٢٦) أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ٤٤٤ برقم ٦٣٨٢) ، البخاري (٥/ ١٦٠ برقم ٤٣٣٩) ، واللفظ له .

(١٢٧) أخرجه مسلم (١/ ٢٨٨ برقم ٣٨٢) .

(١٢٨) أخرجه أحمد في المسند (٢٤/ ٤٨٨ برقم ١٥٧١٤) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف، لجهالة ابن عصام المزني، قال الذَّهبي في "الكاشف": تفرَّد عنه عبد الملك بن نوفل، وقال الحافظ في "التَّقريب": لا يُعرف حاله. قلنا: ولم يؤثر توثيقه عن أحد. وعبد الملك بن نوفل بن مساحق لم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبَّان. سفيان: هو ابن عينية. وأخرجه مطوَّلاً الطَّبراني في "الكبير" (١٧/ (٤٦٧) من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد. وأخرجه الشَّافعي في "المسند" (٢/ ١١٦) (بترتيب السُّندي) ، والحميدي (٨٢٠) مطولاً، وسعيد بن منصور في "السُّنن" (٢٣٨٥) ، وأبو داود (٢٦٣٥)، والتِّرمذي (١٥٤٩) ، والنَّسائي في "الكبرىٰ" (٨٨٣١) ، والبزَّار (١٧٣١) "زوائد" مطولاً، والطَّبراني (١٧/ (٤٦٧) مطوَّلاً، والبيهقي في "السُّنن" (٩/ ١٨٢) ، والبغوي في "شرح السُّنَّة" (٢٧٠٣) ، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٤/ ٣٦) ، والمزِّي في تهذيب الكمال" (١٨/ ٤٣٠) من طرق عن سفيان بن عينية، به. قال التِّرمذي في مطبوع "السُّنن": هذا حديث غريب، وهو حديث ابن عينية، قلنا: لكن نقل المنذري في "مختصر سنن أبي داود" (٣/ ٤٣٢) ، والمزِّي في "تهذيب الكمال" (١٨/ ٤٣٠) ، و"تحفة الأشراف" (٧/ ٢٩٦) أنَّه قال: حسن غريب، ونقل تحسين التِّرمذي

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ عَشَر: ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا» . رواه مسلم (١٢٩) .

الحَدِيْثُ الخَامِسُ عَشَر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهَّ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللهَّ فِي ذِمَّتِهِ» . رواه البخاري (١٣٠) .

الحَدِيْثُ السَّادِسُ عَشَر: عن أبي سعيد في حديث الخوارج ، فقال ذو الخويصرة للنبي ﷺ : اتَّق الله ، فقال : «وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أهل الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ» قَالَ: ثمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» قَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ

له أيضاً الهيثمي في "المجمع" كما سيرد. وأورده الهيثمي لروايته المطوَّلة في "المجمع" (٥/ ٣٢٤) و (٦/ ٢١٠) ، وقال في الموضع الأوَّل: رواه الطَّبراني والبزار، وقد حسَّن التِّرمذي هذا الحديث، وإسنادهما أفضل من إسناده. قلنا: إنما رووه جميعاً من طريق سفيان بن عيينة، به، كما تقدَّم، فما ندري ما هو وجه أفضليَّة إسنادهما! والتِّرمذي رواه مختصراً، وقال في الموضع الثَّاني: رواه الطَّبراني والبزَّار، وإسنادهما حسن! وقول عصام في آخر هذه الرِّواية: بعثنا رسولُ الله ﷺ في سرية، هو طرف الرِّواية المطولة التي أخرجها الحميدي والبزَّار والطبراني، وفيها: فأمرنا بذلك، فخرجنا قِبَلَ تهامة، فأدركنا رجلاً يسوق بظعائن، فقلنا له: أسلم، فقال: وما الإسلام ... إلخ القصة. وقد ذكر الحافظ في "الإصابة" في ترجمة مساحق جد عبد الملك بن نوفل، أن أبا بكر بن المقرئ أخرج في "فوائده" هذا الحديث لكن من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جده مساحق، مطولاً. ثمَّ قال الحافظ: وهذا الحديث يعرف من رواية عبد الملك بن نوفل، عن ابن عصام، عن أبيه. وذكره أبو موسى، وأشار إلى أن هذه الرِّواية (يعني رواية مساحق) شاذة، ولكن يحتمل إن كان راويها حفظها أن يكون لسفيان فيه إسنادان. قال السندي: قوله: "إذا رأيتم مسجداً"، أي: في قريةٍ أحداً من تلك القرية خوفاً من أن تقتلوا مسلماً، ومنه يوجد تغليب الحرام عند الاشتباه" .

(١٢٩) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٨٠ برقم ١٨٥٤) .

(١٣٠) أخرجه البخاري (١/ ٨٧ برقم ٣٩١) .

بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ» . رواه مسلم (١٣١) .

الحَدِيْثُ السَّابِعُ عَشَر: عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْأَنْصَارِ حَدَّثَهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَسَارَّهُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَجَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ " قَالَ الْأَنْصَارِيُّ؟ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ ، قَالَ: " أَلَيْسَ يُصَلِّي؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللهُ عَنْهُمْ " . رواه الشَّافعي وأحمد (١٣٢) .

---

(١٣١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٤٢ برقم ١٠٦٤) .

(١٣٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٧٣ برقم ٢٣٦٧٠) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيِّه، وإبهامه لا يضرُّ، وقد سمِّي في الروايات الأخرىٰ عبدَ الله بن عدي الأنصاري. وأخرجه ابن عبد البر في "التمهيد" (١٠/ ١٥٠ و١٦٤) من طريق روح بن عبادة، عن مالك، عن الزُّهري، بهذا الإسناد. وأخرجه مرسلاً مالك في "الموطأ" (١/ ١٧١) عن الزُّهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنَّه قال: بينما رسول الله ﷺ جالسٌ فذكره، ومن طريقه أخرجه الشافعي في "المسند" (١/ ١٣-١٤) ، والبيهقي في "السنن" (٨/ ١٩٦) ، وفي "معرفة السُّنن والآثار" (٧٣٠٢) و (١٦٥٧٧) ، وابن عبد البر في "التمهيد" (١٠/ ١٦٣). وقد سقط مالك من مطبوع "معرفة السُّنن والآثار" في الموضع الثاني. وأخرجه ابن عبد البر (١٠/ ١٦١) من طريق مُحَمَّد بن بكر، عن ابن جريج، به مرسلاً. وأخرجه ابن عبد البر في "التمهيد" (١٠/ ١٦٢ و١٦٥ و١٦٥-١٦٦ و١٦٧) من طرق عن الزُّهري، به. وذهب ابن عبد البر إلىٰ أن الرجل المتَّهم بالنفاق هو مالك بن الدُّخشُم واستشهد بقصة عِتّبان بن مالك زاره رسول الله ﷺ في بيته، فذُكِر مالك بن الدُّخشُم واتُّهِم بالنفاق! وانظر قصة عتبان هذه في "المسند" (١٦٤٨٢) . قلنا: ومالك بن الدُّخشم شهد بدراً، وهو الذي أَسَر سهيل بن عمرو. قال ابن الأثير في "أُسد الغابة" (٥/ ٢٢-٢٣) : ولا يصحُّ عنه النفاق، وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتِّهامه، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ فأحرق مسجد الضرار هو ومعن بن عدي. وفي باب النهي عن قتل المصلِّين عن أبي هريرة عند أبي داود (٤٩٢٨) ، وأبي يعلىٰ (٦١٢٦) . وفي باب حقن دم من نطق بلا إله إلا الله، عن غير واحد من الصحابة، انظر حديث أبي هريرة السالف برقم (٨١٦٣) . قال ابن عبد البر: وفي هذا الحديث من الفقه إباحة المناجاة والتسار مع الواحد دون الجماعة،

الحَدِيْثُ الثَّامِنُ عَشَر: في الصَّحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبي ﷺ ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللهَّ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا، فَلَمَّا وَلَّىٰ، قَالَ النَّبي ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أهل الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا» (١٣٣) .

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ عَشَر: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبي ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهَّ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَقُمْتُهُ، فممن أنا؟ قال: "من الصديقين والشهداء" . رواه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما (١٣٤) .

الحَدِيْثُ العشرون: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» . رواه مسلم (١٣٥) .

الحَدِيْثُ الحَادِيْ وَالعِشْرُوْن: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِالله رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» . رواه مسلم (١٣٦) .

فإن ذلك يُجزنه، وأن مناجاة الاثنين دون الجماعة لا بأس بذلك بدليل هذا الحديث وغيره وفي قول رسول الله ﷺ أولئك الذين نهاني الله عنهم، ردٌّ لقول صاحبه القائل له: بلىٰ ولا صلاة له، بلىٰ ولا شهادة له، لأن رسول الله ﷺ قد أثبت له الشهادة والصلاة، ثمَّ أخبر أن الله نهاه عن قتلهم، يعني عن قتل من أقر ظاهراً، وصلىٰ ظاهراً" .

(١٣٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٥ برقم ١٣٩٧) ، مسلم (١/ ٤٤ برقم ١٤) .

(١٣٤) أخرجه ابن حبَّان في الصَّحيح (٨/ ٢٢٤ برقم ٣٤٣٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. وأخرجه البزَّار (٢٥) عن مُحَمَّد بن رزق الكلوذاني وعمر بن الخطاب السجستاني، كلاهما عن الحكم بن نافع، بهذا الإسناد. وقال: وهذا لا نعلمه مرفوعاً إلا عن عمرو بن مرة بهذا الإسناد. وأورده الهيثمي في "المجمع"(١/ ٤٦) ، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصَّحيح خلا شيخي البزار، وأرجو إسناده أنَّه حسن أو صحيح. وزادالسيوطي نسبته في "الجامع الكبير" (٢/ ٥٨٢) إلىٰ ابن منده وابن جرير وابن عساكر" .

(١٣٥) أخرجه مسلم (١/ ٦٢ برقم ٣٤) .

الحَدِيْثُ الثَّانِي وَالعِشْرُوْن: في الصَّحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (١٣٧) .

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُوْن : حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ، وَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُهُ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَقَعُ فِي آلِهَتِنَا، وَقَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: " يَا عَمِّ أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ "، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: " لَا إِلَهَ إِلا اللهُ " فَقَامُوا: فَقَالُوا: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟ قَالَ: وَنَزَلَ: **﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾** [ص: ١] ، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: **﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** [ص: ٥] . رواه أحمد والنسائي والترمذي وحسنه (١٣٨) .

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُوْن : في الصَّحيحين عَنْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّه أَخْبَرَهُ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ

---

(١٣٦) أخرجه مسلم (١/ ٢٩٠ برقم ٣٨٦) .

(١٣٧) أخرجه البخاري (١/ ١١ برقم ٩) ، مسلم (١/ ٦٣ برقم ٣٥) .

(١٣٨) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٨ برقم ٢٠٠٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف، يحيى بن عمارة، ويقال: يحيى بن عباد، ويقال: عباد، تفرد عنه الأعمش فهو في عداد المجهولين وإن ذكره ابن حبَّان في "الثقات". واخرجه التِّرمذي بأثر الحديث (٣٢٣٢) ، والنَّسائي في "الكبرى" (١١٤٣٦) ، والطبري (٢٣/ ١٢٥) ، وابن حبَّان (٦٦٨٦) من طريق يحيي بن سعيد، بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٥٩) عن يحيي، عن الأعمش، به. وأخرجه التِّرمذي (٣٢٣٢) ، والحاكم (٢/ ٤٣٢) ، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٤٦) من طريق أبي أحمد الزبيري، وأبو يعلى (٢٥٨٣) ، والطبري (٢٣/ ١٢٥-١٢٦) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، والطبري (٢٣/ ١٢٥) من طريق معاوية بن هشام، ثلاثتهم عن سفيان، به. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي! وليس عند الطبري (٢٣/ ١٢٥) في الإسناد "الأعمش"، ويغلب على ظننا أنَّه سقط من الطبع. وأخرجه عبد الرزَّاق (٩٩٢٤) عن الثَّوري، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، به. ويغلب على ظننا أن "يحيي بن عمارة" سقط من الطبع أيضاً، والحديث عنده مختصر جداً ولفظه: مرض أبو طالب فجاءه رسول الله ﷺ يعوده" .

الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: " يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ... " الحديث (١٣٩) .

الحَدِيْثُ الخَامِسُ وَالعِشْرُوْن: حديث أبي بكر الصدِّيق ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَجَاةُ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ قَبِلَ مِنِّي الْكَلِمَةَ الَّتِي عَرَضْتُ عَلَى عَمِّي، فَرَدَّهَا عَلَيَّ، فَهِيَ لَهُ نَجَاةٌ " . رواه أحمد (١٤٠) .

الحَدِيْثُ السَّادِسُ وَالعِشْرُوْن: عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِي ﷺ ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ» . رواه البخاري ومسلم (١٤١) .

الحَدِيْثُ السَّابِعُ وَالعِشْرُوْن: عن أنس أَنَّ النَّبِي ﷺ قال لمعاذ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» ، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» ، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا" . رواه البخاري ومسلم (١٤٢) .

---

(١٣٩) أخرجه البخاري (٢/ ٩٥ برقم ١٣٦٩) ، مسلم (١/ ٥٤ برقم ٢٤) .

(١٤٠) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٠٢ برقم ٢٠) ، قال الأرنؤوط : " المرفوع منه صحيح بشواهده، رجاله ثقات رجال الشَّيخين غير الرَّجل الذي روى عنه الزُّهري، ووصف الزُّهري له بأنَّه من أهل الفقه – وسيأتي أيضاً أنَّه قال: غير متهم – تقوية لأمره وتوثيق له" .

(١٤١) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٥ برقم ٣٤٣٥) ، مسلم (١/ ٥٧ برقم ٢٩) .

(١٤٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٧ برقم ١٢٨) ، مسلم (١/ ٦١ برقم ٣٢) .

الحَدِيْثُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُوْن: عن عبادة قال : قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ» . رواه مسلم (١٤٣) .

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُوْن: عن أبي ذَرٍّ ذر ، قال : قَالَ رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ " . رواه البخاري ومسلم (١٤٤) .

الحَدِيْثُ الثلاثون: في الصَّحيحين عن عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولِ اللهَّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللهَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهَّ" (١٤٥) .

الحَدِيْثُ الحَادِيْ وَالثَّلَاثُوْن: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطاه نعليه فقال: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللهِ ﷺ ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ " . رواه مسلم (١٤٦) .

الحَدِيْثُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُوْن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: " لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ". رواه البخاري (١٤٧) .

---

(١٤٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٧ برقم ٢٩) .

(١٤٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٩ برقم ٥٨٢٧) ، مسلم (١/ ٩٥ برقم ٩٤) .

(١٤٥) أخرجه البخاري (١/ ٩٢ برقم ٤٢٥) ، مسلم (١/ ٤٥٥ برقم ٣٣) .

(١٤٦) أخرجه مسلم (١/ ٥٩ برقم ٣١) .

(١٤٧) أخرجه البخاري (٨/ ١١٧ برقم ٦٥٧٠) .

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُوْن: حديث أم سلمة وذكر الحديث وفيه فقال رَسُولُ الله ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ» . رواه البخاري ومسلم (١٤٨) .

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُوْن: عن عَنْ عُثْمَانَ بِن عَفَّان رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اللهُ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» . رواه مسلم (١٤٩) .

الحَدِيْثُ الخامس وَالثَّلَاثُوْن: حديث أنس في الشفاعة وفيه قال النَّبي ﷺ: " يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً " . رواه البخاري ومسلم (١٥٠) .

وفي الصَّحيح قريباً منه من حديث أبي سعيد ومن أحاديث الصدِّيق عن أحمد .

الحَدِيْثُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُوْن: حديث مُعَاذِ ،قَالَ: قَالَ النَّبي ﷺ: " مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " (١٥١) .

الحَدِيْثُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُوْن: عَنْ مُعَاذِ عَنِ النَّبي ﷺ : " مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " . رواه أحمد والبزَّار (١٥٢) .

---

(١٤٨) أخرجه مسلم (١/ ٥٦ برقم ٢٧) .

(١٤٩) أخرجه مسلم (١/ ٥٥ برقم ٢٦) .

(١٥٠) أخرجه البخاري (٩/ ١٢١ برقم ٧٤١٠) ، مسلم (١/ ١٨٢ برقم ١٩٣) .

(١٥١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٣٦٣ برقم ٢٢٠٣٤) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح، وهذا إسناد حسن، صالح بن أبي عريب روى عنه جمع، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وباقي رجال الإسناد ثقات. وأخرجه البزَّار في "مسنده" (٢٦٢٥) من طريق أبي سفيان سعيد بن يحيى، عن عبد الحميد بن جعفر، بهذا الإسناد" .

(١٥٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٤١٨ برقم ٢٢١٠٢) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف، شهر بن حوشب ضعيف ولم يدرك معاذاً، وإسماعيل ابن عياش روايته عن غير أهل بلده ضعيفة، وهذا منها، فإن عبد الله بن عبد الرحمن مكي. وقد صح معناه عن معاذ بغير هذه السياقة" .

الحَدِيْثُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُوْن: عَنْ سَمِعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : قَامَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ بِلَالُ فَنَادَىٰ، فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» . رواه النَّسائي وابن حبَّان في صحيحه (١٥٣) .

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُوْن: عَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : " أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ فِي الْجَنَّةِ " رواه أحمد (١٥٤) .

---

(١٥٣) أخرجه ابن حبَّان (٤/ ٥٥٣ برقم ١٦٦٧) ، قال الأرنؤوط : " النضر بن سفيان روىٰ عنه مسلم بن جندب، وعلي بن خالد الدؤلي، ووثقه المؤلف (٥/ ٤٧٤) ، وباقي رجاله ثقات. وأخرجه أحمد، وابنه عبد الله في زوائده علىٰ "المسند" (٢/ ٣٥٢) عن هارون بن معروف، والنَّسائي (٢/ ٢٤) في الأذان: باب ثواب ذلك، عن مُحَمَّد بن سلمة، كلاهما عن ابن وهب، بهذا الإسناد. وصححه الحاكم (١/ ٢٠٤) ووافقه الذهبي، من طريق بحر بن نصر الخولاني، عن ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ، عن علي بن خالد الدؤلي أنَّه حدثه، أنَّه سمع أبا هريرة يقول ... وقد تحرف "الدؤلي" في سنن النَّسائي المطبوع إلىٰ "الزرقي" .

(١٥٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/ ١٥٢ برقم ١٦٢١٥) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن صحابيه لم يرو له سوىٰ النَّسائي وابن ماجه، وذكر مسلم أن عطاء بن يسار تفرَّد بالرواية عنه. هلال بن أبي ميمونة: هو هلال بن علي بن أسامة. وحذفت الفاء من قوله فأستجيب وفأعطيه من الأصول، وما أثبتناه هو الجادة. وأخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" (١٣٢-١٣٣) من طريق إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن علَية، بهذا الإسناد. وأخرجه مطولاً ومختصراً الطَّيالسي (١٢٩١) و (١٢٩٢) ، والدارمي (١/ ٣٤٨) ، والبزَّار (٣٥٤٣) (زوائد) ، وابن خزيمة في "التوحيد" (ص ١٣٢-١٣٣) ، والطَّبراني في "الكبير" (٤٥٥٩) ، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٢٨٦) من طرق عن هشام الدستوائي، به. وأخرجه الطَّبراني في "الكبير" (٤٥٥٧) و (٤٥٥٨) و (٤٥٦٠) من طرق عن يحيىٰ بن أبي كثير، به. وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١/ ٢٠) دون قوله: "إذا مضىٰ ... "، وقال: رواه أحمد، وعند ابن ماجه بعضه، ورجاله موثقون ".

الحَدِيْثُ الأَرْبَعُـــوْن: عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَعْلَـــمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِـــهِ فَيَمُوتُ إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ» . رواه الحاكم (١٥٥) .

الحَدِيْثُ الحَادِي وَالأَرْبَعُوْن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: " حَضَرَ مَلَكُ الْمَوْتِ رَجُلًا يَمُوتُ فَشَقَّ أَعْضَاءَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ عَمِلَ خَيْرًا، ثمَّ شَقَّ قَلْبَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ خَيْرًا، ثمَّ فَكَّ لَحْيَيْهِ فَوَجَدَ طَرَفَ لِسَانِهِ لَاصِقًا بِحَنَكِهِ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " قَالَ النَّبي ﷺ : " فَغُفِرَ لَهُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ » رواه الطَّبراني والبيهقي وابن أبي الدُّنيا (١٥٦) .

الحَدِيْثُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُوْن: حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنَّه قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ أهل السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رواه ابن السني والحاكم وابن حبان في صحيحيهما (١٥٧) .

---

(١٥٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصَّحيحين (١/ ٥٠٢ برقم ١٢٩٨ ، وقال : «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، إِنَّمَا انْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِإِخْرَاجِ» حَدِيثِ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ: عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ عُثْمَانَ، أَنَّ النَّبي ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ») ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١/ ٤٣٤ برقم ٢٠٤) ، قال الأرنؤوط : " إسناده صحيح، مُحَمَّد بن يحيى الأزدي: هو مُحَمَّد بن يحيى بن عبد الكريم بن نافع الأزدي، ومسلم بن يسار: هو مسلم بن يسار البصري الأموي المكِّي. وأخرجه أحمد (١/ ٦٣) ، والحاكم (١/ ٧٢) ، وأبو نعيم في "الحلية" (٢/ ٢٩٦) من طريق عبد الوهَّاب بن عطاء، بهذا الإسناد. وصححه الحاكم ووافقه الذَّهبي ".

(١٥٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٢٣ برقم ٩٨٤) .

(١٥٧) أخرجه ابن حبَّان في الصَّحيح (١٠٢/١٤ برقم ٦٢١٨) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف، دراج أبو السمح في روايته عن أبي الهيثم ضعف. وأخرجه النَّسائي في "اليوم والليلة" (٨٣٤) و (١١٤١) ، والطَّبراني في "الدعاء" (١٤٨٠) ، والحاكم (١/ ٥٢٨) ، وعنه البيهقي في "الأسماء والصِّفات" (ص ١٠٢-١٠٣) من طرق عن عبد الله بن وهب، بهذا الإسناد. وصحَّحه الحاكم ووافقه الذَّهبي! وكذا صحَّحه الحافظ ابن حجر في "الفتح"

الحَدِيْثُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُوْن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ» . رواه ابن حبَّان ، والطَّبراني ، والبزَّار ، ورواته رواة الصَّحيح (١٥٨) .

(٢٠٨/١١) . وأخرجه الطَّبراني (١٤٨١) ، وأبو يعلىٰ (١٣٩٣) من طريقين عن ابن لهيعة، عن دراج، به. وذكره الهيثمي في " المجمع " (٨٢/١٠) ، وقال: رواه أبو يعلىٰ ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف. قلت وفي الباب عن جابر رفعه: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأَفْضَلُ الدعاء الحمد لله. وقد تقدم برقم (٨٤٦) . وأخرج مالك في الموطأ (٢١٤/١-٢١٥) عن زياد بن أبي زياد، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ أن رسول الله ﷺ قال: "أفضل الدُّعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنَّبيُّون من قبلي: لا إله إلاَّ الله". وهذا مرسل صحيح" .

(١٥٨) أخرجه الطَّبراني في الأوسط (٢٧٣/٦ برقم ٦٣٩٦) ، ابن حبَّان (٢٧٢/٧ برقم ٣٠٠٤) ، قال الأرنؤوط : " حديث صحيح. مُحَمَّد بن إسماعيل الفارسي ذكره المؤلِّف في "الثقات" (٧٨/٩) ، وقال: يغرب. وباقي رجاله ثقات رجال الصَّحيح. ومنصور: هو ابن المعتمر، والأغر: هو أبو مسلم المدني. وأخرجه البزَّار في "مسنده" عن أبي كامل، حدَّثنا أبو عوانة، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "مَنْ قَالَ: لَا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه". قلت: وهذا إسناد صحيح رجال رجال الشَّيخين غير هلال بن يساف، فهو من رجال مسلم. قال البزَّار: وهذا لا نعلمه يروىٰ عن النَّبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، ورواه عيسىٰ بن يونس عن الثَّوري: عن منصور أيضاً، وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً، ورفعه أصحّ. قلت: الرِّواية الموقوفة أخرجها عبد الرزَّاق (٦٠٤٥) من طريق الثَّوري، عن حصين ومنصور أو أحدهما، عن هلال بن يساف، عن أبي هريرة موقوفاً بلفظ: "من قال عند موته: لا إله إلَّا الله أنجته يوماً عن الدَّهر، أصابه قبل ذلك ما أصابه" وأخرجه دون قوله: "فإنَّه من كان آخر كلمته...." ابن الجارود (٥١٣) ، ومسلم (٩١٧) في الجنائز: باب تلقين الموتىٰ لا إله إلَّا الله، وابن أبي شيبة (٢٣٧/٣) ، وابن ماجه (١٤٤٤) في الجنائز: باب ما جاء في تلقين الميِّت لا إله إلَّا الله، والبيهقي (٣٨٣/٣) من طريق أبي خالد الأحمر، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة. وأخرجه الطَّبراني في "الصَّغير" (١١١٩) من طريق عمر بن مُحَمَّد بن صهبان المدني، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه: "لقِّنوا موتاكم لا إله إلَّا الله، وقولوا: الثَّبات الثَّبات، ولا قوَّة إلَّا بالله". وقال الهيثمي في "المجمع" (٣٢٣/٢) : رواه الطَّبراني في "الصَّغير" و"الأوسط"، وفيه عمر بن صهبان، وهو ضعيف. وذكر الحافظ في "التَّلخيص" (١٠٢/٤) : وروىٰ أبو القاسم القشيري في "أماليه" من طريق ابن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً: "إذا ثقلت

الحَدِيْثُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُوْن: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنَهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوْصَى نُوحٌ ابْنَهُ، فَقَالَ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ: إِنِّي أُوصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، أُوصِيكَ بِقَوْلِ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، فَإِنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ فِي كِفَّةٍ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ كَانَتْ حَلْقَةً لَقَصَمَتْهُنَّ، حَتَّى تَخْلُصَ إِلَى اللهِ. الحديث رواه البزَّار ، والنَّسائي ، والحاكم (١٥٩) .

الحَدِيْثُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُوْن: عن عبد الله بن عمرو عن النَّبي ﷺ: « خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير" . رواه التِّرمذي (١٦٠) .

مرضاكم، فلا تملوهم قول لا إله إلَّا الله، ولكن لقنوهم، فإنَّه لم يختم به فمنافق قط". وقال: غريب. قلت: فيه مُحَمَّد بن الفضل بن عطية، وهو متروك وفي الباب عن عائشة عند النَّسائي(٤/ ٥) في الجنائز: باب تلقين الميت، من طريق وهيب عن منصور بن صفيَّة، عن أمه صفية بنت شيبة عن عائشة رفعته بلفظ: "لقِّنوا هلكاكم قول لا إله إلَّا الله". ورواه عبد الرزَّاق (٦٠٤٢) عن ابن جريج، عن منصور، به موقوفاً على عائشة. وعن عبد الله بن جعفر عند ابن ماجه (١٤٤٦) ، وسنده ضعيف، ورواه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٨) موقوفاً على عبد الله بن جعفر وعن معاذ بن جبل عند أبي دود (٣١١٦) ، والحاكم (١/ ٣٥١) رفعه بلفظ: "من كان آخر كلامه لا إله إلَّا الله دخل الجنَّة" وسنده حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذَّهبي. وحديث المسيب بن رافع عن ابن مسعود عند ابن أبي شيبة (٣/ ٢٣٨) بلفظ: "لقِّنوا موتاكم لا إله إلَّا الله، فإنها لا تكون آخر كلام امرئ مسلم إلَّا حرمه الله على النار". المسيب بن رافع روايته عن ابن مسعود مرسلة" .

(١٥٩) انظر : المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصَّالح (١/ ٤٢٧ برقم ١٢٠٢) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٤ برقم ١٦٨١٦) : " رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَهُوَ مُدَلِّسٌ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحيح ".

(١٦٠) أخرجه التِّرمذي (٥/ ٤٦٤ برقم ٣٥٨٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ، وَهُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيُّ المَدِينِيُّ وَلَيْسَ هُوَ بِالقَوِيِّ عِنْدَ أهل الحَدِيثِ) .

الحَدِيْثُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُوْن : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ "، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: " أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » رواه أحمد والطَّبراني (١٦١) .

الحَدِيْثُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُوْن : عَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ اللهَّ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فإِنَّه لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ" رواه التِّرمذي وحسَّنه ، وابن ماجه ، والبيهقي ، وابن حبَّان في صحيحه ، والحاكم ، وقال : علىٰ شرط مسلم (١٦٢) .

---

(١٦١) أخرجه أحمد في المسند (١٤/٣٢٨ برقم ٨٧١٠) ، قال الأرنؤوط : " إسناده ضعيف، وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٢/٣٥٧) من طريق عبد الله بن أحمد ابن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.وأخرجه عبد بن حميد (١٤٢٤) ، والبزَّار (٦٦٤- كشف الأستار) ، والحاكم (٤/٢٥٦) ، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" (٢/٣٥٧) من طريق أبي داود الطيالسي، به" .

(١٦٢) أخرجه التِّرمذي (٤/٣٢١ برقم ٢٦٣٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) ، ابن ماجه (٢/١٤٣٧ برقم ٤٣٠٠) ، شعب الإيمان (١/٤٤٨ برقم ٢٧٩) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصَّحيحين (١/٤٦ برقم ٩، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ لَمْ يُخَرَّجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ) ، ابن حبَّان في الصَّحيح (١/٤٦١ برقم ٢٢٥) ، قال الأرنؤوط : إسناده صحيح، عبد الوارث بن عبيد الله: صدوق، وباقي رجاله علىٰ شرط مسلم. عبد الله: هو ابن المبارك، وأبو عبد الرَّحمن المعافري: هو عبد الله بن يزيد المعافري) .

الحَدِيْثُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُوْن : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبيِ ﷺ حديث ، وفيه : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللهِ حِجَابٌ حَتَّىٰ تَخْلُصَ إِلَيْهِ. رواه التِّرمذي (١٦٣) .

الحَدِيْثُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُوْن : عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " يَدْرُسُ الإسلام كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حتَّىٰ لَا يُدْرَىٰ مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الأرض مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَىٰ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيخ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا " فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا . رواه ابن ماجه والحاكم في صحيحه ، وقال : هذا حديث علىٰ شرط مسلم (١٦٤) .

الحَدِيْثُ الخَمْسُوْن : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الإسلام بِعَمَلٍ " الحديث . رواه أبو داود (١٦٥) .

الحَدِيْثُ الحَادِي وَالخَمْسُوْن : عن عبد الله بن عمر أنَّ النَّبي ﷺ ، قال : «كُفُّوا عَنْ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا تُكَفِّرُوهُمْ بِذَنْبٍ، فَمَنْ أَكْفَرَ أهل لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَهُوَ إِلىٰ الْكُفْرِ أَقْرَبُ» رواه الطَّبراني (١٦٦) .

---

(١٦٣) أخرجه التِّرمذي (٥/ ٤٢٠ برقم ٣٥١٨ ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالقَوِيِّ) .

(١٦٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤ برقم ٤٠٤٩) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصَّحيحين (٤/ ٥٢٠ برقم ٨٤٦٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) .

(١٦٥) أخرجه أبو داود (٣/ ١٨ برقم ٢٥٣٢) ، سعيد بن منصور في السُّنن (٢/ ١٧٦ برقم ٢٣٦٧) ، البيهقي في الاعتقاد (ص١٨٨) ، القضاء والقدر (ص١٩٤ برقم ١٩٦) ، السُّنن الكبرىٰ (٩/ ٢٦٢ برقم ١٨٤٨٠) ، أبو يعلىٰ في المسند (٧/ ٢٨٧ برقم ٤٣١٢) .

(١٦٦) أخرجه الطَّبراني في الكبير (١٢/ ٢٧٢ برقم ١٣٠٨٩) .

الحَدِيْثُ الثَّانِيْ وَالخَمْسُوْن : في الصَّحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه أنَّ النَّبي ﷺ ، قال : «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (١٦٧) .

وفي الصَّحيحين أيضاً من حديث أبي ذر عن النَّبي ﷺ : «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ» (١٦٨) .

وفي الصَّحيحين عن ثابت بن الضحَّاك عن النَّبي ﷺ : « ... وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ» (١٦٩) .

وفي الصَّحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومن حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» (١٧٠) .

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم ، ونسأله من فضله أن يختم لنا بالإسلام والإيمان ، وأن يجنِّبنا ما يغضب وجهه الكريم ، وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم ، إنَّه رحيم كريم ، والحمد لله ربّ العالمين ، أوَّلاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلم أجمعين.

---

(١٦٧) أخرجه البخاري (١/ ١٩ برقم ٤٨) ، مسلم (١/ ٨١ برقم ٦٤) .

(١٦٨) أخرجه البخاري (٨/ ١٥ برقم ٦٠٤٥) .

(١٦٩) أخرجه البخاري (٨/ ١٥ برقم ٦٠٤٧) .

(١٧٠) أخرجه البخاري (٨/ ٢٦ برقم ٦١٠٤) .